شرح العقيدة الطحاوية

للإمام أبي جعفر الطحاوي رحمه الله

لفضيلة الشيخ

عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر حفظه الله

الدرس (١) والدرس (٢)

الشيخ لم يراجع التفريغ

الدرس الأول

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين أحمده تبارك وتعالى حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه كما يحب ربنا ويرضى.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله وسلم عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فإن العناية بأمر المعْتقَد وأصول الديانة وأسس الملة مقدَّم على أي أمر آخر، لأن هذه الأصول والأسس هي للدين بمثابة الأصول للأشجار والقواعد للبنيان، وقد قال الله سبحانه وتعالى **{ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ }**. وإذا كان أمر المعتقد بهذه المكانة والمنزلة، فإن العناية به والاهتمام ينبغي أن تكون أولى من أي أمر آخر.

والعناية بالمعتقد دراسةً له ومذاكرة لمضامينه داخل في الفقه في دين الله، وقد قال عليه الصلاة والسلام: "من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين "، وتعلم الاعتقاد من الفقه في دين الله بل هو الفقه الأكبر ولهذا عظمت عناية أئمة المسلمين وعلماء الدين قديما وحديثا بالعناية بالمعتقد وإيضاحه وذكر لمسائله وبيانا لشواهده ودلائله.

وقل أن تجد إماما من الأئمة إلا وله مصنَّف في بيان الاعتقاد ما بين مُسهبٍ ومختَصِر، وما بين متوسع ومقتصر، ما بين ناظم وناثر، في مؤلفات عديدة ومصنفات كثيرة.

ومن جملة هذه العناية، العناية بالمختصرات، والعناية بالمختصرات بدأت قديما عند أهل العلم، وكتب في العقيدة مختصرا كتابات كثيرة جدا للأئمة وأهل العلم من السلف ومن تبعهم بإحسان.

وقُصِد بهذه المختصرات تأصيل العقيدة وتقريرها، وبيان مكانتها العظيمة، ومنزلتها العليَّة، وبيان مصدر الاستدلال في تلقي الاعتقاد، وبيان ما تتميَّز به عقيدة أهل السنة والجماعة، فهذا هو الغرض في تأليف المختصرات؛ لم تؤلّف لتقصي جوانب العقيدة وذكر تفاصيلها، وإنما ألفت لتأصيل الاعتقاد وذكر ما تتميز به عقيدة أهل السنة والجماعة والإشارة إلى بعض التفاصيل التي تدل على غيرها وترشد إلى غيرها.

فيتضح بهذه المختصرات المعتقد، وتكون هذه المختصرات لطالب العلم بمثابة المفتاح الذي يدخل به بعد ذلك في التصانيف والمؤلفات الموسَّعة المفصلة في بيان العقيدة.

وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله تعالى– في بعض مؤلفاته –رحمه الله– الغرض الذي لأجله ألّف أهل العلم وكتب السلف رحمهم الله مختصرات في الاعتقاد فقال –رحمه الله تعالى–: "ومن شأن المصنفين في العقائد المختصرة على مذهب أهل السنة والجماعة أن يذكروا ما يتميز به أهل السنة والجماعة عن الكفار والمبتدعين، فيذكرون إثبات الصفات، وأن القرآن كلام الله غير مخلوق، وأنه تعالى يُرى في الآخرة خلافا للجهمية من المعتزلة وغيرهم، ويذكرون أن الله خالق أفعال العباد وأنه مريد لجميع الكائنات – أي إرادة كونية –، وأنه ما شاء كان ومالم يشأ لم يكن، خلافا للقدرية من المعتزلة وغيرهم. ويذكرون مسائل الأسماء والأحكام والوعد والوعيد، وأن المؤمن لا يكفر بمجرد الذنب، ولا يخلّد في النار خلافا للخوارج والمعتزلة، ويحققون القول في الإيمان، ويثبتون الوعيد لأهل الكبائر مجملا خلافا للمرجئة، ويذكرون إمامة الخلفاء الأربعة وفضائلهم خلافا للشيعة من الرافضة وغيرهم " . فبين بهذا الكلام العظيم رحمه الله غرض أئمة السلف –رحمهم الله تعالى– في المؤلفات المختصرة في بيان العقيدة.

فإذا علم ذلك لا يصلح ان يأتي أحد ويقول فات العالم الفلاني في مختصره أن يذكر كذا، أو أن يكتب بعضهم مستدركا على بعض المصنفات المختصرة يستدرك فيها بعض المسائل. فمثل هؤلاء لم يعرفوا أغراض السلف –رحمهم الله تعالى– في المختصرات، فهي أُلِّفت لبيان ما يتميز به المعتقد وما يتميز به أهل السنة والجماعة، وما تتأصل به العقيدة مع ذكر بعض الأمثلة التي تدل عليها.

فمثلا في باب الصفات يذكرون عدد من صفات الله تعالى مع بعض دلائلها وما ذكر منها يدل على مالم يذكر، والقاعدة في الصفات واحدة. فإذا علمت الطريقة في التقرير و الإثبات والاستدلال فما لم يذكر من صفات الله تبارك وتعالى القول فيه نظيرُ ما ذكر، والقول في الصفات كالقول في البعض الآخر.

وعليه فإن هذه المختصرات نافعة جدا لطالب العلم في التأصيل العقدي وفي معرفة ما تمتاز به عقيدة أهل السنة والجماعة وما تختص به من ارتباط وثيق وصلة كاملة بكتاب الله وسنة نبيه عليه الصلاة والسلام خلافا لما عليه أهل البدع والأهواء.

وهذا المختصر الذي بين أيدينا المشهور بـ [عقيدة الإمام الطحاوي] رحمه الله، الإمام العلامة أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الأزدي الطحاوي وهو –رحمه الله– توفي عام ثلاث مئة وواحد وعشرين، ونشأ في بيت علم وفضل فوالده عرف بالعلم وعرف بالفضل ونبل والأخلاق، ووالدته عرفت بالعلم، ويقال إنها ممن تلقى العلم عن الشافعي –رحمه الله– وأخذ عنه، وخاله هو الإمام المزني أشهر تلاميذ الإمام الشافعي –رحمه الله– فتلقى عليه العلم وأخذ عنه، فنشأ في محيط علميّ وفي أجواء علمية فنشأ نشأة عظيمة في تحصيل العلم وتلقيه .

ولخاله الإمام المزني متن مختصر في العقيدة وهو مطبوع متداول، وكذلك أهل العلم في ذلك الوقت وبعده لهم مختصرات في العقيدة، فشارك هذا الإمام الطحاوي -رحمه الله تعالى- أئمة السلف في كتابة هذا المؤلف المختصر في بيان عقيدة أهل السنة والجماعة.

وكان في بدأ حياته شافعيَّ المذهب من حيث الفروع، ثم بعد ذلكم تحول إلى مذهب الإمام أبي حنيفة -رحمه الله تعالى ورحم جميع علماء المسلمين- ولهذا كتب هذه العقيدة ونص في مقدمتها أن هذه العقيدة هي عقيدة الإمام أبي حنيفة وعقيدة صاحبيه؛ أي محمد بن الحسن والقاضي أبو يوسف كما سيأتي بيان ذلك.

ومن المعلوم أن الأئمة -رحمهم الله تعالى- مضوا على عقيدة واحدة وقولٍ واحد في الإيمان بالله وإثبات صفاته وذكرِ تفاصيل المعتقد اللهم ما نقل إلا ما نقل عن الإمام أبي حنيفة -رحمه الله- فيما يتعلق بمسألة الإيمان وإخراج العمل من مسماه، وقد ذكر ابن أبي العز الحنفي في شرحه لهذا الكتاب [شرح العقيدة الطحاوية] ذكر نقلا عن أبي حنيفة يأتي ذكره إن شاء الله يفيد أن أبا حنيفة رجع عن ذلك.

والإمام أبو حنيفة وغيره من أئمة السلف-رحمهم الله- لم يكونوا يتعمدون الخطأ لكنهم ليسوا بمعصومين، ولهذا قال ابن تيمية رحمه الله:" من قال إن أبا حنيفة وغيره من أئمة أهل العلم يتعمد الغلط ومخالفة الرسول صلى الله عليه وسلم فقد أبطل "، ولا يصلح أن يقال هذا في أهل العلم وأهل الفضل وأهل النبل.

ولهذا فإن هذا المتن كما سيأتي لاحقا أُخِذ عليه بعض المآخذ في هذا الباب، مما هو ليس كان موافقا لما كان عليه أهل السنة والجماعة، إضافة إلى أنه أيضا أخذ عليه من الناحية الشكلية وهي الترتيب، ترتيب مسائل المعتقد، فتجد مثلا في الصفات يذكر مسائل ثم يذكر غيرها ثم يرجع للصفات ثم يذكر غيرها وهكذا..

ولهذا ابن أبي العز لما ختم شرح هذا المتن تمنَّى أنه لو رتبه، لأنه شعر أنه فيه قصور في جانب الترتيب، فتمنى أنه لو رتب مسائل الكتاب على أبواب الإيمان بحيث تأتي تباعا عن كل مسألة في موضعها المناسب لها. فهذا مما أخذ عليه، وإلا فهو كتاب عظيم في بابه واعتنى به أهل العلم قديما وحديثًا وكُتِب عليه تعليقات من علمائنا ومشايخنا الأجلاء بيانا لمضامين هذا الكتاب وبيانا لما يتعلق بهذا الكتاب مما سيأتي الإشارة إلى بعضه في حينه إن شاء الله.

والإمام بن القيم -رحمه الله تعالى- في النونية المعروفة بالكافية الشافية لما ذكر عقيدة أهل السنة والجماعة في الصفات، أخذ يعدد الأئمة الذين ألفوا في الاعتقاد على جادة أهل السنة في إثبات صفات الله تبارك وتعالى، فذكر في ضمن ما ذكر بيتًا أشاد فيه بهذا المتن لهذا الإمام *الإمام الطحاوي* قال :

وانظر إلى قول الطحاويِّ الرضى وأجره من تحريف ذي بهتانِ

أي: أجر تأليفه من أجر ذي بهتان؛ أي من تحريف المتكلمين.

وابن القيم – رحمه الله تعالى– يلمح هنا إلى وجود مؤلفات كتبت في شرح هذا المتن، ولكنّ شرحهم لهذا المتن فسروه وشرحوه على الطريقة التي هم عليها وهي طريقة أهل الكلام، فأصبح الماتِن في واد وهم في واد آخر، وهذا الذي أشار إليه ابن القيم في قوله " أجرُهُ من تحريف ذي بهتان ".

مما دعا هذا الأمر الإمامَ العالم النبيل علي ابن أبي العز الحنفي –رحمه الله– إلى كتابة شرحٍ لهذا المعتقد جرى فيه على سَنن أهل السنة والجماعة وعلى طريقتهم، وأشار في مقدمة الشرح إلى وقوفه على تواليفَ وتصانيف في شرح هذا المعتقد جنح بها أربابُها إلى طريقة المتكلمين.

فكتب رحمه الله شرحه النفيس وكتب مُؤلفه العظيم المشهور بشرح العقيدة الطحاوية للإمام ابن أبي العز ، وهو كتاب عظيم في بابه، وابن أبي العز من تلاميذ الحافظ ابن كثير واستفاد كثيرا من شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم ومن غيرهم من أئمة السلف ومن علماء المسلمين، فكان شرحه لهذا المعتقد في غاية النفع والفائدة والجودة والإحسان.

ولهذا ينبغي على طالب العلم أن يحرص على مراجعة هذا الشرح والاستفادة مما ساقه فيه من شواهد ودلائل وتقريرات نافعات عن أئمّة السلف –رحمهم الله تعالى–.

وهذا الكتاب بإذن الله تبارك وتعالى سيكون هذا الشرح له شرحًا متوسطا الغرضُ منه بيانُ ما قرره الطحاوي –رحمه الله تعالى– في هذا المتن مع ذكر الدلائل والشواهد على تقريراته واستدلالاته والتنبيه على ما يحتاج إلى تنبيه، كل ذلكم يأتي في موضعه إن شاء الله تبارك وتعالى.

وأسأل الله عز وجل الكريم رب العرش العظيم أن يجزي الإمام الطحاوي وجميع أئمة المسلمين عنّا خير الجزاء، وأن يغفر لنا ولهم ولجميع المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات الأحياء منهم والأموات، إنه تبارك وتعالى سميع قريب مجيب.

ونبدأ مستعينين بالله تبارك وتعالى طالبين مدَّه وعونه في قراءة متن العقيدة الطحاوية.

بسم الله، توكلنا على الله لا حول ولا قوة إلا بالله.

[الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

" بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين.

قال العلامة حجة الإسلام أبو جعفر الوراق الطحاوي بمصر - رحمه الله تعالى- : هذا ذكر بيان عقيدة أهل السنة والجماعة على مذهب فقهاء الملة؛ أبي حنيفة النعمان بن ثابتٍ الكوفيّ، وأبي يوسف يعقوب بن إبراهيم الأنصاري، وأبي عبد الله محمد بن الحسن الشيباني - رضوان الله تعالى عليهم أجمعين- وما يعتقدون من أصول الدين ويدينون به رب العالمين . "]

شرح الشيخ:

بدأ - رحمه الله تعالى- بهذا الحمد والثناء على الله سبحانه وتعالى بما هو أهله والصلاةِ على النبي الكريم صلوات الله وسلامه عليه، ثم قال " هذا ذكر بيان اعتقاد أهل السنة والجماعة " أي ما يعتقده أهل السنة والجماعة.

وأصول الإيمان يسميها أهل العلم عقيدة، وهذه التسمية تسميةٌ شرعية خلافا لما يقوله بعض أهل البدع، بل هذه تسمية شرعية صح بها الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كما في سنن الدارمي حيث قال عليه الصلاة والسلام: " ثلاث لا يعتقد عليهن قلب امرئٍ مسلم " فعبر عليه الصلاة والسلام بهذا اللفظ في هذا الباب وهو استعمال دَرَجَ عليه أئمة السلف -رحمهم الله تعالى- في ما صنفوه في الاعتقاد مختصرًا أو مطوّلاً.

وسُمِّيت أصول الديانة عقيدة لأن تلك الأصول لا بد أن تكون ثابتة في القلب، ثابتة راسخة متمكنة لا أن يكون العبد فيها متزعزعا مترددا شاكًّا، فإن الشك والظن ليس عقيدة، وقد قال الله سبحانه وتعالى: **{ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا }** أي أيقنوا ولم يشكُّوا.

وقال عليه الصلاة والسلام كما في صحيح مسلم: " أشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله؛ لا يلقى الله بهما عبد غير شاكٍّ فيهما إلا دخل الجنة " — " غير شاكٍّ فيهما " - في الحديث الآخر قال: " مستيقنًا بها قلبه ". فلا بد من اليقين ولابد من انتفاء الشك حتى يصبح الأمر عقيدة، وأصل العقد الربط والإيثاق، ولهذا يقال عقد الحبل أي أوثقه وشدَّه، فلابد أن تكون العقيدة متمكّنة في القلب ثابتة ليس عند العبد فيها تردد أو شك أو اضطراب، ولهذا سميت أصول الديانة عقيدة لأنها مطلوب فيها الجزم، فإن لم تكن في القلب عن جزم ويقين لا تكون عقيدة، ولا يكون العبد حقق المطلوب منه لأن المطلوب منه **{ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا }** هذا هو المطلوب؛ أيقنوا ولم يشكُّوا، " مستيقنا بها قلبه "، فإذا كان لم يصل بهذه الأمور في قلبه إلى حد الجزم، لا تكون عقيدة.

ولهذا درج أئمة السلف -رحمهم الله- في أكثر المصنفات في هذا الباب على تسمية أصول الديانة العقيدة أو الاعتقاد أو أصول الاعتقاد أو نحو ذلك.

قال: " هذا ذكر بيان اعتقاد أهل السنة والجماعة على مذهب فقهاء الملة أبي حنيفة النعمان وأبي يوسف ومحمد بن الحسن " أي أبو حنيفة وصاحباه، ومن المعلوم أن اعتقاد اهل السنة والجماعة ليس لأحد من الفقهاء اختصاص به بل هو عقيدة الجميع، لكن لما كان ارتباطه الفقهي أحب أن يجمع ما عليه الإمام أبو حنيفة -رحمه الله- وما عليه صاحباه أبو يوسف ومحمد بن الحسن فجمع هذا المصنف، وإلا عقيدة أهل السنة والجماعة عقيدة واحدة، وما عليه الأئمة هو شيء واحد، يستثنى من ذلك مسائل تتعلق بالإيمان، وفي مواضع أخرى يسيرة يأتي التنبيه عليها وهي ليست على ما عليه أهل السنة في الاعتقاد مما سيأتي عليه التنبيه في حينه بإذن الله تبارك وتعالى.

والإمام أبو حنيفة والإمام أبو يوسف الإمام محمد بن الحسن هؤلاء من أئمة أهل العلم ومن أئمة الفضل وعنهم نقولات عظيمة وثمينة جداً يأتي الإشارة إلى بعضها ونقل جملة كبيرة منها الشارح ابن ابي العزّ الحنفي نقل نقولات عظيمة عن أبي حنيفة وعن أبي يوسف وعن محمد بن الحسن، وكذلكم كتب الاعتقاد الموسعة التي تعنى بسرد النقولات ينقلون كثيراً خاصة عن أبي يوسف وكذلك محمد بن الحسن؛ ينقلون عنهم نقول كثيرة جداً في ذكر المعتقد. والإمام أبي يوسف نقل عنه ابن منده في كتاب التوحيد نقلاً في قرابة خمس صفحات يعني كأنه مصنف مستقل في تقرير المعتقد بكلامٍ متين وتقرير نافع للغاية.

قال -رحمه الله تعالى-: " وما يعتقدون في أصول الدين ويدينون به لرب العالمين " أي أنه سيورد وينقل ما عليه هؤلاء الأعلام من اعتقاد وتقريرات في أصول الديانة مما يدينون به لرب العالمين أي يؤمنون به ويقرون به ويعتقدونه.

ثم شرع في التفصيل:

[قال -رحمه الله تعالى-:

" نقول في توحيد الله معتقدين بتوفيق الله إن الله واحداً لا شريك له ولا شيء مثله ولا شيء يعجزه ولا إله غيره ".]

شرح الشّيخ:

قال: " نقول في توحيد الله معتقدين بتوفيق الله " " نقول في توحيد الله " أي: قولنا في التوحيد وما نقرره في أمر التوحيد بتوفيق الله هو كذا وكذا مما سيأتي شرحه عنده –رحمه الله تعالى–

والتوحيد مصدر للفعل وحَّدَ يوحِّدُ توحيداً، وهو أصلٌ يدل على الإفراد.

وتوحيد الله سبحانه وتعالى هو الإيمان بوحدانية الله تبارك وتعالى، والله جل شأنه من أسمائه الحسنى الواحد ومن أسمائه جل وعلا الحسنى الأحد وهما اسمان دالان على وحدانية الله وأحديته عز وجل، والوحدانية والأحدية هي التفرد؛ تفرد الرب سبحانه وتعالى، تفرد الرب جل وعلا –كما سيأتي عند المصنف– لا شريك له لا شيء مثله لا شيء يعجزه، هذا كله تفرد الله للوحدانية سبحانه وتعالى.

فالتوحيد مصدر يدل على الإفراد، وتوحيد الله سبحانه وتعالى هو الإيمان بوحدانية الله.

ولا إله إلا الله هي كلمة التوحيد، ولهذا لا توحيد إلا بنفيٍ وإثبات؛ لا يكون التوحيد إلا بالنفي والإثبات، فإذا نفى الشخص ولم يثبت لا يكون موحداً وإذا اثبت ولم ينفِ لا يكون موحداً، بل لا يكون موحداً إلا بالنفي والإثبات؛ هذا هو التوحيد؛ نفي العبودية عن كل من سوى الله وإثبات العبودية بكل معانيها لله سبحانه وتعالى وحده.

والتوحيد هو أول واجب على المكلف وهو أصل الأصول وأعظم المطالب وأجلّ المقاصد وأنبل الأهداف، وهو الغاية التي خلق الله سبحانه وتعالى الخلق لأجلها وأوجدهم لتحقيقها.

وهو نوعان: علمي وعملي؛ التوحيد الذي خلق الله الخلق لأجله وأوجدهم لتحقيقه علميٌّ وعمليٌّ.

- عملي: بأن يفرد بالعبادة.
- وعلمي بأن يثبت له سبحانه وتعالى ما أثبته لنفسه وما أثبته له رسوله عليه الصلاة والسلام.

ولهذا قال الله سبحانه وتعالى في بيان التوحيد العلمي: **{ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا }** خلق لتعلموا.

وقال جلّ شأنه في بيان التوحيد العملي: **{ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ }**؛ هناك لِيعلموا وهنا ليعبدوا؛ فالخلق خُلقوا للعلم والعمل؛ ولهذا التوحيد علمي وعملي.

والعلمي يتناول توحيد الربوبية الذي هو إفراد الله سبحانه وتعالى بأفعاله وتفرده بالملك لا شريك له سبحانه وتعالى، ويتناول الإيمان بأسمائه الحسنى وصفاته العليا الثابتة في كتابه وسنة نبيه عليه الصلاة والسلام. والتوحيد العملي هو إفراد الله سبحانه وتعالى بالعبادة.

وعليه إن قلت التوحيد نوعان: علمي وعملي، أو قلت التوحيد ثلاث أنواع: توحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات وتوحيد الألوهية لا تعارض؛ لأن التوحيد العلمي يتناول نوعين وهما توحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات، ولا يكون العبد موحداً ولا من أهل توحيد الله تبارك وتعالى إلا إذا آمن بأنواع التوحيد الثلاثة وأتى بأنواع التوحيد الثلاثة، وكل نوع من هذه الأنواع الثلاثة لتوحيد الله جلَ شأنه عليها دلائلها الكثيرة وشواهدها العديدة في كتاب الله جلَ شأنه وفي سنة نبيه صلوات الله وسلامه وبركاته عليه.

قال: " نقول في توحيد الله معتقدين بتوفيق الله " وتأمل قوله بتوفيق الله وهي كلمة عظيمة جداً والإتيان بها في هذا الموضع من أجمل وأطيب ما يكون؛ " بتوفيق الله " لأنه لا يصح لك معتقد ولا تسلم لك ديانة ولا يستقيم لك سلوك إلا بتوفيق الله ومده وعونه؛ قال نبي الله شعيب عليه السلام: **{ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ }** فالتوفيق بيد الله، هو جل وعلا الموفِق والمعين والهادي من يشاء إلى صراطٍ مستقيم.

ولهذا دوماً اسأل الله جل وعلا التوفيق واطلب منه المدَّ والعون، لا تركن إلى ذكائك أو إلى فهمك أو إلى سيرك أو إلى سلوكك أو إلى عملك لا تركن إلى شيء من ذلك، واسأل الله التوفيق والسداد والثبات والهداية والعون؛ كما قال عليه الصلاة والسلام لمعاذ بن جبل: " يا معاذ إني أُحبك، فلا تدعنَ دبر كل صلاة أن تقول: اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك. "، ولما قال له علي رضي الله عنه: علِّمني دعاء أدعو الله به، قال له: " قل: اللهمَ إني أسألك الهدى والسداد " وفي رواية قال: " قل: اللهم اهدني وسددني " فالهداية والسداد والعون والتوفيق كل ذلكم بيد الله لا شريك له.

قال " نقول في توحيد الله معتقدين بتوفيق الله إن الله واحدٌ لا شريك له "؛ هذا إجمال في تقرير التوحيد، ثم فصَّله بثلاث كلمات وهي قوله: " ولا شيء مثله ولا شيء يعجزه ولا إله غيره "، فعطفه لهذه الثلاث على قوله " واحد لا شريك له " هو عطف تفسير وبيان وتفصيل؛ لأن قوله " واحد لا شريك له " وهذا إثبات ونفي يتناول أنواع التوحيد الثلاثة؛ أي واحد لا شريك له في ربوبيته، وواحد لا شريك له في أسمائه وصفاته، وواحد لا شريك له في ألوهيته، فقوله " واحد لا شريك له " هذا يتناول أنواع التوحيد الثلاثة؛ الربوبية والأسماء والصفات والألوهية.

ولا يكون العبد محققاً هذا التوحيد وهذا الإيمان؛ " واحد لا شريك له " إلا بنفي الشريك في الربوبية ونفي الشريك في الأسماء والصفات ونفي الشريك في الألوهية، فتناولت هذه الجملة أنواع التوحيد الثلاثة.

ثم فصل بأن خص كل نوعٍ من هذه الأنواع الثلاثة بالذكر، فقوله: " ولا شيء مثله " هذا يتعلق بتوحيد الأسماء والصفات؛ كما قال الله سبحانه وتعالى **{ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ }**،وكما قال الله جلَ شأنه **{ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا }**؛أي لا سميَ له؛ ليس هناك من يساميه جلَ شأنه، وقال تعالى: **{ فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ ۚ }** وقال تعالى: **{ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ }** وهذه السورة هي سورة أخلصت لبيان صفة الرب، وسيأتي الحيث عنها لاحقا.

فإذن؛ قوله " لا شيء مثله " هذا يتعلق بتوحيد الأسماء والصفات؛ بأن يكون المسلم منزها لله سبحانه وتعالى عن كل ما لا يليق به جل شأنه، سبحان رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين.

وثمَّتَ قاعدة عند أئمة السلف وعلماء السنة أن: ((**كل نفي يتضمن ثبوت كمال ضده**))؛ ففي قوله " ولا شيء مثله "، كذلك قول الله **{ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ۖ }** إثبات كمال الله سبحانه وتعالى وكماله في صفاته، وأنه جل وعلا له الصفات العظيمة الكاملة الكثيرة، ولهذا قال **{ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ }**، ففي نفي المثلية إثبات كمال الصفات خلافا للمبتدعة الذي ينفون الصفات ويستدلون على نفي الصفات بقوله **{ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ۖ }** فينزلون الآية في غير منزلها ويضعونها في غير موضعها، والآية في الإثبات؛ **{ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ۖ }** نفى المثلية لكمال صفاته؛ أي أنه له الصفات العظيمة الكاملة التي لا مثل لله سبحانه وتعالى ولا سميّ ولا نظير في شيءٍ منها، تقدس وتنزه عن المثال سبحانه وتعالى.

قال " ولا شيء مثله ولا شيء يعجزه " وهذا النفي يتضمن توحيد الربوبية وأن الله سبحانه وتعالى له الربوبية على الخلق أجمعين خلقا وإيجادا وتصرفا وتدبيرا؛ الخلق كله مطاوع لتدبيره ولا يعجزه سبحانه وتعالى شيء في الأرض ولا في السماء كما قال جل شأنه: **{ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِن شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ ۚ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا }** وهذا النفي متضمن ثبوت كمال الضد وهو كمال قوة الله وكمال قدرة الله وإحاطة علم الله، فليس النفي نفيا صرفا بل هو نفي متضمن ثبوت كمال الضد لله عز وجل؛ ولهذا الله ختم الآية الكريمة بقوله: **{ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا }**؛ فنفي العجز يدل على ثبوت كمال العلم وكمال القوة وكمال القدرة، وهذا فيه إثبات ربوبية الله سبحانه وأنه الرب المدبّر الذي بيده أزِمّة الأمور ومقاليد السماوات والأرض؛ بيده العطاء والمنع، الخفض والرفع، القبض والبسط، الحياة والموت، العز والذل **{ قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ ۖ بِيَدِكَ الْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ }**

فقوله " ولا شيء يعجزه " هذا فيه إثبات ربوبية الله وكمال تدبيره سبحانه وتعالى وكمال قدرته وأنه على كل شيء قدير وأن ما شاء الله كان وأنه لا رادّ لحكمه ولا معقِّب لقضائه، له المشيئة النافذة والقدرة الشاملة والعلم الذي وسع كل شيء، لا شيء يعجزه.

" ولا إله غيره " وهذا فيه توحيد العبادة؛ أي لا معبود بحق سواه؛ فهو المعبود بحق ولا معبود بحقٍّ سواه. وكان كل نبي يبعثه الله سبحانه وتعالى يبدأ قومه بقوله: **{ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ }**؛ **{ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ }** هذا هو لا إله إلا الله؛ أي لا معبود بحق إلا الله، وهذا هو توحيد العبادة؛ أن يخلص الدين لله وأن يُفرد جل شأنه بجميع أنواع العبادة كما قال الله سبحانه وتعالى: **{ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ }**، قال جل وعلا: **{ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ }** وقال جل وعلا: **{ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا }** وقال جل وعلا: **{ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ }** " لا إله غيره " أي لا معبود بحق سواه .

فتضمنت هذه الكلمات الثلاث " ولا شيء مثله ولا شيء يعجزه ولا إله غيره " أنواع التوحيد الثلاث:

- توحيد الأسماء والصفات في قوله " لا شيء مثله ".
- وتوحيد الربوبية في قوله " ولا شيء يعجزه "
- وتوحيد الألوهية في قوله " لا إله غيره "

بعد أن ذكرها مجملة في قوله " واحد لا شريك له "؛ أي في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته، فهذا ما يعتقده الأئمة.

وعرفنا قبل قليل قول الإمام الطحاوي –رحمه الله– أن هذه العقيدة هي عقيدة الإمام أبي حنيفة وعقيدة صاحبيه محمد ابن الحسن والقاضي أبي يوسف، فهذه العقيدة هي التي عليها المسلمون، الإيمان بتوفيق الله سبحانه وتعالى بوحدانية الله في ربوبيته وفي ألوهيته وفي أسمائه وصفاته.

ولهذا جاء عن الإمام أبي حنيفة رحمه الله تعالى أنه قال: " والله يُدعى من أعلى لا من أسفل، لأن السُّفل ليس من وصف الربوبية ولا الألوهية. " فذكر في هذه الجملة أقسام التوحيد الثلاثة؛ قال " لأن السفل ليس من وصف الربوبية ولا الألوهية ".

وهكذا مضى أئمة السلف رحمهم الله تعالى على الإيمان بوحدانية الله عز وجل في ربوبيته – جلَّ شأنه – وفي ألوهيته وفي أسمائه وصفاته وضمنوا ذلك تقريراتهم وكتبهم ومؤلفاتهم.

ولا يحتاج المقام أن تكتب أرقام لأن كتابة الأرقام إنما هي لمزيد التفهيم ولهذا لا نحتاج إليهم، فبعض أهل العلم قال: أولا.. ثانيا.. ثالثا، وبعضهم رأى أن لا حاجة إلى الأرقام لأن الأرقام إنما توضع لمزيد التفهيم؛ وهاأنت ترى في أحاديث عديدة يذكر النبي صلى الله عليه وسلم أشياء يجمعها عدد معين ويذكرها بدون أن يقال فيها أولا ثانيا ثالثا رابعا فإنما هذه تذكر لمزيد التفهيم والإيضاح.

فلا يقال أن العالم الفلاني ما ذكرها بالأرقام، لأن ذِكر الأرقام إنما هو لمزيد التفهيم والتوضيح، وإلا فإن قوله " لا شيء مثله ولا يعجزه ولا إله غيره " هذه الأقسام الثلاثة؛ "الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين "، واضحة، وهذا الذي عليه أئمة السلف رحمهم الله والنقول عنهم في هذا الباب كثيرة جدا.

وادعى بعض رؤوس البدع أن هذه الأقسام الثلاثة لا وجود لها عند أئمة السلف وزعم أن أول من قال بها ابن تيمية، وأنها لم تعرف عن أحد قبله، بينما المطَّلِع على كلام السلف وأئمة أهل العلم يجد نقولات كثيرة عن أئمة السلف منها مثل هذه النقول التي تذكرها بشكل واضح ومنها نقولات أخرى تصرح بالأرقام؛ أولا.. ثانيا.. ثالثا، مثل كلام ابن بطة العكبري في كتابه [الإبانة] ذكر أقسام التوحيد بالأرقام أولا ثانيا ثالثا، وهو قبل ابن تيمية –رحمه الله– بقرون.

وجمعت النقول عنهم في ذلك في رسالة مختصرة مطبوعة بعنوان [المختصر المفيد في دلائل أقسام التوحيد] ونقلت عن عدد كبير من أهل العلم قبل ابن تيمية كلهم يصرحون بأقسام التوحيد الثلاثة، ومن هؤلاء الذين نقلت أقوالهم الإمام أبو حنيفة، والإمام أبو يوسف، والإمام الطحاوي –رحمهم الله– وهؤلاء الثلاثة من علماء الأحناف؛ أهل المذهب الحنفي، وأيضا نقلت عن أئمة آخرين من أتباع المذاهب الأخرى وغيرهم من أئمة أهل العلم نقولات عديدة تبين أن أهل العلم كلهم مضوا على جادة واحد وطريق واحد في تقرير التوحيد.

نعم..

[قال رحمه الله تعالى: " قديم بلا ابتداء دائم بلا انتهاء لا يفنى ولا يبيد ".]

شرح الشّيخ:

قال –رحمه الله تعالى– في سرد ما يتعلق بتوحيد الله والإيمان بوحدانية الله سبحانه وتعالى مفصلا في هذا المقام ذاكرا جملة من التفاصيل قال " قديم بلا ابتداء دائم بلا انتهاء ".

قوله " قديم " هذا ليس من أسماء الله، ولم يذكره على أنه من أسماء الله تبارك وتعالى، لأن أسماء الله تبارك وتعالى كلها حسنى؛ أي بالغة في الحسن كماله.

أما الأسماء التي تدل على نقص أو هي ألفاظ محتملة هذه لا تدخل في أسماء الله تبارك وتعالى و " القديم " يراد به المتقدم على غيره، ليس المراد به ليس قبله شيء، القديم في اللغة: ليس المراد به الذي ليس قبله شيء ؛ وإنما المراد به المتقدم على غيره؛ تقرأ في ذلك مثلا قول الله تعالى: **{ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ }**؛ عرجون النخل معروف، يكون قديما أي بالنظر للجديد الذي جاء بعده، فالقِدَم يكون في الشيء أي بالنسبة لغيره، ولهذا يقال قديم للشيء العتيق، والجديد للشيء الجديد و الحديث، والعرجون القديم أي هو قديم بالنسبة للحديث الذي جاء بعده وكان في جِدَّته حديثا وليس قديما، ولهذا فالقدم يكون نسبيا، ولهذا لم يكن هذا من أسماء الله ولم يأتِ في أسماء الله تبارك وتعالى، لأنه ليس المراد بالقدم الأولية التي ليس قبلها شيء.

ولهذا يخبر عن الله بالقدم على هذا المعنى؛ معنى الأولية، وإذا قُيِّد يكون أيضا أولى مثل ما صنع المؤلف قال " قديم بلا ابتداء " فزال الإشكال، " قديمٌ بلا ابتداء "، والأولى من ذلك ما جاء في القرآن **{ هُوَ الْأَوَّلُ }** وفسره النبي عليه الصلاة والسلام في السنة كما في الحديث الصحيح قال :" اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء "، فأولى أن يقال " أول ليس قبله شيء ". وعلى كل هذه الجملة بهذا القيد " قديم بلا ابتداء" واضحة لا إشكال فيها، وذكره للقديم هنا من باب الإخبار عن الله سبحانه وتعالى، فليس " القديم " من أسمائه تبارك وتعالى وإنما يخبر عنه به بهذا المعنى المقيد؛ المعنى المذكور هنا: " قديم بلا ابتداء ".

والإمام ابن أبي العز الحنفي –رحمه الله– نبه على ذلكم في شرحه للعقيدة الطحاوية وذكر صراحة أن " القديم " ليس من أسماء الله تبارك وتعالى. وله رحمه الله تعالى منظومة في السيرة طبعت مؤخرا بدأها بقوله:

" الحمد لله القديم الباري "

ووجدت هذه الكلمة بهذا اللفظ " القديم " في جميع النسخ الخطية التي وجدت لهذا النظم، وهي ثلاث نسخ وجدت بهذا السياق: " القديم الباري " والأولى أن يقال " القدير ".

ويغلب والله أعلم على الظنّ على انها من تصفيفات النُسَّاخ، لأن ابن ابي العز –رحمه– في شرحه للعقيدة الطحاوية تعقب الطحاوي في هذا اللفظ ووضح أنه ليس من أسماء الله، فالأولى أن يقال: الحمد لله القدير الباري، لأمرين :

* الأول: لهذا المعنى الذي ذكره هو –رحمه الله– متعقبا به على الإمام الطحاوي .

* والأمر الثاني: ذكر "القدير" هو الذي يناسب ذكر "الباري".

أما " القديم " الذي يتناسب معه أن يقال " القديم الباقي "، والذي يناسب ذكره للباري هذا الاسم أن يقول "القدير" و" القدير " اسم من أسماء الله تبارك وتعالى ثابت في القرآن، فالأولى أن يقال:

الحمد لله القدير الباري.

والذي وجد في جميع النسخ الخطية وهي ثلاث نسخ وجد بهذا اللفظ " القديم "، فيحمل إن كان ثابتا عن الناظم رحمه الله تعالى يحمل على أنه أطلق ذلك من باب الإخبار مريدا بهذا الإطلاق المعنى المتقرر في قوله عليه الصلاة والسلام في الحديث: " اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء" .

قال: " دائم بلا انتهاء" أي أنه سبحانه وتعالى آخِرٌ بلا انتهاء، كما قال عليه الصلاة والسلام: " وأنت الآخر فليس بعدك شيء " فأوليته سبحانه وتعالى ليس لها ابتداء وآخريته جلّ وعلا ليس لها انتهاء؛ فهو " أول بلا ابتداء وآخر بلا انتهاء " هذا معنى قوله: " قديم بلا ابتداء دائم بلا انتهاء "؛ قال جلَّ شأنه: **{ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ۚ }**، وقال جل وعلا: **{ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ }** والآيات في هذا المعنى كثيرة.

قال: " لا يفنى ولا يبيد " هذا تقرير لما ذكره بقوله " دائم بلا انتهاء " أي أنه سبحانه وتعالى له الدوام وله البقاء وله الآخرية جل شأنه " بلا انتهاء "؛ لا يفنى؛ **{ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ۚ }** وهو الباقي سبحانه وتعالى **{ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ }** وآخريته بلا انتهاء، هذا المراد بقوله رحمه الله تعالى:" لا يفنى ولا يبيد ".

ثم أكمل رحمه الله تفاصيل أخرى متعلقة بهذا المقام يأتي الحديث عنها في درسنا القادم بإذن الله تعالى.

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا انت أستغفرك وأتوب إليك.

وصلى الله وسلم وبارك وأنعم على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الدرس الثاني

بسم الله الرحمن الرحيم

[الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على عبد الله ورسوله نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فيقول الإمام أبو جعفر الطحاوي رحمه الله تعالى في ذكر عقيدته، قال:

" ولا يكون إلا ما يريد، لا تبلغه الأوهام ولا تدركه الأفهام ولا يشبه الأنام، حيٌّ لا يموت، قيّومٌ لا ينام، خالقٌ بلا حاجة، رازقٌ بلا مؤونة، مُميتٌ بلا مخافة، باعثٌ بلا مشقَّة. "]

شرح الشيخ:

الحمد لله ربّ العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين.

أما بعد: يواصل الإمام الطّحاوي رحمه الله تعالى ذكر المعتقد الذي جمعه رحمه الله مُحرّرا له بعبارات مختصرة وألفاظٍ وجيزة لا على وجه الاستيعاب وإنما على وجه الاختصار والإيجاز.

وقد مضى مقدمات حول ما يتعلق بهذا المعتقد وبعض المعاني التي سبق الإشارة إليها، ونواصل الآن الكلام على ما قرّره رحمه الله تعالى.

قال: " ولا يكون إلا ما يريد " هذا كله فيما يتعلّق بوصف الربّ سبحانه وتعالى ببيان أوصافه ونعوته جلّ شأنه، قال " ولا يكون إلا ما يريد " المراد بالإرادة هنا أي الكونية القدرية، وليس المراد بها الشّرعيّة الدينية، لأن الإرادة التي هي وصف الله تبارك وتعالى التي يأتي ذكرها في نصوص القرآن والسّنة تارة يكون بها ما أراده سبحانه وتعالى كونًا وقدرًا؛ وهذا مرادف للمشيئة، وتارة يكون المراد به ما أراده شرعًا ودينًا؛ مثل أن يقال: أراد الله من عباده التّوحيد، أراد الله من عباده الصلاة، أراد الله سبحانه وتعالى من عباده الصّيام، { **يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ** }، فهذه إرادة شرعية، هذه إرادة شرعيّة، وكلّ ما أراده سبحانه وتعالى شرعًا فإنّه يحبّه؛ كل ما أراده سبحانه وتعالى شرعًا فإنّه يحبّه، لا يأمر شرعًا ولا يريد شرعًا إلا ما يحبّ سبحانه وتعالى، ولهذا فإن الإرادة الشرعيّة الدّينيّة مرادفة للمحبّة لأن في كلّ أحوالها أمورٌ يحبّها الله وأعمالٌ يرضاها سبحانه وتعالى ويحبُّ من عباده أن يفعلوها وأن يكونوا عليها.

وأما الإرادة بالمعنى الأول فهي الإرادة الكونيّة القدريّة، وهي التي عناها المصنّف رحمه الله تعالى هنا بقوله " لا يكون إلا ما يريد " أي لا يقع في هذا الكون من حركة أو سكون، قيامٍ أو قعود، حياةٍ أو موت، عزٍّ أو ذلّ، خفض أو رفع، أيًّا كان لا يكون إلا ما يريد، لأن الخلق خلقُه سبحانه وتعالى والملكَ ملكُه جلّ شأنه، ولا يمكن أن يقع في ملك الله سبحانه وتعالى شيء لم يرده الله كونًا وقدرًا، لأن الخلق خلق الله سبحانه وتعالى، والملك ملكُه جلّ شأنه، فقول المؤلّف رحمه الله تعالى: " ولا يكون إلا ما يريد " أي لا يقع في هذا الكون ولا يحصل فيه إلا شيء أراده الله سبحانه وتعالى كونًا وقدَرًا، ولا يصلح أن يُحمل المعنى هنا؛ معنى الإرادة على الشرعيّة لا يصلح أن يُحمل المعنى هنا على الإرادة الشرعية، لا يصلح أن يقال: لا يكون إلا ما أراده شرعًا، هذا لا يستقيم، والأمور التي أرادها الله سبحانه وتعالى من عباده شرعًا ودينًا قد تُفعل وقد لا تُفعل؛ **{ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ }** أراد الله ذلك أي شرعًا ودينًا أن يعبدوا الله وأن يجتنبوا الطاغوت، لكن قال: **{ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ }**؛ **{ منهم من ءَامَنَ وَمِنْهُم مَن كَفَرَ }**، فالله أراد شرعا ودينًا من الجميع الإيمان، الطاعة، التوحيد، العبادة، الصلاة، البعد عن المحرمات.. هذا كله أراده سبحانه و تعالى من الجميع شرعا ودينًا، لكن من الناس بل كثير من الناس فعلوا غير هذا الذي أراده الله سبحانه وتعالى منهم شرعا ودينًا.

فكل ما أراده سبحانه و تعالى شرعًا ودينًا يحبّه، أما فيما يتعلّق بما أراده كونًا وقدرًا فقد أراد كفر الكافر كونًا وقدرًا لكنه لا يحبُّ ذلك ويرضى سبحانه وتعالى لعباده الكفر لا يرضى عن الكافرين ويمقت ذلك ويبغضه سبحانه وتعالى.

وإذا لم يفرّق الإنسان بين الإرادتين الكونيّة القدريّة والشرعيّة الدينيّة تختلط عليه الأمور فلربّما جعل كل ما أراده الله كونًا محبوبًا لله سبحانه وتعالى، ولربّما أيضًا جعل كل أفعال العباد محبوبَة لله مرْضيّةً له باعتبار أنه أرادها منهم كونًا وقدرًا، وهذا لا يقوله إلا من ضلّ في هذا الباب، فالإرادة الكونيّة القَدَريّة هي مرادفة للمشيئة، والإرادة الشرعية الدينية مرادفة للمحبّة؛ فكل ما أراده سبحانه شرعًا ودينًا فإنه يحبه جلّ شأنه ويرضاه.

قال: " ولا يكون إلا ما يريد " أي أنه سبحانه وتعالى مشيئتُه في هذا الكون نافذة وإرادته — سبحانه وتعالى — ماضية وما قضاهُ وقدّره كائن، لا رادّ لحكمه ولا مُعقِّب لقضائه، الخلق خلقُه والملك ملكه، ولا يقع في هذا الكون وفي هذا الملك إلا ما أراده خالقه وموجِدُه سبحانه وتعالى.

قال: " لا تبلغُه الأوهام ولا تُدركه الأفهام " في هاتين الجملتين إبطالٌ للتكييف وإبطالٌ لمقالة المكَيّفة وردٌّ على من يحاول بعقله القاصر وفكره الضعيف أن يعرف كيفية صفة الرب سبحانه وتعالى. وأئمة السلف رحمهم الله تعالى قالوا في الصّفات عمومًا: أمِرُّها كما جاءت بلا كيف. لأن الكيفية؛ كيفية الصفة مجهولة غير معقولة؛

العقل مهما بلغ ذكاءً وفِطنةً ونباهةً لا يمكن أن يبلغ كُنه الصفة وكيفية الصفة، فالكيف مجهول، ولهذا الإمام مالك رحمه الله تعالى، إمام دار الهجرة، لما قال له ذلك الرجل: **{ الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ }** كيف استوى ؟. قال: " الاستواء معلوم " أي معناه معلوم: العلُوّ والارتفاع، لا يُجهل المعنى، " والكيف مجهول " ولم يقل رحمه الله الكيف معدوم، وإنما قال " الكيف مجهول " أي أن صفات الله لها كيفية لكن الله يعلمها؛ لا نعلمها. فقول السلف " بلا كيف " أي بلا تكييف؛ أي نفي لعلمنا بالكيفية وبيانٌ لقصور أفكارنا وأفهامنا وعقولنا عن بلوغ كيفية صفات الله سبحانه وتعالى. قال " الاستواء معلوم والكيف مجهول، والإيمان به –أي الاستواء– واجب والسؤال عنه –أي الكيف– بدعة. " لا يجوز للإنسان أن يسأل عن شيء لا يبلغه عقله ولا يمكن أن يصل إليه فهمه.

فالعقول مهما بلغت ذكاءً وفطنة فهي عاجزةٌ كالَّة عن أن تبلغ كُنهَ صفات الله، وكل ما يُقدّره الإنسان بذهنه أنه هو الكمال الذي مُتّصفٌ به الرّبّ ذو الجلال سبحانه وتعالى فالله أعظم من ذلك وأجلّ، فالله سبحانه أعظم من ذلك وأجلّ.

وكثيرًا ما أقول في هذا المقام: يقطع آفة التكييف أن نُكبّر الله؛ أن نقول: الله أكبر.

فالله أكبر؛ هذه الكلمة إحدى الكلمات الأربع التي يحبّها الله سبحانه وتعالى وهي أحب الكلام إلى الله؛ كما صحّ في الحديث " أحب الكلام إلى الله أربع: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر "، من ثمار وفوائد هذه الكلمة العظيمة أنها تقطع التكييف. الله أكبر من كل شيء جل شأنه، وأكبر سبحانه من أن يبلغ كُنه صفاته وكمال نعوته أوهامُ المتكلفين وأفهام المتخرّصين مهما كانوا من الذكاء والفطنة والنباهة لا يمكن أن يبلغوا كنه صفاته، ولهذا واجبٌ على المسلم أن يقطع الطمع في إدراك الكيف، واجب على كل مسلم أن يقطع الطمع من قلبه في إدراك كيفية صفات الله سبحانه وتعالى.

وإثبات السلف رحمهم الله للصفات ليس إثبات تكييف، ليس إثبات تكييف، بل يثبتون الصفات أي وجودها بمعانيها المعلومة، أما كيفيتها فلا نعلمها، ولا يجوز أن يُسأل عن شيء من صفاته بكَيف كما أنه لا يجوز أن يُسأل عن شيء من أفعاله بـ : لِمَ ؟ **{ لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ }** لا يجوز أن يسأل عن شيء من أفعال الله بـ: لِمِ ؟ لم فعل كذا ولم لم يفعل كذا، هذا باطل، هذا سؤال باطل، يقول الله سبحانه وتعالى: **{ لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ }** ولهذا قيل: لا تقُل لِمَ أمر الله ؟ ولكن قل بِمَ أمر الله ؟، لأنك عبد؛ مطلوب منك أن تعرف بم أمرك سيدك ومولاك لتعمل، أما أن يكون العبد –والعياذ بالله– مُتقدّمًا بين يدي الله ورسوله مُعترضًا منتقدًا.. لم فعل كذا ؟ لم أمر بكذا ؟ .. لِمَ يأمر بكذا ؟ هذا باطل. فالأفعال لا يُسأل عنها بـ لِمَ ؟ والصفات لا يُسأل عنها بـ: كيف ؟ لأن الكيف مجهول.

والمصنّف رحمه الله تعالى يبيّن هذا المعنى بقوله: " لا تبلغه الأوهام "؛ المراد بالأوهام أي الظنون؛ الوهم هو الظنّ، خيال الإنسان مهما سبح بخياله هنا وهناك مُحاولاً أن يصل إلى معنى يزعم أنه هو هذا وصف الرب سبحانه وتعالى فالله أعظم من ذلك، الله أعظم من ذلك.

ولهذا كل وصف يُقدَّر في الأذهان أنه هو الكمال الذي اتصف به الرّبّ فالله أعظم من ذلك فالله أعظم من ذلك سبحانه وتعالى، لا يمكن أن تبلغ العقول كنه صفاته، هذا أمر لا مطمع فيه أمر لا مطمع فيه ولهذا قال: " لا تبلغه الأوهام " الأوهام أي الظنون والخيال؛ خيال الإنسان، عندما يتيح مثلا لخياله المجال في هذا الأمر وهذا ممنوع باطل يريد أن يصل الى أمر يزعم أنه هو وصف الرب تبارك وتعالى فلا يبلغ؛ ولهذا قال " لا تبلغه الأوهام ".

إذا كانت أوهام البشر عاجزة عن أن تدرك كنه كثير من المخلوقات فكيف بخالقها ومبدعها وموجِدها سبحانه وتعالى ؟! ولهذا يذكر عن أحد أئمة السلف أنه لقي غلامًا مشتغلا بالتكييف الباطل فقال له: يا غلام دعنا ننظر في كيفية بعض المخلوقات، إن بلغتها أفهامنا وعقولنا انتقلنا إلى ما يتعلق بكيفية الخالق، وإن عجزنا فإنا عن إدراك كيفية صفات خالقه أعجز؛ قال له: يقول الله سبحانه وتعالى **{ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ ۚ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ ۚ }** قال له: إن النبي صلى الله عليه وسلم رأى جبريل وله ستمائة جناح، أخبرني عن هذه الأجنحة كيف هي متركبة ؟ كيف هيئتها ؟ كيف يطير بها ؟ ففتح الغلام فمه و لم يعرف أن يتكلم بشيء. قال له: انا أهوّن عليك؛ بعض الملائكة لهم ثلاثة أجنحة **{ أُولِي أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ ۚ }** قال: بعض الملائكة له ثلاثة أجنحة؛ أين تتركب هذه الأجنحة الثلاثة ؟ وكيف يستقيم طيرانه بثلاثة أجنحة ؟ قال الغلام: انتهيت.

يعني إذا كان في عجز تام عن أن يبلغ عقله وفهمه كنه مخلوقات لله؛ كنه مخلوقات لله سبحانه وتعالى، فكيف يقحم عقله القاصر وفكره الضعيف في كيفية صفات خالقها سبحانه وتعالى ؟!

ولهذا كما قدمت واجبٌ على كل مسلم أن يقطع الطمع في إدراك الكيف وأن يداوي نفسه بالتكبير؛ أن يداوي نفسه بالتكبير؛ يكبر الله سبحانه وتعالى وأن الله سبحانه وتعالى أعظم من كل شيء وأعظم وأكبر سبحانه وتعالى من أن تبلغ كنهَ صفاته عقولُ البشر القاصرة، هذا من معاني التكبير ومن دلالاته؛ أنه أكبر من أن تدرك عقول البشر القاصرة الضعيفة كنه صفاته وكمال نعوته سبحانه وتعالى.

وقد قال عليه الصلاة والسلام لعدي كما في المسند لما دعاه إلى الإسلام: " ما يُفِرّك يا عدي ؟ " أي ما الذي يجعلك تفر من الإسلام " أيفِرُّك أن يقال لا إله إلا الله ؟ و هل من إله غير الله ؟ يا عدي، ما يفرك ؟ أيفرك أن يقال الله أكبر ؟ وهل شيء أكبر من الله ؟ "

فالله سبحانه وتعالى أكبر من كل شيء وأكبر من أن تبلغ كنه صفاته كيفية نعوته عقول البشر.

قال: " لا تبلغه الأوهام ولا تدركه الأفهام " " ولا تدركه الأفهام " والإدراك: الإحاطة، وقد قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ ﴾ قال " ولا تدركه الأفهام " أي فهام البشر مهما أوتوا بأفهامهم وعقولهم وعلومهم ومعارفهم لا يمكنهم أن يدركوا كنه وكيفية صفات الخالق سبحانه وتعالى.

قال " لا تبلغه الأوهام ولا تدركه الأفهام "؛ ومن الدلائل على هذا المعنى ما جاء في آية الكرسي حيث قال جل شأنه ﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا ﴾ نعم ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ ﴾ وفي الآية الأخرى قال ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا ﴾.

وقوله رحمه الله " ولا يشبه الأنام " هذا فيه إبطال لمقالة التمثيل وفيه الرد على الممثلة، والممثلة هم من يجعلون صفات الخالق مماثلة لصفات المخلوقين – تعالى الله عما يقولون – وقد قال الإمام أحمد رحمه الله في بيان حقيقة الممثلة وحقيقة معتقدهم، قال: " الممثل الذي يقول يدٌ كيدي وسمعٌ كسمعي وبصر كبصري وإرادة كإرادتي، والله تبارك وتعالى يقول: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾. "

هذا هو التمثيل وهذه هي حقيقته؛ أن يزعم الزاعم وأن يدعي المبطل أن صفات الله كصفات المخلوقين. والتمثيل كفر بالله مخرج من ملة الإسلام، والممثل كافر بالله ليس مؤمنا به بل إن من يزعم أن ربه الذي يعبده يده كيده وسمعه كسمعه وبصره كبصره هو في الحقيقة لا يعبد الله؛ لأن هذا الذي يذكره صفات لمن يعبد ليس هو الله، ولهذا قال نعيم بن حماد شيخ البخاري وغيره أيضا من أئمة السلف قالوا: " والممثل يعبد صنما " لأن الذي يقول إن ربه الذي يعبده صفته كصفته هو في الحقيقة لا يعبد الله؛ يعبد صنمًا من الأصنام لأن الله سبحانه وتعالى ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾. فالتمثيل كفر بالله سبحانه وتعالى، والمصنف رحمه الله ذكر هذه الجمله ردا على هؤلاء؛ قال: " ولا يشبه الأنام ".

والأولى في هذا المقام أن يُعبَّر بنفي التمثيل، أن يعبر بنفي التمثيل موافقة للقرآن الكريم كما قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾، وشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله لما حرّر العقيدة الواسطية حررها بألفاظ مطابقة لألفاظ القرآن والسنة؛ ولهذا في المناظرة التي جرت معه حول العقيدة الواسطية قال: " قلت بلا تمثيل ولم أقل بلا تشبيه " موافقة لألفاظ القرآن الكريم ولهذا في مثل هذا المقام الأولى أن يُعبّر بنفي التمثيل، والتمثيل هو يعني المماثلة من كل وجه وهو الذي جاء بنفيه لفظ القرآن الكريم في مثل قوله سبحانه وتعالى ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ في قوله سبحانه وتعالى ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾.

والتمثيل باطل سواءٌ كان تمثيلا للخالق بالمخلوق أو تمثيلا للمخلوق بالخالق هذا كله باطل، ولهذا ينقل عن أبي حنيفة رحمه الله تعالى أنه قال: " لا يشبه أحدا من خلقه و لا يشبهه أحدٌ من خلقه "، فالتمثيل سواءٌ كان للخالق بالمخلوق أو للمخلوق بالخالق كله باطل، كله باطل، وتمثيل المخلوق بالخالق بأن يعطى شيئا من خصائص الخالق؛ كأن يُدّعى في مخلوق أنه يحيط علمًا بالمعلومات وأنه يعلم ما كان ويكون وأنه أحاط علما باللوح المحفوظ أو غير ذلك من العقائد التي هي موجودة عند بعض من طوائف أهل الضلال فهذا تمثيل للمخلوق بالخالق وهو باطل، فالله سبحانه وتعالى منزّهٌ جل شأنه عن ذلك؛ قال " لا يشبه الأنام " والأنام: ذكر الشارح ابن أبي العز في معناها أقوال؛ قال " قيل أنها هي الناس "؛ المراد بالأنام الناس، " وقيل الخلق كلهم، وقيل كل ذي روح " قال: " والأقرب أنه الأول؛ كما قال **{ وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ }** فإذا كان المراد بالأنام الخلق كلهم؛ جميع المخلوقات فلا إشكال، وإذا كان المراد بالأنام الناس فالعبارة فيها قصور، والله سبحانه وتعالى قال: **{ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ }** سواء كان من الأنام أو من غير الأنام فالله سبحانه وتعالى ليس كمثله شيء، ولهذا لفظ القرآن هو الذي جمع المعاني والدلالات وحوى عظيم المعاني في هذا الباب، بينما مثل هذه العبارات لا تسلم من شيء من الانتقاد. وربما يكون الذي جر المؤلف رحمه الله والمصنف لهذا مراعاة السجع لأنه قال " لا تبلغه الأوهام ولا تدركه الأفهام ولا يشبه الأنام " وربما جره إلى ذلك السجن ولم يدقق في المعنى إذا كان المراد بالأنام جميع المخلوقات أو الخلق كلهم.

قال: " حي لا يموت " كما قال جل شأنه في أعظم آية في كتاب الله **{ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ }** وكما قال سبحانه وتعالى **{ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ }**؛ فمن صفاته سبحانه وتعالى الحياة التي يدل عليها اسمه الحيّ؛ فالله عز وجل الحي أي بحياة كاملة لم تسبق بعدم ولا يلحقها فناء، والآخر فليس بعده شيء تبارك وتعالى، وأيضا لا يعتريها نقص، ولهذا في آية الكرسي قال: **{ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ }** وهذا من كمال حياته سبحانه وتعالى حياة كاملة مستلزمة لكمال الصفات وعظمة النعوت، ولهذا السمع والبصر والعلم والإرادة هذه كلها من لوازم هذه الصفة ومن الصفات التي تثبَت بدلاله ثبوت الحياة صفة لله سبحانه وتعالى، فالله حيٌّ بحياة كاملة لم تسبق بعدم ولا يلحقها فناء ولا يعتريها نقص، وهي مستلزمة لكمال الصفات.

ولهذه الصفة ترجع جميع الصفات الذاتية؛ جميع صفات الله تبارك وتعالى الذاتية راجعة إلى هذه الصفة.

قال: " حي لا يموت " حي لا يموت هذا وصفه سبحانه و تعالى، ومن سواه إما حي يموت أو حي قد مات أو جماد لا حياة له، أما الحي الذي لا يموت فهو الله رب العالمين، ولهذا مرَّ معنا **{ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ }**؛ فالعبادة والتوكل والرجاء والرغب والرهب والطلب هذا كله إنما يصرف للحي الذي لا يموت،

أما الحي الذي يموت أو الحي الذي قد مات أو الجماد الذي لا حياة له فهؤلاء كلهم لا يستحقون من العبادة شيء؛ لا يُدعون ولا يُرجون ولا يُتوكل عليهم ولا يصرف إليهم شيءٌ من العبادة؛ العبادة حقّ للحي الذي لا يموت، وقصة أبي بكر رضي الله عنه في هذا مشهورة؛ لما توفي رسول الله صلوات الله وسلامه عليه وفُجع الناس وهالهم الأمر خطبه رضي الله عنه خطبة عظيمة قال فيها: " من كان يعبد محمدا صلى الله عليه وسلم فإن محمدا قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حيٌّ لا يموت. " وهذا فيه أن العبادة لا تكون إلا للحي الذي لا يموت وهو الله سبحانه وتعالى رب العالمين، فهذه صفته جل شأنه؛ متفرد بالكمال لا شريك له عز وجل.

قال: " حي لا يموت، قيوم لا ينام " " قيوم لا ينام " والقيومية صفة يدل عليها اسمه تبارك وتعالى **القيوم** وتدل هذه الصفة على أمرين:

• **الأول: أنه سبحانه وتعالى قائم بنفسه** وهذا فيه دلالة على كمال غناه؛ فهو قيوم قائم بنفسه أي غني عن خلقه وغناه تبارك وتعالى غنًى ذاتي؛ فهو غني عن خلقه لا تنفعه طاعاتهم ولا تضرّه معاصيهم، ولا تزيد عباداتهم وأعمالهم ملكه شيئا – تبارك وتعالى – فهو غني { **يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ ۖ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ** } فالله سبحانه وتعالى غني، غني عن كل من سواه.

قال: " فالقيوم يدل على القيومية؛ أي كونه قائم بنفسه.

• **وكونه مقيما لخلقه " – هذا المعنى الثاني** – كونه مقيم لخلقه { **وَمِنْ آيَاتِهِ أَن تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ۚ** } { **أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ ۗ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ قُلْ سَمُّوهُمْ ۚ** } فهو قيوم أي مقيم لخلقه، وقيام المخلوقات إنما هو بإقامته سبحانه وتعالى { **إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَن تَزُولَا ۚ** }؛ هي قائمة بإقامته له لها سبحانه وتعالى، العرش وما دونه كلها قيامها بأمره، و العرش وما دونه كلهم فقراء إلى الله سبحانه وتعالى.

فإذن؛ المعنى الثاني في دلالة وصفه تبارك وتعالى بالقيومية أنه مقيمٌ لخلقه؛ وهذا فيه كمال القدرة؛ الأول يدل على كمال الغنى والثاني يدل على كمال القدرة؛ يدل على كمال قدرة الله سبحانه وتعالى وأنه جل شأنه على كل شيء قدير؛ لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء سبحانه وتعالى، وهذا أيضا فيه دلالة على فقر جميع المخلوقات إلى الله عز وجل وعدم غناها عنه طرفة عين؛ فهي فقيرة إليه من كل وجه وهو تبارك وتعالى غنيٌّ عنها من كل وجه، وهذا مما تدل عليه قيوميتُه سبحانه وتعالى.

والصفات الفعلية كلها ترجع إلى هذا الاسم " القيوم " والصفات الذاتية كلها ترجع إلى " الحيّ "؛ ولهذا فجميع الصفات ذاتية أو فعلية راجعة إلى هذين الاسمين " الحي القيوم "، ولهذا بعض أهل العلم ذهب إلى أن هذين الاسمين هما الاسم الأعظم، وهذا في قول لبعض أهل العلم، وهناك أقوال أخرى لكن أقوى ما قيل في الاسم الأعظم أنه هو الحي القيوم أو أنه اسم الجلالة الله؛ هذا أقوى ما قيل في المراد باسم الله الأعظم الذي إذا دُعي به أجاب وإذا سئل به أعطى.

قال: " قيوم لا ينام " والله سبحانه وتعالى منزّه عن النوم؛ النوم نقص، والنوم يكون عن حاجة؛ الإنسان ضعيف وناقص ولهذا يحتاج إلى النوم ليرتاح، فإذا نام ذهب عنه النصب وذهب عنه التعب؛ فجعل الله سبحانه وتعالى النوم للعبد ليدفع به التعب؛ ليدفع به النصب؛ يريح به بدنه.

أما الحيُّ القيوم سبحانه وتعالى فإنه لا ينام ولا ينبغي له أن ينام، لا ينام ولا ينبغي له أن ينام – سبحانه وتعالى – أي منزه عن ذلك جل شأنه، وأما المخلوق فإنه ينام لفقره، لحاجته، لضعفه، وانظر إلى حال الإنسان وشده احتياجه إلى هذا النوم، الإنسان ينام في عمره مدّة طويلة من الزمن، لأن الإنسان إذا قُدّر أنه عاش من عمره ستين سنة وينام النوم الطبيعي؛ ثمان ساعات في اليوم والليلة يكون نام في حياته عشرين سنة؛ عشرين سنة وهو نائم؛ لكنها تفرقت في الأيام فلم يشعر بهذا الحجم الكبير لمدّة نومه في حياته؛ عشرين سنة نائم ! وهذا يدلّ على ضعف الإنسان وحاجته، أما الربّ جلّ شأنه وتعالى وتقدَّس سبحانه وتعالى فهو قيوم لا ينام.

" خالقٌ بلا حاجة " أي خالق لهذه المخلوقات وموجدٌ لهذه الكائنات بلا حاجة؛ بلا حاجة منه سبحانه وتعالى إليها لأنه غنيّ **{ يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ ۖ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ }** فهو خالقٌ لها لكنه غني عنها، لا حاجة له فيها، سبحانه وتعالى، غنيٌّ عن مخلوقاته، خَلق بلا حاجة أي أنه عزّ شأنه غني عن المخلوقات لكنه خلقها لحكمة ولغاية وأوجدها لهدف، ولم يخلقها هملا ولا أوجدها باطلا ولا خلقها عبثاً، مراده بقوله " بلا حاجة " أي أنه سبحانه وتعالى غني عن هذه المخلوقات ولهذا قال سبحانه وتعالى في الحديث القدسي: "يا عبادي، لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجِنكم كانوا على أتقى قلبِ رجلٍ منكم ما زاد ذلك في مُلكي شيئا، و لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجِنكم كانوا على أفجر قلب رجل منكم ما نقص ذلك من ملكي شيئا. " فهو سبحانه وتعالى غني عن العباد وغني عن طاعاتهم وغني عن أعمالهم وغني عن عباداتهم، لا تنفعه سبحانه وتعالى طاعةُ الطائعين ولا تضره معصية العاصين **{ مَّنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۚ }**.

قال: " خالقٌ بلا حاجة، ورازقٌ بلا مؤونة " أي بلا كُلفة ولا مشقّة، لأن رَزْقه سبحانه وتعالى بكلمة؛ **{ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ }**، عطاؤه سبحانه وتعالى كلامٌ ومنعه كلام، فهو جلَّ شأنه رازقٌ بلا مؤونة؛ أي رَزقه لهذه المرزوقات وعطاؤه لهذه المخلوقات ومنُّه بأنواع النعم وصنوف العطايا والمنن، هذا كله بلا مؤونة، فهو عطاؤه جل شأنه كلام { **إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ** }

قال: " خالقٌ بلا حاجة، رازقٌ بلا مؤونة، مُميتٌ بلا مخافة " " مُميتٌ بلا مخافة " لأنه سبحانه وتعالى المحيي المميت، والموت مخلوقٌ من مخلوقات الله سبحانه وتعالى؛ خلقه الله عزّ وجل وأوجده كما قال: **{ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ }**، فالموت مخلوق من مخلوقات الله سبحانه وتعالى، أوجده الله عزّ وجلّ، ولهذا يؤتى بالموت، هذا المخلوق، يؤتى به يوم القيامة على هيئة كبش، ويُجعل بين الجنّة وبين النار، ويُنادى: يا أهل الجنة فيستبشرون ، وينادى: يا أهل النار فيستبشرون، ثم يُذبح هذا المخلوق بين الجنة والنار، يُذبح هذا المخلوق الذي هو الموت بين الجنّة والنار، يُذبح الموت، ويراه أهل الجنة وقد عرفوه ويراه أهل النار وقد عرفوه؛ لأن من مرّ به الموت عرفه، من ذاق الموت عرف الموت، من ذاق الموت عرف الموت بالمشاهدة، ولهذا يؤتى به بين الجنة والنار فيعرفه أهل الجنة ويعرفه أهل النار، ولهذا جاء في الحديث " يقال لهم: تعرفونه ؟ يقولون: نعم، هذا الموت. "، يعرفونه لأنهم ذاقوه، فيؤتى بهذا المخلوق ويُذبح بين الجنة والنار ويقال: " يا أهل الجنة خلودٌ فلا موت، ويا أهل النار خلودٌ فلا موت " لأن الموت ذُبح، ذُبح الموت.

فالموت مخلوق من مخلوقات الله سبحانه وتعالى والله قال في القرآن: **{ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ }**، فهو مخلوق من مخلوقات الله سبحانه وتعالى؛ مخلوق له وجود، ويؤتى به يوم القيامة ويذبح بين الجنة والنار ويقال: " يا أهل الجنة خلودٌ فلا موت، ويا أهل النار خلودٌ فلا موت ".

فالله سبحانه وتعالى هو تبارك وتعالى المميت، هو الذي خلق الموت سبحانه وتعالى وأوجد الموت، وجعل هذا الموت يمر بكل إنسان ولكل إنسان وقتٌ يذوق فيه هذا الموت، فإذا ذاق الموت فارق هذه الحياة وانتقل إلى حياةٍ أخرى. فالله جل وعلا هو المميت، ومن يموت مات بأجله الذي قضاه الله سبحانه وتعالى وقدّره له؛ مات بأجله سواءٌ قُتل أو احترق أو غرق أو مات حتف أنفه أو أيًّا كان نوع موته فموته بأجله الذي قدّره الله سبحانه وتعالى وقضاه **{ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ }**.

قال: " مُميتٌ بلا مخافة " ومن يقتل إنسانًا أو يتعدى عليه بقتلٍ يقتله لدفع شرٍّ أو لخوفٍ أو لخلاصٍ أو نحو ذلك من المعاني، والله مُنزَّه عن كل هذه المعاني؛ منزّهٌ عن كل ذلك، مُميتٌ بلا مخافة، وإنما هذه التقلبات للبشر والأطوار التي يمرّون بها هي خلق الله سبحانه وتعالى لِحكمٍ وغايات ومقاصد، والله سبحانه وتعالى أفعالُه كلها صادرة عن حكمة –جلَّ شأنُه–.

قال: " مُميتٌ بلا مخافة، باعثٌ بلا مشقّة " " باعثٌ بلا مشقّة " والبعث هو إعادة هذه الأرواح وهذه الأنفس التي ماتت وهؤلاء الناس الذين ماتوا؛ إعادتُهم، فيقومون لرب العالمين ويُنشرون، فيُبعثون من قبورهم قيامًا لرب العالمين.

وهذا البعث يكون من الله سبحانه وتعالى كما قال المصنف رحمه الله " بلا مشقّة " **{ مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ }** هذا معنى قول المصنف رحمه الله تعالى " باعثٌ بلا مشقّة " أي أن هذا الأمر الذي هو بعث الأجساد وإقامة الناس لربّ العالمين لمجازاة المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته، هذا الأمر يكون بلا مشقة، فالله سبحانه وتعالى منزه عن ذلك كله؛ قال الله سبحانه وتعالى: **{ وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ }**؛ اللغوب هو التعب والنّصب والمشقّة، الله منزّه تبارك وتعالى عن ذلك، والتفصيل في النفي إنما يؤتى به لحاجة؛ مثل أن يصف مبطلٌ الربَّ سبحانه وتعالى بنقصٍ أو نحو ذلك فينزَّه الله سبحانه وتعالى عن ذلك بنفي هذا الأمر عن الله، وإلا الأبلغ في مقام النفي الإجمال، وهو الكمال؛ في مقام النفي يؤتى بالنفي مُجمَلاً وهذا هو الكمال، والتفصيل لا يؤتى به إلا عن حاجة، ولهذا مثل تفاصيل النفي التي تأتي في القرآن مثل قوله **{ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ }** ونحوها في آياتٍ من القرآن، يؤتى بها لحاجة؛ إما لدفع دعوى مُبطل أو دفع توهم باطلٍ أو أمرٍ لا يليق بالله سبحانه وتعالى، فلا يُفصَّل في النفي إلا لذلك، ولهذا الأصلُ في هذا الباب أن يُجمل في النفي ويُفصَّل في الإثبات.

قال رحمه الله " باعثٌ بلا مشقّة " أي باعثٌ لهؤلاء الناس الذين توفاهم الله سبحانه وتعالى وقُبِضت أرواحهم وفارقوا هذه الحياة، يبعثهم الله سبحانه وتعالى ويقومون بين يدي رب العالمين عزّ وجلّ لمجازاة المحسن بإحسانه ومجازاة المسيء بإساءته.

ثم ذكر المصنّف رحمه الله تعالى بعد ذلك جُمَلا عديدة متّصلةٌ معانيها بعضُها ببعض فيكون الحديث عنها بإذن الله تبارك وتعالى في لقائنا القادم.

ونسأل الله عزّ وجلّ أن ينفعنا جميعًا بما علَّمنا وأن يزيدنا جميعًا علمًا، وأن يجعل ما نتعلمه حجّةً لنا لا علينا، وأن يُصلح شأننا كله وألا يكلنا إلى أنفسنا طرفة عين.

والله تعالى أعلم. وصلى الله وسلم على عبده ورسوله نبيّنا محمّد وآله وصحبه أجمعين.

برنامج
دراسة متون
العقيدة
(المستوى الثالث)
@mton_aqeda3

شرح العقيدة الطحاوية

للإمام أبي جعفر الطحاوي رحمه الله

لفضيلة الشيخ

عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر حفظه الله

الدرس (٣) إلى الدرس (٦)

الشيخ لم يراجع التفريغ

الدرس الثالث

بسم الله الرحمن الرحيم

[الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى أله وصحبه أجمعين.

أما بعد؛ فيقول الإمام أبو جعفر الطحاوي رحمه الله تعالى في عقيدته:

" مازال بصفاته قديماً قبل خلقه، لم يزدد بكونهم شيئا لم يكن قبلهم من صفته، وكما كان بصفاته أزليًا كذلك لم يزال عليها أبديا، ليس منذ خلق الخلق استفاد اسم الخالق، ولا بإحداث البرية استفاد اسم الباري، له معنى الربوبية ولا مربوب ومعنى الخالق ولا مخلوق ،وكما أنه محيي الموتى بعدما أحيي استحق هذا الاسم قبل إحيائهم كذلك استحق اسم الخالق قبل إنشائهم، ذلك بأنه على كل شيء قدير وكل شيء إليه فقير وكل أمر عليه يسير، لا يحتاج إلى شيءٍ، ليس كمثله شيء وهو السميع البصير. "

شرح الشيخ:

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله وسلم عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد؛ لا يزال كلام المؤلف رحمه الله تعالى ماضيا في تقرير ما يتعلق بالإيمان بأسماء الله تبارك وتعالى وصفاته. والإيمان بأسماء الرب جل وعلا وصفاته هو من الإيمان به؛ لأن الإيمان بالله جل وعلا يقوم على أركان ثلاثة وهي:

- الإيمان بوحدانيته عز وجل في ربوبيته.
- ووحدانيته سبحانه وتعالى في أسمائه وصفاته.
- ووحدانيته جل وعلا في ألوهيته.

فالإيمان بالأسماء والصفات داخل في الإيمان بالله، وهو ركن من أركان الإيمان بالله؛ بمعنى أن من لم يؤمن بأسماء الله تبارك وتعالى وصفاته ليس مؤمنًا بالله، ليس مؤمنا بالله تبارك وتعالى، والله عز وجل ذكر في القرآن أسماء له جل وعلا وصفات وكذلكم النبي الكريم عليه الصلاة والسلام المبلِّغ عن الله ذكر في سنته وأحاديثه صلى الله عليه وسلم من أسماء الربّ الحسنى وصفاته، وهو عليه الصلاة والسلام لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحيٌ يوحى.

فوجب على كل مسلم أن يؤمن بكل أسماء الله وصفاته الواردة في الكتاب والسنة ولا يتجاوز القرآن والحديث، ولهذا قال الإمام أحمد رحمه الله تعالى: " ونصف الله بما وصف به نفسه وما وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم لا نتجاوز القرآن والحديث ".

والمؤلف رحمه الله تعالى ماضٍ في تقرير هذا الأصل بذكر ما يتعلق به من تفاصيل وتقريرات مضمنا ما يذكره رحمه الله تعالى الرد على بعض المبطلة في أقوالهم المخالفة في هذا الباب العظيم؛ أسماء الرب تبارك وتعالى وصفاته والرد على أهل الباطل فيما يقررونه من باطل في أسماء الله وصفاته أو أي باب من أبواب الدين ينبغي أن يُلحظ فيه قاعدةُ أهل السنة وأصولهم في تقرير الحق بدلائله وشواهده الواضحات من كتاب الله جل وعلا وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، لأن من لم يفعل ذلك يخشى عليه أن يرد على باطل بباطل أو على مخالفة بمخالفة؛ قد ينقض الباطل لكنه يقع في خطإٍ أخر أو في مخالفة أخرى قد تكون دون المخالفة التي رد عليها أو قد تكون أشدّ، ولهذا ينبغي ملاحظة هذا الجانب والعناية الدقيقة به بحيث إذا رُدَّ الباطل لا تُضيّع الأصول؛ إذا رد الباطل لا تضيع الأصول والقواعد وما دلت عليه شواهد الشرع ودلائل الكتاب والسنة.

وقد نشأت بدعة خطيرة للغاية وضلالة عظيمة نشأت في وقت مبكر على يد فرقة ضالة يقال لها الجهمية، ولهذه الفرقة مقالاتها وضلالاتها وأباطيلها، وقد رد عليهم أئمة السلف رحمهم الله ردوداً وافية نقضوا فيها شبهة هؤلاء وأباطيلهم وتقريراتهم الفاسدة في هذا الباب، وكان من قول هؤلاء وباطل هؤلاء فيما يتعلق بأسماء الرب تبارك وتعالى وصفاته أن الله عز وجل لم يتسمَّ بالأسماء ولم يتصف بالصفات إلا بعد أن وجدت بزعمهم آثارها؛ إلا بعد أن وجدت بزعمهم آثار تلك الصفات، فمثلا: اسم الخالق: لم يكن اسمًا له – تنزه وتقدس عن قول هؤلاء الظالمين المعتديين علواُ كبيراً – لم يكن اسم له ولم يكن الخلق صفة له حتى خلق؛ فاستفاد من خلقه هذا الاسم، ولهذا يزعمون أن الأسماء؛ أسماء الرب مخلوقة تبعا للمخلوقات التي خلقها وأوجدها؛ فلم يتسمّ بالأسماء ولم يتصف بالصفات إلا بعد أن وجدت آثارُها، فبعد أن خلق سمي خالقاً بعد أن أوجد وبرأ سمي بارئا ورباً.. قادراً .. وهكذا في بقية أسماء الله وصفاته تبارك وتعالى.

وهذه ضلالة وباطل وقول عظيم في حق الرب سبحانه وتعالى وجحدٌ لأزلية الرب عز وجل بصفاته ونعوت جلاله كماله سبحانه وتعالى، فهو عز وجل بصفاته الأول الذي ليس قبله شيء، هو جل وعلا بصفاته الأول الذي ليس قبله شيء ولم يزل ولا يزال متصفاً بصفات الكمال ونعوت الجلال، ومقالة هؤلاء فيها من إضافة النقص لله سبحانه وتعالى ما لا يخفى أن يقال إن لم يكن خالقاً إلا بعد أن خلق لم يكن رازقا إلا بعد أن رزق، وهكذا... هذا من أعظم القول الباطل في حق الرب سبحانه وتعالى.

والمصنف رحمه الله تعالى يرد على هذا الباطل؛ يرد على باطل الجهمية وضلالة الجهمية فيقول رحمه الله: " ما زال بصفاته قديما " والباء هنا للمصاحبة، الباء للمصاحبة، " ما زال بصفاته قديماً "، فالله عز وجل ما زال ولا يزال في الأزل وفيما لم يزل متصفاً بصفاته جل وعلا، متصفًا بصفات الكمال ونعوت الجلال، قال: " ما زال بصفاته قديماً " أي ليس كما يزعم هؤلاء أنه اكتسب اسم الخالق بعد الخلق والرب بعد إيجاد المربوب والرزاق بعد الرزق.. وهكذا، بل ما زال بصفاته قديماً؛ ما زال بصفاته قديماً، أي أن صفات الله سبحانه وتعالى ملازمة له في الأزل؛ فهو أوّل جل وعلا بصفاته ليس قبله شيء لا على ما يقوله ضُلّال الجهمية ومن لفَّ لَفَّهم وسار مسارهم، فيرد على هذا الباطل.

يقول: " مازال بصفاته قديماً قبل خلقه " " قبل خلقه " أي قبل إيجاده للمخلوقات وبرئه للكائنات، فلم يزل سبحانه وتعالى بصفاته قديماً.

وعرفنا أيضا سابقا ما في التعبير بالقديم من مأخذ، لأن القدم قد يطلق بل في غالب إطلاقه على القدم النسبي؛ أي قديم بالنسبة لما قبله، ولهذا اسم الله تبارك وتعالى الأول اسم الله الأول لا إشكال فيه لأنه يدل على أزلية الله سبحانه وتعالى وأنه تبارك وتعالى ليس قبله شيء كما جاء تفسير ذلك في حديث النبي عليه الصلاة والسلام: " اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء وأنت الأخر فليس بعدك شيء ".

أما القِدَم فيطلق على القدم النسبي ويطلق أيضا على القدم المطلق، ولهذا مرَّ معنا أن المصنف رحمه الله قال " قديم بلا ابتداء " لأن من القدم ما له ابتداء؛ من القدم ما له ابتداء؛ مثل ما في الآية التي سبق الإشارة إليها **﴿ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ ﴾**: القدم هنا له ابتداء لكنه بالنسبة لغيره يعتبر قديم، وهكذا الجديد إذا جاء بعده جديدٌ أخر يكون بالنسبة لغيره قديما وهكذا... ولهذا احتاج فيما سبق أن يقول بلا ابتداء لأن القدم منه قدم نسبي وقدم مطلق.

وإذا أُخبر عنه الله سبحانه و وتعالى بالقدم، إذا أخبر عن الله بالقدم فلا محذور به إذا قُصِد القدم المطلق على أنه يكون إطلاقه على الله ليس من باب الأسماء أو الصفات وإنما من باب الإخبار، وقد نبه على ذلكم شارح الطحاوية الإمام ابن أبي العز الحنفي رحمه الله تعالى.

قال " ما زال بصفاته قديماً قبل خلقه، لم يزدد بكونهم شيئا " " لم يزدد بكونهم شيئا "كونهم: أي وجودهم وخلقهم؛ والله سبحانه وتعالى أوجد الكائنات وخلق المخلوقات بعد أن لم تكن؛ قال تعالى في خلق الإنسان: **﴿ هَلْ أَتَىٰ عَلَى الْإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا ﴾** وقل هذا في كل مخلوق؛ كل مخلوق خلقه الله سبحانه وتعالى وأوجده جل وعلا لم يكن قبل خلق الله له شيء مذكورا، فخلق سبحانه وتعالى المخلوقات، خلق المخلوقات وأوجد الكائنات ولم يزدد بخلقه لها وإيجاده لها صفة لم يكن سبحانه وتعالى متصفاً بها " لم

يزدد بذلك صفة لم يكن متصفاً بها " تعالى الله سبحانه وتعالى عن ذلك؛ لأن اتصاف الله سبحانه وتعالى بالصفات من كماله وجلاله وعظمته فإذا قيل أنه بخلقه المخلوقات اكتسب صفة لم يكن متصفا بها معنى ذلك أنه قبل ذلكم كان ناقصاً – تنزه الله وتقدس عن قول الظالمين المعتدين علواً كبيراً –.

فإذن؛ وجود هذه المخلوقات لم يزد الله عز وجل وصفاً لم يكن متصفاً به أو نعتاً لم يكن جل وعلا متصف به؛ فالله أعظم وأجلّ – تبارك وتعالى –.

قال: " لم يزدد بكونهم شيئا لم يكن قبلهم من صفته " " لم يزدد بكونهم " أي بخلقهم وإيجادهم شيئا لم يكن من صفته أي لم يكن من صفة الرب ثم اكتسبه بعد خلق المخلوقات أو بعد إيجاد الكائنات؛ هذا لا يقوله من عرف الله سبحانه وتعالى، بل ربنا جل وعزّ لم يزل بصفاته الذاتية وصفاته الفعلية لم يزل ولا يزال متصفاً بالصفات بنوعيها؛ الذاتية والفعلية، والذاتية لا تنفك عن الذات ولا تعلُّق لها بالمشيئة، والفعلية هي الصفات التي لها تعلُّق بالمشيئة.

والصفة الفعلية الله سبحانه وتعالى متصف بها في الأزل وفيما لم يزل وآحادها تتجدد، أحادها تتجدد؛ يعني الله سبحانه وتعالى لا يزال متصفًا بصفات الأفعال؛ لا يقال أنه لم يكن متصفا بها ثم اتصف، بل لم يزل ولا يزال متصفا بها سبحانه وتعالى لكن آحاده تجدد؛ يعني مثلا: الكلام: الله عز وجل لم يزل ولا يزال متكلمًا متى شاء بما شاء لكن آحاد الكلام تكلم بالتوراة ثم بالإنجيل ثم تكلم بالقرآن.. وهكذا قل في صفات الله سبحانه وتعالى الفعلية عموماً. فالله عز وجل لم يزل ولا يزال فعّالا لما يريد؛ لم يزل ولا يزال فعالا لما يريد كما قال تبارك وتعالى **{ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ }** **{ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ }**، فالله جل علا لم يزل ولا يزال متصفا بذلك.

آحاد هذه الصفات الفعلية متجددة مثل قول النبي صلى الله عليه وسلم: " إن الله غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله "؛ ليس معنى هذا أنه ليس متّصفا بفعلٍ ثم صار متصفاً به، بل هو جل وعلا لم يزل ولا يزال متصِفا بصفاته وآحاد صفاته جل وعلا متجددة، وإلا فالرب جل وعلا لم يزل ولا يزال فعالا لما يريد، حاشاه أن يُقال في حقّه أنه مُعطَّل عن صفة ما ثمَّ صار متصفًا بها بعد أن لم يكن.

إذن؛ من عقيدتنا في ربنا أن نعتقد ما دلَّ عليه كلامه سبحانه أنه لم يزل ولا يزال فعالا لما يريد، لم يزل يفعل ما يشاء يقول ما يشاء يتكلم بما شاء، ليس في وقت من الأوقات معطلا عن شيءٍ من الصفات لا الذاتية ولا الفعلية سبحانه وتعالى.

قال: " لم يزدد بكونهم شيئا لم يكن قبلهم من صفته، وكما أنه كان بصفته أزليًّا كذلك لا يزال بها أبديًا " كما أنه بصفته أزليًّا؛ يعني كما وضَّح قبل قليل فكذلك لا يزال بها أبديًّا، إذن؛ معنى ذلك أنه سبحانه وتعالى

متصفا بصفاته في الأزل وفي ما لم يزل كما قال عليه الصلاة والسلام: " اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء وأنت الآخر فليس بعدك شيء "؛ الأول بصفاته جلّ وعلا؛ صفاته ملازمة له متّصِف بها سبحانه وتعالى في الأزل وفي ما لم يزل – جل وعلا –.

قال: " وكما كان بصفاته أزليًّا كذلك لا يزال بصفاته أبديًّا " " كذلك لا يزال بصفاته أبديًّا " فهو عزّ وجلّ متّصِفٌ بصفات الكمال ونعوت الجلال، ولا يقال بحقّه إنه مُعطّل عن شيء من صفاته لا في الأزل ولا فيما لم يزل.

قال: " ليس منذ خلق الخلق استفاد اسم الخالق ولا بإحداثه البريّات استفاد اسم الباري "؛ مراده الردّ على الجهمية وأضرابهم الزاعمين أن الله سبحانه وتعالى إنما اتصف بهذه الصفات وتسمّى بهذه الأسماء بعد خلقه الخلق وإيجاده للمخلوقات؛ أي إنه لم يكن خالقًا فخلق فسُمّيَ خالقًا لخلقه الخلق وهكذا في سائر أسمائه تبارك وتعالى، وعرفنا ما في هذا الكلام من افتراء على الله سبحانه وتعالى وقولٍ عظيمٍ باطل في حقِّه عزّ وجلّ. فهو هنا يردّ على هؤلاء مقالتهم؛ يقول: " ليس منذ خلق الخلق استفاد اسم الخالق ولا بإحداثه البريَّة استفاد اسم الباري، له معنى الربوبية ولا مربوب، وله معنى الخالق ولا مخلوق " عرفنا أن مقالة الجهمية الباطلة في هذا الباب زعمُهم أن اكتساب الربّ لهذا الاسم وهذا الوصف بعد ظهور الآثار؛ بعد ظهور الآثار ووجود الآثار اكتسب هذه الأسماء، والمؤلف هنا يردّ على هؤلاء باطلهم فيقول: " ليس منذ خلق الخلق استفاد اسم الخالق ولا بإحداثه البريَّات استفاد اسم الباري " قال ذلكم ردًّا على هؤلاء باطلهم في زعمهم أنه إنما تسمّى بهذه الأسماء واتصف بهذه الصفات لما وُجدت آثارها.

ردَّ عليهم، لكن ما نوع ردِّه الآن ؟ ما نوع ردّه على هؤلاء ؟

قال: " ليس منذ خلق الخلق استفاد اسم الخالق ولا بإحداثه البريَّة استفاد اسم الباري " ردَّ عليهم بأن الله عز وجل خالقًا ولا خلق ورازقًا ولا رَزق، فلما ظهرت آثار هذه المخلوقات لم يزدد بظهورها اسمًا لم يكن له أو صفةً لم تكن له؛ خالقًا ولا خلق ورازقًا ولا رَزق فاعلاً ولا فعل، هذا مُحصَّل قوله.

ولهذا؛ الإمام ابن أبي العزّ الحنفي رحمه الله تعالى بيّن ما في هذا الكلام من خطأ وما فيه من مخالفة، لأن عقيدة أهل السّنّة والجماعة أنه سبحانه وتعالى لم يزَل فعَّالاً لما يريد؛ لم يزل خالقًا، لم يزل رازقًا، لم يزل مُنعِمًا، لم يزل متفضّلا... كل مخلوق له بداية وقبل أن يخلق لم يكن شيئًا مذكورًا، لكن، الربّ العظيم لا يُقال بأنه سبحانه وتعالى كان مُعطَّلا عن الفعل وقتًا ثمّ صار فاعلاً؛ معطّلا عن الرزق، الإنعام، الإكرام.. قم بعد ذلك صار فاعلاً لذلك.

فنبّه المصنِّف – الإمام ابن أبي العزّ – ما في هذا القول من خطأ ومخالفة، لماذا ؟ لأن معنى ذلك أن الله سبحانه وتعالى كان مُعطَّلا عن الفعل وقتًا ثم صار فاعلاً، بينما الاعتقاد الحقّ هو ما دلّ عليه القرآن: { **فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ** } { **وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ** }، أي: لم يزل ولا يزال فعّالا – سبحانه وتعالى –؛ نعتقد أن كل مخلوق له بداية ووُجد بعد أن لم يكن لكننا نؤمن بأن الله سبحانه وتعالى لم يزل خالقًا، لم يزل فعالا لما يُريد، لم يزل مُنعِمًا، لم يزل رزَّاقًا، لم يزل مُعطيًا، لم يزل مُتفضِّلا، لم يزل محسنًا، لا يقال إنه معطّل عن هذه الأفعال وقتًا ما ثم صار فعّالا، ثم صار منعمًا، أي بالفعل، فهذا لا يقال في حق الله سبحانه وتعالى لأنه يتنافى مع قول ربّنا جلّ شأنه: { **فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ** }.

قال: " له معنى الربوبية ولا مربوب، ومعنى الخالق ولا مخلوق "، قال: " وكما أنه محيي الموتى بعدما أحيا استحقّ هذا الاسم قبل إحيائهم "؛ أي ليس بإحيائه للأموات استفاد هذا الاسم واستفاد هذا الوصف، بل هو تبارك وتعالى لم يزل مُتَّصفًا بصفاته، سبحانه وتعالى لكن يجب أن يُتنبّه في هذا الباب إلى العقيدة التي دلَّ عليها كتاب الله وهي أن الله { **فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ** }؛ لم يَزَل ولا يزال، فإذا أردنا ردَّ باطل الجهميّة نرُدّه مع المحافظة على أصول الاعتقاد وقواعده التي يدلّ عليها كتاب الله سبحانه وتعالى وسُنّة نبيّه صلوات الله وسلامه عليه.

قال: "كذلك استحقَّ اسم الخالق قبل انشائهم " والقول في هذا كما مضى تقرير ذلك، وعقيدة أهل السنة والجماعة في هذا الباب فيها أن الله سبحانه وتعالى لم يزل سبحانه متّصفًا بصفاته الذّاتيّة والفعليّة جلّ وعلا، ولم يزل فعَّالا لما يريد؛ يخلق ويرزق ويُنعم ويُعطي ويُحسِن ويتكرَّم ويرحم ويغفر... إلى غير ذلكم من صفاته سبحانه وتعالى لم يزل متّصفًا بها، لا يقال إنها كانت مجرّد أسماء، لا يقال إنها كانت مجرّد أسماء بلا أفعال بلا حقائق ثمّ فعل –كما هو ظاهر هذا الكلام الذي أشرت إلى انتقاد ابن أبي العزّ رحمه الله له – يعني أنه مُعطّل عن الفعل في وقت ما ثمّ صار فاعلاً، بل الواجب أن نعتقد أن الله سبحانه وتعالى لم يزل ولا يزال فعّالاً لما يريد.

وفي هذه المسألة تفاصيل ودقائق وتشعُّبات جرَّها علم الكلام الباطل، وأهل العلم من اهل السنّة احتاجوا في بعض المواضع وفي بعض الكتب والتصانيف إلى مناقشة تلك الأقوال لبيان ما فيها من باطل وما فيها من زيف وتقرير الحقّ بدليله. لكن يكفي المسلم في هذا الباب أن يعتقد ما دلَّ عليه قولُ ربّنا عزّ وجلّ { **فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ** }.

قال ثم ختم رحمه الله تعالى بقوله " ذلك بأنّه على كلّ شيءٍ قديرٌ " " ذلك بأنّه على كلّ شيءٍ قديرٌ "؛ وهذا من أوصاف الرّبّ سبحانه وتعالى؛ أن قدرة الله عزّ وجلّ شملت كل شيء فهو على كل شيء قدير؛ لا يعجزه عزّ وجلّ شيءٌ في الأرض ولا في السماء؛ قدرته شاملة ومشيئته نافذة؛ قدرتُه تبارك وتعالى شاملةٌ؛ شاملة

لكل شيء، الله عزّ وجلّ على كل شيءٍ قدير؛ لا يعجزه شيء **{ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ }** عطاؤه كلامٌ ومنعُه كلام، فهو جلّ وعلا على كل شيء قدير، وهذه العقيدة؛ اعتقاد ان الله على كل شيء قدير هذه عقيدةٌ عظيمة جدًّا، وإذا كانت حاضرةً في قلب العبد مؤمنًا بها راسخًا إيمانُه بها أورثتهُ وأثمرت فيه من تعظيم الله وإجلاله ومراقبته والقيام بحقوقه وعبادته سبحانه وتعالى والذلّ له والانكسار بين يديه والتوكّل عليه وتمام الالتجاء إليه... أمورٌ عظيمة. ولهذا جاء عن ابن عبّاس رضي الله عنهما في تفسير قوله تبارك وتعالى **{ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ }** قال: " العلماءُ بأنه على كل شيء قدير ".

وهذا الإيمان بأن الله على كل شيء قدير وإن كان في الجملة معلومًا لكل مسلم إلا أن حقائق الإيمان به وتفاصيله ورسوخه في القلب وآثاره على العبد وثماره فيه يتفاوت فيه الناس ويتفاضل فيه الناس تفاضُلاً عظيماً، يتفاضل الناس فيه تفاضلا عظيما؛ قال **{ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ }** قال: " العلماءُ بأنه على كل شيء قدير "، فالله عزّ وجلّ قدرتُه وسعت كل شيء وشملت كل شيء ولا يُعجزه تبارك شيءٌ في الأرض ولا في السماء.

ومشيئته تبارك وتعالى نافذة، ومشيئته تبارك وتعالى نافذة؛ ما شاء كان؛ نفذ، لا رادَّ لحكمه ولا مُعقِّبَ لقضائه، فما يشاءُه سبحانه ينفذ ويقع طبقًا لما شاء؛ يقع طبقًا لما شاء، فكما أن قدرة الله عزّ وجلّ شاملة فإن مشيئته نافذة، فإن مشيئته تبارك وتعالى نافذة.

قال: " ذلك بأنّه على كلِّ شيءٍ قديرٌ، وكلُّ شيءٍ إليه فقير "؛ أي أنه سبحانه وتعالى الغنيّ، وغناهُ سبحانه وتعالى غنىً ذاتيّ؛ غنيٌّ عن كلّ مخلوقاته، ومخلوقاته كلها فقيرةٌ وفقرُها ذاتيّ؛ فقيرةٌ إلى موجِدِها وخالِقها وربِّها وسيِّدِها ومولاها لا غنىً لها عنه **{ يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ }** ، " يا عبادي -يقول جلّ وعلا في الحديث القدسيّ- كلكم جائعٌ إلا من أطعمتُه، كلكم عارٍ إلا من كسوتُه، كلكم ضالٌّ إلا من هديتُه " فالمخلوقات فقيرة إلى الله سبحانه وتعالى في بقائها، في عافيتها، في غذائها، في شرابها، في مصالحها في شؤونها.. في كلّ أمورها، لا غنى لها عن الله سبحانه وتعالى "كلُّ شيءٍ إليه فقير "كل شيء، جميع المخلوقات فقيرة إلى الله؛ العرش أعظم المخلوقات وأوسعها وأكبرها فقيرٌ إلى الله والله سبحانه وتعالى غنيٌّ عن العرش وما دونه، غنيٌّ عن العرش وما دونه؛ السماوات فقيرة إلى الله **{ إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَن تَزُولَا وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّن بَعْدِهِ }** فالله عز وجلّ هو الممسك للسماوات الممسك للعرش الممسك للأرض، القيُّوم —تبارك وتعالى- القائم بنفسه المقيم لخلقه — جلّ وعلا-، واسمه جلّ وعلا " القيُّوم " يدلُّ على هذا المعنى؛ يدلّ على أمرين: يدلّ على غناه جلّ وعلا وفقر المخلوقات إليه، وفقر المخلوقات

إليه، فهو قيّومٌ: أي قائمٌ بنفسه غنيٌّ عن من سواه، وقيّومٌ: قائمٌ بمخلوقاته فهي فقيرة محتاجةٌ إليه من كل وجه، لا غنى لها عنه طرفة عين. فكل شيء إلى الله سبحانه وتعالى فقيرٌ.

وإذا استحضر العبد افتقاره إلى الله عزّ وجلّ في كلّ أحواله وفي جميع شؤونه ذلَّ بين يديه وخضع ولم يلجأ في حاجاته ورغباته وطلباته إلا إليه سبحانه وتعالى، فهو لا غنى له عن ربّه سبحانه وتعالى طرفة عين؛ لا في هدايته ولا في حفظ قلبه ولا في حفظ عافيته ولا في جميع مصالحه، لا غنى له عن ربه تبارك وتعالى طرفة عين، ولهذا نجد في الدعوات المأثورة عن النبي صلى الله عليه وسلم التي كان يواظب عليها ويدعو للمواظبة عليها.. يظهر الفقر؛ فقر العباد إلى الله تبارك وتعالى واحتياجهم إليه الحاجة الدّائمة المستمرّة في كل شيء: في حفظ الصحة، في حفظ المال، في حفظ الحياة، في حفظ الدين، في سلامة القلب... إلى غير ذلكم.. لا غنى للعبد عن ربه تبارك وتعالى طرفة عين، فكل شيءٍ فقيرٌ إلى الله { **يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ ۖ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ** }.

" وكل أمر عليه يسير " لا يعجزه شيءٌ ولا يثقله شيءٌ ولا يتعبه شيءٌ سبحانه وتعالى { **وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ** } أي: تعب، قال جلّ وعلا { **وَلَا يَئُودُهُ** } أي لا يُثقله ولا يُكرِثُه {**حِفْظُهُمَا** ۚ } أي: حفظ السماوات والأرض، فكل شيءٍ عليه تبارك وتعالى يسيرٌ { **زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّن يُبْعَثُوا ۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ ۚ وَذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ** }، فكل شيءٍ عليه يسيرٌ.. كل شيءٍ عليه يسير، اقرأ ذلك في قوله تبارك وتعالى { **إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ** } فكل شيء عليه يسير؛ عطاؤه كلامٌ ومنعه –تبارك وتعالى– كلام، وأوامره سبحانه وتعالى نافذة وأقضيتُه ماضية وما شاء كان وما لم يشأ لم يكن ولا حول ولا قوّةَ إلا بالله، فهو تبارك وتعالى كل شيء عليه يسير؛ لا يعجزه شيء.. المخلوقات طوع تدبيره، طوع تسخيره، قدرته لها شاملة، مشيئته فيها نافذة، قضاؤه –سبحانه وتعالى– نافذ؛ ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن.. فكل شيء على الله تبارك وتعالى يسير.. كل شيء على الله يسير.

وإذا آمن العبد بعظمة الله وكمال قدرة الله وكمال قوة الله وكمال ربوبية الله سبحانه وتعالى لا يعجزه شيءٌ { **وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِن شَيْءٍ** } فلا يعجزه شيء – سبحانه وتعالى– لا في الأرض ولا في السماء – جلّ وعلا –.

قال " وكل أمر عليه يسير " كما قال الله سبحانه وتعالى { **وَذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ** } فكل شيءٍ يسيرٌ على الله جلّ وعلا، وأيضا تيسير الأمور.. تيسير الأمور بيده سبحانه وتعالى؛ لا يتيسّر أمر إلا بتيسيره.. لا يتيسّر أمر إلا بتيسيره، ولهذا صحّ في الدّعاء عن النبيّ عليه الصلاة والسلام أنه قال: ((**اللهم لا سهل إلا ما جعلتَهُ**

سهلا وأنت تجعلُ الحَزْنَ)) الحزْن: الصعب ((**وأنت تجعلُ الحزْنَ إذا ما شئتَ سهلاً**)) لا يمكن أن يتيسّر أمر ويتسهّل إلا إذا يسّرَهُ الله وسهَّله، فكل شيءٍ على الله يسير.. إذا اعتقد المسلم أن كل شيء على الله يسير لا يتعاظم طلبًا يطلبُه من الله أو حاجةً يسألها ربَّ العالمين، ولا يتعامل أيضًا في أدعيته مع الله سبحانه وتعالى بنوعٍ من القنط.. يعني.. بعض الناس يدعو وهو مصاب بشيءٍ من القنوط، فالله سبحانه وتعالى لا يتعاظمه شيءٌ.. لا يتعاظمه شيء.. ولهذا جاء في الدعاء قال: ((**لا يقل أحدكم: اللهم اغفر لي إن شئت**)) لماذا ؟ قال: ((**لأن الله لا مُكرِهَ له**)) كل شيء على الله يسير.. قال: ((**لا يقل أحدكم: اللهم اغفر لي إن شئت، اللهم ارحمني إن شئت، لأن الله لا مُكرِه له**)) كل شيء على الله يسير.. لا يعجزه شيء.. إذن؛ ماذا نصنع ؟ قال: ((فليُعظِم مسألته)) فليعظم الرغبة.. لا تتعاظم شيئًا.. أعظِم الرّغبة.. الرب سبحانه وتعالى لا يعجزه شيءٌ، كل شيء على الله سبحانه وتعالى يسير.

وفي الدعوة التي نهى عنها عليه الصلاة والسلام ((لا يقل أحدكم: اللهم اغفر لي إن شئت، اللهم ارحمني إن شئت)) فيه التنبيه أن دعاءك لله لا يكن رخوًا.. لا يكن رخوًا.. يعني حتى إن لم تقل: إن شئت أيضا في قلبك لا يكن التجاؤك إلى الله سبحانه وتعالى وطلبك من الله سبحانه وتعالى رُخوًا، بل أعظِم الرغبة، وربُّك سبحانه وتعالى لا يعجزه شيء.. وربك تبارك وتعالى لا يعجزه شيء.. وهو القائل –جلّ وعلا– { **وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ** } { **وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ** } هو جلّ وعلا كما وعد لا يرُدّ من دعاه ولا يخيّب من ناجاه سبحانه وتعالى، فينبغي على المسلم أن تعظم ثقته بالله.. أن يعظُم التجاؤه إلى الله.. أن تقوى رغبته فيما عند الله سبحانه وتعالى.. أن يقوى إلحاحه على الله سبحانه وتعالى لأن كل شيء على الله يسير. كل شيء على الله تبارك وتعالى يسير.. فهذه العقيدة وهذا الإيمان كلما قوي في القلب ورسخ في النفس عظمت الرغبة، عَظُم الالتجاء، عظم السؤال والطلب والإلحاح على الله سبحانه وتعالى، زال عن القلوب ما قد تصاب به من قنوط أو يأس أو نحو ذلكم.

قال: " وكل أمرٍ عليه يسيرٌ، لا يحتاج إلى شيء " " لا يحتاج إلى شيء " هذا النفي فيه إثبات غنى الله، النفي الأول.. " كل أمرٍ عليه يسير " فيه إثبات قدرة الله سبحانه وتعالى وكمال قوته سبحانه وتعالى، فكل شيء عليه يسير.. وهنا يقول: " لا يحتاج إلى شيءٍ " فيه كمال غنى الله.. كمال غنى الله سبحانه وتعالى " لا يحتاج إلى شيء " لا يحتاج من العباد طاعاتٍ ولا يحتاج عباداتٍ ولا يحتاج أي شيء – سبحانه وتعالى–، غنيٌّ عن العباد وغنيٌّ عن طاعاتهم وغنيٌّ عن عباداتهم.. غنيٌّ عن دعواتهم.. غنيٌّ عن توباتهم.. غنيّ – سبحانه وتعالى – " لا يحتاج إلى شيء ". ولهذا قال –سبحانه وتعالى– في الحديث القدسي: " يا عبادي ! لو أن أوّلكم وآخركم وإنسكم وجِنّكم كانوا على أتقى قلبِ رجلٍ منكم ما زاد ذلك في ملكي شيئا، و لو أن أوّلكم وآخركم وإنسكم وجِنّكم كانوا على أفجر قلبِ رجلٍ منكم ما نقص ذلك من ملكي شيئا " فهو سبحانه وتعالى لا

يحتاج إلى شيءٍ.. لا يحتاج إلى العباد، لا يحتاج إلى عباداتهم، لا يحتاج إلى طاعاتهم.. يقول في الحديث القدسي نفسه —حديث أبي ذرّ–: " يا عبادي إنكم لن تبلغوا نفعي فتنفعوني " " لن تبلغوا نفعي فتنفعوني ولن تبلغوا ضرّي فتضرُّني " فهو لا يحتاج إلى شيء.. لا يحتاج إلى شيء؛ غنيٌّ عن العباد وعن طاعات العباد ولا تنفعه طاعة الطائعين ولا تضرُّه —سبحانه وتعالى– معصية العاصين.. { **مَّنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا** ۚ } ليست هداية العبد زائدةً في ملك الله شيئا، وليس أيضًا عصيان العبد مُنقِصًا من ملك الله سبحانه وتعالى شيئا لأن الله سبحانه وتعالى لا تنفعه طاعة من أطاع ولا تضرُّه معصية من عصى.. " لا يحتاج إلى شيء " لا يحتاج إلى شيء لكمال غناه.. لمال غناهُ، فهو الغنيّ. ولهذا مر معنا في الآية الكريمة قول الله سبحانه { **يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ ۖ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ * إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ * وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ** } فهو تبارك وتعالى لا يحتاج إلى شيء.

مما يثمره هذا الإيمان:

– أن يعلم العبد أن طاعاته وعباداته إنما تنفع العبد نفسه.. إنما تنفع العبد نفسه، فهو الذي ينتفع وهو الذي يرتفع بهذه الطاعات.. وقد مر معنا قول الله { **مَّنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا** ۚ } فهذا يجعل العبد يُقبل على الله سبحانه وتعالى بالعمل ولا يمنّ على الله جلّ وعلا بعمل.. لا يمن على الله بعمل.. بل لا يرى نفسه إلا مقصرا في حق الله سبحانه وتعالى ولا يرى نفسه إلا محتاجًا إلى الذلّ والانكسار بين يدي الله سبحانه وتعالى، فإذا ما قام بطاعةٍ انتفع بها ولم تزد طاعته ملك الله سبحانه وتعالى شيئا، لكن الرب سبحانه وتعالى مع كمال غناه.. مع كمال غناه سبحانه وتعالى يفرح بتوبة التائبين وإنابة المنيبين وإقبال المقبلين مع أن ذلك لا يزيد ملكه تبارك وتعالى شيئا، وقد قال عليه الصلاة والسلام: ((**لله أفرح بتوبة عبده إذا تاب من أحدكم أضلَّ راحلةً بفلاة وعليها طعامه وشرابه حتى إذا أَيِسَ منها نام تحت ظلِّ شجرة ينتظر الموت، بينا هو كذلك إذا بخطام ناقته عند رأسه فأمسك بخطام الناقة وقال: اللهم أنت عبدي وأنا ربك. أخطأ من شدة الفرح**))

فالله سبحانه وتعالى مع كمال غناه يفرح بتوبة التائبين، وتوبة من تاب لا تزيد ملك الله شيئا لأنه لا يحتاج إلى شيء؛ لا يحتاج إلى توبة ولا إلى عبادة ولا إلى ذلك.. كل ذلكم غنيٌّ عنه، فهذا مما يجعل العبد يدرك أن هذه العبادات وهذه الأعمال كلها قربات لله سبحانه وتعالى لا تزيد ملك الله شيئا لكن العبد كلما حَصَّلَ منها واعتنى بها زاد رفعةً وعلوًّا ومكانةً وثوابًا وأجرًا.

ثم قال رحمه الله تعالى: " ليس كمثله شيءٌ وهو السميع البصير " { **لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ** } وهذه آيةٌ كريمة تُعَدُّ أصلًا جامعًا وقاعدةً متينةً في باب الأسماء والصفات، بل إن هذه الآية جمعت في ما

فيها من تأصيل وتعقيد ما ينبغي اعتقاده في صفات الربِّ سبحانه وتعالى وأيضا أبطلت كل باطل وفَنَّدَتْ كل ضلال، ولهذا يقول الإمام الشنقيطي رحمه الله تعالى –صاحب التفسير–، يقول عن هذه الآية العظيمة يقول أن " فيها تعليما عظيما " " فيها تعليمًا عظيمًا يَحُلُّ جميع الإشكالات ويجيب على جميع الأسئلة حول موضوع الأسماء والصفات "، يقول: " إن في هذه الآية تعليمًا عظيما يحلُّ جميع الإشكالات ويجيب عن جميع الأسئلة حول موضوع الأسماء والصفات " وأيضا يقول رحمه الله تعالى: " فيها إيضاحٌ للحقِّ في آيات الصفات لا لبس معه ولا شبهةَ البتَّة " وتأكيدا لما ذكره تجد في أبحاث أهل العلم رحمهم الله.. تجد في أبحاث أهل العلم رحمهم الله في كتب العقيدة التي تتعلق في موضوع الأسماء والصفات سواء في تقرير الحق أو في ردِّ الباطل تجد دائما تُذكر هذه الآية، دائمًا تذكر هذه الآية.. يعني قلَّ أن تجد مؤلَّفا في باب الأسماء والصفات.. قلَّ أن تجد مؤلفا في باب الأسماء والصفات سواء في باب التأصيل والتقرير أو في باب الردِّ على شبهات المبطلة إلا وتجد ذكرًا لهذه الآية، إلا وتجد ذكرا لهذه الآية استشهادًا بها واستدلالا عليها في مقام تأصيل الحق وفي مقام –أيضا– ردّ الباطل. ففي هذا تأكيدٌ لِما قاله رحمه الله تعالى من أن هذه الآية فيها حلٌّ لجميع الإشكالات وإجابةٌ عن جميع الأسئلة في موضوع الأسماء والصفات، بحيث –يعني– لا يطرح سواء في باب الأسماء والصفات إلا يمكن أن تستدل بهذه الآية في الجواب عليه ولا يمكن أن تثار شبهة في باب الأسماء والصفات إلا ويمكن أن تستدل بهذه الآية في ردِّه مما يُبَيِّن مكانة هذه الآية وعظم شأنها في هذا الباب؛ باب الأسماء والصفات.

وقد جمعت هذه الآية بين النفي والإثبات تنزيهًا للربّ تبارك وتعالى عن ما لا يليق به وإثباتا لأسمائه الحسنى وصفاته العظيمة:

– فقوله **{ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ }** ردٌّ على من يمثل صفات الله بصفات المخلوقين.

– وقوله: **{ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ }** ردَّ الله على من يعطل صفات الله تبارك وتعالى فينفيها ويجحدها.

– وفيها تقرير للحق وبيان للمعتقد الصواب وهو [*الإثبات بلا تمثيل والتنزيه بلا تعطيل*] وهذه قاعدة أهل السنة والجماعة إثبات بلا تمثيل وتنزيه بلا تعطيل على حد قوله تعالى **{ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ }**.

– والله سبحانه وتعالى في هذه الآية الكريمة أثبت لنفسه السمع والبصر بعد نفي المثلية؛ أثبت لنفسه السمع والبصر بعد نفي المثلية، وفي هذا بيان بَيِّن أن إثبات الصفات لله على وجه يليق بجلال الرب وكماله سبحانه وتعالى لا يستلزم التمثيل وإنما التمثيل أن يقول القائل: (يد الله كأيدينا، سمعه كسمعنا، بصره كبصرنا..) هذا هو التمثيل، والتمثيل كفرٌ بالله؛ التمثيل كفر بالله سبحانه وتعالى فالله ليس كمثله شيء، له أسمائه جل وعلا

وله صفاته سبحانه وتعالى وليس لله سبحانه وتعالى مثيل في أسمائه وصفاته **{ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ }** **{هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا }** **{ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ }** **{ فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ }** **{فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ }**، فالله سبحانه وتعالى لا مثيل له ولا نظير تقدَّس وتنزَّه سبحانه وتعالى عن ذلك **{ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ }**.

وهذه الآية العظيمة المباركة كثيرةٌ فوائدها كثيرةٌ فوائدها ومتعددة.. ما تدلّ عليه هذه الآية من دلالات وما تشمل عليه من معانٍ وإفادات في باب الأسماء والصفات:

- ففيها كما سبق **ردٌّ على المُمَثلة**.

- وفيها **ردٌّ على المُعطِّلة**.

- وفيها **إثبات السميع اسمًا لله والسمعِ صفةً له، والبصير اسمًا لله والبصر صفةٌ له تبارك وتعالى**.

- وفيها **ردٌّ على من زعم أن السمع والبصر بمعنىً واحد وهو العلم**، فالله تبارك وتعالى ذكر السمع وذكر البصر؛ عَطَفَ أحدهما على الآخر.

- وفيها بيانٌ لقاعدة أهل السنة في باب الأسماء والصفات وهي **الجمع بين النفي والإثبات**.

- وكذلك فيها بيان لقاعدتهم كذلكم فيها بيان لقاعدة أهل السنة وهي **الإجمال في النفي والتفصيل في الإثبات** وهذا أبلغ ما يكون في الكمال؛ نفيٌ مجملٌ وإثباتٌ مفصَّل، وفي الآية قال: **{ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ}**: هذا نفيٌ مجمل، **{ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ }**: هذا إثباتٌ مُفصَّلٌ .

- وكذلكم فيها **الاقتصار في سياق المدح والثناء على نفي مماثلة الخالق للمخلوق؛** **{ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ }**: أي ليس كمثل الخالق تبارك وتعالى شيءٌ.

- وكذلكم فيها **تقديم النفي على الإثبات** مثل ما في لا إله إلا الله؛ قدم النفي على الإثبات لأن النفي من قبيل التخلية والإثبات من قبيل التحلية والتخلية مقدَّمة.

- كذلكم فيها **كثرة صفات الله؛** فيها كثرة صفات الله تبارك وتعالى **{ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ }**؛ **أي** أن له سبحانه وتعالى الصفات الكثيرة العديدة الواسعة فلا مِثْل له عزَّ وجلَّ في أسمائه وصفاته.

- وفيها **الحث على المراقبة؛** فالله جلَّ وعلا سميعٌ بصيرٌ لا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء.

– وفيها **إبطال للشرك وصرف العبادة لغير الله عز وجل**؛ فالعبادة إنما هي للربِّ العظيم الخالق الجليل الذي **{ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ }**.

– ومن فوائد هذه الآية أن **النفي في حقِّ الله عزَّ وجلَّ وفي صفاته ليس نفيًا صَرْفًا، إنما هو نفيٌ متضمِّنٌ ثبوتَ كمالِ ضِدِّ المنفيّ**؛ فنفي المثليّة فيه دليل على كمال صفات الله وتفرد الرب سبحانه وتعالى بصفاته جلَّ وعلا.

– وفيها أيضا شاهدٌ لقاعدة أهل السنة في الرد على المبطلة وهي **أن القول في الصفات كالقول في الذات** لأن صفات الله سبحانه وتعالى القول فيها واحد، والباب فيها واحد، والله سبحانه وتعالى لا مثيل له في شيءٍ من صفاته.

– وفيها **دليل على انفراد الربّ سبحانه وتعالى بالوحدانية**؛ فهو جلّ وعلا الأحدُ المتفرِّدُ بصفات الكمال ونعوت الجلال فليس له جلَّ وعلا كفوا أحد.

– وفيها أن **الاشتراك في الاسم لا يقتضي الاشتراك في الحقيقة والمسمَّى**؛ ففي الآية قال: **{ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ }** وقال في آية أخرى **{ إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا }**، لكن ليس السمع كالسمع ولا البصر كالبصر، فالاشتراك في الأسماء لا يلزم منه الاشتراك في الحقائق والمسميات.

– وفيها **إثبات صفات الله تبارك وتعالى الذاتية**، وقد ذُكِرَت في الآيةِ منها السمع والبصر.

– وفيها دلالة على أن **باب الأسماء توقيفيٌّ**؛ فلا يُخاض في شيءٍ من أسماء الله تبارك وتعالى وصفاته إلا بدليلٍ من كلام الله وكلام رسوله عليه الصلاة والسلام.

إلى غير ذلكم من الفوائد التي تدل عليها هذه الآية الكريمة مما يؤكد ما ذكره العلامة الشنقيطي رحمه الله تعالى أن فيها تعليمًا عظيمًا يحُلُّ جميع الإشكالات ويُجيب عن جميع الأسئلة حول موضوع الأسماء والصفات.

هذا ونسأل الله الكريم ربّ العرش العظيم أن يزيدنا جميعًا عِلْمًا وأن ينفعنا بما علَّمَنا وأن يجعل ما تعلَّمناه حجّةً لنا لا علينا. ونسأله تبارك وتعالى أن يصلح ذاتَ بيننا وأن يؤلف بين قلوبنا وأن يهدينا سبل السلام وأن يخرجنا من الظلمات إلى النور.

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

الدرس الرابع

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

[الحمد الله رب العالمين، والصلاة والسلام على عبد الله ورسوله نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد: يقول الإمام أبو جعفر الطحاوي رحمه الله تعالى؛ يقول في ذكر عقيدته:

" خلق الخلق بعلمه، وقدَّر لهم أقدارًا، وضرب لهم آجالا، لم يخف عليه شيء قبل أن يخلقهم، وعلم ما هم عاملون قبل أن يخلقهم، وأمرهم بطاعته ونهاهم عن معصيته، وكل شيء يجري بتقديره ومشيئته.

ومشيئتُه تنفذ، لا مشيئة للعباد إلا ما شاء لهم، فما شاء لهم كان وما لم يشأ لم يكن. يهدي من يشاء ويعصم ويعافي فضلا، ويضل من يشاء ويخذل ويبتلي عدلاً، وكلهم يتقلّبون في مشيئته بين فضله وعدله.

وهو متعال عن الأضداد والأنداد، لا رادّ لقضائه ولا معقّب لحكمه ولا غالب لأمره.

آمنا بذلك كله وأيقنّا أن كُلًّا من عنده. "]

<u>شرح الشيخ:</u>

الحمد الله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمّدًا عبده ورسوله صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين.

أما بعد: فهذا الذي ذكره المصنف الإمام الطحاوي رحمه الله تعالى كُلُّه مما يتعلق بالإيمان بالله ووِحدانيته تعالى وتفرُّده جلَّ وعلا بالجلال والكمال والعظمة، وأنَّ كلَّ شيءٍ بمشيئته جل وعلا؛ فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، وأنه الخالق وحده، الملك وحده، المدبِّر وحده، لا شريك له تبارك وتعالى في شيءٍ من ذلك.

وسيأتي لاحقا عند المصنف رحمه الله تعالى حديثٌ عن الإيمان بالقدر وذكرُ شيء من التفاصيل عن الإيمان بالقدر، لكنه أورد هذا القَدْر وهو متعلق بالإيمان بالقدر في هذا الموضع الذي هو حديثٌ عن الإيمان بالله لأنّ الإيمان بالقدر هو من الإيمان بالله كما يوضح ذلكم قول الإمام أحمد رحمه الله تعالى: " القدر قُدرةُ الله " فمن الإيمان بالله الإيمان بأقداره ومشيئته وأنه الخالق تبارك وتعالى لكل شيء، ولهذا ناسب أن يذكر شيئًا من هذا في حديثه عن الإيمان بالله تبارك وتعالى ثُمّ فصل القول فيما بعد عن الإيمان بالقدر عند حديثه عن الإيمان بالقدر.

قال رحمه الله تعالى " خلق الخلق بعلمه " خلق: أي الله جلَّ وعلا. الخلق: مصدر المراد به المخلوق. خلق الخلق: أي خلق هذه المخلوقات وأوجد هذه الكائنات وأبدع هذه البريّات تبارك وتعالى بعلمه. والجار المجرور هنا في قوله " بعلمه " حال؛ أي خلقهم عالما بهم، خلقهم عالما بهم لأن الخالق علمه محيط بما خلق، كما قال الله تبارك وتعالى: **{ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ }**، بل إن خلق المخلوقات نفسَهُ دليلٌ على علمِ خالقها بها وإحاطة موجدها بها؛ قال الله تعالى: **{ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا }** فالخلق دليلٌ على إحاطة علمِ الخالق بما خلق؛ لا يمكن أن يكون خالقًا وموجِدًا لهذه الموجَدات والمخلوقات وهو ليس عالما بها، فالخلقُ نفسُه دليلٌ على العلم والإحاطة، ولهذا قال المصنِّف رحمه الله تعالى: " خلق الخلق بعلمه ".

وهذا العلم بالمخلوقات علمٌ أزليّ، فهو تبارك وتعالى أحاطَ علمًا بالكائنات، علِم جلَّ وعلا ما كان وما سيكون وما لم يكن لو كان كيف يكون، فعلمه تبارك وتعالى محيطٌ بكل شيء لا يخفي عليه شيء جلّ وعلا في الأرض ولا في السماء.

قال: " خلق الخلق بعلمه " أي خلقهم وهو تبارك وتعالى عالم؛ أحاط علما بما خلق؛ لا يخفى عليه تبارك وتعالى خافية، علمه محيط بما كان وبما سيكون؛ محيط بكل شيء. " وقدَّر لهم أقداراً " أي قدر لجميع هذه المخلوقات أقدارا أي مقادير، وكل ما قدَّره تبارك وتعالى يقع طبقًا لما قدر، قال الله عز وجل **{ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا}** وقال جل وعلا : **{إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ}** وقال جلّ وعلا: **{ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَا مُوسَىٰ}** وقال جل وعلا: **{الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ (٢) وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ (٣)}** وقال جل وعلا: {إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} في مواضع كثيرة في كتابه جل وعلا.

فالله عز وجل " قَدَّر "، قدّر الأقدار؛ أي قدَّر المقادير، وأول ما خلق الله -كما جاء في الحديث — القلم، أوّل ما خلق الله القلم قال له: أكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة، فجرى القلم بما هو كائن إلى يوم القيامة. وفي صحيح مسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : " إن الله قدَّر مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة ".

وقول المصنف هنا " قدّر لهم أقدارا " يطابق لفظ الحديث أو يطابق الحديث: " إن الله قدَّر مقادير الخلائق ".

وهذا التقدير الذي أشار إليه رحمه الله تعالى كان قبل خلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة؛ كلُّ شيء بقدر كما في صحيح مسلم عن نبيِّنا عليه الصلاة والسلام أنه قال: "كل شَيْءٍ بقدر، حتّى العجز والكَيْس

" – قال: "كل شيء بقدر حتى العجز والكيس "– وجاء عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: "كل شيء بقدر حتى وضعك كفك على ذقنك هكذا بقدر " – وأرى أمامي أعداداً أيديهم على أذقانهم، وهذا بقدر، قال "كل شيء بقدر حتى وضعك كفك على ذقنك هكذا بقدر – وهذا التقدير المحيط حتى لدقائق الأمور وصغار الأشياء كان قبل خلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة – تبارك الله ربُّ العالمين– تبارك الله رب العالمين– هذا المجلس الذي نجلسه الآن، كلٌ في موضعه وكلٌ في حركته وكل في سكونه وكل في... كتبه رب العالمين قبل خلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة، وكل ما هو كائن؛ كل ما هو كائن من حركة أو سكون أو قيام أو قعود أو حياةٍ أو موت أو هدايةً أو ضلال أو غير ذلك... كل ذلكم بقدر– قدر المقادير– أي قدَّر ما هو كائن سبحانه وتعالى، فيكون طبقًا للمُقدَّر ويقع طبقا لما قدَّر الرب سبحانه وتعالى.

قال : " وقدَّر لهم أقدارًا، وضرب لهم آجالًا "؛ " ضرب لهم آجالاً " أي لكل من هؤلاء الذين قدَّر لهم تبارك وتعالى أقدارا لكل منهم أجل، والأجل الذي ضربه الله له أي حدده وعيَّنه لا يتجاوزه العبد، لا يستقدم عنه ولا يستأخر، كما قال الله سبحانه وتعالى: **{ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ}** كما قال جل وعلا: **{وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُّؤَجَّلًا }**. فالله جل وعلا ضرب لهم آجالاً فلكل أجله، وكل مَيّتٍ يموت بأجله بأيِّ صفةٍ كان موتُه؛ من مات مقتولاً، من مات حرقاً، من مات غرقا، من أكله سبع، من مات على فراشه... كل واحد من هؤلاء مات بأجله الذي ضربه الله له؛ فهذا قدَّر الله له أن يكون أجله وموته قتلًا، آخر غرقًا، آخر على فراشه... وهكذا، لكلٍ أجله. " ضرب الله سبحانه وتعالى لهم آجالاً ".

وقد جاء في صحيح مسلم من حديث أم حبيبة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ورضي عنها أنها قالت: " اللهم أمتعني بزوجي رسول الله وبأبي أبي سفيان وبأخي معاوية " فقال لها عليه الصلاة والسلام: " لقد سألتِ الله لآجال مضروبة " –لقد سألتِ الله لآجال مضروبة – " وأرزاق مقسومة، وأيامٍ معدودة. لو كنتِ سألتِ الله أن يقِيَكِ من فتنة القبر ومن عذاب النار كان خيراً وأفضل ".

ولهذا يُنقَل عن الإمام أحمد رحمه الله أنه كان يكره أن يُدعى له بطول العمر، يقول: هذا شيءٌ كتبه الله، شيءٌ كتبه الله، ولهذا النبي صلى الله عليه وسلم قال لأم حبيبة زوجه رضي الله عنها قال لها: " لو كنتِ سألتي الله أن يقيَك من عذاب القبر ومن عذاب النار لكان خيرا "

وطول العمر هكذا مجردا لا يصلح أن يدعى للشخص به، لا يصلح أن يدعى للشخص به، لأن طول العمر قد يكون خيرًا على الإنسان وقد يكون وبالاً عليه، قد صح في الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " خيركم من طال عمره و حسُن عمله " أو " صلُح عمله "، فلا يكون في طول العمر خيراً إلا إذا كان على

صلاح، وفِي الدعاء " اللهم أحيني ما كانت الحياة خيرًا لي وتوفني ما كانت الوفاة خيرا لي "، فإن احتاج إلى مثل هذا السؤال لا يكون مطلقا، وإنما يكون مقيَّدا بقصد العمل والتقرُّب والزيادة من الخيرات والاستكثار من الأعمال الصالحات والطاعات المقاربات إلى الله سبحانه وتعالى.

قال: " وضرب لهم آجالاً " أي لكلٍ أجله، ولا يتأخر العبد عن أجله الذي عيَّنه الله وكتبه الله سبحانه وتعالى، فلا يستقدم عنه ولا يستأخر.

قال: " لم يخفَ عليه شيء قبل أن يخلقهم " بمعني أن علمه سبحانه وتعالى محيطٌ بما هو كائن قبل أن يكون؛ علمه تبارك وتعالى محيطٌ بما هو كائن قبل أن يكون، فعلمه جلّ وعلا أحاط بكل شيء؛ أحاط علمًا بما كان وأحاط علما تبارك وتعالى بما سيكون وأحاط علمًا جلّ وعلا بما لم يكن أن لو كان كيف يكون، فعلمه تبارك وتعالى محيطٌ بذلك كله، لا يخفى عليه شيء سبحانه وتعالى؛ لا يخفى عليه شيء في الكائنات ولا –أيضًا– يخفى عليه شيء فيما سيكون؛ لا يخفى عليه فيما هو كائن ولا يخفى عليه شيء أيضا فيما سيكون. فالعلم – علم الله سبحانه وتعالى – محيطٌ بذلك كله، لا يعزُبُ عنه سبحانه وتعالى مثقال ذرّة في السموات ولا في الأرض.

قال: " لم يخفَ عليه شيء قبل أن يخلقهم، وعلِم ما هم عاملون قبل أن يخلقهم " أي علمه تبارك وتعالى محيطٌ بأعمال العباد قبل وجود العباد وقبل خلق العباد، إذ علمه تبارك وتعالى بكل شيء علمٌ أزليّ؛ علم محيط، وسع تبارك وتعالى كل شيء علمًا وأحصى جل وعلا كل شيء عددًا، وكيف لا يكون ذلك وهو الخالق ؟ **{أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ}** ؟

فالخلقُ كما تقدم ذكرًا دليلٌ على علم الخالق وإحاطة علمه بما خلق، ولهذا من لطيف ما يُذكر في هذا الباب ما أورده الإمام التّيمي رحمه الله في كتابة (الحجة) ذكر أن أحد الملاحظة أراد أن يشكك بعض الناس في إيمانهم بربوبية الله وأنه الخالق وحده لا شريك له، فقال لهم: أنا أستطيع أن أخلق. قال لهم: أنا أستطيع أن أخلق، وسأُريكم شيئا من مخلوقاتي. فجاء بزجاجة وضعَ فيها بعض الأشياء الفاسدة من لحمٍ أو خضار أو غير ذلك، ثم أغلقها ووضعها في مكان حارّ، وبعد أيام إذا بها ممتلئة دودًا، والدّود يتصبَّب؛ يخرج منها، وامتلأت بالدود. فقال: انظروا هذا الذي أنا خلقته. قال: فكان أحد الحاضرين وهو أصغرهم سِنًّا، قال: لم يكن أحد يخلق إلا ويعلم عدد ما خلق وذكورَهم وإناثَهم وآجالهم وأرزاقَهم، فأَبِنْ لنا ذلك كله ؟ إذا كنت تزعم أن هذه مخلوقات لك؛ فكم عددهم ؟ هذه واحدة. كم الذّكور من الإناث ؟ هذه ثانية. الآجال؛ كل واحد منهم متى سيموت ؟ هذه ثالثة. أيضا الأرزاق؛ كل واحد من هؤلاء ماذا سيطعم ؟

وانظر في حديث ابن مسعود الذي بدأه بقوله: حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق قال: " إن أحدكم يُجمع خَلقُه في بطن أمه أربعين يوما نطفة، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يرسل إليه الملك فيؤمر بكَتب أربعِ كلماتٍ: بكتب رِزقه وأجله وعمله وشقيٌّ هو أو سعيد. "

فلما ذَكَرَ له ذلك بُهِت، والحجة قوية ومتينة، لأنه احتج بما دل عليه قوله تعالى: **{ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ }**، فالخالق ولابد محيطٌ علمًا بجميع المخلوقات، محيطًا بما كان، ومحيطًا جل وعلا علمُه بما سيكون، وكذلك بما لم يكن أن لو لو كان كيف يكون.

قال: " وعلم ما هم عاملون قبل أن يخلقهم " أي جميع الأعمال؛ أعمال العباد علمُ الله محيطٌ بها، وهذا فيه رد على غلاة القدريّة نفاةِ العلم، وجحدُ علمِ الله كفر، ولهذا السلف قديما قالوا: ناظروا القدرية بالعلم، فإن آمنوا به خُصِموا، وان كذَّبوا به كفروا، – إن آمنوا به خصموا–؛ إن آمنوا بعلم الله؛ أي المحيط الأزلي خُصِموا في باطلهم وفي عقيدتهم الباطلة نفي القدر، وإن جحدوا علم الله سبحانه وتعالى كفروا.

قال: " علم ما هم عاملون قبل أن يخلقهم، وأمر بطاعته ونهى عن معصيته " وهذا فيه التنبيه بعد أن ذكر الخلق لِمقصودِ الخلق وأن هذا الخلق والإيجاد ليس لهوا ولا عبثا ولا باطلا – تنزَّه الرب تبارك وتعالى وتقدس عن ذلك – **{ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ * فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ } { أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى }** أي لا يؤمر ولا يُنهى ؟

فلما ذكر الخلق ذكر مقصودَ الخلق وأن الله سبحانه وتعالى خلق الخلق ليأمرهم وينهاهم، وهذا معنى قوله { أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى } أي لا يؤمر ولا يُنهى ؟ هذا معنى الآية، فالله سبحانه وتعالى خلق هذا الإنسان ليأمره وينهاه؛ ليأمُره بالطاعة وينهاه عن المعصية، هذا هو المقصود، ولهذا قال الله تبارك وتعالى: **{ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ }** وعبادة الله سبحانه وتعالى هي الخضوع له والذل والانكسار بين يديه والقيام بالعبادات والطاعات التي أمر تبارك وتعالى عباده بها.

قال: " وأمرهم بطاعته ونهاهم عن معصيته " أي ولأجل هذا خلقوا، هذا هو مقصود الخلق، لأجل أن يأمرهم وينهاهم خلقهم، لم يخلقهم سدًى ولا أوجدهم عبثًا **{ أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى }**، **{ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا }** ؟ قيل في معنى **{ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا }** أي: للعبث، لاتؤمرون ولا تنهَوْن ؟ وقيل في معناها **{ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا }** أي لا عن حكمة ؟ تنزَّه الله عن ذلك، فخلقه للمخلوقات عن حكمة، فهو أوجدهم ليأمرهم وينهاهم؛ هذا هو مقصود الخلق.

ولهذا، الذى يأتمر بالأوامر وينتهي عن النواهي قام بالذي خُلِق لأجله وأوجِد لتحقيقه، ومن لم يكن كذلك فهو ضائع لم يقم بما خُلِق له. الإنسان لم يخلق للعب ولا للهو ولا للباطل، خُلِق ليكون عبدا لله؛ ممتثلًا مطيعًا لأوامر الله سبحانه وتعالى.

قال: " أمرهم بطاعته ونهاهم عن معصيته. وكل شيء يجري بتقديره "كل شيء يجري في هذا الكون من حياةٍ أو موت، من طاعةٍ أو عصيان، من إيمان أو كفر، من غِنًى أو فقر... أو غير ذلكم من الأمور، كل شيءٍ يجري بتقديره؛ مرَّ معنا قريبًا " قدّر مقادير الخلائق "؛ قدّرَ الأقدار، فكلّ شيء يجري بتقديره، أي كلّ ما يوجد ويقع ويكون، كل ذلكم بتقدير الله الذي أحاط به علم الله سبحانه وتعالى، جميع أنواع الأمور التي تقع كلُّها بتقدير الله، وفي هذا المعنى يقول الشّافعيّ رحمه الله:

ما شِئتَ كان وإن لم أشأ   وما شئتُ إن لم تشأ لم يكن

خلقتَ العباد على ما علِمتَ   وفي العلمِ يجري الفتى والمسِنّ

على ذَا مننتَ وهذا خذلتَ   وهذا أعنتَ وذا لم تُعِنْ

فمنهم شقيٌّ ومنهم سعيدٌ   ومنهم قبيحٌ ومنهم حسنْ

أي كلّ هذه الأشياء التي تجري بتقدير الله، كلّها تجري بتقدير الله تبارك وتعالى، ولا يمكن أن يقع في كون الله وملك الله سبحانه وتعالى شيءٌ لم يقدِّره الله، هل من خالق غيرُ الله ؟ لا يمكن أن يقع شيء في ملك الله ويكون ليس الذي خلقه الله، لا يمكن، ولهذا السلف رحمهم الله قديمًا سمّوا القدرية النفاة مجوس هذه الأمة؛ لأنّ من لم يؤمن بأنّ الله خالقُ كل شيء وأنّ كلّ شيء يجري بقدر الله يكون من لازِمِ اعتقاده أنّ هناك خالق غيرُ الله، فتكون عقيدته عقيدة المجوس.

قال: " وكل شيء يجري بتقديره "كل شيء، من حياة أو موت، طاعة، إيمان، هداية، ضلال، غنى، فقر، صحة، مرض... إلى غير ذلك، "كل شيء يجري بتقديره ومشيئته "، فالله سبحانه وتعالى له القدرة الشاملة والمشيئة النافذة فهو على كل شيء قدير جلّ وعلا وما شاء كان؛ مشيئة الله سبحانه وتعالى نافذة، ولهذا قال المصنف " ومشيئتُه تنفذ " أي تمضي وتقع طبقا لما شاء، لا رادّ لحكمه ولا معقب لقضائه ، ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، { **لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ * وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ** }، فالله سبحانه وتعالى مشيئته نافذة. ومعنى " نافذة " أي ماضية وواقعة طبقًا لما شاء، معنى ذلك أنّها ماضية وواقعة طبقا لما شاء الربّ سبحانه وتعالى.

قال: " ومشيئتُه تنفذ لا مشيئةَ للعباد إلا ما شاء لهم، فما شاء لهم كان وما لم يشأ لم يكن " " لا مشيئة للعباد إلا ما شاء لهم "؛ العباد لهم مشيئة، وهذه المشيئة ذكرها الله في القرآن قال: **{ لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ }** أثبت لهم المشيئة، لكن كما قال المصنف رحمه الله تعالى " لا مشيئة للعباد إلا ما شاء الله "، فالمشيئة للعبد ثابتة لكن هذه المشيئة تحت مشيئة الله؛ لا مشيئة للعبد إلا ما شاء الله سبحانه وتعالى.

والناحية العمليّة المسلكية هنا المستفادة من هذا المقام وهي ثبوت مشيئة للعبد وأن هذه المشيئة تحت مشيئة الله سبحانه وتعالى: تقتضي من العبد النّاصح لنفسه أن يعمل بهذه المشيئة التي أعطاه الله إيَّاها؛ يُحَرِّكها في الأعمال الصالحات والطاعات الزاكيات وفي الوقت نفسه يطلب المدد والعون والتوفيق والتسديد والثّبات والهداية من الله سبحانه وتعالى.

ولما سُئِل النبي عليه الصلاة والسلام: هل أعمال العباد في أمر قُدِّر وقُضِي أو في شيء مُستأنَف ؟ قال: " بل فيما قُدِّر وقُضي ". قالوا: ففيم العمل ؟ قال: " اعملوا، فكل مُيَسَّر لِما خُلِق له "؛ أرشدهم إلى الأمرين: قال " اعملوا " ولا يقال اعمل إلا لمن له مشيئة، قال " اعملوا، فكل مُيَسَّر لما خُلق له "؛ لأن مشيئة العبد تحت مشيئة الله، لا مشيئة للعبد إلا ما شاءه الله.

إذن، مطلوب من العبد أن يعمل وأن يحرِّك هذه المشيئة التي أعطاه الله إيَّاها في الخير وفي الأعمال الصالحات، ويسأل الله سبحانه وتعالى من فضله تثبيتًا ومدًّا وعونًا وتوفيقًا وسدادًا وهدايةً، وأن يعيذه من سبيل الزيغ والضَّلال.

قال " لا مشيئةَ للعباد إلا ما شاء لهم، فما شاء لهم كان وما لم يشأ لم يكن " ومرّ معنا قول الشافعي:

ما شئتَ كان وإن لم أشأ وما شئتُ إن لم تشأ لم يكن.

فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، أي الأمور كلها بمشيئة الله تبارك وتعالى.

قال: " يهدي من يشاء، ويعصم ويعافي فضلًا " من هُديَ ووُقِي وَكُفِي وأُعين وسُدِّد واستقام على طريق الصلاح؛ هذا كله منٌّ الله؛ تفضُّلُ الله عليه، كما قال الله سبحانه وتعالى **{ وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ }** فمن استقام، اهتدى، صلح، لزم الطاعة.. هذا فضل من الله؛ تفضَّل الله عليه وأكرمه ومنَّ عليه بذلك.

قال " يهدي من يشاء، ويعصم ويعافي فضلا " أي تفضُّلا وتكرُّما ومنًّا منه سبحانه وتعالى، ولهذا قال الله سبحانه وتعالى: **{ بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ }** وقال **{ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ**

أَبَدًا وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ ﴾ وقال جل وعلا ﴿ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ ﴾ أكملوا .. ﴿ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً ۚ ﴾ هذا معنى قول المصنف رحمه الله: " يهدي من يشاء ويعصم ويعافي فضلا " ﴿ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ * فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً ۚ ﴾ فهذه كلها من أنواع الهداية والصلاح والاستقامة والثبات... إلى غير ذلك هذا كل فضل الله، ولهذا من أكرمه الله سبحانه وتعالى بالهداية ولزوم سبيلها عليه أن يحمد الله، فنعمة الهداية أعظم نعمة، والمنة بالإسلام ولزوم طاعة الله سبحانه وتعالى هذا أعظم مِنَّة ﴿ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا ۖ قُل لَّا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُم ۖ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾.

قال " يهدي من يشاء ويعصم ويعافي فضلا، ويُضلّ من يشاء ويخذل ويبتلي عدلاً ﴾ من ضلَّ عن سواء السبيل وزاغ عن الطريق المستقيم وانحرف عن الجادة السويّة فهذا أضله الله وخذله عدلًا منه سبحانه وتعالى ﴿ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾؛ " يُضلُّ من يشاء، ويخذل ويبتلي " أي يخذل من يشاء ويبتلي من يشاء عدلاً، فأصبح هذه الأشياء التي تجري تدور بين الفضل والعدل، كل شيء يجري بقدَر؛ بتقديره، كل هذه الأشياء التي تجري بتقدير الله جاريةٌ بين الفضل والعدل، ولهذا قال "كُلّهم يتقلّبون في مشيئته "؛ كل ما يحصل ويقع من تقلُّبات، من حركات، من أعمال، من أحوال، من تصرُّفات، من أُمور... كل هذه تقلُّبات بمشيئته.

"كلهم يتقلّبون في مشيئته بين فضله وعدله " الفضل لأهل الطاعة والإيمان، والعدل لمن زاغ عن سبيل الله وصراطه المستقيم.

"كلهم يتقلّبون في مشيئته بين فضله وعدله، وهو متعالٍ عن الأضداد والأنداد "

" وهو متعال عن الأضداد والأنداد " وهذا فيه الردّ على القدرِيّةِ النفاة؛ الذين يقولون لا قَدَر ويقولون إن هذه الأشياء التي تجري؛ من هداية أو ضلال، أو طاعة أو معصية أو كفر أو إيمان... هذه كلها ليست بتقدير الله، هكذا يزعُمون، يقولون لا قَدَر، فيقول المصنّف رحمه الله " وهو متعالٍ عن الأضداد " والضدّ هو المعارض ، والله سبحانه وتعالى يقضي ما يشاء، لا معارض له سبحانه وتعالى؛ لا ضدَّ له، لكن الذي ينفي القدر وينفي تعلُّق أعمال العباد بقدرة الله سبحانه وتعالى ويزعم أن الله سبحانه وتعالى ليس الخالق لأعمال العباد جَعَلَ لله ضدًّا؛ وهو الإنسان، جعله خالقًا لفعل نفسه؛ ولهذا قال المصنّف: " وهو متعالٍ عن الأضداد " لأن من ينفي القدر وينفي أن الأمور جارية بتقدير الله سبحانه وتعالى فقد أثبت الضدّ، والله سبحانه وتعالى متعالٍ عن الأضداد؛ لا ضدّ له.

" ولا نِدَّ له " وقد قال الله سبحانه وتعالى: { فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ } والنِّدُّ هو النّظير، فالله سبحانه وتعالى لا ضدّ له أي لا معارض، فما يقضي به الله يقع، لا مُعقّب لحكمه ولا رادَّ لقضائه، ما شاء كان ونفذ طبقًا لما شاء، ليس لله معارض، ولا نِدَّ لله؛ أي ليس لله مثيل { فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ } { لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ } {فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ } { هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا }

" وهو متعال عن الأضداد والأنداد " ومعنى متعالٍ هنا أي مُتنزَّه ومتقدِّس سبحانه وتعالى عن أن يكون له ضدٌّ أو ندّ، سبحانه وتعالى.

قال: " لا رادّ لقضائه ولا معقّب لحكمه " وهذا فيه توضيح لقوله " متعالٍ عن الأضداد "، قال " لا رادّ لقضائه ولا معقّب لحكمه " لأنه ليس لله ضدّ، ولهذا ما يريده سبحانه وتعالى يقع، والمراد بالقضاء هنا في قوله " لا رادّ لقضائه " أي القضاء الكونيّ، لأن القضاء يطلق ويراد به الكونيّ القدريّ؛ مثل قوله { فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ }، ويطلق ويراد به القضاء الشّرعيّ الدينيّ؛ في مثل قوله تعالى { وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ } أي أمر ووصَّى، فقوله " لا رادّ لقضائه " أي القضاء الكوني القدري؛ ما قضاه سبحانه وتعالى كونًا وقدَرًا وقع طبقًا لما أراد، لا رادَّ له، لأنه ليس لله ضدّ؛ ليس لله مُعارض.

" لا رادّ لقضائه ولا معقّب لحكمه " " ولا معقّب لحكمه " ولهذا في دعاء ابن مسعود المعروف بدعاء الهمّ قال عليه الصلاة والسّلام " ما أصاب عبدا هم ولا حزن فقال : اللهم إني عبدك وابن عبدك وابن أمتك ناصيتي بيدك ماض في حكمك عدل في قضاؤك "؛ فما حكم الله به سبحانه وتعالى مضى ونفذ طبقًا لما قضاه الله سبحانه وتعالى، لا رادّ لقضائه ولا معقب لحكمه، " ولا معقب لحكمه " فما حكم به سبحانه وتعالى وقع طبقًا لما حكم، والحكم يطلق ويراد به الكوني القدري ويطلق ويراد به الشرعي الديني.

" ولا معقب لحكمه ولا غالب لأمره " { وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ } لا غالب لأمره، وهذا أيضا يبين ما سبق وهو أنه ليس لله ضدّ، فما قدره الله سبحانه وتعالى وقضاه جل وعلا وقَعَ طبقا لما قدر وقضى دون أن يكون لله – تنزه وتقدس– من معارض أو ممانع أو رادٍّ أو غير ذلك { قُلْ أَفَرَأَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ }، {مَّا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِن بَعْدِهِ}، {قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا }، فما قضاه سبحانه وتعالى لا رادَّ له ووقع طبقا لما قضاه سبحانه وتعالى.

" لا راد لقضائه ولا غالب لأمره. آمنا بذلك كله " الإشارة هنا إلى جميع ما سبق مما هو فيما يتعلق في الإيمان بالله سبحانه وتعالى، قال " آمنا بذلك كله - آمنا بذلك كله " أي بدءًا من أول ما ذكر رحمه الله تعالى مما يتعلق بالإيمان بالله؛ آمنا بذلك كله، والذي ذكره رحمه الله مما يتعلق بالإيمان بالله هو إشاراتٌ أو اختصار بحسب ما يتناسب مع هذا المصنف المختصر فيما يتعلق بالإيمان بالله سبحانه وتعالى.

" آمنا بذلك كله، وأيقنَّا أن كلاً من عنده " " وأيقنَّا أن كلاً من عنده " وقوله "كلاً " التنوين هنا عوضٌ عن المضاف إليه، أي كل ما يجري ويكون ويقع من عند الله سبحانه وتعالى، فهو الخالق لكل شيء الموجد لكل شيء **{ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا }** "كلاً من عنده " أي هو سبحانه وتعالى الحَكَم، هو الخالق، هو الرب، هو المدبر، هو المعطي المانع الخافض الرافع القابض الباسط، كل ذلكم من عنده تبارك وتعالى.

وهذا الإيمان بالله سبحانه وتعالى ربا خالقاً مدبراً متصرفاً والإيمان بأسمائه وصفاته وأنه المعبود بحقٍ ولا معبود بحقٍ سواه يستوجب من العبد أن يقوم بحقوق الله سبحانه وتعالى على عباده؛ فيُفرده بالذل والخضوع والطاعة والانكسار والإقبال عليه سبحانه وتعالى فعلا لما أمر وتركاً لما نهى عنه جل وعلا وزجر، طالباً لرضى الله راجيًا لرحمة الله خائفا من عذاب الله محباً لله ولأوامر الله سبحانه وتعالى، يرجوا رحمته ويخاف عذابه، فيكون بذلك يحيى حياة السعداء بفعل أعمال أهل السعادة ويستعين على كل ذلك بالله وحده كما قال صلوات الله وسلامه عليه: " إحرص على ما ينفعك واستعن بالله "، وكما قال جل وعلا **{ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ }**.

ونسأل الله الكريم ربَّ العرش العظيم بأسمائه الحسنى وصفاته العليا أن ينفعنا جميعاً بما علمنا وأن يزيدنا علمًا وأن يصلح لنا شأننا كله وألا يكلنا إلى أنفسنا طرفة عين.

اللهم إنَّا نسألك من الخير كله عاجله وآجله ما علمنا منه وما لم نعلم، ونعوذ بك من الشرِّ كله عاجله وآجله ما علمنا منه وما لم نعلم، ونسألك من خيرِ ما سألك منه عبدك وَرَسُولُكَ محمد صلى الله عليه وسلم، ونعوذ بك من شر ما استعاذك منه عبد وَرَسُولُكَ صلى الله عليه وسلم.

ونسألك الجنة وما قرَّب إليها من قول أوعمل، ونعوذ بك من النار وما قرب إليها من قول أو عمل، وأن تجعل كل قضاءٍ قضيته لنا خيرا - وهذه الدعوة ثبتت في المسند وغيره من حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، وفيه قال لها عليه الصلاة والسلام: " عليك بكوامل الدعاء " فهي دعوة جامعة عظيمة - نسأل الله عز وجل لنا جميعا التوفيق والسداد والعون علي كل خير.

والله أعلم.

وصلى الله وسلم على عبده ورسوله نبينا محمد.

الدرس الخامس

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

بسم الله الرحمن الرحيم

[الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على عبد الله ورسوله نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أمَّا بعد:

فيقول الإمام أبو جعفر الطحاوي رحمه الله تعالى؛ يقول في ذكر عقيدته: " وإن محمدًا عبده المصطفى ونبيُّه المجتبى ورسوله المرتضى وأنه خاتم الأنبياء وإمام الأتقياء والمرسلين وحبيب ربِّ العالمين، وكل دعوى بعده فغيٌّ وهوىً، وهو المبعوث إلى عامة الجن وكافّة الورى بالحق والهدى والنور والضياء "]

شرح الشيخ:

الحمد لله رب العالمين وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين.

أما بعد: حديثُ المصنف الإمام الطحاوي رحمه الله تعالى في هذا الموضع عن الأصل الثاني من أصول الإيمان وأصولِ الدين ألا وهو: معرفة الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام بمعرفة أوصافه وخصاله وخلاله وفضله وأنه عليه الصلاة والسلام مبعوثٌ من رب العالمين يبلّغُ رسالات الله.

ومعرفة النبي عليه الصلاة والسلام هي قرينةُ معرفة الله جل وعلا، فلا يصح إيمانٌ بالله إلا بالإيمان برسوله، ولهذا كانت شهادة أن محمدا رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قرينة الشهادة لله بالوحدانية. ومن الأصول الثلاثة التي يسأل عنها كل ميت اذا أدرج في قبره: من نبيك ؟ يقال له: من ربك ؟ وما دينك ؟ ومن نبيك ؟ فيُسأل عن النبي، والله تبارك وتعالى يقول: **{ أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ }**.

فمعرفة الرسول عليه الصلاة والسلام وأنه مبعوث حقًّا من رب العالمين وأنه مبلّغٌ لرسالة الله تعالى ومعرفة شمائله وخصاله وخلاله صلوات الله وسلامه عليه، كل ذلكم من الإيمان؛ كل ذلكم من الإيمان به، والإيمان به عليه الصّلاة والسلام من الإيمان بالله؛ فمن لم يؤمن بالرسول عليه الصلاة والسلام ليس مؤمنا بالله تبارك وتعالى.

ولهذا فإن المصنف رحمه الله تعالى لما أنهى ما يتعلق بالإيمان بالله عز وجل ومعرفته سبحانه وتعالى أتبع ذلكم بما يتعلق بالإيمان بالرسول الكريم صلوات الله عليه وسلامه وبركاته عليه.

قال رحمه الله: " وإن محمدا " بكسر همزة " إن " لأنها معطوفة على مقول القول فيما تقدم حيث قال رحمه الله: " نقول معتقدين أن الله واحد لا شريك له " ثم قال: " وإن محمدا " وأيضا يأتي العطف اللاحق " وإن القرآن "كلهم معطوفة على ذلكم وقعت في موقع أو موضع مقول القول وفيه تكسر همزة إن.

قال رحمه الله تعالى: " وإن محمدا صلى الله عليه وسلم عبده المصطفى ونبيه المجتبى ورسوله المرتضى "؛ محمد هو صلوات الله وسلامه عليه خاتم النبيين، وبه خُتمت الرسالات كما سيأتي بيان ذلك عند المصنف رحمه الله تعالى، وهذا اسمه صلوات الله وسلامه عليه، وجاء هذا الاسم في القرآن في مواضع منها قوله تعالى **{ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ اللَّهِ }** كذلكم قول الله تعالى: **{ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ ۚ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ۖ }** وأتى في مواضع من كتاب الله تبارك تعالى.. فهذا اسمه صلى الله عليه وسلم: محمد ابن عبد الله الهاشميّ القرشيّ صلوات الله وسلامه عليه.

قال: " وإن محمدًا " أي: ونعتقد.. نقول معتقدين: " إن محمدا عبده المصطفى " بدأ أول ما بدأ بذكر وصف النبي عليه الصلاة والسلام بالعبودية لله رب العالمين، فهو عبدٌ -صلوات الله وسلامه عليه-، والعبودية هي أشرف أوصاف العبد وأجلُّها لأن العبودية هي مقصود الخلق؛ لأجلها خلق الله تبارك وتعالى الخلق قال تعالى: **{ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ }** فلأجل العبودية خلقهم ولأجل العبودية أرسل الرّسل وأنزل الكتب، فالعبودية هي الغاية، وأشرف أحوال العبد وأعظمها وأجلُّها أن يحقق العبودية وأن يكمّل هذا المقام العظيم الرفيع الذي خُلق العبد لأجله وأوجد لتحقيقه.

ونبينا عليه الصلاة والسلام أكمل عباد الله تحقيقا لهذا المقام؛ فهو أعبد الناس لله وأعظمهم قيامًا بالعبودية لله سبحانه وتعالى، ولهذا في المقام المحمود الذي يكرمه الله سبحانه وتعالى ويخصّه به صلوات الله وسلامه عليه وهو الشفاعة يوم القيامة قال تعالى: **{ عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا }** في ذلك المقام العظيم عندما يذهب الناس إلى الأنبياء يطلبون منهم الشفاعة عند الله فيعتذر كل واحد منهم حتى يحيلهم عيسى عليه السلام إلى نبينا صلى الله عليه وسلم ويقول: " اذهبوا إلى محمد، عبدٌ غُفِر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر " ذكره بهذا الوصف " اذهبوا إلى محمد، عبدٌ غُفِر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر " ، فهو عليه الصلاة والسلام أكمل الناس تحقيقًا لهذا المقام العظيم؛ مقام العبودية، ولهذا أيضا لما نهى عليه الصلاة والسلام عن إطرائه والمغالاة فيه نهى عن هذا الوصف قال: ((**لا تُطرُوني كما أطْرَت النصارى عيسى بن مريم فإنما أنا عبد فقولوا: عبد الله ورسوله**)) فهذا مقام عظيم، ولهذا نرى في القرآن الكريم عندما يذكر الله عز وجل نبيه صلى

الله عليه وسلم في المقامات العالية والمقامات الرفيعة التي بوَّأه الله سبحانه وتعالى وأكرمه بها يذكره بوصف العبودية؛ مثلا: في مقام الإسراء وهو مقامٌ عظيم أكرمه الله تعالى به ذكره بوصف العبودية قال: **{ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى }**، وفي مقام المعراج؛ ذلكم المقام العظيم حيث عُرج به عليه الصّلاة والسلام إلى ما فوق السماء السابعة وأوحى الله عز وجلّ إليه، وسمع في ذلك المعراج كلامَ اللهِ من الله سبحانه وتعالى؛ قال الله جلّ وعلا **{فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ}** **(النجم ١٠)**، ذكره بوصف العبودية؛ وفي مقام الدعوة، وهي مقام عظيم قال: **{وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا}** **(الجن ١٩)** في مقام الدعوة وهو مقام عظيم، في مقام التحدي، وهو أيضًا مقام عظيم من مقامات بعثة نبينا عليه الصلاة والسلام، تحدي خصوم الدعوة، قال: **{وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ}** **(البقرة ٢٣)**، **{على عبدنا}** ذكره سبحانه وتعالى بوصف العبودية، وهكذا تجد ذكر الله سبحانه وتعالى له صلوات الله وسلامه عليه بوصف العبودية في أشرف مقاماته عليه الصلاة والسلام .. فهو عبدٌ أكرمه الله بتكميل مقام العبودية و تتميمها، غفر الله ما تقدم من ذنبه وما تأخر – صلوات الله وسلامه عليه – و كان يقوم الليل حتى تتفطر قدماه عبودية لله وخضوعًا لله وقياما بتحقيق العبودية لله سبحانه وتعالى، فإذا قيل له في ذلك قال: ((**أفلا أكون عبدًا شكورا ؟**))، فهو عبد – صلوات الله وسلامه عليه – كمَّل مقام العبودية.

وإيمان المؤمن واعتقاده بأن النبي صلى الله عليه وسلم عبد – صلوات الله وسلامه عليه – يقتضي ألا يُعطَى شيئا من خصائص الرب سبحانه وتعالى، ولا من حقوق الإله سبحانه وتعالى، فالعبد لا يُعبَد .. العبد لا يُعبَد، العبادة لله العظيم والخالق الجليل سبحانه وتعالى، والعبد لا يُجعَل ندًا لله عز وجل بأن يُعطى شيئا من خصائص الإله أو شيئا من حقوق الإله.

ولما سمع عليه الصلاة والسلام مرة رجلًا يقول: "ما شاء الله وشئت" لا عن عقيدة ولا عن تسوية بمشيئة النبي عليه الصلاة والسلام بمشيئة الله، وإنما لفظٌ جاء في لسانه، غضب عليه الصلاة والسلام وقال: ((**أجعلتني لله ندًا؟ قل ما شاء الله وحده**)).. في حديث آخر قال: ((**لا يقول أحدكم ما شاء الله وشئت، و ليقل ما شاء الله ثم شئت**)) لأن (ثم) تفيد التراخي .. كل ذلكم صيانة لهذا المقام: مقام حقوق الله سبحانه وتعالى وألا يُعطى أحدٌ كائنا من كان شيئا منها.. فحقوق الله لله، وخصائص الله لله سبحانه وتعالى، فهو عليه الصلاة والسلام عبدٌ لا يعبد، العبادة ليست إلا للمعبود العظيم والربّ الجليل جل وعلا، أما هو عليه الصلاة والسلام فهو عبد لله كمّل مقام العبودية ورسولٌ **{قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا}** **(الكهف ١١٠)**

قال رحمه الله: " وإن محمدًا صلى الله عليه وسلم عبده " عبده: أي عبد الله " المصطفى "، المصطفى: أي الذي اصطفاه ربه جل وعلا واجتباه؛ قال الله تعالى: **{اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ} (الحج ٧٥)**، فهو عبدٌ اصطفاه ربه جل وعلا، ومعنى اصطفاه: أي اجتباه واختاره .. والله عز وجل يخلق ما يشاء ويختار، فاختار جلّ شأنه النبي الكريم محمدًا صلى الله عليه وسلم واصطفاه واجتباه، فهو النبي المصطفى الذي اصطفاه الله جل وعلا .. ومما أكرمه الله به أن بلغه أعلى مقامات العبودية .. أعلى مقامات العبودية، فكمّلها وتمّمها فكان أعبد الناس لله، وأتقى الناس لله، وأعرف الناس بالله، وأعظم الناس قيامًا بالعبودية لله عز وجل.. وقد صح عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال: ((**إن أعلمكم بالله وأتقاكم لله أنا**)) صلى الله عليه وسلم ..

قال: "ونبيه المجتبَى"، والاجتباء والاصطفاء معناهما واحد، "ونبيه المجتبى" **{وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ} (الأنعام ٨٧)** الاجتباء هو الاصطفاء.. اجتباه الله أي اصطفاه جل وعلا.. "وإن محمدًا صلى الله عليه وسلم عبده المصطفى ونبيه المجتبى ورسوله المرتضَى" وأيضًا الارتضاء معناه مقارب لما تقدم، وفيه أيضا زيادة معنى: وهو أنه بلغ عليه الصلاة والسلام مبلغًا .. أعظم مبلغٍ في نيل رضا الله سبحانه وتعالى.. رضا الله جل وعلا، وقد قال الله تعالى: **{إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ} (الجن ٢٧)**، فهو عليه الصلاة والسلام عبد الله المصطفى و نبيه المجتبَى ورسوله المرتضَى.

وذكر هذه الأوصاف الثلاثة: العبودية والنبوة والرسالة تدرجًا: فأفضل الناس عباد الله وكلما حقق العبد وزاد نصيبا وحظًّا من مقام العبودية، زاد فضلًا ونبلا وشرفا وقدرا، وأفضل عباد الله الأنبياء، وأفضل الأنبياء الرسل.. وأفضل الأنبياء الرسل، فذكر هذه الأوصاف تدرجًا، وأيضا هي من حيث الوقوع: عبودية لله سبحانه وتعالى ونبوة، ثم يتبع ذلكم الرسالة.. وكل رسول نبي وليس كل نبي رسولا؛ كل رسول نبي وليس كل نبي رسولا.

والنبي هو الذي ينبِّئه الله، وهو مبعوث بوحي من الله سبحانه وتعالى **{وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ} (الحج ٥٢)**، فهو مبعوث، لكنه مبعوث إلى قوم يؤمنون به فيعلمهم الأوامر والنواهي والأحكام، يبين لهم الحلال والحرام، فإذا بُعث إلى قوم مخالفين كان بذلكم رسولا، ولهذا كل رسول نبيّ وليس كل نبي رسولا، ليس كل من نُبئ وأُمر وأوحي إليه بإبلا غ الحلال والحرام يكون رسولا إلا إذا بعث إلى قوم مخالفين؛ ولهذا نرى في الآيات في القرآن الكريم ذكر التكذيب يُذكر في مقام ذكر الرسالة لأنه بُعث إلى مخالف **{كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ} (الشعراء ١٠٥)** لأنه بُعث إلى مخالفين، أما إذا كان بُعث – لأن كل من النبي والرسول مبعوث، وكل منهم أوحي إليه وكل منهم مبعوث، لكن النبي بُعث إلى قومٍ يؤمنون به فيعلمهم الحلال والحرام والأمر والنهي والأحكام ونحو ذلك– وإذا بعث الى قوم مخالفين برسالة؛ يدعوهم إلى توحيد الله، إلى ترك الشرك والكفر بالله سبحانه وتعالى، يدعوهم إلى الإخلاص يكون بذلكم رسولا.

قال : " وإن محمدا صلى الله عليه وسلم عبده المصطفى ونبيه المجتبى ورسوله المرتضى، وأنه خاتم الأنبياء " " وأنه خاتم الأنبياء " أي به خُتموا، فلا نبي بعده، قال الله تعالى **{ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ﴾}**، وإذا كان خاتم النبيين فهو كذلكم خاتم المرسلين لأن كل رسول نبي، فإذا كان عليه الصلاة والسلام خاتم النبيين فهو عليه الصلاة والسلام خاتم المرسلين لأن كل رسول نبي، فهو عليه الصلاة والسلام به ختمت النبوات وبه ختمت الرسالات ، فلا نبي بعده ولا رسول ..صلوات الله وسلامه عليه.

وقد أخبر عليه الصلاة والسلام أن خَتْم النبوة به صلى الله عليه وسلم من خصائصه التي مُيز بها، فهو مُيِّز عن الأنبياء بخصائص من بينها أن كل نبي بُعِث لقومه خاصه وبعث عليه الصلاة والسلام للناس كافة، ومن خصائصه أنه ختم به عليه الصلاة والسلام النبيّون فلا نبي بعده –صلى الله عليه وسلم– ولا رسول.

وذكر عليه الصلاة والسلام كما في الصحيح من أسمائه عليه الصلاة والسلام " العاقب " وهو الذي لا نبي بعده.. العاقب: أي الذي لا نبيَّ بعده، وأخبر صلى الله عليه وسلم كما في سنن أبي داوود من حديث ثوبان أنه سيكون أو يأتي بعده " ثلاثون كذابون دجالون كلهم يدعى أنه نبي " وقال: ((**و أنا خاتم النبيين ولا نبيَّ بعدي**))، فأخبر أنه يأتي بعده ثلاثون دجالون كذابون كلهم يدَّعي أنه نبيٌّ، ومن يطالع التاريخ وكتب الأخبار يجد بأن الأعداد تزيد عن هذا العدد بكثير جدًّا، لكن كما ذكر أهل العلم المرادُ بالثلاثين من كان لهم صيت وأتباع و تأثير ونحو ذلك.. وإلا كثير.. يمر على الناس كثير جدا.. شخصٌ يكون به مس أو خبل أو شيءٌ من الجنون أو نحو ذلك فيقول: أنا نبي أو أنا رسول أو نحو ذلك.. هذا يمر على الناس كثير... أو يتعاطى مسكرا فيذهب عقله أو نحو ذلك فيقول أنا نبيّ، ولا أحد يستمع إليه إنما يعرفونه أنه رجل مختلُّ العقل، لكن المقصود بمن يكون لهم صيت وأتباع وتأثيرٌ في الناس، فهم بهذا العدد ثلاثون كلهم يزعم أنه نبيّ.

قال: ((**وأنا خاتم النبيين ولا نبيَّ بعدي**))، فيجب أن يعتقد المسلم أنه عليه السلام خاتم النبيين وأنه لا نبيَّ بعده، وهذا من الإيمان به صلى الله عليه وسلم أن النبوات والرسالات ختمت به فلا رسالة بعده ولا نُبُوّة، ولا يكون مؤمنا به من لم يؤمن بأنه خاتم النبيين عليه الصلاة والسلام، ولهذا كفَّر أهل العلم مُدَّعي النبوة وكفَّر أهل العلم مُصدِّقي مُدّعي النبوة، فالذي يدعي النبوة كافرٌ والذي يصدِّق مدعي النبوة كافرٌ لأنه مؤمن بأئمة الضلال وأئمة الباطل الذين يدعون الناس إلى النار، ومن تبعهم وآمن بهم قذفوا به إلى النار وأوصلوه إلى النار.. أئمة ضلال هؤلاء.. فالذي يدعى النبوة كافر والذي يؤمن بمدعي النبوة أيضًا كافر.

فمن الإيمان به عليه الصلاة والسلام الإيمان بأنه خاتم النبيين، وهذه العقيدة ثابتة في القرآن الكريم **{ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ }** وثابتةٌ عن النبيّ صلى الله عليه وسلم في أحاديث كثيرة عنه صلوات الله وسلامه عليه.

قال: " وأنه خاتم الأنبياء وإمام الأتقياء " " وإمام الأتقياء " والإمامة هنا تدلّ على كمال تقواه عليه الصلاة والسلام، كمال تقواه كمال تحقيقه للتقوى وقد ثبت عنه في الصحيح أنه صلى الله عليه وسلم قال: ((**إن أعلمكم لله وأتقاكم لله أنا**)) فهو إمام المتقين أي قد كمل مقام التقوى فكان للمتقين إمامًا، وفي دعاء عباد الرحمن **{ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا }** أي: وفِّقنا للقيام بخصال التقوى لنكون قدوة للمتقين.

وأيضا قولُه " إمام المتقين " أي هو القدوة صلوات الله وسلامه عليه والأسوة الذي يجب أن يؤتَمّ به وأن يقتدى به وأن يُسار على منهاجه وأن يُقتفى أثره صلى الله عليه وسلم **{ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا }**

قال " وإمام المتقين وسيد المرسلين " والسيد: هو المقدم على غيره لعلو مقامه ورفعة مكانه وعلوِّ منزلته، وهو عليه الصلاة والسلام سيد الأولين والآخرين، وقد صح عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال: ((**أنا سيد ولد آدم ولا فخر**))؛ سيِّدُ ولد آدم بما فيهم الأنبياء والرسل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، فهو عليه الصلاة والسلام سيد ولد آدم أجمعين، ولهذا الأولى أن يقال (سيد ولد آدم أجمعين) أو (سيد الأولين والآخرين) صلوات الله وسلامه عليه؛ ((**أنا سيد ولد آدم ولا فخر**)) هكذا قال صلى الله عليه وسلم، فهو سيد الأولين والآخرين من ذريّة آدم صلوات الله وسلامه عليه. والسيّد هو المقدم، وهو عليه الصلاة والسلام أعلى عباد الله مقاماً، وأرفعهم مكاناً، وأعلاهم منزلةً –صلوات الله وسلامه عليه–.

قال " و سيد المرسلين وحبيب رب العالمين " " وحبيب رب العالمين " وكان الأولى هنا أن يقال (وخليل رب العالمين) لأن المحبة ثابتة له ولغيره من عباد الله –صلوات الله وسلامه عليه–، ولهذا في القرآن آيات كثيرة فيها إثبات حب الله سبحانه وتعالى للقائمين بخصال الإيمان **{ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ }** والآيات في هذا المعنى كثيرة، فالمحبة ثابته له عليه الصلاة والسلام ولغيره " ما تقرَّب إليّ عبدٌ بشيءٍ أحبَّ إليَّ مما افترضته عليه، ولا يزال عبدي يتقرَّب إليَّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي عليها، ولئن سألني لأُعطينَّه، ولئن استعاذ بي لأُعيذنَّه " فالمحبة ثابته له ولغيره، أما الخُلَّة وهى أعلى درجات المحبة وأرفعها فإنها لم تثبت إلا لاثنين من عباد الله كما قال عليه الصلاة والسلام –والحديث صحيح– ((**إن الله اتخذني خليلاً كما اتخذ إبراهيم خليلا**)) فالخُلة أعلى درجات المحبة، المحبة درجات أعلاها الخلة، ولهذا كان الأولى في هذا المقام أن يقال (خليل رب العالمين) لأن

المحبة ثابتة له عليه الصلاة والسلام ولغيره وأما الخلة فإنما كانت له ولإبراهيم الخليل عليه السلام، وأما ما جاء في سنن الترمذيّ وغيره أن النبي عليه الصلاة والسلام قال: ((**إن إبراهيم خليل الله ألا وأنا حبيب الله ولا فخر**)) فهذا حديث ضعيف لا يثبت، والثابت في الصحيح وغيره قوله عليه الصلاة والسلام ((**إن الله اتخذني خليلاً كما اتخذ إبراهيم خليلا**)) ((**إن الله اتخذني خليلاً**)) أما هذا الحديث الضعيف قال أن الله اتخذ ابراهيم خليل الرحمن ألا وأنا حبيب الرحمن.. وأيضا يفهم منه أن المحبة أعلى من الخلة وهذا غير صحيح، الخلة هي أعلى درجات المحبة وخصَّ الله سبحانه وتعالى وأكرم بها إبراهيم الخليل عليه السلام ومحمد عليه الصلاة والسلام ((**إن الله اتخذني خليلاً كما اتخذ إبراهيم خليلا**)) ولهذا الأولى أن يقال (خليل رب العالمين) صلوات الله وسلامه عليه.

ثم عاد المصنف –رحمه الله تعالى– لمسألة ختم النبوة وهي مسألة عظيمة جدا في مقام الإيمان به صلوات الله وسلامه عليه؛ قال: " و كل دعوى نبوة بعده فهي غيٌّ وهوى " يعني كل من ادعى النبوة ،أي ادعى أنه نبيّ بعد النبي عليه الصلاة والسلام فدعواه لا تخرج عن أحدِ أمرين: الغيُّ والهوى، وقد قال الله سبحانه وتعالى في ثنائه على نبيه عليه الصلاة والسلام –في سورة النجم– قال: **{مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ }**، فدعوى النبوّة بعد النبيّ عليه الصلاة والسلام غيٌّ وهوىً.

والغيُّ: ضلال الانسان وفساده وانحرافه وفساد معتقده فيدعي النبوة فيدّعي النبوة بناءً على ما فيه من انحراف وفساد وبغي وظلم.

والهوى: أن يكون متبِّعا لما تهواه نفسه وتميل إليه كأن تكون نفسه مثلا تهوى شهرةً أو تهوى أتباعا أو تهوى صيتًا أو نحو ذلك، فيميل لما تهواه نفسه وتميل إليه من ضلال وباطل.

فمن يدعي النبوة لا يخرج عن أحد هذين الوصفين: الغيّ و الهوى ..الغيّ: فساد عمل الإنسان وانحلاله وانحرافه وسوء قصده وفساد قلبه، والهوى: ميل الإنسان مع ما تطمع أو تريده نفسه من رغبات؛ إما شهرة أو صيتا أو أتباعا أو مالا أو غير ذلك من الأمور ولو كان بمثل هذه الدعوة الجائرة التي أعتى ما يكون وأشد ما يكون في ما يدعيه الإنسان لنفسه، وأعظم من ذلكم دعوى الألوهية أو الربوبية، وكل ذلكم كفر مبين.

قال: " و كل دعوة نبوة بعده " أي بعد نبينا صلى الله عليه و سلم " فغيٌّ وهوى، وهو المبعوث إلى عامة الجن وكافة الورى " و هذا أيضا من الأمور اللازم الإيمان بها والمتعين الإيمان بها فيما يتعلق بالإيمان بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم أن بعثته للثقلين، وبُعث عليه الصلاة والسلام رحمة للعالمين **{ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا }** **{وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ}** فهو عليه الصلاة والسلام أرسل

للناس كافّة بشيرا ونذيرا وأرسل للثقلين الإنس والجن كما يشهد لذلك سورة الجن بتمامها وقول الله سبحانه و تعالى في سورة الأحقاف **{ وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا ۖ }** فهو عليه الصلاة والسلام مبعوثٌ للثقلين؛ للإنس والجن، وكان من قبله من الأنبياء يبعثون في أقوامهم خاصة، ولهذا لما ذكر عليه الصلاة والسلام خصائصه كما في الصحيحين و غيرهما ((**فُضِّلتُ على النبيين بستّ** ..)) ذكر منها عليه الصلاة والسلام أن كل نبي بُعث في قومه خاصة.. قال: ((**وبعثتُ للناس كافّة**)) فمن الإيمان به والإيمان بنبوته صلوات الله وسلامه عليه أنه مبعوث رحمةً للعالمين وأنه مرسل إلى الثقلين.

قال: " المبعوث إلى عامة الجن وكافة الورى " " وكافة الورى " أي الناس كافة، وكافة الورى : أي الناس أجمعين.

" وهو المبعوث إلى عامة الجن وكافة الورى بالحقِ والهدى وبالنور والضياء " وهذا خلاصة ما بُعث به —عليه الصلاة والسلام– بعث بالحق والهدى؛ قال الله تعالى: **{ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ }** هذا معنى قول المصنف رحمه الله " بالحقِ والهدى " " بالحق ": أي الدين الحقّ، و " الهدى ": المراد به العلم النافع؛ إذ الذي هو الهدى وبالعمل الصالح الذي هو الدين الحق.. الدين الحق، فلا علم نافع ولا عمل صالح إلا ما بُعث به وأُرسل به صلوات الله وسلامه عليه، وفي دعاء المؤمنين في سورة الفاتحة **{ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (٦) صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ }** أي الذين جمعوا بين العلم النافع والعمل الصالح - الذين جمعوا بين العلم النافع والعمل الصالح– ، أما من كان عنده علمٌ بلا عمل فهو مغضوبٌ عليه ومن كان عنده عمل بلا علم فهو ضال.. قال: **{ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (٦) صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ (٧)} { غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ }** فهو عليه الصلاة والسلام بُعث بالحق الهدي أي بُعث بالأعمال والعبادات والطاعات التي هي حق لا باطل فيها، وبعث عليه الصلاة والسلام بالهدى الذي هو العلم النافع فلا ضلال فيه.

" المبعوث بالحق والهدى وبالنور والضياء " " وبالنور والضياء " والمراد بالنور الوحي الذي بعث به عليه صلوات الله وسلامه عليه؛ قال الله تعالى: **{وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَٰكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ}** فهو عليه الصلاة والسلام بُعث بالنور والضياء، وهنا جمع رحمه الله تعالى في ذكر ما بعث به عليه الصلاة والسلام " بالنور والضياء " فقد يكون المراد بذلك أي ما بعث به عليه الصلاة والسلام من الوحي الذي هو القرآن المنزل على نبيّنا عليه الصلاة والسلام وما بعث به أيضا في هذا القرآن من أعمال صالحة وطاعات زاكية هي ضياء لصاحبها – هي ضياء لصاحبها– فهو عليه الصلاة والسلام بعث بالنور الذي هو الوحي الذي ينير للناس طريقهم؛ فبه يهتدون وبه يبصرون

وبه تزول عنهم ظلمات الجهل والغيّ والباطل وبعث بالأعمال الصالحة والطاعات الزاكية التي هي ضياء لصاحبها التي- هي ضياء لصاحبها- فالنبي عليه الصلاة والسلام بعثه الله بالحق والهدى وبالنور والضياء، هذه الخلاصة ذكرها الإمام المصنف الطحاوي رحمه الله تعالى فيما يتعلق بمبعث النبي الكريم عليه الصلاة والسلام ووجوب الإيمان به صلى الله عليه وسلم وأنه رسول رب العالمين وأنه عليه الصلاة والسلام بعث بالحق والهدى.

وخلاصة ما ذكره رحمه الله مما يتعلق بالإيمان بالنبي عليه الصلاة والسلام أولاً الإيمان بأنه عبد كمَّل مقام العبودية وتمَّمَه واصطفاه الله تبارك وتعالى واجتباه وأنه نبيٌّ -عليه الصلاة والسلام- ورسول نبيٌّ رسول نُبّئَ بـ { اقرأ } عليه الصلاة والسلام وأرسل بالمدثر، وأنه صلى الله عليه وسلم ختم به النبوَّات فلا نبي بعده، وكل نبوة بعده فهي غيٌّ وهوى، والإيمان بفضله ومقامه العظيم وأنه إمام المتقين وسيد المرسلين وخليل رب العالمين -صلوات الله وسلامه عليه- وكذلكم الإيمان بكل ما جاء به.. بكل ما جاء به من الوحي والحق والهدى والنور والضياء -صلوات الله وسلامه وبركاته عليه-.

ونسأل الله الكريم رب العرش العظيم أن يعمر قلوبنا بمحبة نبينا الكريم عليه الصلاة والسلام وحسن الاتّباع له والسير على منهاجه ويعيذنا من الأهواء ومن البدع والضلالات وأن يصلح لنا شأننا كله وأن لا يكلنا إلى أنفسنا طرفة عين وأن يوفقنا لما يحبه ويرضاه من سديد الأقوال وصالح الأعمال.

والله تعالى أعلم.

وصلى الله وسلم وبارك وأنعم على عبده ورسوله نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

الدرس السادس

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على عبد الله ورسوله نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فيقول الإمام أبو جعفر الطحاوي رحمه الله تعالى.. يقول في ذكر عقيدته: " وإن القرآن كلام الله؛ منه بدا بلا كيفية قولاً، وأنزله على رسوله وحْيًا، وصدَّقه المؤمنون على ذلك حقًّا، وأيقنوا أنه كلام الله تعالى بالحقيقة ليس بمخلوق ككلام البريَّة، فمن سمعه فزعم أنه كلام البشر فقد كفر وقد ذمَّه الله وعابه وأوعده بسقر حيث قال تعالى: **{ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ }** فلما أوعد الله بسقر لمن قال **{ إِنْ هَٰذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ }** علمنا وأيقنَّا أنه قول خالق البشر ولا يشبه قول البشر، ومن وصف الله بمعنىً من معاني البشر فقد كفر، فمن أبصر هذا اعتبر وعن مثل قول الكفار انزجر وعلم أنه بصفاته ليس كالبشر . "

شرح الشيخ:

الحمد لله ربِّ العالمين وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين.

أما بعد:

فهذا أصل عظيمٌ شرع المصنف رحمه الله تعالى في بيانه في هذه العقيدة، وكنّا عرفنا أن مصنف هذه العقيدة الإمام الطحاوي رحمه الله تعالى ألَّفها كما أشار في مقدمة هذا الكتاب على مذهب فقهاء الملّة أبي حنيفة النُّعمان بن ثابت الكوفي وأبي يوسف يعقوب بن إبراهيم البجليّ وأبى عبد الله محمد بن الحسن الشيبانيّ رحمهم الله، فهذه أو هذا المتن اجتمع على ما فيه من معانٍ ودلالات فيما قرره الإمام الطحاوي رحمه الله هؤلاء الأئمة الأعلام؛ الإمام أبو حنيفة رحمه الله والإمام أبو يوسف القاضي رحمه الله والإمام محمد بن الحسن الشيبانيّ رحمه الله.

وهذه العقيدة عقيدةٌ درجت بين أهل العلم وتداولها طلاب العلم واستفادوا منها فائدةً عظيمة، وكتب عليها الامام ابن أبي العز الحنفي رحمه الله تعالى كتابه العظيم الذي صنَّفه شرحًا لهذه العقيدة.

وطالب العلم عندما يستفيد من كلام أهل العلم وجهودهم المباركة وأعمالهم المتظافرة يدعو الله سبحانه وتعالى لهم بالرحمة والمغفرة؛ فهذا حق أهل العلم على طُلاب العلم.

وعلى كلٍّ؛ فالمصنف الإمام الطحاوي رحمه الله أولَ ما بدأ هذا المصنف بدأه بأعظم الأمور وأجلِّها على الإطلاق وهو توحيد الله، وذكر أنواع التوحيد الثلاثة؛ توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية و توحيد الأسماء والصفات مشيرًا رحمه الله بذلك إلى أن هذه العقيدة وهي عقيدة الأئمة.. وهي عقيدة أبي حنيفة رحمه الله وهي عقيدة علماء المسلمين قاطبة ممن يأخذون عن كتاب الله سبحانه وتعالى وسنة رسوله صلوات الله وسلامه عليه، وذكر ذلك بألفاظ واضحة وعبارات بيّنة سبق أن مر معنا تقرير المصنف رحمه الله لها.

ثم بعد ذلكم انتقل إلى ما ينبغي به الاعتقاد في حق النبي عليه الصلاة والسلام، وهو صلوات الله وسلامه عليه عابدٌ لا يُعبَد ورسول الله ولا يكذب بل يُطاع ويُتّبع، يجب أن تكون عقيدة المسلم في النبي عليه الصلاة والسلام هذه العقيدة دون غلوٍّ أو جفاء ودون إفراط أو تفريط؛ قال: ((**إنما أنا عبدٌ فقولوا: عبد الله و رسوله**))، فهو عليه أفضل الصلاة والسلام عبدٌ لا يُعبد ورسولٌ لا يُكذّب بل يطاع ويتبع صلى الله عليه وسلم، ومن لم يحقق هذا الإيمان ولم يقم في قلبه هذا الاعتقاد تجاه النبي عليه الصلاة والسلام تتحول حاله إلى ممارسات خاطئة وقد يشاهد الناس ويسمعون شيئا منها.. من مغالاة في النبي عليه الصلاة والسلام بإعطائه من الخصائص ما ليس إلا لله تبارك وتعالى وكذلك بإعطائه من الحقوق ما ليس إلا لله تبارك وتعالى كأن يلتفت إليه بعض الناس بالدعاء والطلب والسؤال، مع أنه صلى الله عليه وسلم قال لابن عباس: ((**إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله**)) وقال في الحديث الآخر لمعاذ بن جبل: ((**أتدري ما حق الله على العباد وما حق العباد على الله ؟**)) ثم بيَّن بعد ذلك: قال: ((**حق الله على العباد أن يعبدوه...**)) فالعبادة حقٌّ لله، وأعظم العبادة الدعاء، والله سبحانه وتعالى يقول: { **ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ** } ويقول: { **وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ** }، فالدعاء والطلب والسؤال وعرض الحاجات إنما يكون لله سبحانه و تعالى.

أقول: لما جهل بعض الناس هذه العقيدة ودخلت عليهم صنوفٌ من الأهواء والضلالات أصبحت عندهم تعلُّقات باطلة لا يُقِرُّها كتاب الله ولا تُقِرها سنة النبي عليه الصلاة و السلام، بل هي مصادِمةٌ للدين كل المصادمة ومُباينة له كل المباينة؛ كأن يتّجه الإنسان في طلبه أو في سؤاله أو في حاجته لغير الله سبحانه وتعالى، وربما بعض الناس يحمل معه أوراقًا تُرسَل معه أو مظروفات تُرسل معه فيها سؤال مُوجَّه للنبي عليه الصلاة السلام.. إما يريد غنىً من فقر أو يريد شفاءً من مرض أو يريد ثباتًا على الحقّ والهدى أو يريد دخولاً للجنة

ونجاةً من النار... إلى غير ذلكم من الطلبات والسؤالات التي لا يُتَّجَه ولا يُلتَجَأُ فيها إلا إلى الله سبحانه و تعالى ربِّ العالمين.

وقد دلت الدلائل في كتاب الله سبحانه وتعالى وسنة نبيه عليه الصلاة والسلام أن دعاء غير الله شرك بالله وكفر بالله سبحانه و تعالى وأن الدعاء حقٌّ لله لا يُصرف لغيره كائنًا من كان؛ لا لِملَك مقرَّبٍ ولا لنبيٍّ مرسل ولا لوليٍّ من الأولياء، فالدعاء حقٌّ الله جل وعلا، قال الله سبحانه: { **قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا** } وقال جلَّ وعلا { **قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ** } وقال جلَّ و علا { **وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ * إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ** } ويقول جلَّ وعلا { **وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَن دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ * وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ** } و يقول جلَّ وعلا { **وَمَن يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِندَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ** } الذي يدعو غير الله كافر بالله لأن الدعاء عبادة والعبادة حقٌّ لله سبحانه و تعالى، فهذه –حقيقةً– مصيبة عظيمة وبليّة كبرى مُنِيَ وابتُلي بها بعض الناس بسبب الجهل بدين الله وعدم المعرفة بهذه الحقائق العظيمة التي كتبها الأئمة مثل الإمام أبي حنيفة ومثل الإمام محمد بن الحسن ومثل الإمام القاضي أبي يوسف ومثل الإمام الطحاوي ومثل الإمام ابن أبي العزّ.. وهم كلّهم من علماء الأحناف الأفاضل ممن لهم جهود مباركة، كل ذلكم بيَّنوه نُصحًا للناس وتحذيرا من هذه الأخطاء الفادحة التي من وقع في شيءٍ منها أو ارتكب شيئا منها أضَرَّ بدينه إضرارا عظيمةً وأخلَّ بعقيدته إخلالاً عظيمًا، فكُتِبت هذه العقائدُ صيانةً لأعمال الناس وصيانةً لعبادات الناس، فنقرأ مثل هذه العقائد حتى يُعطَى كلُّ ذي حقٍّ حقَّه؛ حق الله سبحانه و تعالى لله وحقُّ الرسول صلى الله عليه وسلم للرسول –صلوات الله وسلامه عليه–.

أما أن يُجعَل حقُّ الله سبحانه وتعالى لغيره؛ سواء للرسول عليه الصلاة والسلام أو لأحدٍ من الأولياء فهذا لا يُقِرُّه شرعٌ ولا يُقرُّه كتاب الله ولا سنّة نبيه عليه الصلاة والسلام، ولا يُقرُّه أيضًا الأئمة النبلاء والعلماء الأجِلّاء كما هو معلومٌ في كتب العقائد التي صنّفوها نصحًا للناس وبيانًا للحقوق؛ ما هو حق الله ؟ وما هو حق رسوله عليه الصلاة والسلام ؟ وما هي الحقوق الأخرى في ضوء الأدلة من كتاب الله وكلام رسوله صلوات الله عليه.

خلاصة القول: أن المسلم ينبغي أن يتنبّه لهذا الأمر العظيم الجلل، وأيضا ينبغي أن يستفيد من جهود العلماء الأجلّاء رحمهم الله في كتب العقائد ولا سيما كتب الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله والإمام مالك رحمه الله

تعالى والإمام الشافعي رحمه الله تعالى وغيرهم من أئمة أهل العلم والفضل فيما كتبوه نصحًا لعباد الله وبيانًا للحق وإيضاحًا للمعتقد والإيمان الذي خُلق الخلق لأجله وأوجِدوا لتحقيقه.

ونسأل الله عز وجل أن يهدينا جميعا إليه صراطًا مستقيما وأن يُبصِّرنا في ديننا وأن يُعيذنا من مُضِلَّات الفتن ما ظهر منها وما بطن وأن يعيذنا جميعًا من الكفر ومن الشرك ومن البدع والأهواء، وأن يجعلنا هداةً مهتدين وأن يُصلِح لنا شأننا كلّه وأن لا يكلنا لأنفسنا طرفة عين.

هذه إشارةٌ اقتضاها المقام وكان أحد الأفاضل أرسل لي بالأمس خطابًا بعث مع بعض الزوار كله سؤالات وطلبات لا يُتَّجَه فيها إلا لله تعالى رب العالمين، وفي ذلكم الخطاب أو تلك الرسالة متَّجَه فيها إلى الرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه، وهذا كله بسبب الجهل العظيم بالعقيدة والدين الذي خلقنا الله سبحانه وتعالى لأجله وأوجدنا لتحقيقه.

نسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يصلحنا أجمعين وأن يهدينا أجمعين وأن يُبَصِّرنا جميعا بديننا وكتاب ربِّنا وبسيرة نبينا عليه الصلاة والسلام وأن يعيذنا من طرائق الانحراف وسبل الضلال.

والهادي هو الله وحده تبارك وتعالى لا شريك له.

قال المصنف الإمام الطحاوي رحمه الله تعالى: " وإن القرآن كلامُ الله تعالى، منهُ بدأ "؛ هذا شروعٌ منه رحمه الله تعالى في بيان هذا الأصل ألا وهو: العقيدة في القرآن الكريم؛ ماذا يجب أن نعتقد في القرآن الكريم ؟ وتتأكد العناية في هذه العقيدة بسبب وجود عقائدَ باطلةٍ نشأت في الأمة منحرفة في هذا الباب تبنّاها رؤوس من رؤوس الضلال ودعاةٌ من دعاة الباطل، فنشرت بين الناس بشبهات مضلة وأهواءِ تفتن الناس وتصرفهم عن دينهم، فكان متأكِّدا على المسلم أن يُعنى بهذه العقائد، **فماذا يجب علينا أن نعتقده في القرآن الكريم ؟**

وقول المصنف هنا " وإن القرآن كلام الله " معطوفٌ على ما سبق؛ معطوف على ما سبق، لأنه رحمه الله تعالى بدأ بقوله: " نقول في توحيد الله معتقدين إن الله تبارك وتعالى..." ، ثم ذكر العقيدة في الله، ثم قال: " وإن محمدا صلى الله عليه وسلم عبده المصطفى " أي: ونقول معتقدين في نبينا صلى الله عليه وسلم إنه عبده المصطفى، ثم عطف عليها هذا الذي يتعلق بالقرآن، فالمراد: أنا نقول معتقدين فيما يتعلق بالقرآن إن القرآن كلام الله تعالى" إن القرآن كلام الله تعالى ".

فالقرآن الكريم هذا الذي موجود في المصاحف ويقرأه المسلمون مفتتحا بسورة الفاتحة مختتما بسورة الناس من أوله إلى آخره كله كلام الله تعالى رب العالمين، يجب أن نعتقد ذلك وأن نؤمن إيماناً جازماً ونوقن يقينًا جازمًا أن هذا الذي في المصحف هو كلام الله سبحانه وتعالى، وقد قال الله جل شأنه: **{ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ }**؛ فمن الاعتقاد الواجب في هذا القرآن الكريم أن نعتقد أنه كلام الله سبحانه وتعالى.. أن نعتقد أنه كلام الله سبحانه وتعالى، وإضافته إلى الله سبحانه وتعالى؛ إضافةُ الكلام إلى الله سبحانه وتعالى إضافةُ صفةٍ، فالقرآن كلام الله أي هو جلّ شأنه الذي تكلم به، وجبريلُ عليه السلام المبلِّغ سَمِعَ القرآنَ من الله سبحانه وتعالى، ولهذا قال جل وعلا **{ وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ * نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ * عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ * بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ }**

فهذا هو إسناد القرآن الكريم: النبي عليه الصلاة والسلام سمع القرآن من جبريل عليه السلام وجبريل عليه السلام سمع القرآن من الله، والقرآن من الله بدأ؛ ولهذا قال الإمام الطحاوي رحمه الله: " منه بدأ " أو " منه بدا " أي ظهر؛ " منه بدا " أي: ظهر، و " منه بدأ " أي القرآن ابتداءً تكلَّم الله سبحانه وتعالى به، ومن المعلوم أن الكلام ينسب لمن قاله ابتداءً لا إلى من قاله أداءً؛ فلا يُنسب القرآن لمبلِّغه أو لتاليه وإنما ينسب إلى من تكلم به ابتداءً، ولهذا قال الأئمة رحمهم الله قالوا القرآن أينما توجَّه يبقى كلام من ؟ كلام الله سبحانه، القرآن أينما توجّه يبقى كلام الله سبحانه وتعالى لأن الكلام دائمًا وأبدًا كما هو معلومٌ ينسب إلى من قاله ابتداءً، فالقرآن أينما توجّه؛ يعني سواءً حُفظ في الصدور أو تُلي بالألسن أو سَمعته الآذان أو نظرت إليه الأعين في المصاحف أو كُتب في السطور... أينما توجّه هو كلام الله سبحانه وتعالى **{ بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ }** سواءٌ حُفظ في الصدور أو كتب في السطور أو تلي بالألسن أو رُئي بالأعين أو سمع بالأذان.. الكلام هو كلام الله سبحانه وتعالى، ومن الأمور المتقررة أن الكلام إنما ينسب لمن قاله ابتداءً.

مثلا الآن لو سمعتَ قائلاً يقول: ((**إنما الأعمال بالنيّات وإنما لكل امرئٍ ما نوى**)) هل روايته لهذا القول يجعله قولاً له ؟ يُنسَب إليه ؟ لا يُنسب إليه؛ يُقال: هذا كلام النبيّ عليه الصلاة والسلام.

أيضًا عندما – مثلاً – نسمع بيتًا لأحد الشعراء المتقدّمين يرويه لنا أحد الرواة أو ينقلع لنا أحد النقلة.. لا ننسبه لمن نقله وإنما لمن قاله.

فمن الأمور المتقرّرة أن الكلام إنما يُنسب لمن قاله ابتداءً لا لمن نقله أداءً أو بلاغاً. فالقرآن كلام الله؛ هو – جلّ شأنه – الذي تكلّم به، وسمعه منه جبريل عليه السلام وبلّغه نبيّنا محمّدًا صلى الله عليه وسلم، والنبيُّ عليه

الصلاة والسلام بلّغه الصحابة والصحابة بلّغوه للأمة.. وهكذا تُنُوقِل القرآنُ لاحقًا عن سابق، وينتهي الإسناد لمن يسند إلى النبي عليه الصلاة والسلام عن جبريل عن الله تعالى.

ومن الأخطاء التي وُجدت عند بعض القراء – وبعضهم أناس أفاضل –؛ يعني ليسوا أهل عقائد باطلة وإنما هكذا تلقَّوْا وليس عندهم دراية ولا معرفة بما دخل على الناس من عقائد باطلة بسبب أهل الكلام الباطل، فتجد بعض الذين يجيزون إجازات في القرآن الكريم ويمنحون أسانيد ينهُون إسنادهم في القرآن الكريم إلى اللوح المحفوظ؛ عن فلان عن فلان عن النبي صلى الله عليه وسلم عن جبريل عن اللوح المحفوظ. وهذه دخلت على بعض الناس بسبب عقائد أهل الضلال الباطل الذين ينفون أن يكون القرآن كلام الله ويزعمون أن الله سبحانه وتعالى خلقه في اللوح المحفوظ.. وبعضهم يقول: خلقه في الهواء. ولهذا بعضهم دخل عليه هذا المعنى فأنهى إسناده في القرآن إلى اللوح المحفوظ فرارا – أصل هذا – فرارا من نسبة القرآن إلى الله وأنه كلام الله سبحانه وتعالى حقا.

وكلام هؤلاء الأئمة ومنهم الطحاوي وقبله أيضا أبو حنيفة وغيرهم من أهل العلم.. كلهم في إبطال مثل هذه العقائد كما نقرأه في هذه العقيدة وكما نقرؤه فيما كتب أئمة السلف رحمهم الله تعالى.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله – وطلاب العلم يقيدون هذا النص لأنه ثمين جدا – يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله (في المجلد ١٢، ص ٥٢٠ من مجموع فتاواه) يقول: " فمن قال إنه منزل من بعض المخلوقات كاللوح والهواء فهو مفترٍ على الله مكذبٌ لكتاب الله متبع لغير سبيل المؤمنين " لأن هذا إنما جاء من أهل الباطل ولا سيما الجهمية ومن لفّ لفهم وسار سيرهم في مثل هذه العقائد الباطلة التي ما أنزل الله تبارك وتعالى بها من سلطان.

عقيدة المؤمنين في كلام الله سبحانه وتعالى أن القرآن كلام الله تعالى منهُ بدأ، " منهُ بدأ " وهذا محلّ إجماع بين السلف، وهذه العبارة نقلت عن التابعين وأيضا عن بعض الصحابة رضي الله عنهم وأرضاهم، ولهذا جاء عن عمرو بن دينار أنه قال: " أدركتُ مشايخنا والناسَ منذ سبعين سنة يقولون: القرآن كلام الله منهُ بدأ وإليه يعود. " وعمرو بن دينار أدرك بعض الصحابة؛ أدرك رحمه الله تعالى بعض الصحابة رضي الله عنهم وأرضاهم. فهذا محلّ إجماع بين السلف أن القرآن " منه بدأ " ومعنى منه بدأ : أي الله هو الذي تكلم به — سبحانه وتعالى — ابتداءً وسمعه منه جبريل، قال جل وعلا: **{ تَنزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ الْعَالَمِينَ }** { من } هنا للابتداء؛ فـ القرآن " من الله " أي هو جلّ شأنه الذي تكلّم به، وجبريل سمعه من الله وبلّغه للنبيّ عليه الصلاة والسلام { نَزَلَ بِهِ } ولهذا قال المصنف: " وإن القرآن كلام الله تعالى منه بدأ بلا كيفية قولاً " فقوله:

" منه بدأ بلا كيفية قولاً " قوله " قولاً " هذا يؤكد أن الله سبحانه هو الذي تكلم بالقرآن؛ " منه بدأ.. قولاً " أي هو جلّ شأنه الذي تكلم به، هو الذي قاله – سبحانه وتعالى- وجبريل سمعه من الله سبحانه وتعالى.

وقوله: " بلا كيفية " أي نعلمُها، قوله " بلا كيفية " نفيٌ لعلمنا بالكيفية، لا نفيًا للكيفية أصلاً؛ فالله سبحانه وتعالى تكلّم بكلام له كَيْفٌ، لكن لا نعلمه.. لا نعلمه.. فالنفي هنا لعلمنا بالكيفية.

قال " منه بدأ بلا كيف قولاً " أي هو جلّ شأنه الذي قاله.. هو جلّ شأنه الذي تكلم به وسمعه منه جبريل وأنزله على نبيِّه وحيًا.. وأنزله على نبيّه وحيًا؛ أي كما قال سبحانه وتعالى: **{ وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ * نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ }**، كما قال جلّ وعلا: **{ تَنزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ الْعَالَمِينَ }**

" وأنزله على نبيهِ وحيًا وصدّقه المؤمنون على ذلك حقًّا " " وصدّقه المؤمنون على ذلك حقًّا " صدّقهُ أي صدّقوا الرسول عليه الصلاة والسلام. " على ذلك " أي على أن هذا كلام الله سبحانه وتعالى.

ومن المعلوم أن المرسل مهمته إبلاغ كلام مرسله، لا أن يأتي بشيءٍ من نفسه، وإنما مهمته – المرسَل – أن يبلغ كلام مرسِله، ونبيّنا عليه الصلاة والسلام مُرسل من رب العالمين **{ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ }** فهو – عليه الصلاة والسلام – بلّغ كلام الله سبحانه وتعالى.

ولهذا فإن قوله عزّ وجلّ: **{ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ }** أضاف القول إليه بوصف الرسالة التي تعني ماذا ؟ البلاغ. بوصف الرسالة التي تعني البلاغ؛ إبلاغ كلام المرسِل؛ قول رسول كريم: أي مبلِّغ عن قائله ومُرسِله ربّ العالمين جلّ شانه سبحانه وتعالى.

فالمؤمنون صدّقوا ذلك.. صدّقوا ذلك.. صدّقوا أن هذا القرآن وهذا الكلام الذي جاء به – عليه الصلاة والسلام – وحيٌ من الله، وبدأ الإيمان بهذا الرسول عليه الصلاة والسلام ينتشر بين الناس بدءًا بأُمِّ المؤمنين خديجة رضي الله عنها ثمّ صدِّيق الأمة وهكذا بدأ الإيمان بهذا الرسول عليه الصلاة والسلام وما يبلِّغُه عن الله جلَّ شأنه ينتشر بين الناس والمشركون من جهة يكذِّبون به – عليه الصلاة والسلام -، حتى قال رأس من رؤوسهم وأحد كُبرائهم وهو الوليد بن المغيرة.. قال: إن هذا إلا قول البشر، فقال الله سبحانه وتعالى: **{ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ }**، وهذا قولٌ لأحد هؤلاء المشركين يُكذِّبُ به أن يكون القرآن كلام الله سبحانه وتعالى.

ولما نشأت مقالة الجهمية.. المقالة الضالّة الآثمة الباطلة في كلام الله سبحانه وتعالى لم يكن لهم في هذه العقيدة سلفٌ في الصحابة الكرام والتابعين لهم بإحسان، وإنا سلفُهم في ذلك مثل الوليد بن المغيرة.. وكذلكم من قبلنا من الأمم ممن كذبوا بالأنبياء **{ إِنْ هَٰذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ }** في قراءة: **{ إِنْ هَٰذَا إِلَّا خَلْقُ الْأَوَّلِينَ }**

فادّعَوْا أن هذا مخلوقٌ، فكانوا سلفًا بذلكم لهؤلاء الضُّلَّال الذين تأسَّوْا بأعداء الأنبياء وخصوم الأنبياء فيما يقولونه من مقالات باطلة وكلماتٍ جائرة في حق الله أو في كلامه سبحانه وتعالى.

قال: " وصدَّقه المؤمنون على ذلك حقًا وأيقنوا أنه كلام الله تعالى بالحقيقة " " وأيقنوا أنه كلام الله تعالى بالحقيقة " أي كانوا معتقدين وهم في ذلك على يقين أن القرآن كلام الله سبحانه وتعالى وأنه هو سبحانه وتعالى الذي تكلَّم به جلّ شأنه وأيقنوا.

واليقين : هو العلم الجازم الذي لا شك فيه ولا ريب، وقد قال الله تعالى: **{ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا }** أي: أيقنوا ولم يشُكُّوا.

قال: " وأيقنوا أنه كلام الله تعالى بالحقيقة وليس بمخلوقٍ ككلام البريّة " " وليس بمخلوقٍ ككلام البريّة " البريّة مخلوقون وكلامهم مخلوقٌ مثلهم، فإذا قال قائل: إن القرآن مخلوق – تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيرا – فمعنى ذلك أن كلام الله ككلام البرية، فرجعت مقالة الجهمية إلى مقالة الوليد بن المغيرة القائل: إن هذا إلا قول البشر، فرجعت مقالتهم إلى قول أولئك: إن هذا إلا قول البشر، إن هذا إلاّ خَلْق الأوّلين، فرجعت مقالة هؤلاء الضُّلّال إلى مقالة خصوم الرسل وأعداء الرسل، أما أهل الإيمان بالله وبكتابه وبرسله صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين فإنهم " أيقنوا أنه كلام الله تعالى بالحقيقة "، أي آمنوا إيماناً جازماً لا شكّ فيه أنه كلام الله تعالى بالحقيقة وليس بمخلوقٍ ككلام البريّة.

من يقول أنه خُلق في الهواء أو خلق في اللّوح المحفوظ أو نحو ذلكم من المقالات؛ مقالته رجعت إلى، – كما أسلفت – إلى مقالة هؤلاء الضُّلّال الذين يجعلون كلام الله سبحانه وتعالى مخلوقاً ككلام البريّة – تعالى الله عمَّا يقول الظالمون علوًّا كبيرًا –.

قال: " فمن سمعه وزعم أنه كلام البشر فقد كفر "

يقول الإمام الطحاوي رحمه الله: " فمن سمعه " أي: القرآن " وزعم أنه كلام البشر فقد كفر "؛ الوليد بن المغيرة أوّل ما سمع القرآن عرف أنه ليس كلام بشر؛ كان صاحب فصاحةٍ وصاحب لسانٍ يعرف الشعر ويعرف منثور العرب ويعرف أقوالهم، يعرف ذلك، فلمّا سمعه أَقرّ واقتنع أنه ليس كلام البشر، ورجع إلى أصحابه وأخبرهم بهذا فاستهجنوا كلامه وعظَّموا مقالته، ففكر وقدَّر ثم نظر ثم عبس وبسر ثم أدبر واستكبر فقال: إن هذا إلا قول البشر، وإلا في بداية الأمر عرف لكن كابر وعاند وقال: إن هذا إلا قول البشر.

فالمصنف رحمه الله يقول: " فمن سمعه وزعم أنه كلام البشر فقد كفر، وقد ذمَّه الله تعالى وعابه وأوعده عذابه " " وقد ذمَّه الله تعالى وعابه وأوعده عذابه " أي أنه سبحانه وتعالى سيعذبه بالنار، فالذي يقول أن القرآن

كلام البشر، حيث قال: **{ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ }**، " فلما أوعد الله سقر لمن قال **{ إِنْ هَٰذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ }** علِمنا وأيقَنَّا أنه قول خالق البشر "، فالله جلَّ وعلا في هذا السياق المبارك توعَّد أنه سيُصْلي في سقر في النار من يقول أن القرآن قول البشر، فعلمنا من هذا السياق المبارك وأيقنّا أنه قول خالق البشر.

" ولا يشبهه قول البشر " يعني مهما أُوتي الإنسان من الفصاحة والبلاغة والبيان فلا يمكن أن يأتي بمثل كلام الله سبحانه وتعالى ولا آية.. وقد تحدَّى الله سبحانه وتعالى في القرآن فصحاء العرب وبلغائهم أن يأتوا بسورةٍ أو بآيةٍ من مثله في مواضع من كتابه سبحانه وتعالى؛ **{ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ }** فتحدَّاهم الله سبحانه وتعالى على الإتيان بسورةٍ من مثله أو آيةٍ من مثله في مواضع من كتابه سبحانه وتعالى.

والمحاولات التي وجدت في هذا الباب لم تخرج عن نتيجتين:

- إما إعلان العجز: بعض من حاولوا من الحكماء حينما طلب منهم تلاميذهم وطلابهم وعكفوا أيّاماً للوصول إلى ذلك خرجوا وأعلنوا عجزهم عن ذلك.

- والنتيجة الثانية: أن يأتي بكلام سخيفٍ أحمقٍ يدلُّ على سُخف قائلهِ وحماقته.

فهو كلامٌ لا يشبهه كلام البشر كما قال بعض السلف رحمهم الله قديماً: (من أراد أن يعرف الفرق بين كلام الله وكلام المخلوقين فهو كالفرق بين الله سبحانه وتعالى وبين المخلوقين)

قال: " ولا يُشبِهه قول البشر " والله سبحانه وتعالى بأسمائه وصفاته ومنها كلامه ليس كمثله شيءٌ – جلَّ شأنه –؛ قال الله تعالى: **{ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ }** وقال تعالى: **{ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا }** وقال تعالى: **{ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ }** وقال تعالى: **{ فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ ۚ }**

فقال المصنف: " ولا يُشبِهه قول البشر " أي يتنزّه كلامُ ربنا سبحانه وتعالى أن يُشبَّه بكلام البشر أو يُشبه به شيءٌ من كلام البشر، فهو لا يشبه قول البشر، " ومن قال أنه يشبه قول البشر فقد كفر " كما مر معنا في كلام المصنف رحمه الله تعالى.

قال: " ومن وصف الله بمعنىً من معاني البشر فقد كفر " سواءً في كلامه أو في صفاته أو في أفعاله أو في غير ذلكم، " من وصف الله بمعنى من معاني البشر فقد كفر "؛ أي فقد كفر بالله العظيم؛ لأن تشبيه الله سبحانه وتعالى بخلقه أو تشبيه شيءٍ من صفاته بشيءٍ من صفات خلقه كفر بالله سبحانه وتعالى.

قال: " فقد كفر، من أبصر هذا اعتبر " " من أبصر هذا " أي: من علم هذا ببصيرته وعقله للأمور وفهمه لهذه الحقيقة الجليّة الواضحة، " فمن أبصر هذا اعتبر " أي كان له في هذا الكلام الذي ساقه ولا سيما فيما أورده المصنف في قول الله سبحانه وتعالى **{ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ }** أي فيمن قال أنه كلام البشر.

قال: " فمن أبصر هذا اعتبر وعن مثل قول الكفار ازدجر " " وعن مثل قول الكفار " ومنهم الوليد بن المغيرة كما مرّ معنا قريباً، " وعن مثل قول الكفار ازدجر " أي أن هذه مقولةٌ أصلها ونشأتها وهي موروثةٌ عن أعداء الرسل قديمًا وحديثًا، أي في الأمم السابقة وفي من بُعث فيهم نبينا محمد صلوات الله وسلامه عليه.

قال: " وعن مثل قول الكفار ازدجر وعلم أن الله تعالى بصفاته ليس كالبشر " " وعلم أن الله تعالى بصفاته ليس كالبشر " ومن ذلكم ما يتعلق بالقرآن الكريم الذي هو كلام الله سبحانه وتعالى، والعقيدة فيه كما أسلفنا أنه كلام الله سبحانه وتعالى ألفاظُه ومعانيه، ليس ألفاظ القرآن دون المعاني كلام الله ولا أيضاً المعاني دون الألفاظ كلام الله بل ألفاظه ومعانيه كلام الله سبحانه وتعالى.

يقول الإمام الشيخ محمد بن مانع رحمه الله في تعليقه على عقيدة الامام الطحاوي رحمه الله يقول: " القرآن العظيم كلام الله لفظه ومعانيه، فلا يقال القرآن اللفظ دون المعنى كما هو قول أهل الاعتزال ولا المعنى دون اللفظ كما هو قول الكُلابيّة الضُّلّال ومن تابعهم على باطلهم من أهل الكلام الباطل المذموم، فأهل السنة والجماعة يقولون ويعتقدون أن القرآن كلام الله مُنزَّل غير مخلوق ألفاظُه ومعانيه عينن كلام الله، سمعه جبريل من الله والنبي صلى الله عليه وسلم سمعه من جبريل والصحابةُ سمعوه من النبي صلى الله عليه وسلم، فهو المكتوب بالمصاحف المحفوظ بالصدور المتلوُّ بالألسنة " انتهى كلامه رحمه الله تعالى.

والمراد بآخر قوله أي أن القرآن أينما توجَّه فهو كلام الله سبحانه وتعالى سواءٌ كتب في السطور أو حُفظ في الصدور أو تُلي بالألسن.. أينما توجَّه فهو كلام الله، فالكلام إنما ينسب لمن قاله ابتداءً لا لمن نقله أداءً.

نسأل الله عز وجل أن يزيدنا أجمعين تعظيماً لكتابه وأن يوفِّقنا لتعظيم القرآن الكريم وأن يوفقنا جميعا لتلاوته وتدبره والعمل به على الوجه الذي يرضيه سبحانه وتعالى، وأن يُصلح لنا شأننا كله وأن يهدينا إليه صِراطاً مستقيماً، إنه تبارك وتعالى سميع الدعاء وهو أهل الرَّجاء وهو حسبنا ونعم الوكيل.

برنامج
دراسة متون
العقيدة
(المستوى الثالث)
@mton_aqeda3

شرح العقيدة الطحاوية

للإمام أبي جعفر الطحاوي رحمه الله

لفضيلة الشيخ

عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر حفظه الله

الدرس (٧) إلىٰ الدرس (١٠)

الشيخ لم يراجع التفريغ

الدرس السابع

بسم الله الرحمن الرحيم

[الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. أما بعد:

فيقول الإمام أبو جعفر الطحاوي رحمه الله تعالى في عقيدته: " والرؤية حقٌّ لأهل الجنة بغير إحاطة ولا كيفية كما نطق به كتاب ربنا **{وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ (٢٢) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ }**، وتفسيره على ما أراده الله تعالى وعَلِمه، وكل ما جاء في ذلك من الحديث الصحيح عن الرسول صلى الله عليه وسلم فهو كما قال ومعناه على ما أراد، لا ندخل في ذلك متأوِّلين بآرائِنا ولا متوهِّمين بأهوائنا فإنه ما سَلِم في دينه إلا من سلَّم لله عز وجل ولرسوله صلى الله عليه وسلم وردَّ عِلْم ما اشتبه عليه إلى عالمه، ولا تثبت قدم الإسلام إلا على ظهر التسليم والاستسلام، فمن رام علمَ ما حُظِرَ عنه علمه ولم يَقنع بالتسليم فهمُه حجبه مرامه عن خالص التوحيد وصافي المعرفة وصحيح الإيمان فيتذبذب بين الكفر والإيمان والتصديق والتكذيب والإقرار والإنكار موسوسا تائهًا شاكًّا زائغًا، لا مؤمناً مصدقا ولا جاحدًا مكذِّبًا.

ولا يصح الإيمان بالرؤية لأهل دار السلام لمن اعتبرها بوهم أو تأوَّلها بفهم، إذ كان تأويل الرؤية وتأويل كل معنىً يضاف إلى الربوبية ترك التأويل ولزوم التسليم وعليه دين المسلمين "

<u>شرح الشيخ :</u>

الحمد لله رب العالمين وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله وسلم عليه وآله وأصحابه أجمعين.

أما بعد؛ في هذا الموضع يتحدث المصنف -الإمام الطحاوي رحمه الله تعالى- عن هذه العقيدة العظيمة المباركة التي دلَّ عليها كتابُ ربِّنا وسنة نبينا صلى الله عليه وسلم ألا وهي أن المؤمنين يرون ربهم سبحانه وتعالى يوم القيامة في جنات النعيم، وهذه أعظم كرامة وأجل عَطية وهي أعظم من عطاء لله سبحانه وتعالى لهم فيما يتعلق بنعيم الجنة ومتع الجنة وملذات الجنة، فرؤية الله سبحانه وتعالى أكبر من ذلك وأعظم، وهي كرامة عظمى ومنَّةٌ كبرى يكرم الله سبحانه وتعالى بها أهل الإيمان في جنات النعيم.

والمصنف رحمه الله و تعالى في هذا الموضع يقرّر هذه العقيدة ويثبتها ويشير إلى ما دلّ على ثبوتها، وفي أثناء ذلك -أثناء كلامه رحمه الله تعالى في إثبات الرؤية- ذكر كلاماً مطولاً بعض الشيء يتعلق بالتحذير من المسالك الباطلة والمناهج المنحرفة التي لا تقوم على قدم التسليم والإيمان والإقرار بما جاء به كتاب الله سبحانه وتعالى وسنة نبيّه صلوات الله وسلامه عليه، فأخذ رحمه الله يشير إلى تلك المسالك محذراً منها مبيناً خطورتها على أصحابها في عقائدهم وإيمانهم وعبادتهم لربهم سبحانه وتعالى.

بدأ رحمه الله الكلام بقوله " والرؤية حق " والرؤية حقٌّ: أي أن الرؤية – رؤية المؤمنين ربهم تبارك وتعالى في جنات النعيم- حقٌّ؛ أي أمرٌ ثابت متقرِّر دلَّ عليه كتاب الله سبحانه وتعالى ودلَّت عليه سنة النبي الكريم صلوات الله وسلامه عليه، فهو أمر حقٌّ ثابت لا مريةَ فيه -أمر حق ثابت لا مرية فيه – لقيام الدلائل العديدة عليه في الكتاب؛ كتاب الله جلّ وعلا وفي سنة النبي الكريم عليه الصلاة والسلام.

وأشار رحمه الله تعالى أو ذكر رحمه الله تعالى دليلاً على ذلك واحدًا من القرآن الكريم وهو قول الله سبحانه وتعالى : **{ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ (٢٢) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ }**، والقرآن دلَّ على هذه العقيدة في مواضع منها هذا الموضع الذي ذكره رحمه الله تعالى.

وكذلكم قول الله سبحانه وتعالى: **{عَلَى الْأَرَائِكِ يَنظُرُونَ (٢٣) تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ }** { ينظرون }: أي إلى الله سبحانه وتعالى، وهذا النظر الذي يكرمهم الله سبحانه وتعالى به في الجنة -النظر إلى الله عز وجل- له أثره عليهم نضرةً وحسنًا وجمالاً وبهاءً؛ مثلما قال الحسن البصري رحمه الله تعالى: "حُقَّ لها أن تكون ناضرة وهي تنظر إلى الله سبحانه وتعالى "، فالله جلّ وعلا يقول **{عَلَى الْأَرَائِكِ يَنظُرُونَ (٢٣) تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ }**

وكذلكم يقول جل وعلا: **{ لَهُم مَّا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ }**

ويقول جل وعلا: **{ ۞ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ }** والزيادة فسّرها نبينا عليه الصلاة والسلام كما ثبت الحديث بذلكم في صحيح مسلم من حديث صهيب الرومي رضي الله عنه أن الزيادة هي الرؤية، وكذلكم فسر السلف من الصحابة والتابعين الزيادة بذلك، وأيضا فسر السلف من الصحابة والتابعين المزيد في قوله **{ لَهُم مَّا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ }** فسروا المزيد برؤية الله جل وعلا.

كذلكم يدل على ثبوت الرؤية من القرآن قول الله سبحانه وتعالى: **{ كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ }** أي الكفار، وهذا الحجب سببه سخط الله عليهم وغضبه سبحانه وتعالى لكفرهم بالله، فحجبهم سبحانه وتعالى وحرمهم من هذا النعيم وعاقبهم بهذا العقاب فحرمهم من ذلك وحجبهم من ذلك، قال **{ كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ }**، فإذا كان هؤلاء حُجبوا للسخط فإن أهل الإيمان يكرمهم الله سبحانه وتعالى بالرؤية لرضاه سبحانه وتعالى عنهم، فمن نفى الرؤية لأهل الإيمان ساوى بين أهل الإيمان وأهل الكفر وأصبح الجميع عنده كلهم محجوبون عن رؤية الله سبحانه وتعالى، فهذه مما أيضاً استدل به أئمة السلف رحمهم الله تعالى على إثبات الرؤية من القرآن الكريم.

والسنة النبوية -سنة النبي صلى الله عليه وسلم- جاءت بإثبات الرؤية في مواضع كثيرة في الصحيحين وغيرهما بألفاظ صريحة وكلمات واضحة في تقرير الرؤية وإثباتها كقوله عليه الصلاة والسلام كما في حديث جرير البجلي رضي الله عنه أن النبي عليه الصلاة و السلام قال: ((**إنكم سترون ربكم يوم القيامة كما ترون القمر ليلة البدر لا تَضامُّون في رؤيته**)) فجاء الحديث صريحا عن النبي عليه الصلاة و السلام بإثبات الرؤية وأن المؤمنين يرون الله سبحانه وتعالى يوم القيامة عيانا بأبصارهم، فجاءت الأحاديث بذلكم عن رسول الله صلوات الله وسلامه عليه، ولهذه الدلائل المثبتة للرؤية قرّر المصنف رحمه الله هذه العقيدة بقوله " الرؤية حقّ " أي ثابتة لا مرية فيها ولا شك في ثبوتها لقيام الدلائل الواضحات والبراهين البينات على إثباتها من كتاب الله سبحانه وتعالى وسنة نبيه عليه الصلاة والسلام.

قال: " والرُّؤية حقٌّ لأهل الجنة " فهي كرامةٌ يكرم بها الله سبحانه وتعالى أهل الجنة وينعم عليهم بهذا النعيم الذي هو أعظم نعيم، ولهذا جاء في الصحيح — في صحيح مسلم- عن النبي عليه الصلاة والسلام أن أهل الجنة إذا دخلوا الجنة يقول الله سبحانه وتعالى: ((**هل تريدون شيئا أزيدكم ؟ فيقولون: ألم تبيّض وجوهنا ؟ ألم تدخلنا الجنة ؟ ألم تنجّنا من النار ؟ فيقول سبحانه وتعالى: إن لكم عندي وعدًا أنا منجزكموه -أو سأنجزكموه، أو كما جاء في الحديث- فيكشف الحجاب فينظرون إلى الله سبحانه وتعالى، فما أُعطوا شيئا أحبَّ إليهم أو أفضل من رؤية الله سبحانه وتعالى.**)) فهذه كرامة يكرم بها الله سبحانه وتعالى بها أهل الإيمان، يكرمهم بهذه الكرامة العظيمة والمنّة الكبيرة يكرمهم بها في جنات النعيم.

قال: " لأهل الجنة بغير إحاطة " فالرؤية ثابتة والإحاطة غير حاصلة، لأن الله سبحانه وتعالى تراه الأبصار ولا تدركه ولا تحيط به، والنبي عليه الصلاة والسلام قال: ((**إنكم ترون ربكم يوم القيامة كما ترون القمر**)) والقمر مع أنه مخلوق من مخلوقات الله سبحانه وتعالى نراه ولا نحيط به رؤية، فالرؤية ثابتة لكن الإحاطة غير حاصلة أو غير واقعة، ولهذا قال الله سبحانه وتعالى: **{لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ }** لأن الإدراك هو الإحاطة، فنفى الإدراك، ونفيُ الإدراك لا يستلزم نفيَ الرؤية، فالرؤية تقع والإدراك لا يكون. ولهذا قال المصنف رحمه الله تعالى " بغير إحاطة " أي أنهم يرون الله سبحانه وتعالى لكن هذه الرؤية لا تكون رؤيةً بإحاطة، والله سبحانه وتعالى أعظم من أن يحيط به خلقه علمًا أو بصرًا أو نظرًا، الله سبحانه وتعالى أعظم من ذلك.

قال: " من غير إحاطة ولا كيفية " ونفيُ المصنف رحمه الله تعالى للكيفية هو نفيٌ على جادّةِ السلف في نفيها، وهو نفي العِلم؛ بمعنى أنهم يرون الله سبحانه وتعالى رؤية حقيقية.. رؤية ثابتة، والرؤية هذه لها كيفية وهي ثابتة، لكنهم يرونه سبحانه وتعالى وهذه الرؤية ثابتة لكن لا نكيف؛ لا نخوض في هذا الأمر بكيف. والشأن في هذا الباب كالشأن في جميع ما ورد من الأمور التي تكون يوم القيامة من صفات الربّ سبحانه وتعالى ونحو ذلك؛ نثبتها ونقرُّ بها لكن لا نخوض في كيفيتها ولا نعلم كيفيتها.

فليس النفيُ نفيًا لوجود الكيفية، فالرؤية ثابتة ولها كيفية ومتحققة، لكن النفي هنا مُنصَبٌّ على العلم –علم العبد بذلك–، ولهذا قال:"بلا كيف"، كقول السلف رحمهم الله في الصفات: " أمِرُّوها كما جاءت بلا كيف " ومرادُهم " بلا كيف ": أي بلا تكييف.. بلا كيف نعلَمُهُ، فليس نفيًا للكيف أو لوجوده وإنما نفيًا للعلم به.. وإنما هو نفيٌ للعلم به.

والمصنف كما مرَّ معنا أثبت الرؤية وقال إنها حقٌّ، ونفى التكييف؛ يعني أن يخوض الإنسان في هذا الباب ببحث عن كيفيات بأمور هي مغيَّبةٌ عنه لا سبيل له بالعلم بها.

قال: " بغير إحاطةٍ ولا كيفيةٍ كما نطق به كتاب ربِّنا " أي كما نطق كتاب ربنا بهذا الأمر و بإثبات هذا الأمر وهو رؤية الله سبحانه وتعالى، وأشار رحمه الله إلى دليلٍ واحد من القرآن على ذلكم لأن الكتاب الذى كتب والمصنَّف الذي صنَّف مُصنَّفٌ مختصرٌ لا مجال فيه لبسط الأدلَّة، فاقتصر رحمه الله تعالى على دليل واحد وهو قول الله عز وجل **{وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ (٢٢) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ }** وهو أصرح دليل في القرآن على إثبات الرؤية، قال **{وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ }** { ناضرة }: من النَّضرة أي الحسن والجمال والبهاء؛ **{وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ }**

أي: حسنة جميلة بهيّة مشرقة؛ مثل ما مر قبل قليل معنا: قال { **تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ** } أي على وجوههم نضرةُ؛ حسنٍ وجمالٍ وبهاءٍ يكسو وجوههم، فقوله: {**وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ**} أي: حسنة بهية. { **إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ** } لاحظ هنا أن النظر أضاف إلى الوجه الذي هو موضع الإبصار والذي فيه العينان؛ فأضاف النظر إلى الوجه قال { **وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ (٢٢) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ** }، فأضاف النظر إلى الوجه الذي هو محل الإبصار وفيه العينان، وعدّى النظر بـ { إلى }؛ قال { **إِلَىٰ رَبِّهَا** } عدَّاهُ بـ " إلى " والنظرُ إذا عُدِّيَ بـ (إلى) لا يكون إلا النظر بالباصرة.. بالعين، فكيف إذا انضم إلى ذلك إضافة ذلكم إلى الوجه الذي هو محل النظر، أما اذا عُدِّيَ النظرُ بنفسه قالوا { **انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ** } فهو بمعنى الانتظار، وإذا عُدِّيَ بـ (في){ **أَوَلَمْ يَنظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ** } فهو بمعنى التفكر والاعتبار، لكن إذا عُدِّيَ بـ (إلى) { **إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ** } { **فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ إِلَىٰ طَعَامِهِ** } {**أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ**} هذا كله نظر بالباصرة؛ بالعين، فالنظر إذا عُدِّيَ بـ (إلى) إنما يكون النظر الذي بالعين، ومعرفة ذلك يتبين به خطأ المتأوِّلة الذين لا يثبتون الرؤية ويحملون النظر هنا على معنى الانتظار أو على معنى التفكُّر والاعتبار، وهذا خطأ.. خطأٌ لا تسعفهم فيه اللغة في دلالتها لأن النظر إذا عُدّيَ بنفسه كان بمعنى الانتظار وإذا عُدّي بـ (في) كان بمعنى التفكّر والاعتبار، أما إذا عُدّي بـ (إلى) فإنه لا يكون إلاَّ بالنظر بالباصرة التي هي العين، فكيف إذا انضمّ إلى ذلكم إضافة هذا النظر إلى الوجه؛ قال { **وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ** }، وإذا قيل إن المراد بالنظر هنا الانتظار.. يُفسدون بهذا الفهم معنى الآية ومدلولها، لأن المعنى ماذا سيكون ؟ { **وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ** } أي حسنة بهيّة { **إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ** } أي منتظرة ثوابَ الله !! يعني لم تُثَبْ بعد ولم يصل إليها الثواب بعد وهي منتظرة ثواب الله سبحانه وتعالى وهي { ناضرة } – يعني حسنة بهيّة ! المعنى يذهب ويضيع تماما، لكن معنى الآية كما هو واضح و متقرر أن وجوه أهل الإيمان في الجنة تنظر إلى الله سبحانه وتعالى فيثمر هذا النظر أن تكسى تلك الوجوه نضرة و حسنا و بهاءً لفوزهم بهذا النعيم العظيم ألا وهو النظر إلى وجه ربهم الكريم سبحانه وتعالى.

قال { **وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ (٢٢) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ** } قال: " وتفسيره على ما أراد الله تعالى " " وتفسيره " يعني تفسير هذا في الآية على ما أراد الله تعالى وعَلِمه، وينبغي أن يُحمَل قول المصنف رحمه الله تعالى على التكييف وما يتعلق بالكيفية، لماذا ؟ لأن المصنف مرَّ معنا قريبا أنّه أثبت الرؤية وقال إنها حق وقرّرها و استدل لها، والرؤية معناها.. تفسيرها من حيث المعنى معناها واضح ليس خافٍ.

فإذن المصنف لما قال " تفسيره " لم يرد بذلك تفويض المعنى.. لم يرد بذلك تفويض المعنى بمعنى أن: الرؤية معناها مجهول لم يُعرف.. لم يرد ذلك، وإنما أراد نفيَ علمنا بالكيفية وأن كيفية ذلك على ما أراده الله سبحانه وتعالى وعلِمه، وخاصةً أنّه قريبًا قال " ولا كيفيّة " فتفسير ذلكم أي الكيف الله أعلم به، فيحمل كلام المصنف على أنه أراد بذلك التكييف أو الكيفية، فكيفية ذلكم الله أعلم سبحانه وتعالى أعلم بذلك، ويحمل على هذا المحمل لأنه مرّ معنا إثباته رحمه الله للرؤية وتقريره أنها حقّ واستدلاله لها بالدليل الواضح الصريح على ذلك من كتاب الله سبحانه وتعالى.

قال: " وتفسيره على ما أراد الله تعالى وعَلِمَه " يعني إذا قيل: كيف ذلكم ؟ يقال: على ما أراد الله وعلى ما علمه الله سبحانه وتعالى؛ يفوِّض العلم بكيفية ذلكم إلى الله سبحانه وتعالى؛ مثل ما قال الإمام مالك رحمه الله تعالى للسائل الذي جاءه: { الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ } كيف استوى؟ قال له: " الاستواء معلوم والكيف مجهول والإيمان به واجبٌ والسؤال عنه بدعة " ومراده رحمه الله بقوله " الاستواء معلومٌ " أي المعنى.. معناهُ معلوم؛ من حيث المعنى نعرف؛ فرقٌ؛ نعرف الفرق بين (استوى) مثلاً ونزل وغضب و رضي إلى غير ذلك..هذه كلها ألفاظ معانيها معلومة ومدلولاتها معلومة.

قال: " الاستواء معلوم " أي من حيث المعنى " والكيف " ؟ قال " مجهول "، ولم يقل رحمه الله " معدوم " لأن الكيف موجودٌ؛ صفات الله سبحانه وتعالى لها كيفية، لكن النفي هنا منصبٌّ على العلم، " الكيف مجهول " أي لا نعلمه، لا علم لنا بالكيف، فالله سبحانه وتعالى أخبرنا بالصفات ولم يخبرنا بكيفيتها، فنثبت ما أخبرنا الله به وما لم يأتِ به الخبر في الكتاب ولا في السُّنّة لا نقول به ولا نخوض فيه بغير علم.

قال: " وكل ما جاء في ذلك من الحديث الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو كما قال " أي هو حقٌّ كما قال عليه الصلاة والسلام ونؤمن به، ومن ذلكم الأحاديث العديدة الثابتة عن الرسول عليه الصلاة والسلام الصّريحة في إثبات الرؤية.. رؤية المؤمنين لربهم سبحانه وتعالى يوم القيامة، قال: " فكل ما جاء في ذلكم من الأحاديث الصحيحة عن رسول الله صلى الله عليه و سلم فهو كما قال " أي فهو حقٌّ كما قال صلوات الله وسلامه عليه ونثبته ونؤمن به ونمرُّه كما جاء عن رسولنا صلوات الله وسلامه عليه.

قال: " ومعناهُ على ما أراده الله " معناه على ما أراده الله: وهذه أيضا كسالِفتها توهم –يعني مثل هذه العبارات توهم تفويض المعنى– لكن إذا عرفنا أن المصنف رحمه الله قرّر إثبات الرؤية وأنها حقٌّ واستدل لها من كتاب الله

سبحانه وتعالى وأثبتها، فكلامه ذلكم يحمل على نفي التكييف أو نفي التفسيرات الباطلة والتأويلات الباطلة مما سيشير إلى بعضه محذرًا منه رحمه الله تعالى، ولهذا قال: " ولا ندخل في ذلك متأولين بآرائنا " معناه على ما أراد الله معناه، ومراد الله سبحانه و تعالى من هذه الصفات واضح.. المراد واضح.. المعنى واضح.. نحن خوطبنا بمعان واضحة، لم نخاطب بألفاظ لا يفهم معناها، بل كتاب الله سبحانه و تعالى بلسانٍ عربي مبين.. واضح.. بيّن واضح.. ليس بالألغاز ولا الأحاجي ولا الكلام الذي لا يُفهَم، بل هو كلام واضح المعنى، فعلى مراد الله سبحانه و تعالى والمراد ظاهر أن نثبت ما أثبته الله وأن نثبت ما أثبته رسوله صلوات الله وسلامه وبركاته عليه.

قال: " ولا ندخل في ذلك متأوِّلين بآرائنا " وهذا فيه تحذيرٌ من المصنف رحمه الله تعالى من التأويلات الباطلة التي يعمل أصحابها على صرف النصوص التي تثبت الرؤية فيحملونها على معانٍ بعيدة مثل ما مرّ معنا قريبا **{ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ (٢٢) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ }** قالوا: أي منتظرة لثواب الله، قالوا { ناظِرَةٌ } أي منتظرة لثواب الله، فقول منتظرة لثواب الله قرروا مع مخالفة لدلالة اللغة فرارا من إثبات ماذا ؟ الرؤية. فرارا من إثبات الرؤية. ولهذا حذر المصنف رحمه الله تعالى من مثل هذه المسالك؛ قال: " ولا ندخل في ذلك متأوِّلين بآرائنا " يعني لا نصرف هذه النصوص عن دلالاتها الظاهرة ومعانيها البيّنة إلى معانٍ بعيدة بآرائنا.. بأهوائنا.

قال " ولا ندخل في ذلك متأوِّلين بآرائنا ولا متوهمين بأهوائنا " " ولا متوهمين بأهوائنا " وهذه حالة أهل البدع الذين يتوهمون شيئا ثم ينبني على هذا التوهم دخولهم في أهواء باطل وضلالات شنيعة مثل ما حصل منهم في هذا الباب؛ أن توهموا أن إثبات الصفات لله سبحانه و تعالى يقتضي التشبيه فماذا حصل لما وقعوا في هذا التوهُّم ؟ فرُّوا من هذا الشيء الذي توهَّموه إلى تعطيل صفات الله سبحانه وتعالى الثابتة له — جلَّ شأنه– في كتابه وفي سنة نبيّهِ صلوات الله وسلامه وبركاته عليه. فتوهّموا أولا توهُّمًا خاطِئًا وبنوا على هذا التوهُّم الخاطئ نفي صفات الله سبحانه وتعالى، ولهذا حذّر المصنِّف رحمه الله من هذه التوهُّمات وبيَّن ما تجنيه على أصحابها من عقائدَ وأهواء وضلالاتٍ عديدة.

قال " ولا متوهمين بأهوائنا " أي لا نمضي في آيات الصفات وأحاديث الصفات بالأوهام، لا نمضي فيها بالأوهام؛ لأن حال أهل البدع أنهم يمضون في هذا الباب بالأوهام، وبناء على الأوهام الخاطئة والظّنون الفاسدة يبدؤون في ماذا ؟ في صرف النصوص عن دلالاتها؛ عندما يقرأ مثلاً **{ الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ }** يتوهم

أنه إذا أثبت الاستواء لله تبارك وتعالى على العرش حقيقةً أن يكون هذا مثل استواء الإنسان على السفينة ومثل استواء الرجل على الدابّة وأنه محتاجٌ إليها، ولهذا يقولون: لو أثبتنا الاستواء لله حقيقةً لَلَزِم من ذلك أن يكون الله محتاجاً إلى العرش. هذا توهُّم ومبنيٌّ على قياس فاسد لصفات الله جلَّ شأنه بصفات المخلوقين. فلما وُجِد لديهم هذه التوهُّمات الفاسدة والظنون الباطلة بنوا عليها نفي الصفات وتحريفها وصرفها عن دلالاتها؛ ولهذا يحذر المصنف – رحمه الله – من مثل هذه المسالك بقوله: " ولا متوهمين بأهوائنا "

قال: " فإنه ما سَلِمَ في دينه " أي: لا يسلم لأحد دينُه " فإنه ما سلم في دينه إلا من سَلَّم لله عز وجل ولرسوله عليه الصلاة والسلام " لا يمكن أن يسلم للإنسان دينه إلا إذا سلم الأمر لله واستسلم لله سبحانه وتعالى وتلقّى ما جاء عن الله بالتسليم والقبول مثل ما قال الإمام الزهري – رحمه الله – في كلمته العظيمة الجليلة قال: " من الله الرسالة وعلى الرسول البلاغ وعلينا التسليم " فلا يمكن أن تكون سلامة إلا بالتسليم، لا يسلم العبد من الخطأ.. من الزلل.. من الانحراف.. من الباطل إلا بالتسليم، فالله جل وعلا منه الرسالة والنبي عليه الصلاة والسلام عليه البلاغ وبَلَّغ البلاغ المبين وعلينا التسليم؛ أن نُسلّم **{ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ }**، فالمسلم يجب عليه أن يقف في هذا الباب وفي جميع أمور الدين على قدم التسليم، يُسلم الأمر لله سبحانه وتعالى فلا يعترض ولا ينتقد ولا يقابل ما جاء عن الله وعن رسوله صلى الله عليه وسلم بهواه أو برأيه أو بعقله أو بوجده أو بذوقه أو بغير ذلك **{ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا}** فلا تكون السلامة إلا بالتسليم.

قال: " فإنه ما سلم في دينه إلا من سلَّم لله عز وجل ولرسوله عليه الصلاة والسلام " لا يمكن أن يسلم دينٌ إلا بهذا.

قال: " فإنه ما سلم في دينه إلا من سلَّمَ لله عز وجل ولرسوله عليه الصلاة والسلام وردَّ ما اشتبه عليه إلى عالِمِه " والاشتباه هنا يحتمل أن يراد به أحد أمرين:

- إما الاشتباه من حيث الكيفية: وهذا الاشتباه اشتباه مطلق لا سبيل إلى العلم به، هذا النوع من الاشتباه هو اشتباه مطلق لا سبيل إلى العلم به، فالكيفية لا علم لنا بها ولا سبيل لأحد إلى أن يعلم

الكيفية ؛ لأن العلم بكيفية الشيء لا بدَّ فيها من أمور حتى يتحقق له العلم بالكيفية وهي منتفية، فالكيفية لا سبيل إلى لعلم بها.. كيفية صفات الله سبحانه وتعالى.

- فالاشتباه إما أن يراد به الكيفية فيكون الاشتباه هنا مطلق لا علم لأحد به.
- أو يكون الاشتباه في المعنى، أو يكون أراد بالاشتباه هنا في المعنى، فلا يكون مطلقاً وإنما يكون نسبياً؛ لأنه ليس في آيات الصفات ما هو مشتبه المعنى اشتباهاً مطلقاً بحيث لا يعلمه أحد، ليس في آيات الصفات ولا أحاديث الصفات ما هو مشتبه اشتباهاً مطلقاً بحيث لا يعلمه أحد.

فإذا كان المراد بالاشتباه هنا من حيث الكيف فالاشتباه مطلق، وإن كان المراد من حيث المعنى فهو نسبي.

فقول المصنف: " ورَدَّ ما اشتبه عليه إلى عالمه " إذا سئل مثلاً عن كيفية صفات الله، هذا معلوم ولا مشتبه ؟ ليس بالمعلوم، هذا أمر مشتبه لا نعلمه، ولهذا تأمل الآية الكريمة قال: **{مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ }** التشابه هنا إما أن يكون المراد به من حيث الكيف فهو مطلق ويجب أن نقف على قوله :**{ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ ۖ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ }** المتشابه تشابه مطلق هذا لا يعلم تأويله إلا الله ويجب أن نقف على **{ إِلَّا اللَّهُ }**، وإذا أريد بالتشابه من حيث المعنى فيجوز الوصل **{ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ ۗ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ }** أي يعلمون تأويله ؛ ولهذا جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال : " أنا من الراسخين في العلم الذين يعلمون تأويله."

فإذن التشابه قد يراد به الكيف فيكون تشابهاً مطلقاً، وقد يراد به المعنى فيكون تشابهاً نسبياً، يعني يشتبه على البعض لكن لا يشتبه على من ؟ لا يشتبه على الراسخين في العلم؛ الراسخة أقدامهم في العلم لا يشتبه عليهم .

إذن إذا اشتبه على الإنسان الأمر ماذا عليه أن يصنع ؟ قال : " ورد ما اشتبه عليه إلى عالمه " إن كان من حيث الكيف يردُّ المشتبه عليه إلى عالمه ويقف عند هذا الحد، لكن إذا كان من حيث المعنى؛ اشتبه عليك معنى من المعاني المتعلقة بآيات الصفات فماذا عليك حال اشتباهه عليك ؟ تردُّ المعنى إلى عالمه؛ تقول: الله أعلم، لا تخوض بلا علم فيما اشتبه عليك معناه، لكن في الوقت نفسه ماذا ؟ تسعى سعياً صحيحاً إلى العلم بمعناه؛ لأن العلم بمعناه معروف لدى الرّاسخين، لدى المحققين.

فإذا كان من حيث الكيف تكِلُه إلى عالمه وتقف، أما من حيث المعنى تكله إلى عالمه حال اشتباهه عليك وتعمل على ماذا ؟ تعمل على معرفته بالطرق والمسالك الصحيحة المعتبرة .

قال: " ورد ما اشتبه عليه إلى عالمه، ولا يثبت قدم الإسلام إلا على ظهر التسليم " لا تثبت قدم المسلم ولا تكون قدمه ثابتةً في هذا الدّين وخطواته صحيحة وسيره مستقيماً إلا إذا كان مستسلماً، أما إذا كان –والعياذ بالله– يقابل الأحكام والأوامر بالاعتراض ويقابل الأخبار والعقائد بالانتقاد؛ لا يُسلّم بل يعترض: في صفات الله يبحث مثلاً عنها بـ (كيف) ؟ وفي أفعال الله سبحانه وتعالى يبحث عنها بـ (لِمَ) ؟ ، لِمَ فعل الله ؟ ولِمَ كذا ؟ ولِمَ لم يحكم بكذا ؟ فلا يُسلّم وإنما يمضي معترضاً منتقداً، فبمثل هذه المسالك لا تثبت قدم الإسلام، لا تثبت للمسلم قدم بل ينحرف ويزيغ مثل ما سيأتي توضيح المصنف – رحمه الله تعالى – لذلك. فالقدم لا تثبت إلا بالتسليم.

قال: " ولا يثبت قدم الإسلام إلا على ظهر التسليم " يعني إلا أن يكون العبد مستسلماً يتلقى ما يأتيه عن الله وما يأتيه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتسليم وهذه مهمة العبد، مهمته أن يُسلم وأن يستسلم وأن ينقاد ، أما إذا كان كل ما جاءه أمر اعترض وكل ما جاءه خبر انتقد؛ ولماذا هذا ؟ ولماذا لم يكن كذا ؟ لماذا لم يؤمر بكذا ؟، فبمثل هذه الاعتراضات والانتقادات لا تثبت للإنسان قدمٌ في الإسلام أو سيراً على النهج الصحيح والمسلك المستقيم في دين الله تبارك وتعالى .

" ولا يثبت قدم الإسلام إلا على ظهر التسليم ومن رام ما حُظر عنه علمه " مثل التكييف، التكييف حظر عنا علمه، لا سبيل لنا إلى العلم به، " فمن رام ": أي من طمعت نفسه أن تعلم الأمر الذي حظر عنها علمه، إلى ماذا ستكون النهاية ؟ يعني الإنسان الذي يريد أن يتخطى حدود مقدوره وما يسَّر الله سبحانه وتعالى له علمه، نحن في الأمور المشاهدة المحسوسة عندما يحاول الإنسان أن يتجاوز حده وقدرته.. قدرته مثلاً في السمع أو قدرته مثلاً في البصر أو قدرته مثلاً في الشمّ أو نحو ذلك.. تجده إذا حاول أن يتجاوز حدَّه يحاول محالاً؛ مثل شخص مثلاً في هذه المنطقة يريد أن يستمع بأذنه ما يقال في أقصى الدنيا؛ يقول: أنا أريد أن أتنصت وأحاول أن أسمع ما يقال مثلاً في أقصى الدنيا بسمعه المجرد، يريد أن يصل بسمعه المجرد إلى شيء فوق حده، لا يُحصِّل شيئًا بل يحاول محالاً، فإذا كان سمع الإنسان له حدود وبصره له حدود وحواسه الأخرى

لها حدود أيضاً، أيضا عقله له حدود، فإذا جاوز الإنسان بعقله حدوده — ما حُدَّ للعقل— فإنه يقع في أنواعٍ من الباطل وأنواعٍ من الضلالات.

ولهذا يقول: " ومن رام ما حُظر عنه علمه ": حُظر أي منع، الحَظْر: المنع، " من رام ما حُظر عنه علمه ولم يقنع بالتسليم " مثال: لو أن شخصاً جاءه حُكمٌ من الأحكام والحكمة من ذلك الحكم ليست معروفة وأخذ يحاول أن يستظهر الحكمة ويبني العمل بذلك الحكم على معرفة الحكمة فلا ينقاد ولا يستسلم لذلكم الأمر ويحاول في الوقت نفسه أن يصل إلى علم ما حُظر عنه وما منع منه ، فإذا كان الإنسان بهذه الصفة " من رام ما حُظر عنه علمه ولم يقنع بالتسليم فهمه حَجَبَهُ مرامُه عن خالص التوحيد " حجبه مرامُه؛ يعني هذا المرام الذي قام في قلبه أو المطلب الذي قام في قلبه عن خالص التوحيد؛ لأن خالص التوحيد إنما ينتظم بالإيمان بالله و بأقدار الله مثل ما قال ابن عباس رضي الله عنهما: " الإيمان بالقدر نظام التوحيد فمن وحد الله وكذَّب بالقدر نقض تكذيبُه توحيدَه ."

أين توحيد العبد إذا كان يعترض وينتقد ويتلقى أوامر الله وأحكامه بالاعتراض؛ لِمَ كذا ؟ لِمَ كذا ؟ حقيقة الموحد أن يقول: بِمَ أمر الله ؟ ! حقيقة الموحد والتوحيد أن يقول بِمَ أمر الله ؟ !! ، حتى ينقاد لأوامر الله ، لكن إذا رأيت شخص يقول لِمَ أمر الله ؟ هذه تدل على أنه ليس عنده تهيؤ ولا إقبال على الانقياد لأوامر الله سبحانه وتعالى وما دعاه إلى القيام به، فرق بين من يقول: لِمَ أمر الله ؟ ومن يقول: بِمَ أمر الله ؟ ، الذي يقول لِمَ أمر الله ؟ كلمته هذه تدل أنه ليس متهيئا ولا مستعدًّا للاستسلام والانقياد ، أرأيتم شخصاً أمره آمر بشيء وقال : لِمَ ؟ لِمَ أمرتني بكذا ؟ هل هذه الكلمة تدل على استعداده وتهيؤ نفسه ؟؟ فرق بين من يقول: لِمَ أمر الله ؟ ومن يقول: بِمَ أمر الله ؟ الذي يقول: بِمَ أمر الله مستعد للعمل وسؤاله وبحثه في الذي أمره الله سبحانه وتعالى به ليفعله، أما الذي يقول: لِمَ ؟ فهذا غير متهيِّئ ولا مستعد للعمل وإنما قام على الانتقاد والاعتراض، والله سبحانه وتعالى يقول: **{لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ }** فهذا باقٍ على الاعتراض والانتقاد وليس متهيئًا للاستسلام والانقياد لأوامر الله سبحانه وتعالى، ولهذا يحجبه هذا المرام عن خالص التوحيد وصافي المعرفة وصحيح الإيمان.. كيف تصح منه هذه الأشياء وهو شخص يتلقى أحكام الله بالانتقاد والاعتراض وعدم الاستسلام والانقياد؟

ثم إنه بهذا المسلك، مسلك عدم الاستسلام وتلقِّي الأحكام بالاعتراض والانتقاد يجني على نفسه جناية عظيمة جداً فتصبح حاله كما وصف المصنف - رحمه الله تعالى — بقوله: " فيتذبذب بين الكفر والإيمان

والتصديق والتكذيب والإقرار والإنكار " يصبح بهذا جنى على نفسه لما أصبح يتلقى أوامر الله وأحكامه وما جاء عنه سبحانه وتعالى بالاعتراض بالانتقاد لا يقابلها بالتسليم يكون بذلكم جنى على نفسه جناية عظيمة لأن ذلكم يؤدي به إلى التذبذب، يصبح إنساناً متذبذباً بين الكفر والإيمان والتصديق والتكذيب والإقرار والإنكار " موسوساً تائهاً ": يعني تجره وتجني عليه، يجني عليه شؤم عقيدته إلى أن يكون بهذه الحال موسوساً شاكاً تائهاً محتاراً لا يدري ما يعتقد كثيرَ التلوُّن كثير الانتقال من عقيدة إلى عقيدة من قول إلى قول من رأي إلى رأي، وهذه حال أهل الباطل لا يقر لهم قرار، وما أكثر تلونهم في العقائد والأديان.

ولما كان السلف رحمهم الله يذمون أهل البدع بأنواع من الذم، مما ذمُّوهم به التلوُّن في الدين؛ يقولون: " إياكم والتلون في الدين " لأن مثل هذه الطرائق تجر الإنسان إلى التقلُّب؛ تجده يُصبح في عقيدة ويمسي في عقيدة أخرى وينتقل من عقيدة إلى عقيدة متذبذباً تائهاً شاكاً لا يقر له قرار ولا يثبت له اعتقاد.

أحد هؤلاء جاء مرة إلى الحسن البصري – رحمه الله – وقال له : أريد أن أتناظر معك – يعني عنده شكوك وعنده اضطرابات – فجاء إلى الحسن وقال: أريد أن أتناظر معك بما يحمله من شبهات وشكوك واضطرابات، قال: *" أما أنا فعلى بَيِّنةٍ من ديني، وأما أنت فرجل شاكٌّ فابحث عن رجل شاكٍّ مثلك تناظر معه "* " أما أنا فعلى بينةٍ من ديني " الدين: قال الله قال الرسول صلى الله عليه وسلم *" من جعل دينه عرضة للخصومات، أكثر التنقل "* هكذا قال السلف، لأن لا يثبت على عقيدة.

أحد هؤلاء جاء للإمام مالك رحمه الله وقال له: " أريد أن اتناظر معك " قال له مالك رحمه الله: " فإن غلبتني ؟ " قال: " تتّبعني " قال: "فإن غلبتك ؟" قال: "فأتَّبِعك "، قال: " فإن جاء شخص ثالثٌ وغلبنا ؟ " قال: " نتبعه " قال: " يا هذا الدين ليس لمن غلب " ليس الدين يُجعل بهذه الطريقة عرضة للخصومات، الآن قد يأتي عوام جهال علمهم بمسألة الدين قليلة ويتناظرون، وبعضهم إذا أراد أن يناظر صاحبه يَفصل عن أكمامه من أجل المناظرة، والعلم بمعزل عنهم، ثم يقول أحدهما: أَسْكَتُّه ! وربما كان كل من المتناظريْن من أجهل الناس بدين الله سبحانه وتعالى وأبعدهم عنه. دين الله ليس للمناظرة وليس الدين لمن غلب. الدين قال الله قال رسوله صلى الله عليه وسلم. ولهذا قال له مالك رحمه الله: " ياهذا ! الدين ليس لمن غلب " ليست القضية أن يتجادل المتجادلان ويكون الحق مع الغالب، الحق قال الله قال رسوله صلى الله عليه وسلم. قد يتناظر اثنان في مسألةٍ من مسائل الدين وأحدهما يُسكت الآخر ويكون كلاهما بعيدًا عن الحق وبمعزل عن الحق،

الدين قال الله قال رسوله صلى الله عليه وسلم. نعتقد كذا لقول الله تعالى كذا، ونعتقد كذا لقول رسوله صلى الله عليه وسلم كذا، أما الآراء والأهواء والفلسفات والمنطق وعلم الكلام وغير ذلك.. كله هذه لا يبنى عليها دين الله سبحانه وتعالى، دين الله قال الله قال رسوله صلى الله عليه وسلم، ولهذا من لا يثبت على قدم التسليم ولا يتلقى ما جاء عن الله ورسوله صلى الله عليه وسلم بالتسليم يصل إلى هذه المرحلة التي وصف المصنف رحمه الله؛ قال: " فيتذبذب بين الكفر والإيمان، والتصديق والتكذيب، والإقرار والإنكار، موسوسا تائها، شاكا زائغًا، لا مؤمنا مصدِّقًا ولا جاحدًا مكذبا " لأن هذه الموروثات التي عند الكلاميّة والمنطقية والفلسفيّة والآراء التي ملأ نفسه بها وشحن نفسه بها تجعله هذه المرتبة وبهذا الحال " لا مؤمنا مصدِّقًا " لأن شكوكه وشبهاته تحجبه عن حقيقة الإيمان وصحاح المعرفة وصحاح الإيمان لما ذكر المصنف قبل قليل. " ولا جاحدا مكذبا " لا يجحد عمدا وقصدا ويقول لا أقبل الكتاب ولا أقبل السنة، ولكنه يظنه بمثل هذه الطريقة مقرًّا بالكتاب ومقرًّا بالسنة وفي الوقت نفسه عنده هذا الجحد وهذا التكذيب وعدم الإيمان بما جاء في كتاب الله وسنة نبيه صلوات الله وسلامه عليه.

هذا كله ذكره المصنف في أثناء كلامه على الرؤية تحذيرا من مثل هذه المسالك الباطلة والمناهج المنحرفة.

ثم رجع إلى موضوع الرؤية الذي هو بدأ بالحديث عنه رحمه الله ..قال: " ولا يَصِحُّ الإيمان بالرؤية " أي رؤية المؤمنين لله سبحانه وتعالى لأهل الإسلام في دار السلام أي في الجنة " ولا يصح الايمان بالرؤية لأهل دار السلام لمن اعتبرها بوهم أو تأولها بفهم " يعني لا يكون إيمانه بالرؤية صحيحا إذا كان بنى ذلك على أوهام، وأخذ يتوهم في الرؤية بأوهام وظنون لا تصح ومعان لا تستقيم، فمن كان كذلك لا يصح إيمانه بالرؤية " لمن اعتبرها بوهم أو تأولها بفهم " يعنى أخذ يتأوَّلُ معنى الرؤية الصحيح الثابتة بالفهوم الخاطئة التي وُجدت عند أرباب البدع وأهل الباطل.

فمراده بقوله " بفهم " أي بالفهوم الباطلة، فإذا وجد عند الإنسان فهم باطل هل سيثبت الرؤية أو يتأولها ويصرفها عن معناها الحق الذي دلّ عليه كتاب الله وسنة نبيه صلوات الله وسلامه عليه ..قال: " ولا يصح الايمان بالرؤية لأهل دار السلام لمن اعتبرها بوهم أو تأولها بفهم إذ كان تأويلُ الرؤية وتأويلُ كل معنى يضاف إلى الربوبية ترك التأويل "

" إذ كان تأويل الرؤية ": تفسيرها " وتأويل كل معنى يضاف إلى الربوبية ": يضاف إلى الله سبحانه وتعالى " ترك التأويل " ومراده بالتأويل أي التأويلات الباطلة.

قال رحمه الله تعالى " ولا يصح الايمان بالرؤية لأهل دار السلام لمن اعتبرها بوهم ": يعني اعتبر الرؤية بناء على ما قام في وهمه من معان فاسدة أو ما قام في وهم من تشبيه مثلا أو نحو ذلك.

" لمن اعتبرها بوهم أو تأولها بفهم " أي بفهم قام عنده، لا على الفهم الصحيح أو المعنى الصحيح الذي دلَّت عليه، وإنما فهمٌ قام عنده وتقرَّرَ لديه، فأراد أن يفهم الرؤية على المعنى الذي قام عنده متأولا لها صارفا لها عن معناها الحق ومدلولها الظاهر من كتاب الله تبارك وتعالى وسنة نبيه صلوات الله وسلامه عليه، فمن كان بهذه الصفة لا يصحّ إيمانه بالرؤية حتى وإن قال إنه يؤمن بها.

فإذا قال إنه يؤمن بالرؤية ولكن المراد بالرؤية الانتظار مثلاً مثل ما مرّ معنا **{وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ . إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ }** قال : أنا أومن بالنظر لكن معناه الانتظار، هل هو مثبت أو نافٍ ؟ فإذا كان يتأوَّلها بفهم لا يكون مثبتاً حتى وإن أوهم بقوله أو بظاهر قوله أنه يثبت ظاهر النص أو مدلول النص إذا كان لا يثبت معناه بل يصرفه إلى معانٍ بعيدة أو تأويلات بعيدة.. فإذا كان بهذه الصفة لا يكون مثبتاً بل يكون جاحداً معطِّلاً . قال: "إذ كان تأويل الرؤية وتأويل كل معنى يضاف إلى الربوبية ترك التأويل" والمراد بترك التأويل أي الباطل الذي عرف عن أهل البدع الذي هو تحريف النصوص وصرفها عن ظاهرها، وليس مراد المصنف هنا ترك التأويل الذي هو التفسير وإنما مراده بذلك التأويلات الباطلة التي وجدت عند أهل الباطل من صرف للنصوص عن ظاهرها بغير مستند وبغير دليل، ولهذا الصواب أن يقال عن ذلك " التحريف "؛ يعني " إذ كان تأويل الرؤية وتأويل كل معنى يضاف إلى الربوبية ترك التأويل "، المراد بالتأويل هنا التحريف ، لا يكون مثبتاً للرؤية من يحرف المعنى؛ هذا مراد المصنف؛ الذي يحرف المعنى ما أثبت وإن زعم أنه مُثبت .

" إذ كان تأويل الرؤية وتأويل كل معنى يضاف إلى الربوبية ترك التأويل ولزوم التسليم وعليه دين المرسلين " لأن دين المرسلين قائم على التسليم ولهذا قال الله سبحانه وتعالى: **{ سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ . وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ . وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ }** أولاً : نزه نفسه سبحانه وتعالى عما يصفه به أعداء

الرسل؛ قال: **{ سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ }** ثم سلم على المرسلين لسلامة ما قالوه في حق الله سبحانه وتعالى من النقص والعيب.

فنهجُ المرسلين هو النهج الذي يجب أن يُقتفى والسبيل الذي يجب أن تُسلك ويكون عليها المسلم وهي لزوم التسليم.

قال: " وعليه دين المرسلين " أي دينهم قائم على التسليم والاستسلام لله سبحانه وتعالى ولما جاء عنه سبحانه وتعالى.

وبهذا يكون انتهى ما يتعلق ببحث الرؤية وفي أثناءه كما مرّ حذّرَ المصنف من مسالك أهل الباطل القائمة على عدم الاستسلام لما جاء عن الله وعن رسوله صلى الله عليه وسلم والخوض في كلام الله وكلام رسوله عليه الصلاة والسلام بالأوهام والظنون والتأويلات الباطلة التي جنت على أصحابها تعطيلاً وجحداً وجنت عليهم أيضاً شكوكاً واضطراباً وتذبذباً كما أوضح ذلكم المصنف - رحمه الله تعالى -.

ومثل ما مر معنا سابقاً: **الرؤية حق ودلائلها في كتاب الله وسنة نبيه صلوات الله وسلامه عليه كثيرة، والمؤمن يثبت ذلكم ويؤمن به ويطمع طمعاً عظيماً أن يكون ممن يكرمهم الله سبحانه وتعالى بهذا النعيم المقيم والفضل الكبير**.

أما والعياذ بالله من يجحد ذلك؛ يجحد أن المؤمنين يرون ربهم هل يقوم في قلبه طمع لهذا النعيم وهذا الفضل؟ ولهذا أحد الأفاضل أخبرني بقصة طريفة: يقول: كنا في مجلس وكان فيه رجل يجحد الرؤية فأراد أن يتفلسف — هكذا يقول لي — أراد أن يتفلسف علينا بعقله لجحد الرؤية ، فقلت له: انتظر قليلاً ورفعت يدي - والمجلس فيه ناس وفيه عوام كثر - قال : ماذا تصنع ؟ قال : أنت لا تؤمن بالرؤية، قال : لا، قال : أنا سأدعو الله الآن وأرجو من الجميع أن يُؤَمِّن أن يحرمك الله من الرؤية مثل ما أنك تجحدها، فأنا سأدعو وأَمِّنوا يا إخوان، قال : لا لا تدعو، قال : لِمَ لا أدعو وأنت تجحد أصلاً ؟ تقول الله لا يُرى ولا نثبت له رؤية ؟ فما دمت أنت تجحد، من أي شيء تخاف إن دعوت ؟ فأنا سأدعو وأَمِّنوا، قال: لا. وأخذ يمنعني من الدعاء.

فالشاهد أن هذا من الاضطراب الذي في قلوب هؤلاء وفي نفوس هؤلاء والحالة البئيسة التي يعيشها هؤلاء بسبب مثل هذه العقائد الباطلة، أما المؤمن الذي أكرمه الله بهذا الإيمان ففي قلبه طمع عظيم إلى أن يكرمه

الله سبحانه وتعالى بذلك، وقد كان نبينا عليه الصلاة والسلام يدعو الله في آخر صلاته قبل أن يُسلم بقوله : ((**وأسألك لذة النظر إلى وجهك والشوق إلى لقائك في غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة ، اللهم زينا بزينة الإيمان واجعلنا هداة مهتدين**)) كما ثبت في حديث عمار بن ياسر رضي الله عنه وأرضاه .

فالرؤية ثابتة ودلائلها ثابتة والمؤمن يسأل ربه تبارك وتعالى أن يكرمه بهذا النعيم ويدعو بهذا الدعاء العظيم ((**اللهم إني أسألك لذة النظر إلى وجهك والشوق إلى لقائك في غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة**)) وينبغي أن يُعلم أن بين الصلاة والرؤية صلةٌ دلت عليها نصوص القرآن ونصوص السنة؛ أما القرآن فالآية التي ساق المصنف – رحمه الله تعالى – : **{وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ . إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ }** ثم ذكر ضد هؤلاء؛ قال: **{ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ . تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ . كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ . وَقِيلَ مَنْ ۜ رَاقٍ . وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ . وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ . إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ . فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ }**

الدرس الثامن

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على عبد الله ورسوله نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أمَّا بعد:

يقول الإمام أبو جعفر الطحاوي رحمه الله تعالى في ذكر عقيدته؛ قال: " ومن لم يتوقَّ النفي والتشبيه زلَّ ولم يُصِب التنزيه؛ فإن ربَّنا جلَّ وعلا موصوفٌ بصفاتِ الوحدانيّة، منعوت بنعوت الفَرْدانية، ليس في معناه أحدٌ من البريّة، وتعالى عن الحدود والغايات والأركان والأعضاء والأدوات. لا تحويه الجهات الستُّ كسائر المبتدعات " **]**

شرح الشيخ:

الحمد لله ربّ العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمَّدًا عبدُهُ ورسوله صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين.

أما بعد؛ فإن المصنف الإمام الطحاوي رحمه الله تعالى لما ذكر العقيدة – عقيدة أهل السنة – في الصّفات وأن الأصل إثباتها لله سبحانه وتعالى والإيمان بها وأن يسلّم فيها الأمر للرسول صلوات الله وسلامه عليه، وأنه لا يثبت قدم الإسلام إلا على ظهر التسليم؛ أي للنبي عليه الصلاة والسلام بتلقّي ما جاء عنه بالقبول والرضا والتسليم وعدم الاعتراض على شيء من ذلك، لما قرر ذلك رحمه الله تعالى وبيَّنه نبَّه هنا تنبيهاً أراد به أن يحذِّر من منزلَقَيْن خطيرين وآفتين عظيمتين مَن وقع في واحدةٍ منهما زلَّ وضلَّ وانحرف عن سواءِ السبيل، منبِّهاً أن الواجب على كل مسلم أن يتوقَّى من هاتين الآفتين وأن يحذر منهما أشد الحذر وهما: آفة النفي وآفة التشبيه.

ولذا قال رحمه الله: " ومن لم يتوقَّ النفي والتشبيه " والتَّوَقِّي هو الاجتناب والحذر والبعد عن هذين الأمرين أو هاتين الآفتين: النفي والتشبيه؛ النفي: أي نفي صفات الله وعدم إثباتها كما هي طريقة المعطِّلة – معطلة صفات الله جلَّ وعلا– الذين يجحدونها ولا يؤمنون بها، فـ " من لم يتوقَّ النفي " أي لم يكن حذراً من نفي صفات الله، و " من لم يتوقَّ التشبيه " أي لم يكن حذراً من الوقوع في التشبيه " فإنه يزِلُّ " يقع في الزلل. وهذا تنبيهٌ مهمّ للغاية ينبِّه المصنف بهذه الكلمة الوجيزة أن الزّلل في باب الصفات يَنْحَى مَنْحيين: إما منحى النفي أو منحى التشبيه.

ومنحى النفي له سبب جرَّ أصحابه إلى الوقوع فيه وهو المبالغة في التنزيه، المبالغة في تنزيه الله تبارك وتعالى، فلما بالغوا في التنزيه وتعدَّوْا حدَّ الشرع فيه جرَّهم ذلكم إلى نفي الصفات زعمًا منهم أنهم بذلك ينزّهون الله تبارك وتعالى، فكان تنزيههم تعطيلاً وتسبيحُهم جحداً مثل ما قال بعض أهل العلم المتقدمين: " انظر إلى تسبيح المعتزلة كيف جرَّهم إلى التعطيل ! " أي أن تسبيحهم وتنزيههم لله تبارك وتعالى لما كان على غير جادة الصواب وعلى غير هدي الكتاب والسُّنّة جرَّهم إلى تعطيل صفات الله سبحانه وتعالى.

قابل هؤلاء المشبهةُ الذين بالغوا في الإثبات.. أولئك بالغوا في التنزيه وهؤلاء بالغوا في الإثبات، فجرَّتهم هذه المبالغة إلى تشبيه الخالق – تعالى الله عمّا يقولون وسبحان الله عما يصفون — جرّهم ذلك إلى تشبيه الخالق أو تمثيله سبحانه وتعالى بالمخلوق. أولئك بالغوا في التنزيه وهؤلاء بالغوا في الإثبات.

والحقُّ قَوامٌ بين ذلك، الحقُّ قَوامٌ بين ذلك وعليه فإنه يمكن من هذه الجملة المختصرة للمصنف رحمه الله نعلم أن الطوائف في باب الأسماء والصفات أو الأقوال في باب الأسماء والصفات من حيث الجملة ترجع إلى ثلاثة أقوال أشار إليها هذه الإشارة المختصرة:

- القول الأول قول النفاة الذين هم أهل التعطيل وجحد صفات الباري سبحانه وتعالى.

- والقول الثاني قول المشبهة الذين يُشبِّهون الله — تعالى عما يقولون – يشبهون صفاته بصفات المخلوقين.

- والقول الثالث قول أهل الحق والاستقامة أهل السنة والجماعة الذين يثبتون بلا تمثيل وينزّهون بلا تعطيل، فخرجوا بهذا التأصيل العظيم والتقعيد المتين من هاتين الضلالتين ضلالة النفاة وضلالة الممثلة، وكانوا من المحققين لما دلَّ عليه قوله تعالى: { **لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ**} فإن قوله { **لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ** } ردٌّ على الممثلة وقوله { **وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ**} ردٌّ على النفاة.

وكلٌّ من النفي والتمثيل آفة خطيرة جدا في هذا الباب –باب الصفات– يجب على كل مسلم –كما نبه المصنف رحمه الله تعالى– أن يتوقّى منهما وأن يحذر منهما أشد الحذر لكي لا يزلّ ولكي لا يضلّ، وإذا ضلّ فالضّلال في هذا الباب ضلالٌ مبينٌ غايةٌ في الخطورة.

قال: " ومن لم يتوقَّ النفي والتشبيه زلّ " أي زلَّت قدمه وتردّى في الهَلَكة، لأن الخطأ في صفات الله سبحانه وتعالى ليس كالخطأ في أي أمر آخر.

وقد قال الله عز وجل: { **وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ الْخَاسِرِينَ** } فالقول الخاطئ في صفات الله سبحانه و تعالى يؤدي بصاحبه إلى الهلكة والردى { **أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ الْخَاسِرِينَ** }.

إذن؛ من لم يتوقّ النفي ومن لم يتوقّ التشبيه في هذا الباب، والزلل في هذا الباب ليس كالزلل في أي أمر آخر ، لأن يجب أن نعلم أن الخطأ في هذا الباب – في أسمائه وصفاته – ليس كالخطأ في أسماء زيد وعبيد.. ليس كالخطأ في أسماء زيد وعبيد من الناس.. الخطأ في أسماء الله وصفاته أمر عظيم **{ وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا }** قال جل شأنه **{ لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا * تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا * أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا }**

فالخطأ في صفات الله سبحانه وتعالى ليس كالخطأ في أي اسم آخر، ولهذا من لم يتوقّ من هاتين الآفتين؛ آفة النفي وآفة التشبيه زلّ والزّلل في هذا الباب غاية في الخطورة، قال " زلّ ولم يصب التنزيه " منبِّها رحمه الله بهذه الجملة أو بهذه الكلمة إلى أن بعض الطوائف بل عامّة النفاة وأغلبهم إنما كان نفيهم طلبًا للتنزيه، فنفوا صفات الله سبحانه و تعالى الثابتة في الكتاب والسنة لأجل أن ينزِّهوا الله بزعمهم، فيقول رحمه الله: الذي لا يتوقَّى النفي لا يصيب التنزيه؛ ولهذا قالوا العلماء رحمهم الله: "كل مُمَثِّلٍ مُعَطِّلٌ " أي لا ينزه الله وإن كان يدَّعي بتعطيله أنه ينزِّه الله، "كل مُمَثِّلٍ مُعَطِّلٌ " لأنه أولًا إنَّما عَطَّل بسبب سوء ظنّه بأسماء وصفات الله الواردة فلم يفهم منها إلا المعنى الذي يعهده في المخلوق، فجَرَّهُ هذا الفهم الخاطئ إلى التعطيل، فأوقعه تعطيله في تمثيل بحسب تعطيله، أمَّا تمثيل بالمعدومات أو الممتنعات أو الموجودات بحسب نوع التعطيل ولهذا كل معطل ممثل كما أيضا أن الممثل معطِّل؛ الذي يمثل صفات الله سبحانه وتعالى بصفات المخلوقين هو أيضا معطل:

- **أولا**: **عطل آيات الصفات** لم يثبتها في ضوء ما دلت عليه.
- **وثانيا**: **عطل الله سبحانه وتعالى عن كماله**
- **وثالثا**: **عطل الآيات التي فيها نفي التمثيل.**

فكل مُعطِّلٍ مُمَثِّلٍ وكلّ ممثِّل معطِّل.

فإذن؛ من لم يتوقّ النفي ومن لم يتوقّ التشبيه يزلّ في هذا الباب ولا ينال تنزيها؛ لا يمكن أن يكون منزِّها لله سبحانه وتعالى، فتنزيه الله جلَّ شأنه إنما يكون في حدود ما دلَّ عليه قوله تعالى: **{ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ}** بأن نثبت له جلّ شأنُه صفات كماله ونعوت جلاله على وجهٍ يليق به سبحانه وتعالى، فإذا كان الإثبات بهذه الصفة سَلِم العبد من الآفتين؛ آفة النفي وآفة التمثيل.

قال رحمه الله تعالى: " ومن لم يتوقَّ النفي والتشبيه زلَّ ولم يصب التنزيه، فإن ربنا جلَّ وعلا موصوف بصفات الوحدانية منعوت بنعوت الفردانيّة، ليس في معناهُ أحدٌ من البريّة " تأمَّلْ كلامه رحمه الله ! قال: " فإن ربنا " لما حذّر رحمه الله من النفي ومن التشبيه قال: " فإن ربنا جلَّ وعلا موصوف بصفات الوحدانية " الرّب جلَّ

شأنه موصوفٌ بالصفات، وهذه الصفات التي هو جلّ شأنه موصوفٌ بها وَصَفَ هو جلَّ وعَلَا نفسه في كتابه ووصفه بها رسوله صلى الله عليه وسلم في سنتّهِ الواجبُ في هذه الصفات أن نؤمن بها وأن نثبتها لله سبحانه كما أثبتها جلّ وعلا لنفسه وكما أثبتها له رسوله عليه الصلاة والسلام.

قال: " فإن ربنا جلَّ وعلا موصوفٌ بصفات الوحدانية " ومعنى قوله " بصفات الوحدانية " أي بالصفات التي تفرَّدَ بها. فلا مثال لله سبحانه وتعالى في شيء من صفاته **{ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ }** فهو متفرّدٌ بصفات الوحدانية، قال جلّ وعلَا **{ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ }** فهو جلَّ وعلا متفرِّد موصوفٌ بصفات الوحدانية؛ أي موصوف بالصفات الكاملة التي تفرَّد بها، فلا مثال له جلّ وعلا في شيءٍ من صفاته.

وقوله: " منعوتٌ بنعوت الفردانية " النعت هو: الصفة. والفردانية: بمعنى الوِحدانية. فهذا من باب تنويع العبارة، وإلا المعنى واحد، فالنعوت هي الصفات والفردانية هي الوحدانية.

والوحدانية مأخوذةٌ من اسمه جلَّ وعلا " الواحد " وهو اسم ثابت في القرآن **{ أَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ }** ورد في مواضع من كتاب الله جلَّ شأنه.

أما الفردانية من الفرد، والفرد يُخْبَرُ عن الله تعالى به لكن ليس معدودًا في أسمائه جلَّ وعلا، ولكن يُخبَر عنه؛ يقال: الله الفرد، ومعنى الفرد: أي المتفرِّد بصفات الجلال والكمال ليس له شبيه ولا مثال سبحانه وتعالى.

فإذن؛ قوله رحمه الله: " موصوفٌ بصفات الوحدانية منعوتٌ بنعوت الفردانية ليس في معناه أحدٌ من البريَّة " هذا كله يؤدي إلى معنىً واحد، وإنما هو تنويعٌ في العبارة.. تنويعٌ في العبارة.

" ليس في معناه أحدٌ من البريّة " أي: ما اتصف به جلَّ وعلا من صفاتٍ وما كان له سبحانه وتعالى من نعوتٍ فهو متفرِّدٌ بها وليس في معنى صفاته " أحدٌ من البريّة " أي المخلوقات.

فصفاته جلَّ وعلا هو متفردٌ بها ليس له مثيل **{ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ}** **{ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا }** الاستفهام هنا بمعنى النفي **{ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ }** **{ فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ }**، فالله سبحانه وتعالى ليس في معناه أحدٌ من البريّة، أي لا يماثله أحد في شيءٍ من صفاته، لا يماثله أحدٌ في شيءٍ من صفاته.

تلخَّص من هذه الجمل الثلاث المترادفات التي هي بمعنىً واحد أن الواجب إثبات صفات الله سبحانه وتعالى له جلّ وعلا على الوجه اللائق به وهو أنه متوحِدٌّ متفرِّدٌ بصفات الكمال ونعوت الجلال ليس له جلّ وعلا شبيهٌ ولا مثيل.

ثم بعد ذلكم قال رحمه الله " تعالى.. " أي: تنزَّه " ..عن الحدود والغايات والأركان والأعضاء والأدوات، لا تحويه الجهات السِّتُّ كسائر المبتدَعات " " المبتدعات " أي المخلوقات.

هنا أراد المصنِّف الطحاوي رحمه الله أن يبين خطأ الممثِّلة لأنه لما قرّر فيما سبق بطلان التمثيل وكذلك بيَّن أن الله سبحانه وتعالى متوحِّدٌ بصفات الجلال متفرد بنعوت الكمال ليس في معناه أحدٌ من المخلوقات لا شبيه له ولا مثال -سبحانه وتعالى- فأراد أن يردّ قول الممثلة ويبطِل قول الممثِّلة، فجاء بهذه العبارات التي هي تفصيلٌ في النفي.

ومعنى قوله: " تعالى " أي تنزَّهَ وتقدَّس، فأراد بذلك أن ينفي هذه المعاني وأن ينزِّه الله سبحانه وتعالى عنها، لأنها حسب السياق الذي ساقها فيه إنما تكون على قاعدة الممثلة وعلى طريقة الممثلة، وأن إثبات هذه الأشياء نوعٌ من التمثيل، فأراد أن يبطل مقالة الممثلة فجاء بهذه الألفاظ وتوسَّع بهذا النفي؛ تعالى عن كذا وعن كذا وعن كذا .. إلى آخره، أراد بذلكم رحمه الله أن يرُدَّ على الممثلة.

وكان يسعه في هذا المقام رحمه الله أن يترك هذا التفصيل في النفي وأن يورد قول الله تعالى: **{ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ}** كافية ووافية، وأنت ترى ذلك في عامة كتب العقيدة لأهل السنّة في مثل هذا المقام؛ رأسًا يوردون هذه الآية وهي كافية ووافية في إبطال مقالة الممثلة، ولا تحتاج إلى هذا التفصيل الذي ذكره في النفي.. لا نحتاج إلى كل هذا التفصيل: ليس بكذا وليس بكذا وتنزه عن كذا... هذا التفصيل في النفي سواءٌ اقتُصر فيه على هذا العدد مما نفاه أو زيد عليه بأشياء أخرى كل هذا لا نحتاج إليه، ولهذا لا ترى هذا التفصيل في النفي إطلاقا في شيء من كتب العقيدة لأئمة السلف.. لا تراه إطلاقا في شيء من كتب العقيدة لأئمة السلف رحمهم الله.. إطلاقًا لاتراه، وأيضا لا ترى هذه العبارات إطلاقا في عبارات الصحابة وألفاظ الصحابة وألفاظ التابعين.. لا ترى ذلك إطلاقًا.

فإذن؛ هذا النفي الذي ذكره الطّحاوي رحمه الله تعالى ليس تقريره وإيراده، ليس على الجادة، ليس على جادّة أهل السنة والجماعة في هذا الباب من جهات عديدة.. من جهات عديدة:

- الأمر الأول: أن هذا تفصيلٌ في النفي وقاعدةُ أهل السنة والجماعة في الصفات المأخوذة من الكتاب والسنة: " الإجمال في النفي والتفصيل في الإثبات " على حد قوله تعالى **{ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ}**.. على حد

قوله تعالى: { **لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ** } ؛ أجملَ في النفي وفصَّل في الإثبات، وهذا أبلغُ في المدح والثناء والتنزيه؛ أبلغُ ما يكون. والنفي إذا فُصِّل فيه عن غير حاجة قد يتحول الكلام من مدح إلى ذمّ.. قد يتحول الكلام من مدح إلى ذمٍّ، ولهذا كان الأبلغُ في المدح والثناء أن يجمل في النفي ويفصَّل في الإثبات.. أن يجمل في النفي ويفصَّل في الإثبات.

فإذن هذا التفصيل مخالف للقاعدة –قاعدة أهل السنة والجماعة – المستمدة من الكتاب والسنة. هذا الأمر الأول.

● الأمر الثاني: أن هذه الألفاظ التي ذكرها في مقام النفي لا وجود لها إطلاقًا عند السلف الصالح – الصحابة والتابعين– ولم ينقل عن واحدٍ منهم حرفٌ واحد في نفي هذه الألفاظ بهذا التفصيل، لم ينقل عنهم، وذلك أن جادَّتَهم في الباب: " التوقُّف على ما جاء في الكتاب والسنة إثباتًا ونفيًا "؛ ندور مع الكتاب والسنة أي إثباتا ونفيًا؛ نثبت ما ثبت فيهما وننفي ما نفي فيهما.

وأسماء الله جل وعلا وصفاته توقيفيّة.. أسماء الله وصفاته سبحانه وتعالى توقيفيَّة.

● الأمر الثالث: أن هذه الألفاظ التي ذكرها رحمه الله هي ألفاظٌ أنشأها علماء الكلام ولا يبعد أن تكون دخلت على المصنِّف من جهة هؤلاء.. ولا يبعد أن تكون دخلت عليه من جهة هؤلاء فهذه ألفاظٌ أنشأها علماءُ الكلام ولهم فيها أغراضٌ سيِّئة؛ جاءوا بهذا الكلام وبهذه الألفاظ حتى إذا ما استقرت لدى الناس اتَّكأوا عليها في نفي الصفات وأصبحت هي العمدة التي ينفون بها صفات الباري.

وفعلا أصبح هذا الأمر بارزًا ظاهراً في كتب المتكلمين؛ تجدهم يجحدون الصفات ويوحِلُون في جحدها بهذه الألفاظ: فمثلا ينفون مثلاً اليد والوجه وغيره من الصفات الذاتية ثم يبررون هذا النفي؛ يقول: لو أثبتنا هذه الصفات للزِمَ من ذلك إثبات الأعضاء والأدوات.. فأصبحت هذه الكلمات هي الدليل الآن التي يتكِّئون عليها في نفي صفات الله ويقولون: لو أثبتنا العلو لله سبحانه وتعالى للزم من ذلك إثبات الحدود والغايات، ولو أثبتنا الصفات الفعلية الاختيارية للزم من ذلك إثبات الأعراض، وهكذا.. فأصبحت هذه الألفاظ متكئًا لهؤلاء، ووجودها في كتبهم وذيوعها وانتشارها بينهم.

فما الحاجة إلى أن تدرج أو تدخل في كتاب لأحد من أهل السنة أو السائرين على سنن السلف وطريقهم رحمهم الله تعالى؟

●الأمر الرابع: أن هذه الألفاظ لو تأملت فيها تجد أنَّها فيها احتمالات؛ تحتمل معانٍ صحيحة وتحتمل أيضا معانٍ باطلة.

والألفاظ المحتملة إن أثبتَّها هكذا بالإطلاق قد تقعُ في إثبات ما اشتملت عليه من معانٍ خاطئة وإذا نفيتَها هكذا بالإطلاق قد تكون أيضا في ضمن نفيك قد نفيت ما أثبتته من معانٍ صحيحة.

فالألفاظ المجملة: الأصلُ فيها أن توقف وتمنع ويفصَّل في المرادِ منها؛ مثل: الآن لفظ " الجهة " وهي أحد هذه الألفاظ التي ذكرها، قبل أن ينفي أو يثبت يفصل فيه، يقال للباحث في هذا اللفظ: ماذا تريد؟ كذلك مثلا لفظة " الحدود " عندما يريد ينفي الحد، قبل أن ينفي يقال: ماذا تريد بالحد؟ لأن هذا اللفظ محتمل لمعانٍ؛ قد يكون المراد بالحدّ المباينة؛ أن الله سبحانه وتعالى مستوٍ على عرشه بائنٌ من خلقه، فالمعنى صحيح أو ليس صحيحًا ؟ المعنى صحيح. وقد يراد بالحدِّ معرفة الكيفية والكُنْه، ولهذا قالوا: إن إثباتنا للصفات إثباتُ وجودٍ لا إثبات تحديد.

فإذن؛ هذه ألفاظٌ تحتمل معانٍ إن نفيتها هكذا بالإطلاق محلُّ إشكال، وإثباتها هكذا بالإطلاق أيضا محل إشكال.

ولهذا أهل العلم لم يحبّذوا لهذا الإمام إيراده لهذه الألفاظ في كتابه ولو في مقام النفي، على أن كلامه رحمه الله يحمل على أحسن محمل وينظر في المعاني الصحيحة التي يدل عليها هذا النفي لأنه – مثل ما رأينا – يثبت الصفات وليس على طريقة المتكلمين الذين يجحدون العلوّ ويجحدون صفات الله سبحانه وتعالى، بل مرَّ معنا وسيأتي أيضا عند المصنف رحمه الله إثبات صفات الله سبحانه وتعالى على جادَّة أهل السنة وطريقتهم، لكنه دخلت عليه هذه الألفاظ وأراد بها الردَّ على الممثلة.

وقد قدمتُ في بدءِ الحديث أنه كان يسعه في هذا المقام، كان يسعه أن يكتفي بقوله تعالى **{ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ}**؛ فقوله **{ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ }** تغني عن ماذا ؟ " تعالى عن الحدود والغايات والأركان و....إلخ " تغني. **{ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ }**

ثم إذا أراد أن يفصِّل في نفي هذه الأشياء إلى متى يفصل فيها ؟ إذا أراد أن يفصِّل في النفي فإلى متى يفصل ؟ لأن الآن سيأتي أيضًا من يقول: بقي كذا لم تنفِه وبقي أيضا كذا لم ينفِه... لأنه مقامٌ واسعٌ جِدًّا... فإلى متى ينفي ؟

وإذا فصَّل الانسان في النفي واستمر مفصِّلاً فيه لم تكن طريقته في النفي طريقةَ القرآن الكريم، لأن القرآن ليس فيه تفصيلٌ في النفي وإنَّما فيه إجمالٌ في النفي وتفصيلٌ في الإثبات، ويأتي التفصيل في مواضع يسيرة.. يأتي التفصيل في النفي مواضع يسيرة للحاجة مثل أن يضاف إلى الله سبحانه وتعالى من بعض أعداء دينه وأعداءه سبحانه وتعالى ما لا يليق به فيأتي نفيُ ذلك، ودليل ذلك: **{ وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا**

بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ } هذا تفصيلٌ في النفي ردًّا على اليهود لما ادَّعوا في الله سبحانه وتعالى الدعوة الجائرة، مثل أيضًا: **{ وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ }** قال الله عز وجل **{ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا ۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ }**. وبينما تجد في القرآن إجمال في النفي وهذا هو الأبلغ في الثناء والمدح؛ أن يكون النفي مُجملا والإثباتُ مفصَّلاً.

قوله رحمه الله: " تعالى عن الحدود " هذه الكلمة " الحدود "كلمةٌ محتمِلة؛ يحتمل أن يراد بالحد أنه سبحانه وتعالى مبايِنٌ للمخلوقات فوق عرشه المجيد مباين لمخلوقاته ليس في ذاته شيءٌ من مخلوقاته وليس في مخلوقاته شيءٌ من ذاته، فإذا كان المراد بالحد هذا المعنى فهذا المعنى صحيح، ولهذا عبد الله المبارك رحمه الله لما سُئِل عن الاستواء " الله مستوٍ على عرشه ؟ " قال: " نعم " قال: بحدّ ؟ قال: " نعم " أراد بحدِّ المبايَنَة.. أراد بالحد " المبايَنة " أي أنه سبحانه وتعالى مبايِنٌ لخلقه مستوٍ بذاته استواءً يليق بجلاله على عرشه المجيد –جلّ وعلا–.

ويحتمل الحد التحديد الذي هو التكييف. فالتكييف باطل – تعالى عن الحدود – أي تعالى عن أن يكيّفه أحدٌ من خلقه أو أن يبلغ كنهَ صفاته أحدٌ من خلقه. والمصنف يُحمل كلامه على هذا المعنى، يحملُ كلامه ونفيه للحدود على هذا المعنى – تعالى عن الحدود — أي: تعالى عن الحدّ وأن تكيَّف صفاته سبحانه وتعالى وأن تبلغ كنهَ صفاته العقولُ.

وقوله: " والغايات " أي وتعالى عن الغايات، أيضا هذه لفظةٌ محتمِلة؛ تحتمل أن يراد بالغاية الحكمة؛ وأهل الباطل من المتكلمين ينفون في أفعال الله سبحانه وتعالى الغايات أي الحكم، ويقولون: أفعاله ليس لغايةٍ؛ أي ليست لحكمة. فتحتمل الغايات هذا المعنى، وتحتمل الغايات معانٍ أخرى.

فإذا كان المراد بالغاية " الحكمة " فالحكمة في أفعال الله سبحانه و تعالى ثابتةٌ، وهو جل وعلا إنما يفعل عن حكمة، ومن أسمائه تبارك وتعالى " الحكيم ".

قال: " تعالى عن الحدود والغايات والأركان والأعضاء والأدوات " " والأركان والأعضاء والأدوات " هذه من ألفاظ المتكلمين كما أسلفت وكان وجود هذه الألفاظ عندهم متكَّئا لنفي صفات الله سبحانه وتعالى، وأما أهل السنة والجماعة لا ترى هذه الألفاظ في كتبهم، ويثبتون صفات الباري جلَّ وعلا على الوجه اللائق بجلاله وكماله وعظمته سبحانه وينزهونه عن مماثلة المخلوقات.

ويقال ماذا يراد بهذه الألفاظ :الأركان والأعضاء والأدوات ؟

إن كان المراد بهذه الألفاظ ما يشاهَد ويعايَن في المخلوقات فالله منزَّه عن المثال – تقدَّس وتنزَّه عن ذلك –، أما إن كان يُراد بهذه الألفاظ أن له يداً تليق به أو سمعاً يليق به أو وجهاً يليق به فهذه ثابتةٌ لله سبحانه وتعالى

وسمَّاها كثيرٌ من المعطِّلة أركان وأدوات وأعضاء ونَفَوْها عن الله سبحانه وتعالى بمثل هذه الألفاظ. فالوجه واليد وغيرها من صفات ربنا الذاتية الثابتة في الكتاب والسنة نثبتها لله عز وجل ونؤمن بها كما وردت وإن نفاها المعطلة بمثل هذه الأسماء المحدثة.

وقوله: " لا تحويه الجهات الستُّ كسائر المبتَدَعات " ف " المبتدعات " أي المخلوقات، و " الجهات الستُّ " التي هي الفوقُ والتَّحت واليمين والشِّمال والأمام والخلف، فهذه الجهات الستُّ هي جهاتٌ اعتبارية نسبية ليست شيئاً ثابتاً في حقِ الجميع وإنما هي نسبية. ولهذا الشخص الواحد تختلف الجهات في حقه كلما تحرّك؛ كل ما تحرك عن جهة إلى أخرى تغيرت الجهات في حقه ولم تصبح الجهات هي هي؛ ما كان يميناً أصبح شمالاً وما كان أماماً أصبح وراءً.. فهي جهات نسبية.

في باب النفي هنا عندما يُقال: " تنزه عن الجهات " يُفصَّل في الجهات؛ ماذا يُراد به ؟

- إن كان المراد بالجهة جهة وجوديَّة تحيطه جلَّ وعلا أو تحويه أو نحو ذلك: فهذا باطل لاشك في بطلانه.
- وإن كان المراد بالجهة ما وراء هذا العالم: فالله جل وعلا فوق عرشه.

والمبتدعة عندما جاءوا بهذه اللفظة – لفظة الجهة – جاءوا بها لينفوا من خلالها علوَّ الله سبحانه وتعالى، فتيقَّظ أهل السنة لذلك وتنبَّهوا لهذا الغرض، ولهذا لا ترى إطلاقاً مثل هذه الألفاظ في كتب أهل السنة.. لا تراها إطلاقا في كتب أهل السنة وإنما تأتي في كتب المتكلمين ومرادُهم بها نفيُ علوِّ الله.

لكن المصنف أورد هذه الألفاظ ولم يورد ما أراده أولئك بدليل ما نراه من إثباتٍ لصفات الله سبحانه وتعالى، فيُحمل إيراده لهذه الألفاظ، وإن كان الجدير ألا يوردها ولا يذكرها في كتابه، حتى إن بعض أهل العلم وهو الشيخ محمد بن مانع في تعليقاته على العقيدة الطحاوية قال: " ما يبعد أن تكون مدسوسة في كتابه " قال " ما يبعد أن تكون مدسوسة " يقول: " ولو قيل أنها مدسوسة عليه وليست من كلامه لم يكن ذلك عندي ببعيد إحساناً للظنِّ بهذا الإمام ". يقول: قد تكون مُدخلةً من بعض النساخ على كتابه.

وعلى أيِّ حالٍ؛ وإن كانت من كلامه فتُحمل على ما جاء مفصلاً في كتابه من إثباتٍ لصفات الله سبحانه وتعالى، فيُقال: إنما أراد بإيراده لهذه الألفاظ الردَّ على الممثلة الذين يمثِلون صفات الله سبحانه وتعالى بصفات المخلوقين .

ثم بعد ذلكم انتقل رحمه الله للكلام على المعراج وأيضاً الحوض وكذلك أمور متعلقة باليوم الآخر، ومما أخذه شُراح هذا الكتاب عليه ومنهم ابن أبي العزّ رحمه الله، مما أخذ عليه أن الكتاب لم يأت مرتّبًا.. أن كتابه لم يأتِ مرتَّباً؛ ولهذا تجد مثلاً بحثًا في الصفات ثم ينتقل إلى الكلام عن اليوم الآخر ثم يعود إلى ما يتعلق بالإيمان بالله... وهكذا تجد مباحث الكتاب لم تأتِ مرتبةً.

هذا من ناحية، من ناحية أخرى أيضا أخذ عليه التوسع في السّجع وهذا ممن انتقد عليه فيه أبن أبي العز الحنفي رحمه الله في شرحه له.. التوسع.. وقال: " ليس مثلُ هذا السجع محلّ كتب العقائد " لأن كتب العقائد بدل أن ينظر فيها إلى القوافي وسبك الألفاظ والإتيان بها مسجوعةً يُنظر في المعاني ذاتِها، لأن مراعاة السجع قد يجرُّ الإنسان – وخاصة أنه يكتب في العقيدة– قد يجر إلى معنىً جاء بلفظةٍ مسجوعة لأجله فتكون هذه اللفظة تؤدي إلى معنىً خاطئ أو مدلول فاسد، ولهذا قال ابن أبي العز رحمه الله تعالى أن ليس محله كتب العقائد، لأن الألفاظ عندما تحرر في كتب العقائد ينبغي أن تكون دقيقة ولا يُلتَفت إلى قضية هل جاءت العبارة مسجوعةً أم لا بقدر ما يلاحظ الإنسان دقَّةَ المعاني ودقَّة الألفاظ في دلالتها على المقصود والبعد عن أي لفظة محتملة أو كلامٍ يقود الإنسان إلى شيء من الخطأ أو الزلل في هذا الباب.

ونكتفي بهذا القدر من كلام المصنف رحمه الله تعالى.

ونسأل الله عز وجل أن يغفر لنا وله ولجميع علماء المسلمين وأن ينفعنا جميعًا بما علَّمَنا وأن يزيدنا علمًا وأن يصلح لنا شأننا كله وألا يكلنا إلى أنفسنا طرفة عين، إنه جلَّ وعلا سميعُ الدعاء وهو أهل الرجاء وهو حسبنا ونعم الوكيل.

والله أعلم وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

إن أمكن قراءة كلام الشيخ ابن مانع في التعليق على " تعالى عن الحدود "

[**قال رحمه الله تعالى**: " مُراده بذلك الردُّ على المشبِّهة، ولكن هذه الكلمات مجهلة مبهمة وليست من الألفاظ المتعارفة عند أهل السنة والجماعة، والردُّ عليهم بنصوص الكتاب والسنة أحق وأولى من ذكر ألفاظٍ توهم خلاف الصواب، ففي قوله تعالى: **{ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ}** ردٌّ على المشبهة والمعطلة.

فلا ينبغي لطالب الحق الالتفات إلى مثل هذه الألفاظ ولا التعويل عليها فإن الله سبحانه موصوف بصفات الكمال منعوت بنعوت العظمة والجلال. "]

تعليق الشيخ:

تأمل كلامه رحمه الله: " لا ينبغي لطالب الحق الالتفات إلى مثل هذه الألفاظ ولا التعويل عليها " لأنها كما قدمتُ ألفاظ ليست موجودة أصلا في الكتاب والسنة ولا في عبارات السلف رحمهم الله؛ الصحابة ومن اتبعهم بإحسان، وهم أحرص على الخير وأغْيَرُ على صفات الله سبحانه و تعالى، وهي أيضا في الوقت نفسه ألفاظٌ محتملة لمعانٍ؛ محتملة لمعانٍ لمعنى حق ومعنى باطل.

وأمر آخر وهو أنها موجودة أو إنما نشأت ووجدت عند أهل الكلام الباطل وكان إيجادهم لمثل هذه الألفاظ لهم فيه غرض ألا وهو تعطيل الصفات لله سبحانه وتعالى، وكان في بادئ طرحهم للتعطيل يجدون صعوبة في تقبل الناس لما يطرحونه من تعطيل لصفات الله لأنه – تصوَّر – الآن الناس على الفطرة ويقرأون القرآن، وفيه صفات إثباتٍ لله **{ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ }** **{ الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ }** لا يمكن أن يتقبلون من شخص يأتيهم ويقول ليس لله يدين، أو لم يستو على العرش، فاحتاج هؤلاء المتكلمين أهل الباطل إلى خطوات تسبق ذلك من أجل اقناع الناس بالنفي، فجاؤوا بهذه الألفاظ المجملة وقرروا في أوساط الناس نفيها زاعمين بذلك أنهم يريدون بها تنزيه الله سبحانه وتعالى ثم لما تقرّرت ودرجت عند الناس جعلوها هي المتّكأ لنفي صفات الله سبحانه وتعالى.

فإذن لا ينبغي لطالب العلم أن يعوِّل على مثل هذه الألفاظ ولا يلتفت إلى شيء منها.. نعم.

[" فهو سبحانه فوق مخلوقاته مستوٍ على عرشه المجيد بذاته بائنٌ من خلقه ينزل كل ليلة إلى السماء الدنيا ويأتي يوم القيامة، وكل ذلك على حقيقته ولا نؤوّلِه كما لا نؤوِّل اليد بالقدرة والنزول بنزول أمره وغير ذلك من الصفات، بل نثبت ذلك إثبات وجود لا إثبات تكييف. وما كان أغنى الإمام المصنف عن مثل هذه الكلمات المجملة الموهِمَة المخترعة "

تعليق الشيخ:

لاحظ " ما كان أغنى الإمام المصنف " يعني الطحاوي رحمه الله " عن مثل هذه الكلمات المجملة الموهمة المخترعة."

- مجملة: لأنها ليست واضحة في الدلالة على معنىً معيّن بحيث إذا نفي لم تنصرف إلى غيره، فهي ألفاظ مجملة.
- وموهمة: لأن نفيها كما أنه يدلُّ على نفي معنىً لا يليق أيضا يدلُّ على نفي معنىً ثابت، فهي أيضا: موهمة.
- وأمر ثالث: مخترعة: أي ألفاظٌ محدثة وإنما وجدت في كتب العقائد لدى أهل الكلام، أما السلف رحمهم الله من الصحابة والتابعين لهم بإحسان لم يكن لهذه الألفاظ وجود إطلاقا في كتبهم وهم أحرص على التنزيه وأغير في صفات الله سبحانه وتعالى.

[" ولو قيل إنها مدسوسة عليه وليست من كلامه لم يكن ذلك عندي ببعيد إحسانا للظن بهذا الإمام. "]

تعليق الشيخ:

يعني لم يجزم وإنما ذكره كاحتمال قال " لو قيل " فلو قيل ذلك يقول " ليس ببعيد " وقوله ليس ببعيد إحسان ظنّ بهذا الإمام لأن مثل هذا الإمام الأجدر به وبمقامه وبمكانته ألا يورد مثل هذه الألفاظ. فلو قيل انها مدسوسة عليه يقول لقلت ليس ببعيد.

فإذن هو لم يجزم بكونها مدسوسة إنما قال أنها: لو قيل مدسوسة لقلت هذا ليس ببعيد لمقام هذا الإمام.

والشيخ عبد العزيز بن باز رحمة الله عليه – ربما كلامه موجودٌ عند بعض الإخوة – نبَّه على أمر مهم أيضا ألا وهو أنه يُحمل كلامه رحمه الله – هذا الذي هنا – على أحسن محمل، يحمل كلامه على المحمل الحسن الذي هو الرد على الممثلة، لا أن يفهم كلامه على مراد المتكلمين بهذه الألفاظ عندما يوردونها في كتبهم.

ولعلنا أيضا نقف على كلام الشيخ رحمه الله بعد إكمال كلام ابن مانع رحمه الله.

[قال: " وعلى كل حال فالباطل مردودٌ على قائله كائنا من كان، ومن قرأ ترجمة المصنف الطحاوي لا سيما ما في [لسان الميزان] عرف أنه من أكابر العلماء وأعاظم الرجال وهذا هو الذي حملنا على إحسان الظن فيه في كثير من المواضع التي فيها مجال لناقد. "]

تعليق الشيخ:

أيضا؛ هذا الذي يذكره رحمه الله – الشيخ ابن مانع رحمه الله – هذا فيه تربية لطالب العلم في نقد كلام أهل العلم، ولا سيما الأئمة الأكابر الذين برزوا في العلم والسنة والحديث والعناية بها، فإذا وجدت هفوات أو زلَّات أو ألفاظ محتملة يُتعامل معها بمثل هذه الطريقة.. يُتعامل معها بمثل هذه الطريقة وبما أيضا سنراه في كلام الشيخ عبد العزيز بن باز.

[" وقوله " ولا تحويه الجهات " دلت دلائل في الكتاب والسنة على أن الله سبحانه وتعالى فوق مخلوقاته مستوٍ على عرشه كما قال تعالى { **الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ** } وقال تعالى: { **وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ** } فالجهات الستُّ عدميَّة في حقه لأن الله تعالى فوقها كما قال ابن القيم في النونية:

كُلُّ الجِهَاتِ بِأَسْرِهَا عَدَمِيَّةٌ ... فِي حَقِّهِ هُوَ فَوْقَهَا بِبَيَانِ

قَد بَانَ عَنْهَا كُلَّهَا فَهُوَ الْمُحِيـ ... ـطُ ولا يُحَاطُ بِخَالِقِ الْأَكْوَانِ. "]

[قال الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله عن قوله – قول المصنف رحمه الله –: " تعالى عن الحدود والغايات والأركان والأعضاء والأدوات والجهات الستّ كسائر المبتدعات " قال: " هذا الكلام فيه إجمال قد يستغله أهل التأويل والإلحاد في أسماء الله وصفاته، وليس لهم بذلك حجة لأن مراده رحمه الله تنزيه الباري سبحانه وتعالى عن مشابهة المخلوقات، لكنه أتى بعبارة مجملة تحتاج إلى تفصيل حتى يزول الاشتباه.

فمراده بالحدود يعني التي يعلمها البشر، فهو – الله تعالى – لا يَعلم حدودَه إلا هو سبحانه، لأن الخلق لا يحيطون به علمًا كما قال سبحانه في سورة طه: { **يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا** } "]

<u>تعليق الشيخ:</u>

إذن؛ المراد بالحدود أي التحديد.. المراد بالحدود " تعالى عن الحدود " أي أن يُحَدّ، فإثبات الصفات ليس إثبات تحديد وإنما إثبات وجود لها بمعانيها التي تليق بجلال الله وكماله. نعم..

[" ومن قال من السلف بإثبات الحد في الاستواء أو غيره فمراده حدّ يعلمه سبحانه وتعالى ولا يعلمه العباد"]

<u>تعليق الشيخ:</u>

مثل قول عبد الله بن المبارك – نقلت كلامه – ؛ قال: بحد ؟ قال: نعم. فمراد ابن المبارك بحد يعلمه الله أي إنه بائنٌ لخلقه سبحانه وتعالى مستوٍ على عرشه هذا، مراده بقوله " بحدٍّ ".

وأيضا مثل هذه الألفاظ إذا وجدت لا تراها ابتداءً مكرَّرة في تأصيل الاعتقاد، لكن في المناظرة وفي إلزام الخصم ونحو ذلك تأتي هذه الألفاظ في مقام ردّ، ويكون المراد بها معنىً واضح من سياق من أوردها من أئمة السلف رحمهم الله؛ فلما قال رحمه الله " بحدٍّ " — أي عبد الله بن المبارك – واضح مراده بذلك أي أنه بائِنٌ جلَّ وعلَا عن خلقه ليس في ذاته شيء من صفات مخلوقاته ولا في مخلوقاته شيء من صفاته.

[" وأما قوله " الغايات والأركان والأعضاء والأدوات " فمراده رحمه الله تنزيهه عن مشابهة المخلوقات في حكمته وصفاته الذاتية من الوجه واليد والقدم نحو ذلك، فهو سبحانه موصوف بذلك لكن ليست صفاته مثل صفات الخلق، ولا يعلم كيفيته إلا هو سبحانه.

وأهل البدع يطلقون مثل هذه الألفاظ لينفوا بها الصفات بغير الألفاظ التي تكلم الله بها وأثبتها لنفسه حتى لا يفتضحوا."]

<u>تعليق الشيخ:</u>

هذا سبب وجود هذه الألفاظ في كتب أهل البدع؛ يعني أنشئوا هذه الألفاظ المخترعة ونفوها لينفوا بها صفات الله. قال " حتى لا يفتضحوا " لأن لو أنهم ابتداءً جاءوا ونفوا الاستواء واليد والوجه الى آخره يفتضحون عند الخاص والعام وعند العالم والعامي، لكن جاءوا بهذه الألفاظ حتى لا يفتضحوا؛ قالوا: ننفي اليد لأنه يلزم منها كذا ويأتون بهذه الألفاظ التي جعلوها متكئًا،

" وأهل البدع يطلقون مثل هذه الألفاظ لينفوا بها الصفات بغير الألفاظ التي تكلم الله بها وأثبتها لنفسه حتى لا يفتضحوا "

" بغير الألفاظ التي تكلم الله بها " الألفاظ التي تكلم الله بها؛ الاستواء، السمع، اليدان.. إلى آخره، فلو جاءوا إلى هذه الألفاظ ونفوها مباشرة؛ قالوا: ليس سميع وليس له يد ولم يستو على العرش افتضحوا.

فإذن؛ نفوا هذه الصفات لكن بهذه الألفاظ هم اخترعوها جاءوا بالأركان والأعضاء ونفوها ويريدون بنفيها نفي الصفات الثابتة في الكتاب والسنة.

فلو أنهم نفوا الألفاظ الثابتة للكتاب والسنة ابتداء لافتضحوا مثل ما عبَّرَ الشيخ، فجاؤوا بهذه الألفاظ لتكون متكئًا لهم لنفي الصفات.

[" وحتى لا يشنع عليهم أهل الحق. "]

" وحتى لا يشنع عليهم أهل الحق. " جاءوا بهذه الألفاظ حتى لا يشنّع عليهم أهل الحق.. نعم.

[" والمؤلف الطحاوي رحمه الله لم يقصد هذا المقصد لكونه من أهل السنة المثبتين لصفات الله، وكلامه في هذه العقيدة يفسر بعضه بعضا ويصدق بعضه بعضا ويفسر مشتبهه بمحكمه "]

تعليق الشيخ:

" يفسر مشتبهُه بمحكمه " المشتبه من كلامه يفسّر بالمحكم منه، لأن مثل هذا الكلام مشتبه يحتمل؛ يعني أنت صاحب سنة إذا وجدت هذا المقطع لا تظن إلا أنه صاحب كلام – على طريقة المتكلمين –؛ لكن إذا قرأت الكلام بتمامه وجدت أن الرجل يثبت الصفات. إذن المعنى الذي يقصده المتكلمون بمثل هذه الألفاظ ليس واردًا عليه لما تراه في كتابه من إثبات لصفات الله سبحانه وتعالى.

إذن؛ يفسَّرُ مشبه كلامه بالمحكم من كلامه. نعم..

[قال: " وهكذا قوله: " لا تحويه الجهات الستُّ كسائر المبتدعات " مراده: الجهات الستّ المخلوقة، وليس مراده نفي علو الله واستوائه على عرشه لأن ذلك ليس داخلا في الجهات الست بل هو فوق العالم ومحيط به، وقد فطر الله عباده على الإيمان بعلوِّهِ سبحانه وأنه في جهة العلوّ، وأجمع أهل السنة والجماعة من أصحاب النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم وأتباعهم بإحسان على ذلك، والأدلة من الكتاب والسنة الصحيحة المتواترة كلها تدل على أنه في العلو سبحانه.

فتنبه لهذا الأمر العظيم أيها القارئ الكريم واعلم أنه الحق وما سواه باطل والله ولي التوفيق. "]

تعليق الشيخ:

نعم جزاهُ الله خيرًا.

الدرس التاسع

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على عبد الله ورسوله نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فيقول الإمام أبو جعفر الطحاوي رحمه الله تعالى في عقيدته

: " والمِعراجُ حقٌّ، وقد أُسري بالنبي صلى الله عليه وسلم وعُرِجَ بشخصه في اليقظة إلى السماء ثمّ إلى حيث شاء الله من العلا، وأكرمه الله بما شاء وأوحى إليه ما أوحى **{ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ }** فصلّى الله عليه وسلّم في الآخرة والأولى " **]**

شرح الشيخ:

الحمد لله رب العالمين وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده رسوله صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين.

أما بعد؛ في هذا الموضع يبيّن المصنِّف الإمام الطحاوي رحمه الله تعالى هذه الآية العظيمة والمعجزة الجليلة التي أكرم الله سبحانه وتعالى بها نبيَّه المصطفى ورسوله المجتبى صلوات الله وسلامه عليه حيثُ خُصَّ بهذه الكرامة ومُيِّز عليه الصلاة والسلام بهذه الفضيلة التي اختُصّ بها من سائر العالمين تكريمًا له من ربه سبحانه وتعالى، وهو خير عباد الله وأحبُّهم إلى الله، وهو ولد سيد آدم أجمعين صلوات الله وسلامه وبركاته عليه.

وقول المصنف رحمه الله تعالى: " والمعراج " المعراجُ: في الأصل السُلَّم أو المصعد؛ الآلة التي يُصعَد عليها إلى المرتفع أو العالي، والفعل: العروج؛ يقال: عرج إلى الجبل أو عرج إلى المكان المرتفع بمعنى صعد وارتفع إليه، ومراد المصنف بقوله " المعراج " أي: العروج، وليس المراد الآلة وإنما المراد العروج، عروج النبي عليه الصلاة والسلام.

وعبَّر بالمعراج لأن هذا اللفظ أصبح عَلَماً على ما أكرم الله سبحانه وتعالى به نبيه صلى الله عليه وسلم.

قال: " والمعراجُ حقٌّ " أي العروج بالنبيِّ عليه الصلاة والسلام إلى ما فوق السماوات حقٌّ أي دَلَّت عليه الدلائل البيّنات والبراهين الواضحات، فهو حقٌّ لا مِريَة فيه، ثابتٌ بالدلائل القطعية الواضحة المثبتة لعروجه صلوات الله وسلامه عليه.

قال: " وقد أسريَ بالنبي عليه الصلاة والسلام " والإسراء هو السيرُ ليلاً؛ أسري به: أي في الليل، سرى أي سار ليلاً، أُسرِيَ به أي سِيرَ به عليه الصلاة والسلام ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى.. من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، لأن الله سبحانه وتعالى شاء أن يكون عروجه إلى السماء من المسجد الأقصى، فأسريَ به عليه الصلاة والسلام في ليلةٍ واحدة إلى المسجد الأقصى وفي الليلة نفسها عُرِج به إلى ما فوق السماء السابعة ثم رجع في الليلة نفسها إلى مكانه صلوات الله وسلامه عليه في مكة، فقطع هذه المسافات الشاسعة المتباعدة في ليلة واحدة؛ من مكة إلى المسجد الأقصى ومن المسجد الأقصى إلى ما فوق السماء السابعة، وقد دلت الأدلة أن بين السماء والأرض وبين كل سماء وسماء خمس مئة عام – مسيرة خمس مئة عام –، فهذه المسافات الطويلة الشاسعة المتباعدة قطعها كلها عليها الصلاة والسلام في ليلة واحدة، وربنا جلّ وعلا على كلِّ شيءٍ قديرٌ.. وربُّنا جلّ وعلا على كلِّ شيءٍ قدير.

وهذه آية من آيات سبحانه وتعالى الدالّة على كمال عظمته وكمال قدرته سبحانه وتعالى وأنه لا يعجزه عزَّ وجلَّ شيءٌ في الأرض ولا في السماء، فأسري به عليه الصلاة والسلام إلى المسجد الأقصى وأمَّ بالنبيِّين هناك وربط البُراق الذي أسري عليه بحلقة بالباب هناك، وأمَّ بالنبيين صلى الله عليه وسلم؛ صلى بهم إماما وهم خلفه، وهذا أيضا من دلائل فضله صلى الله عليه وسلم وأنه أفضل النبيّين عليه الصلاة والسلام تَكرِمةً من الله عز وجل له، ثم بعد أن صلى بهم عُرِج به صلى الله عليه وسلم إلى ما فوق السماء السابعة.

قال: " وعُرج بشخصه في اليقظة " وعُرِج بشخصه في اليقظة " عُرِج بشخصه: أي به عليه الصلاة والسلام جِسْمًا وروحًا ليس بالروح فقط ولا كذلك كان الإسراء مناماً أُرِيَه عليه الصلاة والسلام، وإنما أُسرِيَ بشخصه أي بروحه وجسدِه هو عليه الصلاة و السلام.. بروحه وجسده؛ أُسرِيَ به أوَّلا إلى المسجد الأقصى ومنه إلى ما فوق السماء السابعة، فليس الإسراء بالروح فقط و ليس أيضًا الإسراء منامًا أُرِيَهُ عليه الصلاة والسلام، بل كان الاسراء يقظةً أي وهو مستيقظ عليه الصلاة والسلام وليس بنائم.

فقوله: " يقظةً " فيه نفي أنه منامٌ أريه عليه الصلاة والسلام، وقوله " بشخصه " فيه نفيُ أنه بروحه فقط.. أنه بروحه فقط، فكان الإسراء والمعراج بشخصه يقظةً.. بشخصه صلى الله عليه وسلم يقظة: أي عُرِجَ به روحًا وجسدًا، ولهذا لما رجع إلى مكة وأخبر الناس بما رأى صلوات الله وسلامه عليه كذَّبُوه في ذلك.. كذَّبوه في ذلك الأمر واتخذوا ذلك فرصة لهم لإظهار أنه ليس بصادقٍ حيث يدَّعي أنه بجسمه أو بشخصه أُسرِيَ به إلى المسجد الأقصى ثم عرج به إلى السماء وكل ذلك في ليلة واحدة، فأخذوا يتحدَّثون بذلك قاصدين من هذا الأمر إظهار أو زعم أنه نبيٌّ كاذب وأنه شخصٌ كاذبٌ وليس نبيًّا صادقًا، أخذوا يشيعون ذلك، ولو كان الأمر منامًا لما حصل منهم ما حصل لأن هذا أمر يحصل لكل أحد؛ يرى نفسه ذهب في المنام إلى بلاد بعيدة

ومناطق شاسعة ورجع في لحظة هذا يحصل وليس بأمر يُتَعجَّب منه، لكن الذي تعجَّبَ منه الناس وهالَهُم واتخذها المشركون فرصةً لإظهار أن هذا من الدلائل على كذبه عليه الصلاة والسلام أنه أخبر بذلك بأنه هو عليه الصلاة والسلام نفسُه عُرِج به وأُسرِي به – أي بشخصه صلى الله عليه وسلم –. فكان ذلكم آية من آيات الله العظيمة.

قال: " عُرِج بشخصه في اليقظة " وقول الله عزّ وجل { **سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ** } قال { بِعبده } والأصل في ذلك أنه به عليه الصلاة والسلام؛ بشخصه لا بروحه فقط بل بشخصه صلى الله عليه وسلم، وبدأ الآية بتسبيح نفسه سبحانه وتعالى لِعِظم هذا الأمر وكونه دالاً على عظمة الربّ سبحانه وتعالى؛ قال { **سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى** }، وأورد أيضا المصنّف في آخر حديثه قول الله عز وجلّ { **مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ** } وهذا فيه إشارةٌ إلى المعراج، فقوله { **سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا** } هذا الإسراء، والمعراج دلّ عليه قوله تعالى: { **مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ** } أي حينما عُرِج به عليه الصلاة والسلام إلى ما فوق السماء السابعة، فيكون بذلكم قد دلّ القرآن على الإسراء والمعراج؛ الإسراء في أول آية من سورة الإسراء، والمعراج في الآيات التي في سورة النّجم.

قال: " إلى السّماء ثم إلى حيث شاء الله " " إلى السماء " أي المبنيّة، لأن السماء تارةً تُطلق ويراد بها المبنيّة وتارةً تُطلق ويراد بها العلوّ، فعرج به إلى السماء؛ أي المبنيّة – السماء الدّنيا، السماء الأولى – واستفتح جبريل.. استفتح جبريل أي طلب أن يُفتح فقيل: من ؟ قال: جبريل. قال: من معك ؟ قال: محمد – صلى الله عليه وسلم – ففُتح له باب السماء الأولى – عليه الصلاة والسلام – فعرج، صعد – صلى الله عليه وسلم – وفيها لقي آدم عليه السلام وسلّم عليه ورحّب به وأقرّ بنبوّته صلوات الله وسلامه عليه، ثمّ عُرِج به إلى السماء الثانية واستفتح بابها كما كان في السماء الأولى وفتح له ولقي فيها يحيى وعيسى عليهما السلام، ورحّبا به وأقرَّا بنبوّته، ثم عُرِج به عليه الصلاة والسلام إلى السماء الثالثة فلقي فيها يوسف عليه السلام وسلّم عليه ورحّب به وأقرّ بنبوّته صلى الله عليه وسلم، ثم إلى السماء الرابعة ولقي فيها إدريس عليه السلام، وفي الخامسة لقي هارون عليه السلام، وفي السادسة لقي موسى عليه السلام، وفي السابعة لقي إبراهيم عليه السلام، وكلُّ نبيٍّ يلقاه يسلّم ويرحّب به ويُقِرُّ بنبوّته؛ مرحبًا بالنبيّ؛ يقر بنبوّته، ثم يعرج عليه الصلاة والسلام وكلُّ سماءٍ يبلغها يستفتح جبريل ثم يُفتح له. ثم عرج به إلى ما فوق السماء السابعة – صلى الله عليه وسلم – حتى بلغ سدرة المنتهى ورُفع له البيت المعمور وأُخبر أن البيت المعمور يحُجُّه في كل يوم سبعون ألف ملك.. يأتيه كل يوم سبعون ألف ملك، ومن أتاه مرّةً لا يعود إليه أخرى، وهذا يدلّ على كثرة الملائكة وكثرة عددهم { **وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ** }.

"عُرِج بشخصه في اليقظة إلى السماء ثم إلى حيث شاء الله تعالى من العُلا " أي الارتفاع والعلوّ، فعرج به عليه الصلاة والسلام، ثم دنا منه الجبّار جلّ وعلا كما دلّ على ذلكم الحديث وسمِع كلام الله من الله مباشرةً بلا واسطة، فكان بذلكم — عليه الصلاة والسلام —كليمَ الله عزّ وجلّ كما أن موسى عليه الصلاة والسلام كليمُ الله، فسمِع كلام الله من الله بلا واسطة.

وفي ذلك الموضع — أيُّها الإخوة الكرام — فُرِضت على نبيّنا عليه الصلاة والسلام الصلواتُ الخمس، وهذه خِصِّيصةٌ وميزةٌ لهذه العبادة تميَّزت بها من بين سائر العبادات؛ فكلُّ عبادة فُرِضت على النبي عليه الصلاة والسلام في الأرض؛ ينزلُ بها جبريل عليه في الأرض، إلا أن هذه الصلاة العظيمة والفريضة الجليلة فُرضت على النبي عليه الصلاة والسلام لما عُرِجَ به.. لما عُرِجَ به.. فرضها الله عليه خمسين صلاةً في اليوم واللّيلة.. خمسين صلاةً في اليوم واللّيلة، ونزل عليه الصلاة والسلام بهذه الفرضة، فلما مرّ بموسى في السماء السادسة سأله فأخبره، فقال: " إنّ أمَّتك لا تُطيق ذلك، ارجع إلى ربّك فاسأله التخفيف " فالتفت إلى جبريل كأنه يستشيره فأشار إليه أن نعم، فعرج؛ صعد عليه الصلاة والسلام وسأل الله سبحانه وتعالى التّخفيف، وما زال يتردّد صلى الله عليه وسلم بين موسى وبين اللهِ جلّ وعلا حتى خُفِّفت إلى خمسِ صلوات، فكانت خمسًا بالفعل وخمسين بالأجر والثواب، ونزل عليه الصلاة والسلام وقد فُرِضت عليه هذه الفريضة وعلى أُمَّته؛ خمسُ صلواتٍ في اليوم والليلة.

ولهذا ليت قلوبنا تعي مكانة الصلاة وتدرك عِظم شأن الصلاة وعِظم مكانتها في الإسلام وعلوَّ قدرها وكيف أنها خُصّصت بهذا الأمر الذي مُيّزت به عن غيرها من الطاعات والفرائض التي افترضها الله سبحانه وتعالى على عباده.. ليتنا نطالع الآيات القرآنية والأحاديث النبويّة التي تبيّن لنا مكانة الصلاة حتى يكون وضعنا مع هذه الصلاة على حالٍ مناسبة محافظةً وإقامةً وحفظًا لأوقاتها واهتمامًا بها، وذلك أن ميزان الصلاة خفَّ عند كثيرٍ من الناس، والمحافظة عليها ضعُفَ عند كثيرٍ من الناس، وأصبحت المساجد تشتكي من قِلَّة المصلِّين وهم إلى جوار المسجد وبيوتهم ملاصقة به، ويسمعون النداء إلى الصلاة (حيَّ على الصلاة.. حي على الفلاح) ويتهاونون.. يتهاونون بهذه الفريضة العظيمة ويفرّطون فيها .. ليت قلوبنا تعي مكانة الصلاة.

ومن جهة أخرى فإن أناسًا أُشرِبت قلوبهم بالبدعة واتّباع الأهواء فأصبحوا يشتغلون بالبدع ولا يفرِّطون فيها ويضيّعون الفرائض ولا يهتمون بها، فأصبح يوجد في الناس من إذا جاء ما يسمَّى بليلة الإسراء والمعراج – مع أنه لم يأت تحديدٌ وتعيين لتلك الليلة بشيءٍ ثابت – إذا جاء ما يسمى بليلة الإسراء والمعراج لا يُفوّتون السّهر تلك الليلة في احتفالات لها مراسمها ولها أعمالها ولها أيضًا أطعمتها الخاصّة ولها احتفالاتها الخاصّة !!.. لا يفوّتونها، ومنهم من يفوّت صلاةَ الفجر في تلك الليلة !! ولو وعت قلوبهم حقيقةَ الأمر لشَغلوا أنفسهم

بفرائض الإسلام وأعظم ذلكم الصلاة التي افترضها الله سبحانه وتعالى على عباده وتجنَّبوا محدثات الأمور التي هي مردودةٌ على أصحابها غير مقبولة منهم، وقد قال عليه الصلاة والسلام: ((**من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو ردٌّ**))

وإذا كان من اشتغل بنفلٍ مشروعٍ عن فرضٍ كان بذلكم مضيّعا مفرّطًا فكيف بمن يشتغل عن الفرض بالبدعة ؟!! يسهر تلك الليلة على بدعة الاحتفال وتثقل صلاته ويثقل رأسه عن صلاة الفجر !

نزل النبي عليه الصلاة والسلام بعد هذا العُرُوج وركِب البُرَاق الذي كان ربطه بحلقة الباب في المسجد الأقصى وعاد من ليلته تلك صلى الله عليه وسلم وأخبر الناس.

قال رحمه الله: " وأكرمه الله تعالى بما شاء " لأن هذه كرامةٌ كبرى أكرم الله بها نبيَّه عليه الصلاة والسلام ومنَّ بها عليه، فرأى من آيات الله الكبرى العظيمة ليلةَ عُرِج به صلى الله عليه وسلم وسمع كلامَ الله من الله بلا واسطة فكان صلى الله عليه وسلم كليمَ اللهِ ربِّ العالمين.

قال: " وأوحى إليه ما أوحى " أي أوحى الله إلى نبيه عليه الصلاة والسلام ما أوحى، والوحي الذي يوحى إلى النبي عليه الصلاة والسلام له صيغٌ معلومة، وكان الوحي الذي أوحاه الله عزّ وجلّ إلى نبيّه هو سماعُ كلام الله من الله؛ قال الله تعالى: { **۞ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا** } فسمع كلام الله جل وعلا من الله سبحانه وتعالى بلا واسطة، وهذه من الكرامات العظيمة التي أكرم الله سبحانه وتعالى بها نبيَّه صلى الله عليه وسلم.

ثم ختم ذلكم بالدليل: " { **مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ** } " فصلوات الله وسلامه وبركاته عليه.

[**قال رحمه الله تعالى:** " والحوض الذى اكرمه الله تعالى به غياثا لأُمَّته حقٌّ والشفاعة التي اتخذ. "]

شرح الشيخ:

قال رحمه الله تعالى: " والحوض الذي أكرمه الله تعالى به غياثًا لِأُمَّته حقٌّ " الحوض أي المكان الذي جعله الله سبحانه وتعالى يرِده نبينا عليه الصلاة والسلام وترده أُمَّتُه، ومن شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبدًا حقٌّ لتظافر الدلائل عليه وتواتر الأحاديث عن النبيّ عليه الصلاة والسلام في إثباته، والأحاديث الواردة عن النبيّ عليه الصلاة والسلام في الحوض بلغت حد التّواتر، وقد بلغ عدُّها في عدِّ بعض أهل العلم أكثر – في الرواية – أكثر من خمسين صحابيًّا رووا هذا الحديث عن النبيّ الكريم عليه الصلاة والسلام.

ف " الحوض " حقٌّ أي ثابتٌ، ودلائله ثابتة، فالإيمان به واجبٌ، والإيمان به من الإيمان باليوم الآخر، لأن الإيمان باليوم الآخر هو الإيمان بكلِّ التفاصيل الواردة في كتاب الله وسنه نبيه صلوات الله وسلامه عليه مما يكون في اليوم الآخر، ف " الحوض حقٌّ " لأنه ثبت بالأحاديث المتواترة عن النبيّ الكريم عليه الصلاة والسلام، فهو حقٌّ والإيمان به واجب.

قال: " والحوض الذي أكرمه الله تعالى به " " الذي أكرمه الله تعالى به " وهذا فيه أن الحوض كرامة أكرم الله سبحانه وتعالى بها نبيَّه عليه الصلاة والسلام، وثبت عنه صلى الله عليه وسلم أن لكل نبيٍ حوضًا وأن حوضه عليه الصلاة والسلام أكثر واردًا صلوات الله وسلامه عليه.

" وهو كرامة أكرمه الله سبحانه وتعالى به غياثا لأمّته " " غياثا لأمّته " لأن الناس في ذلك الوقت وفي عرصات يوم القيامة في أشد ما يكونون حاجةً إلى الماء، فيجدون هذه الكرامة العظيمة والعطيّة المباركة؛ الحوض المورود، وجاء وصفه في السنة بأن ((**ماءه أحلى من العسل ولونه أبيض من اللبن ورائحته أطيب من المسك وكيزانُه كنجوم السماء**)) أي عددا وكثرة وإشراقا وضياءً، وثبت أن ((**من شرب منه شربةً لا يظمأُ بعدها أبدًا**)) أي لا يحسُّ بعد ذلكم بظمأ، لا يحس بعطش وإنما يشرب الماء بعد ذلك تلذُّذًا وتمتُّعًا، لا أنه يشرب الماء عن عطشٍ واحتياج وألم، وإنما يشرب الماء بعد ذلك تلذُّذًا، فمن شرب منه شربةً لم يظمأ بعدها أبدا.

قال: " الذي أكرمه الله تعالى به غياثا لأمته صلى الله عليه وسلم " غياثا أي جعل الله سبحانه وتعالى في هذا الماء غوثا لأن الماء غيثٌ يغيث به الله سبحانه وتعالى العباد فيروى الظمأ ويسد حاجة الإنسان، فيكرم الله سبحانه وتعالى نبينا عليه الصلاة والسلام وأمته بذلك الحوض العظيم.

وجاء في حديث خرَّجه الإمام مسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبيّ عليه الصلاة والسلام كان مع أصحابه في المسجد فأغفى إغفاءةً – يعني نَامَ نومةً يسيرة بين أصحابه – ثم قام عليه الصلاة والسلام من تلك الاغفاءة متبسِّما، ورأى أصحابه الكرام رضي الله عنهم وأرضاهم الابتسامة على وجهه، ابتسامة فرحٍ وسرور فسألوه رضي الله عنهم وأرضاهم: ما أضحكك ؟ سألوا النبيَّ عليه الصلاة والسلام فقال عليه الصلاة والسلام: ((**أنزلت عليَّ آنفًا سورةٌ**)) نزلت عليه سورة في تلك الاغفاءة بين أصحابه نزل بها جبريل عليه السلام والصحابة لا يرون شيئا، نزل بها جبريل عليه السلام فقام متبسما فرحا مسرورا عليه الصلاة والسلام بسورة أنزلها الله تبارك وتعالى عليه، قال: ((**أنزل عليَّ آنفا سورة؛ بسم الله الرحمن الرحيم { إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ * فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ * إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ }**)) تلا صلى الله عليه وسلم عليهم السورة التي أنزلت عليه، وهي أقصر سورةٍ في القرآن وجاءت تحمل البشارة العظيمة المباركة التي قام على إثرها عليه الصلاة والسلام متبسما. يرى الصحابة الكرام رضى الله عنهم وأرضاهم الابتسامة على وجهه ابتسامة الفرح والسرور،

ثم قال لهم: ((**أتدرون ما الكوثر ؟ نهر وعدنيه الله عزَّ وجلّ**)) قال: ((**وهو الحوض كيزانُه كعدد نجوم السماء من شرب منه شربةً لم يظمأ بعدها أبدا، ويختلج من دونه أناس فأقول: أُمَّتي ! فيقال: ما أحدثوا بعدك ؟**)) وهذه الرواية نستفيد منها عدة فوائد لكن أشير إلى أهمها:

- أن الحوض الذي يكون في عرصات يوم القيامة يمدّ بماء الكوثر، والكوثر نهرٌ في الجنة أعطاه الله سبحانه وتعالى نبيَّه كما جاء في هذا الحديث، وهذا النهر يشخُبُ منه ميزابان في الحوض، فماء الحوض من الكوثر الذى هو نهر وعده الله سبحانه وتعالى نبيه صلى الله على وسلم.
- ولما نزلت البشارة: { **إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ** } قال: { **فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ** } وهذا فيه ارتباطٌ بين البشارة وبين العمل، فالبشارة مرتبطة بعمل؛ بمعنى أن من أراد من أمّته أن يكون من أهل هذا الخير الكثير والفضل العظيم عليه بالمحافظة على طاعة الله وأعظم الطاعات الصلاة؛ ذكر الصلاة والنحر، والصلاة قِوَام العبادات البدنية والنحر سلام العبادات المالية.

{ **فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ** } وقوله { لِرَبِّكَ } أي الاخلاص؛ أن تقع العبادات والأعمال لله جلّ وعلا متقرِّبًا بها إليه سبحانه وتعالى، وفى قوله الحديث " لا تدري ما أحدثوا بعدك " تنبيه على خطورة البدع وأنها سبب للحرمان والذّوذ عن حوض النبي الكريم عليه الصلاة والسلام، فاشتمل هذا الحديث بسياقه على التنبيه على وجوب الإخلاص لله سبحانه وتعالى في العبادة ووجوب المتابعة للرسول صلوات الله وسلامه عليه، فإذا انتفى الإخلاص أو انتفت المتابعة كان ذلك سببًا للحرمان والعياذ بالله.. للحرمان من الكوثر

والكوثر: الخير الكثير في الدنيا والآخرة ومنه النهر العظيم الذي وعد الله سبحانه وتعالى به نبيه صلوات الله وسلامه وبركاته عليه.

قول المصنف رحمه الله تعالى: " الحوض حقٌّ " أي ثابتٌ دلّت عليه الدلائل البيّنة الواضحة وتواترت به الأحاديث عن الرسول الكريم صلوات الله وسلامه وبركاته عليه، ومع وضوح هذه الدلائل وكثرة هذه البراهين إلا أن من أهل الضلال وأهل البدع في قديم الزمان وحديثه – حتى في زماننا هذا – من ينكر الحوض ويجحده ويشكك في ثبوته فيكون بذلك منكرا هذه الكرامة العظيمة، وحريٌّ بمن أنكر هذه الكرامة وأنكر هذه الفضيلة وهذا الحوض أن لا يكون من أهله الذين يردونه لأن ورود الحوض مبني على التصديق والإيمان وسؤالِ الله تعالى الورود وفعل الأسباب التي يكون بها الورود ، وقد قال أنس بن مالك – راوي الحديث المتقدم –كما جاء في مسند أبي يعلى وغيره، قال رضي الله عنه: " لقد تركت عجائز بالمدينة ما يصلين صلاة إلا سألن الله فيها أن يردن حوض النبي صلى الله عليه وسلم " "... ما يصلين صلاة إلا سألن الله فيها أن يردن حوض

النبي صلوات الله وسلامه عليه " فالورود ..ورود الحوض والشرب منه يحتاج من العبد إلى بذل أسباب وأن يكون قام في قلبه طمع في هذا الورود ودعا الله سبحانه وتعالى وأخذ بالأسباب، أما من ينكر الحوض.. أما من ينكر الحوض ولا يؤمن به فحريٌّ به أن يحرم من ذلك وأن يُذادَ عن حوض النبي عليه الصلاة والسلام، ولهذا قال أهل العلم : " من كذَّب بكرامةٍ لم ينلها " لأنه ليس من أهلها ولم يقم في قلبه طمع في نيلها وتحصيلها " من كذب بكرامةٍ لم ينلها " مثل من يكذب بكرامة الله العظيمة للمؤمنين أنهم يرونه في الجنة، وقد ثبت بذلكم الحديث عن النبي عليه الصلاة والسلام " إنكم سترون ربكم " ووجد في أهل البدع من يكذب بهذه الكرامة التي يكرم بها عباده المؤمنين، ولهذا جاء عن الشافعي وغيره من الأئمة ..أئمة أهل العلم أن من أنكر الرؤية حريٌّ بأن يحرم منها وكذلك من ينكر الحوض.. من ينكر الحوض المورود ويجحده حريٌّ أن يحرم من ذلك.

ومن يكتب في إنكار الحوض من المعاصرين تلقفوا هذا الإنكار من المعتزلة الذين يبنون دينهم على العقول المجردة مع جحد ما دلت عليه النصوص البيّنات والأحاديث الواضحات عن الرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه، فمن ينكر الحوض سلفه في ذلك المعتزلة العقلانيين الذين ليس للنصوص عندهم حرمة وليس لها في نفوسهم مكانة ، وإذا جاءوا بنص لا يأتون به للاحتجاج به وإنما يوردونه إيرادَ من قصد ردَّه.. يوردونه إيرادَ من قصد ردَّه والتكذيب بمحتواه، فهذه حال أهل البدع والضلال ..أعاذنا الله وإياكم ووفقنا أجمعين للزوم هدي النبي الكريم عليه الصلاة والسلام والتصديق بما جاء عنه وأكرمنا جميعا بالشرب من حوض نبيه عليه الصلاة والسلام شربةً لا نظمأ بعدها أبدا .

[**قال رحمه الله:** " والشفاعة التي ادّخرها لهم حقٌّ كما روي في الأخبار "]

<u>شرح الشيخ:</u>

قال رحمه الله تعالى " والشفاعة التي ادّخرها لهم حقٌّ " لهم: أي للأنبياء، وكذلكم الملائكة تشفع والمؤمنون يشفعون كما صحت بذلكم الأخبار.

والشفاعة حق، وهي ثابتة في النصوص الكثيرة الدالة على ثبوتها.

والشفاعة هي من الشفع وهو ضد الوتر ومعناها طلب الخير للغير، كأن هذا الطلب انضم إلى طلب الغير فصار بذلكم شفعا، فالشفاعة هي طلب الخير للغير.

والشفاعة يوم القيامة حقٌّ ثابتة دلَّت عليها الدلائل الكثيرة، وهي أنواع وأقسام، وأعظمها الشفاعة العظمى التي إليها الإشارة في قول الله سبحانه وتعالى **{ عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا }** وهي الشفاعة للأولين والآخرين في أن يبدأ الله سبحانه وتعالى بالحساب والفصل بين الناس، لأن الناس يقفون يوم القيامة موقفًا عظيما ومدة طويلةً في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، فيطلب الناس من الأنبياء أن يشفعوا لهم عند الله في أن يبدأ بالفصل بين العباد، فيأتون الى آدم فيعتذر ثم يذهبون إلى نوح فيعتذر ثم إلى إبراهيم فيعتذر ثم إلى موسى فيعتذر ثم إلى عيسى فيعتذر ثم إلى نبينا محمد عليه الصلاة والسلام فيقول: ((**أنا لها**))، و يخرّ ساجدا تحت العرش ويحمد الله بمحامد يعلِّمُه الله إيّاها في ذلك الوقت، ثم يقول الله له: ((ارفع راسك وسل تعطه واشفع تُشفّع)) وحينئذ يجيء الربّ سبحانه وتعالى للفصل بين العباد كما قال جلَّ وعلا: **{ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا }** وهذه الشفاعة العظمى وهي خاصّة بنبينا صلوات الله وسلامه عليه لا يشاركه فيها أحد.

ومن الشفاعات: الشفاعة لأهل الجنة في من يدخل الجنة، وهذه أيضا خاصة به صلوات الله وسلامه عليه، وهاتان الشفاعتان لا ينكرهما أحد، ومن ينكرون الشفاعة لأهل الكبائر لا ينكرون هاتين الشفاعتين لأنها لا تنافي شيئا من أصولهم، ولهذا المصنف لما قال هنا " والشفاعة حقٌّ التي ادّخرها لهم " لما قال " ادّخرها لهم " عرفنا ماذا ؟ عرفنا أنه ما قصد الشفاعة العظمى ولا أيضا الشفاعة لأهل الجنة في دخول الجنة وإنما خصّ بالذكر هذه الشفاعة التي يشترك مع نبينا عليه الصلاة والسلام الملائكة والأنبياء والمؤمنون، لكن له من ذلك النصيب الأوفر والحظّ الأعظم، فخصّ هذه الشفاعة بالذّكر لوجود من ينكرها ويجحدها، وهذا واضح من قوله: " التي ادّخرها لهم ".. " التي ادّخرها لهم " أي يوم القيامة؛ ادّخرها لهم أي يوم القيامة، فلما قال " لهم " ما قال " له " عرفنا من ذلك أنه قصد الشفاعة لأهل الكبائر، وهذه ليست خاصّة بنبينا عليه الصلاة والسلام وإنما يشاركه فيها الملائكة؛ فالملائكةُ تشفع **{ ۞ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِن بَعْدِ أَن يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَن يَشَاءُ وَيَرْضَىٰ }** والأنبياء أيضًا تشفع، والمؤمنون أيضا يشفعون، ويخرج الله سبحانه وتعالى بشفاعتهم ممن شاء ثم إذا شفع الشافعون وانتهت الشفاعات أخرج الله سبحانه وتعالى برحمته من غير شفاعة شافعين أيضًا عددًا من النار برحمةٍ من الله سبحانه وتعالى وفضل.

ف " الشفاعة حقٌّ " الشفاعة حقّ وهي ثابتة بأنواعها ولها دلائلها الكثيرة وبراهينها الواضحة الدّالة عليها كما قال المصنّف رحمه الله "كما رُوِي في الأخبار " أي في النصوص الثابتة والبراهين الصحيحة المأثورة عن النبي عليه الصلاة والسلام.

وهذه الشفاعة التي تكون يوم القيامة؛ الشفاعة لعموم الخلق يوم القيامة وكذلك الشفاعة لأهل الكبائر لا تكون إلا بإذن الله كما قال الله سبحانه: { **مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ** } ولا تكون الشفاع لأهل الكبائر إلا لمن رضي الله عنه.. إلا لمن رضي الله عنه { **وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ** } والله لا يرضى إلا عن أهل التوحيد، ولهذا الكفّار المشركون لا تنفعهم شفاعة الشافعين.. لا تنفعهم شفاعة الشافعين، لو قُدّر أن أحدًا شفع يوم القيامة لمشرك لا تنفعه الشفاعة، وقد جاء في صحيح البخاري أن إبراهيم الخليل – خليل الرّحمن – يلقى أباه يوم القيامة فيقول له: ألم أقل لا تعصِني.. فيقول له: ألم أقل لا تعصِني.. فيقول: الآن لا أُعصيك، فيقول إبراهيم الخليل عليه السلام – يتوجّه إلى الله جلّ وعلا يسأله شافعًا لأبيه – يقول: " يا ربّ ! وأيُّ خزيٍ من أبي الأبعد " فيقول الله عز وجلّ.. يقال له: انظر، فينظر فإذا بذيخ.. يتحول والده على هيئة ذيخ – وهو ذكر الضّباع – ثم يؤخذ بقوائمه ويلقى في النار.. يؤخذ بقوائمه فيلقى في النار، فالمشرك الكافر لا تنفعه شفاعة الشافعين، لو قُدّر أنه شُفع له لا تنفعه شفاعة الشافعين ولا يستثنى من ذلك إلا شفاعة النبي عليه الصلاة والسلام لعمِّه أبي طالب الذي نصره وأيّده ومات على الكفر بالله، فيشفع له عند الله فيكون في ضحضاحٍ من النار؛ قال: ((**ولولا أنا لكانَ في الدّرْكِ الأسفل من النار**)) فيكون في ضحضاحٍ من النار؛ يعني يبقى فيها أبد الآباد.

ف: الشفاعة حقٌّ ولا تكون إلا بإذن الله ولا تكون إلا لمن رضي الله عنه، والله سبحانه وتعالى لا يرضى عن أهل التوحيد ولهذا قال: { **وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ** } قال: { ۞ **وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِن بَعْدِ أَن يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَن يَشَاءُ وَيَرْضَىٰ** }

وإذا علم العبد بالشفاعة وثبوتها وأنّها حقٌّ وأنّ الله عزّ وجلّ يكرم بها أنبياءه وأصفياءه ولنبينا عليه الصلاة والسلام منها المقام الأعلى والمنزلة الأرفع فإن هذا الإيمان وهذا الإقرار بالشفاعة يجعل العبد يطمع في نيل ذلك ويحرص على بذل الأسباب التي يكون بها تحصيله هذا الأمر ونيله، والشفاعة ملكٌ لله { **قُل لِّلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا** } ولا يشفع أحدٌ عند الله إلا بإذن الله، ولا يُشفع لأحدٍ إلا إذا رضي الله عنه، فالأمر كله لله سبحانه وتعالى من قبلُ ومن بعد، وهذا يتطلب من العبد أن يأخذ بالأسباب الشرعية التي يكون ببذلها نيلُ الشفاعة وتحصيلُها؛ وهذا قال أبو هريرة – كما ثبت في الصحيح – للنبي عليه الصلاة والسلام.. قال: " قلتُ: يا رسولَ الله من أحقُّ بشفاعتكَ يوم القيامة ؟ " من أحقُّ بشفاعتكَ يوم القيامة ؟ قال عليه الصلاة والسلام: ((**من قال لا إله إلا الله خالِصًا من قلبه**)) ولما قال له رجل: أسألك مرافقتك في الجنّة. قال: ((**أعِنّي على نفسك بكثرة السجود**)) والأحاديث في هذا المعنى كثيرة؛ قال عليه الصلاة والسلام: ((**لكلّ نبيٍّ دعوةٌ مستجابة، وإني اختبأتُ – أو ادّخرتُ – دعوتي شفاعةً لأمتّي يوم القيامة، وإنها نائلةٌ إن شاء الله**

من لا يشرك بالله شيئًا))، فهذا يتطلّب من العبد أن يأخذ بالأسباب المشروعة وأعظم ذلكم الإخلاص لله عزّ وجلّ والبعد عن الشّرك ((**إنها نائلةٌ إن شاء الله من لا يشرك بالله شيئًا**))، وكذلكم يحرص على المتابعة للنبي الكريم عليه الصلاة والسلام والمحافظة على فرائض الإسلام وواجبات الدّين والبعد عن الأمور التي تُغضب الله سبحانه وتعالى. وأيضًا يحرص على البعد عن اتّخاذ وسائل لنيل الشفاعة ليست مشروعةً ولا مأمورًا بها؛ إمّا أن تكون بدعة او تكون شركًا، وهذه مسألة خطيرة جدًّا وضلّ فيها أقوامٌ وزلّت فيها أفهام، وللإمام ابن أبي العزّ الحنفي رحمه الله تعالى – شارح العقيدة الطّحاوية –كلام نفيس للغاية في هذا الموضوع نسمع ما تيسر من كلامه رحمه الله تعالى.

[**قال الإمام ابن أبي العز رحمه الله تعالى:** " وأما الاستشفاع بالنبي صلى الله عليه وسلم وغيره في الدنيا إلى الله تعالى في الدعاء ففيه تفصيل فإن الداعي تارة يقول بحق نبيك أو بحق فلان يقسم بالله بأحد من مخلوقاته فهذا محذور من وجهين:

- أحدهما أنه أقسم بغير الله
- والثاني اعتقاده أن لأحد على الله حقًّا.

ولا يجوز الحلف بغير الله وليس لأحد على الله حق إلا ما أحقه على نفسه كقوله تعالى: **{ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ}** وكذلك ما ثبت في الصحيحين من قوله صلى الله عليه وسلم لمعاذ رضي الله عنه وهو رديفه: ((**يا معاذ أتدري ما حق الله على عباده ؟**)) قال: قلت الله ورسوله أعلم. قال: ((**حقه عليهم أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا. أتدري ما حق العباد على الله إذا فعلوا ذلك ؟**)) قلت: الله ورسوله أعلم. قال: ((**حقهم عليه أن لا يعذّبهم**)).

فهذا حق وجب بكلماته التامّة ووعده الصادق لا أن العبد نفسه يستحق على الله شيئا كما يكون للمخلوق على المخلوق فإن الله المنعم على العباد بكل خير وحقهم الواجب بوعده هو أن لا يعذبهم وترك تعذيبهم معنى لا يصلح أن يقسم به ولا يسأل عن سببه ويتوسل به لأن السبب هو ما نصبه الله سببا، وكذلك الحديث الذي في المسند من حديث أبي سعيد رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم في قول الماشي إلى الصلاة: ((**أسألك بحق ممشاي هذا وبحق السائلين عليك**)) فهذا حق السائلين هو أوجبه على نفسه فهو الذي أحق للسائلين أن يجيبهم وللعابدين أن يثيبهم، ولقد أحسن القائل:

ما للعباد عليه حق واجب كلّا ولا سعيٌ لديه ضائع

إن عذبوا فبعدله أو نُعِّموا   فبفضله وهو الكريم الواسع

فإن قيل: فأي فرق بين قول الداعي بحق السائلين عليك وبين قوله بحق نبيك أو نحو ذلك ؟ فالجواب: أن معنى قوله بحق السائلين عليك أنك وعدت السائلين بالإجابة وأنا من جملة السائلين فأجب دعائي، بخلاف قوله: بحق فلان، فإن فلان وإن كان له حق على الله بوعده الصادق فلا مناسبة بين ذلك وبين إجابة دعاء هذا السائل، فكأنه: يقول بكون فلان من عبادك الصالحين أجب دعائي وأي مناسبة في هذا وأي ملازمة ؟ وإنما هذا من الاعتداء في الدعاء وقد قال الله تعالى: **{ ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ }** وهذا ونحوه من الأدعية المبتدعة، ولم ينقل عن النبي صلى الله عليه وسلم ولا عن الصحابة ولا عن التابعين ولا عن أحد من الأئمة رضي الله تعالى عنهم، وإنما يوجد مثل هذا في الحروز والهياكل التي يكتبها الجهال والطرقية.

والدعاء من أفضل العبادات، والعبادات مبناها على السنة والاتباع لا على الهوى والابتداع.

وإن كان مراده الإقسام على الله بحقِّ فلان فذلك محذور أيضا؛ لأن الإقسام بالمخلوق على المخلوق لا يجوز فكيف على الخالق ؟ وقد قال صلى الله عليه وسلم: ((**من حلف بغير الله فقد أشرك**)) ولهذا قال أبو حنيفة وصاحباه رحمهم الله: " يكره أن يقول الداعي أسألك بحق فلان أو بحق أنبيائك ورسلك أو بحق البيت الحرام والمشعر الحرام ونحو ذلك.. " حتى كره أبو حنيفة ومحمد رحمهم الله أن يقول الرجل: اللهم إني أسئلك بمعقد العز من عرشك، ولم يكرهه أبو يوسف رحمه الله لما بلغه الأثر فيه. وتارة يقول: بجاه فلان عندك أو يقول ونتوسل إليك بأنبيائك ورسلك وأوليائك ومراده بأن فلان عندك ذو وجاهة وشرف ومنزلة فأجب دعائنا وهذا أيضا محذور فإنه لو كان هذا هو التوسل الذي كان الصحابة يفعلونه في حياة النبي صلى الله عليه وسلم لفعلوه بعد موته. "] .

الدرس العاشر

بسم الله الرحمن الرحيم

[الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على عبد الله ورسوله نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد: فيقول الإمام أبو جعفر الطحاوي رحمه الله تعالى في عقيدته : " والميثاق الذي أخذه الله تعالى من آدم وذريته حقّ، وقد علم الله تعالى فيما لم يزل عدد من يدخل الجنة، وعدد من يدخل النار جملة واحدة، فلا يزاد في ذلك العدد ولا ينقص منه، وكذلك أفعالهم فيما علم منهم أن يفعلوه، وكلٌّ ميسر لما خلق له. والأعمال بالخواتيم، والسعيد من سعد بقضاء الله، والشقي من شقي بقضاء الله. وأصل القدر سر الله تعالى في خلقه، لم يطلع على ذلك ملك مقرب ولا نبيٌّ مرسل، والتعمق والنظر في ذلك ذريعة الخذلان، وسلم الحرمان، ودرجة الطغيان، فالحذر كل الحذر من ذلك نظرا وفكرا ووسوسة، فإن الله تعالى طوى علم القدر عن أنامه، ونهاهم عن مرامه، كما قال الله تعالى في كتابه: **{ لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ }** فمن سأل: لِمَ فعل؟ فقد ردّ حكم الكتاب، ومن رد حكم الكتاب كان من الكافرين. فهذا جملةُ ما يحتاج إليه من هو منوَّر قلبه من أولياء الله تعالى، وهي درجة الراسخين في العلم؛ لأن العلم علمان: علم في الخلق موجود، وعلم في الخلق مفقود، فإنكار العلم الموجود كفر، وادّعاء العلم المفقود كفر، ولا يثبت الإيمان إلا بقبول العلم الموجود وترك طلب العلم المفقود. "]

شرح الشيخ:

الحمد لله رب العالمين وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين.

أما بعد؛ فقد عرفنا من طريقة المصنف الإمام الطحاوي رحمه الله تعالى عرضه في هذا الكتاب لجُملِ مسائل الاعتقاد ولم يراع في ذلك ترتيبًا معيّنا، ولهذا سبق أن مرَّ معنا مسائل تتعلق بالقدر ثم انتقل إلى مسائل غيرها ثم عاد ليتكلم أيضا عن مسائل القدر، فجاءت مسائل ومباحث الاعتقاد في هذا الكتاب على غير ترتيب يعلم فيما حرره المؤلف رحمه الله تعالى.

وتكلم هنا أولا عن الميثاق فقال رحمه الله تعالى: " والميثاق الذي أخذه الله تعالى من آدم عليه السلام وذرّيّته حق " هنا يتكلم عن الميثاق، والميثاق العهد المؤكد، وهذه اللفظة وردت في مواطن عديدة من القرآن الكريم يراد بها العهد المؤكد.

وهو رحمه الله تعالى يشير هنا إلى العهد العظيم والميثاق الكبير الذي إليه الإشارة في قول الله تبارك وتعالى { **وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَا ۛ أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَافِلِينَ * أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّن بَعْدِهِمْ ۖ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ** } فهو رحمه الله تعالى يشير إلى هذه الآية الكريمة وإلى الميثاق المذكور في هذه الآية معنىً وليس لفظًا، لأن لفظة الميثاق لما يأتي لها ذكر في هذه الآية الكريمة، لكنَّ فيها ميثاق فيها عهد، فيها عهد مؤكد على آدم وذريته في تحقيق ما خلقوا لأجله ووجدوا لأجله من توحيد الله سبحانه وتعالى وإقامة الدين له تبارك وتعالى، وأهل العلم في كتب التفسير وفي غيرها لهم قولان مشهوران ، في معنى هذه الآية الكريمة:

- فمن أهل العلم ومنهم الإمام الطحاوي رحمه الله كما في كتابه [تهذيب الآثار] من يرى أن المراد بهذه الآية إخراج ذرية آدم من صلبه في عالم سابق، وأن الله سبحانه وتعالى أشهدهم على أنفسهم في ذلك العالم بعد أن أخرجهم جميعًا من صلب أبيهم آدم عليه السلام { **أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا بَلَىٰ** }، فيكون المراد بهذه الآية الكريمة على هذا القول لجماعة من أهل العلم: إخراج الذرية من صلب أبيهم آدم، ويطلق بعض أهل العلم على ذلكم العالم " عالم الذرّ " لمجيء هذه اللفظة في بعض الأحاديث، و جاءت أحاديث مختلف فيها بين أهل العلم صحةً وضعفًا تفسر الآية بذلك.
- والقول الثاني من أقوال أهل العلم أن المراد بهذه الآية: الفطرة التي فطر الناس عليها، وأن الله عز وجل أخرج الذرية من ظهور الآباء كلٌّ يخرج كذلك بالتناسل والتوالد ويكون في خروجه على الفطرة فطرة الله سبحانه وتعالى التي تشهد لله عز وجل بالوحدانية والتفرُّد، وهذا أمر فُطر عليه الناس كلّهم؛ فما من مولود إلا ويولد على الفطرة كما صح بذلكم الحديث عن رسوله صلوات الله سلامه عليه وقد قال الله تعالى: { **فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا** ۚ } وجاء في الحديث القدسي أن الله تبارك وتعالى قال: " خلقتُ عبادي حنفاء فأتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم " وفي حديث أبي هريرة قال عليه الصلاة والسلام ((**كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهوِّدانه أو ينصرانه أو يمجسانه كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل ترون فيها من جدعاء إلا أن تكونوا أنتم الذين تجدعونها**)) أي أن ما يحصل من انحراف وتغيّر عن الفطرة التي فطر عليها الإنسان هو بسبب

العوامل التي من حول الإنسان؛ أبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجّسانه؛ أي بحسب المؤثرات التي حول الإنسان.

وليس هذا العهد والميثاق وحده حجّة؛ سواء قيل هو الفطرة أو قيل الإخراج، والحجة إنما هي ببعثة المرسلين **{ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا }**، وجاء في الحديث في الصحيحين وغيرهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((**لا أحد أحبُّ إليه العذر من الله**)) ومن أجل ذلك فبعث المرسلين مبشرين ومنذرين، أي حتى لا يكون لأحد حجّة **{ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ }**، والرّسل يذكّرون الناس بهذا العهد وهذا الميثاق فتقوم الحجة عليهم ببعثة المرسلين وبلوغ الرسالة؛ ولهذا قال جلّ وعلا **{ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا }**، والذين يدخلون النار يوم القيامة يكون دخولهم فيها بعد إقرارهم بقيام هذه الحجّة؛ الحجّة الرسالية **{ وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُوا بَلَىٰ }**.

والأظهر والأوضح في معنى هذه الآية الكريمة هو المعنى الثاني وهو أن المراد بها الفطرة التي فطر تبارك وتعالى الناس عليها، وليس المراد به إخراج الذرّيّة من صلب أبيهم آدم كما جاء في بعض الروايات والأحاديث التي أشرت إلى أن بعض أهل العلم عدّها مفسّرة للآية الكريمة؛ وذلك لوجوه كثيرة أوصلها العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى إلى عشرة وجوه في كتاب [الروح]، رحمه الله تعالى، ونقل ذلكم ابن أبي العز في شرح العقيدة الطحاوية؛ ومن ذلكم أن الله عز وجل في الآية قال **{ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ }** ولم يقل من أهله، وقال **{ مِن ظُهُورِهِمْ }** ولم يقل من ظهره، وقال **{ ذُرِّيَّتَهُمْ }** ولم يقل ذريته... إلى غير ذلكم من وجوهٍ ذكرها رحمه الله تعالى.

الأظهر في معنى الآية أن المراد ما فطر الله سبحانه وتعالى عليه العباد من الإقرار بوحدانية الله تبارك وتعالى وأنهم فُطروا على ذلك، وفي هذا المعنى خلاصة نفيسة جداً لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى جاء في كتاب [جامع الرسائل] له رحمه الله؛ قال: " فإن هذه الآية –أي قول الله عز وجل **{ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ }** قال:– فإن هذه الآية بيّنةٌ في إقرارهم وشهادتهم على أنفسهم بالمعرفة التي فُطِروا عليها –بأن الله ربهم–، وقال صلى الله عليه وسلم ((**كل مولود يولد على الفطرة**)) " قال: " وطائفة من العلماء جعلوا هذا الإقرار لما استُخرِجُوا من صلب آدم وأنه أنطقهم وأشهدهم لكن هذا لم يثبت به خبر صحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم والآية لا تدلُّ عليه، وإنّما الذي جاءت به الأحاديث المعروفة أنه استخرجهم من وأراهم لآدم وميّز بين أهل الجنة وأهل النار منهم، فعرفوا من يومهم، هذا فيه مأثور من حديث أبي هريرة رواه

الترمذي وغيره بإسناد جيد، وهو أيضاً من حديث عمر بن الخطاب الذي رواه أهل السنن ومالك في الموطأ وهو يصلح للاعتضاد.

وأما إنطاقهم وإشهادهم –أي في ذلك العالم– فقد روي عن بعض السلف وقد روي عن أُبَيّ وابن عباس وبعضهم رواه مرفوعاً من طريق ابن عباس وغيره، وروى ذلكم الحاكم في صحيحه لكنه ضعيف.

...لكن كون الخلق مفطورين على الإقرار بالخالق أمر دل عليه الكتاب والسنة وهو معروف بدلائل العقول "

وابن القيم كما أسلفت له بحث موسّع في هذه المسألة في كتابه [الروح] فيمكن مطالعة ذلك، ونقل جملة منه الإمام ابن أبي العز الحنفي رحمه الله تعالى في شرحه لعقيدة الإمام الطحاوي.

ثم أخذ الإمام الطحاوي رحمه الله تعالى بعد ذلكم في الكلام على مسألة الإيمان بالقدر.

والإيمان بالقدر كما لا يخفى يقوم على الإيمان بأصولٍ أربعة يسميها أهل العلم مراتب الإيمان بالقدر:

- أولها **الإيمان بعلم الله المحيط** الذي أحاط بكل شيء؛ فعلم جل شأنه ما كان وما سيكون وما لم يكن لو كان كيف يكون، فهو عز وجلّ عليم بكل شيء.. أحاط بكل شيء علماً وأحصى كل شيء عددا. وعِلمه جل وعلا أزلي أبديّ؛ فعلم في الأزل وأحاط علمه تبارك وتعالى دوماً وأبداً بكل شيء لا تخفى عليه تبارك وتعالى خافية في الأرض ولا في السماء.
- ثم بعد ذلكم تأتي **مرتبة الكتابة**.
- ثم **المشيئة**.
- ثم **الإيجاد**.

والمصنف رحمه الله تعالى يبيّن هنا ما يتعلق بالعلم –علم الله سبحانه وتعالى– وهو مرتبة من مراتب الإيمان بالقدر، فيقول رحمه الله: " وقد علم الله تعالى فيما لم يزل عدد من يدخل الجنة وعدد من يدخل النار جملة واحدة " بمعنى أن علم الله عزّ وجل في الأزل سبحانه وتعالى محيطٌ بكل ما هو كائن، محيط بكل ما هو كائن، ولا يقال في شيء من الأشياء إن الله عز وجل عَلِمه بعد أن لم يكن يعلمه، تعالى الله عز وجل وتنزه عن ذلك، بل هو عزّ وجل علمه محيط بكل شيء علمه.. محيط بكل شيء.. عَلم في الأزل كل ما هو كائن، فعلم عدد من يدخل الجنة وعدد من يدخل النار؛ أحاط علمه جل وعلا بذلك، وعلمه بذلك متناول لكل التفاصيل لكل التفاصيل والجزيئات التي تكون: من أعمال أو أقوال أو أفعال أو حركات أو سكنات، كل ذلكم أحاط به علم الله سبحانه وتعالى .

قال " علم الله تعالى فيما لم يزل عدد من يدخل الجنة وعدد من يدخل النار " وإدراك هذه المسألة العظيمة تفتح للعبد ولطالب العلم الفهم السليم في باب الإيمان بالقدر وأيضاً الردّ على المبطلة فيه كما قال الإمام الشافعي رحمه الله تعالى: " خاصموا القدرية بالعلم فإن أثبتوا خُصموا وإن جحدوا كفروا " من يجحد علم الله الأزلي المحيط بكل ما هو كائن هذا يكفر بالله ومن يقرُّ به هذا الإقرار يستلزم الإقرار بما وضعه وما يترتب عليه.

فالمرتبة الأولى من مراتب الإيمان بالقدر الإقرار بعلم الله وأن الله علم ما كان وعلم ما سيكون وعلم ما لم يكن لو كان كيف يكون وأنه تبارك وتعالى أحاط بكل شيء علما وأحصى كل شيء عددًا لا تخفى عليه جلّ وعلا خافية.

قال : " فلا يُزاد في ذلك العدد ولا يُنقص منه " أي العدد الذي سبق به علم الله سبحانه وتعالى ، فعلِم أهل الجنة وعلِم أهل النار، هذا العدد لا يُزاد فيه ولا واحداً ولا يُنقص منه أيضاً ولا واحداً بل ذلكم العدد يكون كما علم الله ويقع كما علم الله سبحانه وتعالى، فلا يُزاد في ذلك العدد ولا يُنقص منه، وكذلك أفعاله فيما علم منهم أن يفعلوه؛ فعلم الله سبحانه وتعالى محيط بأفعال العباد كلها دقيقها وجليلها صغيرها وكبيرها هدايتها وضلالها، كل ذلكم أحاط به علم الله سبحانه وتعالى. وكل ما يقع من فعل حسن أو سيّء فعلم الله سبحانه وتعالى محيط به ولا يقع إلا وفق العلم السابق، والله سبحانه تعالى خلق العباد وفق علمه جلّ وعلا السابق.
قال الإمام الشافعي – رحمه الله – في أبيات له في هذا الباب :

ما شئتَ كان وإن لم أشأ وما شئتُ إن لم تشأ لم يكن
خلقت العباد على ما علمت وفي العلم يجري الفتى والمسِن
على ذا مننت وهذا خذلت وهذا أعنت وذا لم تُعن
فمنهم شقي ومنهم سعيد ومنهم قبيح ومنهم حسن

أي أن كل ذلك علم الله أحاط به جلّ في علاه ، أحاط به علمه في الأزل ، فالله عز وجل أحاط بكل شيء علماً، إذن أفعال العباد الواقعة منه هي واقعة فيما علم منهم أن يفعلوه لا أنه شيء يقع لم يحط رب العالمين به علماً تعالى الله عز وجل عن ذلك بل علمه محيط بكل شيء ، وكذلك أفعالهم فيما علم منهم أن يفعلوه " وكل ميسر لما خُلق له " أي من خُلق لعمل أهل السعادة فهو ميسر لذلك ، ومن خُلق لعمل أهل الشقاوة فهو ميسر لذلك ، كل ميسر لما خُلق له ، ولهذا لما سئل النبي عليه الصلاة والسلام عن أعمال العباد هل هي في أمر مستأنف أو في أمر قدر وقضي ، فأخبر عليه الصلاة والسلام أن ذلك في أمر قدر وقضي ، فقالوا فلم العمل ؟ قال : ((**اعملوا فكل ميسر لما خُلق له**)) هكذا قال عليه الصلاة والسلام ((**اعملوا فكل**

ميسر لما خُلق له))، وهذا القول العظيم المبارك من نبينا عليه الصلاة والسلام في جواب هذا السؤال الذي كما يقال يَطرح نفسه؛ عندما يقال إن الأمور أحاط بها علم الله، وأنه تبارك وتعالى كتبها وقدرها وأن كل أمر إنما يقع بتقدير الله وإذنه ومشيئته سبحانه وتعالى، ففي مثل هذا المقام يَرِد هذا السؤال: ففيم العمل ؟، إذا كانت الأمور علمت وكتبت وقدرت فيم العمل ؟ قال: ((**اعملوا فكل ميسر لما خلق له**))، وهذا الجواب العظيم الذي فيه الشفاء في هذه المسألة العظيمة وهي مسألة كبيرة جداً خاض الناس فيها خوضاً كثيراً وزلت فيها أفهام ، وضل فيها أقوام ، ولا يمكن أن يجد أحد أسَدَّ وأوفى وأسلم من هذا الجواب الذي اختصره النبي صلى الله عليه وسلم في هذه الكلمة ((**اعملوا فكل ميسر لما خُلق له**)) ، ويتلخص هذا الجواب في أمرين أو أصلين عظيمين :

- الأول: في قوله ((**اعملوا**)) ومن المعلوم أن الأمر بالعمل لا يكون إلا في حق من له مشيئة واختيار، من لا مشيئة له ولا اختيار لا يؤمر ، فإذن قول " اعملوا " هذا دليل على أن العبد عنده مشيئة ، وبناء على هذه المشيئة التي أوجدها الله سبحانه وتعالى أُمر بالعمل " اعملوا " ، لو لم يكن له مشيئة أصلاً لما أُمر ، لا يؤمر إلا من له مشيئة ، قال : " اعملوا " فهذا الأمر بالعمل دليل على أن العبد عنده مشيئة
- ثم قال: ((**فكلٌّ ميسر لما خُلق له**)) وهذا فيه أن الأمور كلها بمشيئة الله وتدبيره سبحانه وتعالى لأن الخلق خلقه والملك ملكه سبحانه وتعالى ولا يمكن أن يكون في هذا الملك شيء لم يشأه الله أو شيء ليس الذي خلقه الله سبحانه ، لا يمكن ، فالملك كله لله سبحانه وتعالى رب العالمين وهو جلّ وعلا خالق كل شيء ، ومن ذلك أفعال العباد مخلوقة لله هو جل وعلا خالق لها **{وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ}**.

فإذا علم العبد أنه مأمور وأن عنده مشيئة وبموجبها أُمر وأن مشيئته تحت مشيئة الله هُدي إلى القول القوام في ذلك، فأخذ نفسه بالمجاهدة والصبر والمصابرة والمرابطة للعمل بطاعة الله سبحانه وتعالى وما يقرب إليه، وفي الوقت نفسه يلجأ إلى الله ويفزع إليه سبحانه أن يهديه ، أن يسدده ، أن يثبته ، أن يحفظه ، أن يعيذه من الزيغ ، أن يعيذه من الضلال لأن الأمور كلها بيد الله ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن ، ولهذا قال عليه الصلاة والسلام: ((**احرص على ما ينفعك واستعن بالله**)) وفي القرآن قال: **{ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ }** وقال **{إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ}**. فكلٌّ ميسر لما خُلق له هذا يجعل العبد دائماً وأبداً يلجأ إلى الله ويسأله تبارك وتعالى أن ييسره لليسرى وأن يجنبه العسرى وأن يهديه سواء السبيل وأن يعيذه من سبيل الزائغين وأن

يثبت قلبه على الإيمان وأن يعيذه من الضلال ، يلجأ إلى الله دائماً ، وكان من أكثر دعاء نبينا عليه الصلاة والسلام ((**يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك**)) قالت له أم سلمة: " أو إن القلوب لتتقلب ؟ " قال: ((**ما من قلب إلا وهو بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبه كيف يشاء فإن شاء أقامه وإن شاء أزاغه**)). فيكون العبد دوماً وأبداً مُلتجئ إلى الله يسأل الله الهداية ، يسأل الله الثبات، يسأل الله التوفيق، يستعيذ به تبارك وتعالى من الزيغ ومن الضلال، وفي الوقت نفسه يجاهد نفسه على طاعة الله صابراً مُصابراً مرابطاً مجاهداً لنفسه على طاعة الله سبحانه وتعالى .

وبهذا أيضاً يُعلم جواب السؤال: هل الإنسان مسير أو مخير ؟ فلا يقال مسير هكذا على الإطلاق ولا يقال مخير على الإطلاق، وإنما يكون الجواب على ذلك في ضوء قوله ((**اعملوا فكل ميسر لما خلق له**))، فالعبد له مشيئة وهداه الله النجدين؛ طريق الخير وطريق الشر، وفي هذه المشيئة التي في الحقيقة يختار العبد ومشيئته تحت مشيئة الله { **لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ * وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ** } فالأمر بيد الله سبحانه وتعالى وله تبارك وتعالى من قبل ومن بعد، ولهذا مر معنا في كلام الامام الشافعي رحمه الله المتين قال:

ما شئتَ كان وإن لم أشأ   وما شئتُ إن لم تشأ لم يكن

يعني الشيء الذي يشاؤه العبد إن لم يشأه الله لا يكون لأنه لا يمكن أن يكون شيئا إلا شاءه الله رب العالمين. هذا كما أسلفت يتطلب من العبد أن يلجأ إلى الله دوما وأبدًا سائلا ربه سبحانه وتعالى أن يثبته، أن يهديه، أن يعينه، أن يحفظه، أن يعيذه من سبيل الزيغ والضلال، وفي الوقت نفسه يجاهد نفسه على الأعمال الصالحات والطاعات الزاكيات والبعد عن كل أمر يسخط الله سبحانه وتعالى.
قال المؤلف رحمه الله: " والأعمال بالخواتيم " أي بحسب ما يختم للعبد به، ولهذا أمر الخواتيم أمر مفيد جدا، وتقلُّب الإنسان في هذه الحياة هو تقلب في دار فتن تعصف وتجرف ، ويمسي الإنسان مؤمناً ويمسي كافرا ، ففي الدنيا تقلبات والقلوب تتقلب ، وما سمي قلب إلا لتقلبه.. إلا لأنه يتقلب ، فالأعمال بالخواتيم؛ أي بحسب ما يختم للعبد به ، والله سبحانه وتعالى في سابق علمه سبحانه وتعالى وفيما كتب على العباد في الكتاب السابق ماضٍ كلٌّ لما كُتب عليه وقُدّر له ، والعبد لا يدري إلى ماذا سيؤول وماذا يكون، ولهذا فهو في حاجة إلى فزع دائم إلى الله أن يثبته وأن يهديه وأن يحفظه وأيضا في الوقت نفسه بحاجة إلى مجاهدة لنفسه على الطاعات وزمّها بزمام الشرع حتى لا تتفلّت مستعينا بالله تبارك وتعالى طالبا منه جل وعلا المدد والعون والتوفيق.

وقد جاء في حديث ابن مسعود أن النبي عليه الصلاة والسلام قال: ((**إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يومًا نطفة ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يرسل إليه ملك ويؤمر بكتابة أربع كلمات؛ بكتب رزقه و أجله وعمله وشقيٌّ هو أم سعيد.**)) وهذه الكتابة والذي من ضمن ما يكتب له هل هو شقيّ أو سعيد هذا يكتب في بطن الأم على العكس قبل أن يخرج إلى هذه الدنيا، وهذا الذي يكتب في بطن الأم وهو لا زال في بطن أمه قد كتب في اللوح المحفوظ؛ فهذا كتابةٌ من بعد كتابةٍ وتقديرٌ من بعد تقديرٍ، ليس كتابة خارجة أو مختلفة عن ما كان كتب في اللوح المحفوظ، بل هي كتابة من بعد كتابة وتقدير من بعد تقدير، فيؤمر بكتب أربع كلمات من بينها شقيٌّ هو أو سعيد. ثم قال عليه الصلاة والسلام: ((**والذي نفسي بيده إن أحدكم ليعمل**)) وتأمّل في مسألة الخواتيم ((**والذي نفسي بيده إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذِراعٌ فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها، وان أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها.**))

وعندما يقرأ المسلم هذا الحديث ينبغي أن يفهمه على وجهه الصحيح، و أن لا يسيء الظن بربه سبحانه وتعالى، فإن من أعظم الإثم سوء الظن برب العالمين.

والعبد الصادق مع الله والذي يجاهد نفسه في صلاح حاله وسرّه بينه وبين الله مخلصا صادقا ملتجأً إلى الله سبحانه وتعالى لا يضيّعه الله ولا يخذله سبحانه وتعالى، لكن إذا كان يظهر منه الأعمال الصالحة والطاعات لكن في داخله خبايا سوء وتكون هذه الأعمال فيما يظهر للناس هذا الذي هو حقيق بالخذلان، ولهذا جاء في بعض الأحاديث ما يفسر ذلك: قال: ((**إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة فيما يبدو للناس**)) فيما يظهر للناس، أما الإنسان الصادق مع الله ودائما يلتجأ إلى الله يا رب يا رب يا رب... ويسأل الله الثبات ويسأل الله التوفيق ويجاهد نفسه على الأعمال الصالحة لا يخذُله ربُّ العالمين { **يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ** } وهذا يبيّن أساس المسألة وجوهر الموضوع؛ أن يكون العبد دائما منجذبا الى الله سبحانه وتعالى، معتصما بالله ومن يعتصم بالله يهدى إلى صراطٍ مستقيم، يفزع إلى الله دائما، يفرّ إلى الله، يطلب من الله الثبات، الهداية، العون، وفي الوقت نفسه يجاهد نفسه على طاعة الله عز وجل مخلصًا صادقًا، يصلح حاله بينه وبين الله عزّ وجل، فمن كان كذلك لا يخذله الله سبحانه وتعالى، ولهذا كما نقل ابن القيم رحمه الله في أحد كتبه عن بعض أهل العلم أنه قال: " لا يعرف لمن صححت عقيدته إن استقام قلبه على الاعتقاد الصحيح أن يموت على خاتمة سيئة "

فإذا صحت العقيدة بالله ثقةً به وتوكُّلاً عليه واعتصامًا به سبحانه وتعالى وتعوُّذًا به جلّ وعلا من الظلام فإن الله عز وجل لا يخذل من كان كذلك.

" والأعمال بالخواتيم " إذا علم العبد أن الأعمال بالخواتيم دفعه هذا الى تحقيق الأمرين السابقين؛ مجاهدة النفس على الأعمال الصالحة وإذا بدأت النفس تنفلت يمينا وشمالا يعيدها مباشرة.. ما الذي يدريه أنه تنفلت نفسه قليلا ثم يطاوعها قليلا ثم يموت على –والعياذ بالله– على حالٍ غير طيب ؟ فإذا بدأت تتفلّت يُعيدها ويسأل ربه ويلجأ الى الله يا رب يا رب.. وربه عز وجل الموفق والمعين والهادي — تبارك وتعالى — إلى سواء السبيل.

قال رحمه الله: " والسعيد من سعد بقضاء الله، والشقيُّ من شقِي بقضاء الله " فالسعادة والشقاء كل ذلكم بقدر.

ومرّ معنا حديث ابن مسعود قال: ((يؤمر بكتب أربع كلمات)) وذكر منها شقيٌّ هو أو سعيد، وأيضا مرّ معنا في الحديث قال عليه الصلاة والسلام: ((**فمن كان من أهل السعادة يسره الله لعمل أهل السعادة، ومن كان من أهل الشقاء يسره الله لعمل أهل الشقاء.**)) وتلا قول الله تعالى: **{ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ * وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ * وَأَمَّا مَن بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ * وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ}**

ثم قال رحمه الله تعالى: " وأصل القدر سرُّ الله تعالى في خلقه " القدر سرّ و أمرٌ اختص جل وعلا بعلمه؛ لم يطلع عليه لا ملك مقرب ولا نبي مرسل، ولهذا الخوض في مباحث القدر في هذا الجانب الخوض في مباحث القدر في هذا الجانب باب خذلان –كما سيأتي تنبيه المصنف على ذلك– وسبيل ضلال وزيغ وانحراف، ولهذا جاء في الحديث عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال: ((**إذا ذُكِر القدر فأمسكوا**)) وهذا النهي والأمر بالإمساك وعدم الخوض إذا ذكر القدر أي في غير الأدلة وضوابط النصوص، أما الكلام في القدر؛ في قول الآية والحديث " نعتقد كذا و قوله تعالى كذا ونعتقد كذا لقوله صلى الله عليه وسلم " هذا إيمانٌ فرض واجب لابد من العناية به، والقرآن جاء ببيان ذلك والسنة جاءت ببيان ذلك، لكن أن الإنسان.. بالقدر يستكشف ويسأل أيضًا الأسئلة الاعتراضية؛ لم فعل الله كذا ؟ ولم لمْ يفعل كذا ؟ ولم قدّر كذا ولِمَ لَمْ يقدّر كذا ؟ ولماذا كان كذا بهذه الصفة ؟ إلى آخره... هذا باطل، هذا خوض في أمر اختص الله بعلمه، وهو علم مفقود لا وجود له بين الناس ولا أحد يعلمه، وطلب هذا العلم خوضٌ فيما لا سبيل للعبد بعلمه، فإذا خاض الإنسان هذا العلم ضلّ ولابد، يجب أن يمسك ((**إذا ذكر القدر فأمسكوا**)) إذا ذكر القدر؛ ومعنى ((**إذا**

ذكر القدر)) يعني خوضًا في مسائله وتفاصيله بغير الحجة والدليل من كلام الله وكلام رسوله عليه الصلاة والسلام.

أما إذا كنت تتكلم في مسائل القدر في ضوء الدليل؛ قال الله تعالى قال صلى الله عليه وسلم منطلقًا من الآية والحديث فلا يزِلّ الإنسان، لكن إذا ترك –والعياذ بالله– الإنسان الآية والحديث جانبًا وقال مثلا: أنا أستبعد كذا ولا أتصور كذا ولا يمكن أن يكون كذا وهذا عقلي يردُّه... إلى آخره؛ هذا هو الضلال، ولما دخل أناس في مثل هذه الأبواب بعقولهم المجردة ضلّوا عن سواء السبيل، أما الذي يستمسك بكتاب الله وسنة نبيه عليه الصلاة والسلام فإنه لن يضل، والحقّ في كلام الله وكلام رسوله صلوات الله وسلامه وبركاته عليه.

وكما أن العبد يُنهى في صفات الله تبارك وتعالى وفي عموم الأمور المغيَّبة مثل الجنة مثلا ونعيم الجنة، مثل الملائكة وغير ذلك من المغيبات ينهى العبد أن يكيِّف ويدخل عقله القاصر في الكيفية، فالكيف في مثل هذه الأشياء لا نعلمه، الكيف لا نعلمه، وأيضا في هذا الباب أفعال الله سبحانه وتعالى وتقديراته لا يخوض كما أنه لا يخوض في صفاته بكيف لا يخوض في أفعاله بـ (لِمَ) ففي أفعاله لا نقول لم ؟ قال الله سبحانه وتعالى: **{ لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ }**، ومن هو هذا العبد حتى.. ؟ ومن هو هذا الإنسان حتى يجترِأ على الخالق العظيم والربّ الجليل ويدخل عقله القاصر ويقول لم فعل الله كذا ؟ ولم لم يفعل كذا ؟ ؟ من يقول هذا الكلام ما عرف نفسه ولا عرف ربه، وإلا لو عرف نفسه حق المعرفة وعرف ربّه حقَّ المعرفة لم يقُل لم؛ لم فعل الله ولم لم يفعل الله ؟ لو عرف نفسه وعرف ربّه حق المعرفة لكان سؤاله مُنصَبًّا على: بم أمر الله ؟ لأنه عبد ومأمور ومطالب أن يعرف الشيء الذي أمره به ربه ليفعله وليأتمر بأوامر ربه وسيّدِه ومولاه؛ فرق بين قول القائل: لم أمر الله ؟ وبين قول الآخر: لم أمر الله ؟، الذي يقول لم أمر الله هذا منتقدٌ معترض وليس متهيئا لا للعمل ولا للطاعات، بينما من يقول بم أمر الله فهذا مستعد ومتهيّئ؛ يريد أن يعرف ما أمره الله به ليعمله، ليعمل به في ضوء ما أمره ربه سبحانه وتعالى وينفعه في ضوء ما أمر الله.

قال: " وأصل القدر سر الله تعالى في خلقه لم يطّلع على ذلك ملكٌ مقرب ولا نبي مرسل " وإذا كان الملك المقرب والنبي المرسل لم يطلع على هذا السر فغيرهما من باب أولى؛ إذا كان الملائكة المقربون والأنبياء المرسلون لم يطلعوا على هذا السر فكيف يصح ممن هو دونهم أن يقحم عقله في محاولة كشف هذا السر الذي اختص الله سبحانه وتعالى بعلمه.

ولهذا يحذّر المصنف رحمه الله تعالى من هذا الخوض الباطل المحرم في القدر فيكون التعمق والنظر في ذلك ذريعة الخذلان وسلم الحرمان ودرجة الطغيان لأن من يدخل فكره وعقله القاصر في معرفة هذا الأمر الذي هو غيب اختص الله سبحانه بعلمه لم يُطلِع عليه أحد من خلقه؛ لم يطلع عليه ملكا مقربا ولا نبيًّا مرسل فإن هذا لا

يصل منه إلا إلى الخذلان والحرمان؛ ولهذا قال: " التعمق في ذلك ذريعة الخذلان وسلم الحرمان ودرجة الطغيان " هذه كلمات بمعنى متخاذل، أي أن من تعمق في هذا الباب وتكلّف ما لا سبيل إلى العلم به لا يصل إلا إلى الخذلان والحرمان والطغيان.

ثم يقول رحمه الله ناصحًا: " فالحذر كلَّ الحذر " احذر يا عبد الله، انتبه أن تخوض في هذا الباب بفكرك القاصر ونظرك الضعيف وآرائك، احذر أشد الحذر، وليكن كلامك دائما في هذا الباب: أقول كذا لقول الله تعالى كذا وأقول كذا لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم كذا، واحذر من أقوام لهم جرأة في هذا الباب يقول : أنا لا أتصور وعقلي لا يتخيل ذلك وإلى آخر مثل هذا الكلام... هذا كله ذريعة الخذلان ودرجة الطغيان وسلم الحرمان، أما الأمَنة والسلامة والعافية في لزوم كلام الله وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم.

قال: " فالحذر كل الحذر من ذلك نظرا وفكرا ووسوسة " يعني لا تخض في ذلك بفكرك القاصر ونظرك الضعيف أو بالوساوس التي يلقيها الشيطان؛ كثيرا ما يلقي الشيطان في نفوس أقوام وساوس وينمّّون هذه الوساوس بدل أن يتعوذوا بالله منها.. ينمُّونها ثم يكتبوها في كتب، وكم من كتب كتبت في هذا الباب هي وساوس الشيطان، ألقاها في قلوب هؤلاء فجرت بها أقلامهم كتبوا فيها ما وسوس إليهم الشيطان، ولهذا ترى في كلامه من الضلال والانحراف والزيغ والبعد والجرأة على الله والتعدّي على حدوده والخوض في آياته... ويكتبون في ذلك كتب، وهي كلها مبدأها من وساوس الشيطان والعياذ بالله.

فيقول رحمه الله: " الحذر كل الحذر من ذلك نظرا وفكرا ووسوسة، فإن الله تعالى طوى علم القدر عن أنامه ونهاهم عن مرامه " يعني نهاهم عن طلبه والبحث عنه وحذّرهم من ذلك وأن الواجب على الإنسان أن لا يخوض بعقله وفكره في كشف هذا السرّ الذي طوى الله عز وجل عن أنامه؛ بمعنى أنه لا سبيل لأحدٍ من الأنام؛ من الناس أن يعرف ذلك، وإذا كان —كما مرمعنا قريبًا– الله عز وجل لم يُطلِع عليه ملكًا مقربا ولا نبيًّا مرسلا فكيف بمن هو دونهما؛ كما قال الله عز وجلّ: **{ لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ }** وهذا أيضا فيه توضيح أن المراد بما ينهى عنه هو الخوض في هذا الباب إمَّا بالأسئلة الاعتراضية التي يطرحها الانسان منتقدا لم فعل الله! لم يفعل الله! او بالأسئلة التي يترتب عليها انكار الإيمان بالقدر أو الخوض الذي يترتب عليه الإنكار للإيمان بالقدر وعدم الإيمان به.

قال رحمه الله تعالى: " فمن سأل لم فعل ؟ " يعنى من كانت بهذه الصيغة أسئلتُه؛ لم فعل الله ؟ أو: لم لمْ يفعل الله ؟ منتقدا معترضا " فقد رد حكم الكتاب " لأن الله قال في كتابه: **{ لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ }** " فقد رد حكم الكتاب ومن رد حكم الكتاب كان من الكافرين "، فهذا السؤال باطل لا يجوز لمسلم ولا يصح لمسلم

أن يسأل هذا السؤال؛ لم فعله ولم لم يفعل الله ؟ ، هذا السؤال باطل ، يجب على الإنسان أن لا يخوض في شيء منه.

ثم قال رحمه الله: " فهذا جملة ما يحتاج إليه من هو منوَّرٌ قلبه من أولياء الله " بمعنى أن العبد إذا كان بهذه الصفة في هذا الباب مسلِّما مؤمنا وأن الأمور كلها بتقدير الله عز وجل وأن الله علم و كتب و شاء وأوجد جل وعلا، وأنه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن... إلى غير ذلكم من التفاصيل الواردة في كتاب الله عز وجلّ وسنة نبيه عليه الصلاة والسلام فهذا ما يحتاج اليه من هو منور قلبه من أولياء الله، " وهي درجة الراسخين في العلم " لأن الله عزّ وجل وصف الراسخين في العلم في كتابه بهذا الوصف قال: **{ هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ ۖ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ ۗ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ }**، فالراسخون في العلم أهل تسليم وإيمان وانقياد وإذعان، وليس عندهم شيء من الاعتراض أو الانتقاد أو الردّ لكلام الله جلّ وعلا وكلامِ رسوله عليه الصلاة والسلام.

قال " لأن العلم علمان: علم في الخلق موجود " " علم في الخلق موجود " وهو العلم الذي جاءت به الرسل، ونزل به الوحي، فالعلم الموجود في الخلق هو العلم الذي نزل به وحي الله سبحانه وتعالى وبعث الله به رسله، ف " علمٌ في الخلق موجود وعلم في الخلق مفقود " علم في الخلق مفقود لا يعلمه إلا الله سبحانه اختص الله بعلمه، مثل كيفية صفات الله ومثل القدر الذي هو سر الله سبحانه وتعالى ومثل أيضًا كيفيات أحوال يوم القيامة و الجنة والنار وغير ذلك، وأيضا كيفيات الملائكة إلى غير ذلك من الأمور المغيَّبة... هذه علمها في الخلق مفقود.

فإذن " العلم علمان: علمٌ في الخلق موجود وعلمٌ في الخلق مفقود " ماذا يترتب على ذلك ؟ قال " فإنكار العلم الموجود كفر " من يجحد العلم الموجود في كلام الله وكلام رسوله عليه الصلاة والسلام؛ يرد الكتاب و يرد السنة ويرد ما جاء في كلام الله وكلام رسوله عليه الصلاة والسلام هذا كفر، " وادِّعاء العلم المفقود كفر " الذي يُقحم عقله في العلم المفقود الذي أخفى الله عز وجل عن عباده علمَه ونهاهم عن مرامِه؛ من يقحم عقله في ذلك ويدعى هذا العلم المفقود فهذا كفر، " ولا يثبت الإيمان إلا بقبول العلم الموجود وترك طلب العلم المفقود " لا يثبت الإيمان إلا بقبول العلم الموجود الذي في كتاب الله وكلام رسوله عليه الصلاة والسلام " وترك طلب العلم المفقود " أي يمنع نفسه عن الخوض في هذا العلم المفقود؛ لا يخوض في صفات الله عزّ وجل من حيث الكيف ولا يخوض أيضا في القدر الذي هو سرّ الله سبحانه وتعالى بعقله القاصر وفكره الضعيف ولا أيضا في الأمور المغيَّبة بلا مستند ولا علم من كلام الله وكلام رسوله صلوات الله وسلامه وبركاته

عليه.

نسأل الله الكريم رب العرش العظيم أن ينفعنا جميعا بما علّمَنا وأن يجعل ما نتعلمه حجة لنا لا حجة علينا، وأن يصلح لنا شأننا كله وأن لا يكلنا إلى أنفسنا طرفة عين.

سبحانك اللهم و بحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

اللهم صل وسلم وبارك وأنعم على عبدك ورسولك نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

برنامج
دراسة متون
العقيدة
(المستوى الثالث)
@mton_aqeda3

شرح العقيدة الطحاوية

للإمام أبي جعفر الطحاوي رحمه الله

لفضيلة الشيخ

عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر حفظه الله

الدرس (١١) إلى الدرس (١٤)

الشيخ لم يراجع التفريغ

الدرس الحادي عشر

بسم الله الرحمن الرحيم

[الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.
أما بعد:

فيقول ابو جعفر الطحاوي رحمه الله تعالى في ذكر عقيدته، قال: " ونُؤمنُ باللَّوْح والقلم، وبجميع ما فيه قد رقم، فلو اجتمع الخلق كلهم على شيء كتبه الله تعالى فيه أنه كائن ليجعلوه غير كائن لم يقدروا عليه، ولو اجتمعوا كلهم على شيء كتبه الله تعالى فيه أنه غير كائن ليجعلوه كائنا لم يقدروا عليه، جفَّ القلم بما هو كائن إلى يوم القيامة، وما أخطأ العبدَ لم يكن ليصيبه، وما أصابه لم يكن لِيُخطئه. وعلى العبد أن يعلم أن الله قد سبق علمُه في كل كائنٍ من خلقه، فقَدَّر ذلك تقديرًا مُحْكَمًا مبرما، ليس فيه ناقض ولا مُعَقِّبٌ، ولا مُزِيلٌ ولا مُغَيِّر، ولا مُحوِّل ولا ناقص، ولا زائد من خلقه في سماواته وأرضه، وذلك من عَقْد الإيمان وأصول المعرفة، والاعتراف بتوحيد الله تعالى وربوبيته، كما قال تعالى في كتابه: **{ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا }** وقال تعالى: **{ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا }** فويل لمن صار قلبه في القدر قلبًا سقيما، لقد التمس بِوَهْمِهِ فِي فَحْصِ الغَيْبِ سِرًّا كَتِيمًا، وعادَ بِمَا قَالَ فِيهِ أَفَّاكًا أَثِيمًا. "]

شرح الشيخ:

الحمد لله رب العالمين وأشهد أن لا إله الى الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين.

أما بعد: لا يزال الكلام عند المصنف رحمه الله تعالى في موضوع الإيمان بالقدر الذي هو أصلٌ من أصول الدين وركن من أركان الإيمان وأمرٌ لا ينتظم توحيد العبد إلا به كما قال ابن مسعود رضي الله عنه وأرضاه: " القدر نظام التوحيد، فمن وحَّدَ الله وكذَّبَ بالقدر نقض تكذيبُه توحيدَه " بمعنى أن توحيد العبد وإيمانه بالله سبحانه وتعالى لا ينتظم إلا بالإيمان بأقدار الله تبارك وتعالى.

وقوله رحمه الله: " ونؤمن باللوح والقلم " الإيمان بهما من الإيمان بالقدر؛ لأنّا عرفنا في ما سبق أن الايمان بالقدر يتناول أمورًا أربعة الإيمان بها من الإيمان به، وهي: العلم، والكتابة، والمشيئة، والإيجاد.

فالكتابة مرتبةٌ من مراتب الإيمان بالقدر؛ لا يكون مؤمنًا بالقدر من لا يؤمن بها، والله سبحانه وتعالى خلق لِكتابة المقاديرِ؛ مقادير كل شيء وكل ما هو كائن، خلق لذلكم لوحًا محفوظًا في الملأ الأعلى، جلَّ وعلا، خلقه وأوجده، وهذا اللوح الذي خلقه الله عزّ وجل كُتب فيه كل ما كائن يوم القيامة؛ استوعب ذلك كله

بدقائق ذلك وتفاصيله وجزئيّاته، كل ذلكم مستوعَبٌ مُسطَّرٌ مكتوبٌ في اللّوح المحفوظ ، وخلق سبحانه وتعالى للكتابة في ذلك اللوح المحفوظ قلمًا أوجده تبارك وتعالى، وكان خَلْقُ القلم متزامنا مع التقدير؛ تقدير ما هو كائن، ولهذا أول ما خلق سبحانه وتعالى القلم وعند خلقه مباشرة أمره سبحانه وتعالى بكتابة المقادير كما ثبت في الحديث الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: ((**أول ما خلق الله القلم قال له: اكتب. قال: وما أكتب ؟ قال: اكتب مقادير كل شيءٍ إلى يوم القيامة. فجرى القلم بذلك**)) جرى القلم بذلك وكُتب ما هو كائن في اللوح المحفوظ إلى يوم القيامة.

والذي كتب في اللوح المحفوظ من المقادير ليس مختصًّا بأعمال الآدميّين وأحوالهم وشؤونهم، بل يتناول كل شيء { **۞ وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ** } كل هذه الأشياء كتبت، حتى تساقُط أوراق الأشجار وما في البراري والبحار من دقائق وجزيئات؛ وقليل وكثير، وحركة وسكون... كل ذلكم كُتِب.

وهذه الكتابة المستوعِبة لهذا كله ولجميع هذه التفاصيل ولكل هذه الجزيئات؛ هذا من الدلائل الباهرة على عظمة الخالق سبحانه وتعالى وأنه عز وجل أحاط بمخلوقاته علمًا وأحصاها تبارك وتعالى عددًا، وكل ما هو كائنٌ من قليلٍ أو كثير، من حركة أو سكون، في حي أو حيوان، في حيٍّ أو في جماد أوغير ذلك... ذلكم كُتب ذلك في اللوح المحفوظ .

وقد ذكر الله سبحانه وتعالى هذا اللوحَ في مواضعَ عديدة من القرآن الكريم، ذكره بهذا الاسم " اللوح المحفوظ " { **بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ * فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ** }، وذكره تبارك وتعالى باسم " الكتاب المكنون " { **فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ** }، وذكره تبارك وتعالى باسم " الزُّبر " { **وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ ۝ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ** }، وذكره تبارك وتعالى في قوله: { **يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ ۖ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ** } ذكره جل وعلا في مواضع من كتابه العزيز.

فإذن؛ الإيمان بهذا اللوح هو من الإيمان بالقدر، ونؤمن جُمْلةً أنه كُتب فيه كل ما هو كائن، وأما تفاصيل ما كتب فيه لا يعلم إلا عند وقوعه، فالمكتوب يُعلم إما بوقوعه أو بالخبر الصادق؛ جاءت أحاديث كثيرة عن النبي صلى الله عليه وسلم فيها إخبارات عن أمور ستقع في المستقبل؛ فهذا الخبر الصادق يدلُّنا على هذه التفاصيل التي سبقت وهي مكتوبة في اللوح المحفوظ، فنؤمن إجمالا بأن اللوح المحفوظ كتب فيه كل ما هو كائن من صغير أو كبير، من دقيق أو جليّ، وأن هذه الكتابة المستوعبة لذلك كله كانت قبل خلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة كما جاء في حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن النبي صلى

الله عليه وسلم قال: ((**قدّر الله مقادير كل الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة وكان عرشه على الماء**)) فهذه الكتابة التي جرت بما هو كائن إلى يوم القيامة كانت قبل خلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة، وكما مرَّ خَلقَ الله سبحانه لهذه الكتابةِ القلمَ، وفور ومباشرةً عند خلقه وإيجاده للقلم أمره بالكتابة؛ ((**قال: اكتب. قال: وما أكتب ؟ قال: اكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة. فجرى القلم بذلك**)) ولهذا جاءت أحاديث في هذا المعنى كثيرة؛ في حديث سُراقة بن مالك في صحيح مسلم قال: يا رسول الله ! فيم العمل ؟ أفيما جف به القلم وجرت به المقادير، أم فيما يستقبل ؟ - أو في أمر يستقبل - قال: ((**بل فيما جفَّ به القلم وجرت به المقادير**))، فالقلم جفَّ بما هو كائن إلى يوم القيامة وكتب في اللوح المحفوظ ذلك كله مفصلا.

ثم هناك كتاباتٌ داخلةٌ وتقديراتٌ داخلة في هذا التقدير الذي هو في اللوح المحفوظ وليست خارجةً عنه؛ مثلما جاء في المحاجَّة التي بين آدم وموسى وقول آدم عليه السلام لموسى عليه السلام: " أتلومُني في شيء كتبه الله عليّ قبل أن يخلقني بأربعين ألف سنة ؟ "، فهذه الكتابة هي داخلة في ما كتب في اللوح المحفوظ.. داخلة فيه وليست خارجة منه، وهذه كتابةٌ تتعلق بآدم وذريته.

والكتابة التي في اللوح المحفوظ تتناول كل شيء.. كل ما هو كائن إلى يوم القيامة، وهناك أيضا كتابةٌ تتعلق بكل إنسان وعمْر كل إنسان بخصوصه، وهذه جاءت في حديث عبد الله بن مسعود وفيه: ((**فيُرسَل إليه الملك ويأمر بكتب أربع كلمات؛ بكتب رزقه وأجله وعمله وشقيٌّ هو أو سعيد**))، وكذلكم التقدير السنوي الذي يكون في ليلة القدر { **فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ** }؛ أي يُكتب ما هو كائن إلى ليلة القدر الأخرى، فهذه التقديرات والكتابات هي داخلة في التقدير الأول الذي في اللوح المحفوظ، والكتابة الأولى التي في اللوح المحفوظ وليست خارجة عنها فهي كما قال العلماء " تقديرٌ من بعد تقدير "؛ داخل في التقدير السابق، ولهذا جاء في بعض الأحاديث ذِكْر الأقلام؛ مثل حديث عبد الله بن عباس: ((**واعلم أن الأمة لو اجتمعوا على أن ينفعوك بشيء لن ينفعوك إلا بشيءٍ قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضرّوك بشيء لن يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك. رُفِعت الأقلام وجفّت الصحف.**)) قال ((**رفعت الأقلام وجفت الصحف**))؛ فإذن إيماننا بذلك هو من الإيمان بالقدر الذي هو أصلٌ من أصول الإيمان وركنٌ من أركان الدين.

قال: " وبجميع ما فيه قد رُقِم " رُقِم: أي كُتب وسُطِّر في اللوح المحفوظ؛ فنؤمن بذلك.. نؤمن بجميع " ما فيه رُقِم " أيكتب، فما كتب في اللوح المحفوظ إلى قيام الساعة نؤمن به.. نؤمن بأن مقادير الخلائق كلها كتبت في اللوح المحفوظ إلى قيام الساعة تفصيلا، وإيماننا بهذه المقادير إيمان إجماليّ لا نعلم بالتفاصيل؛ وإنما تُعلم

التفاصيل إما بالوقوع أو بالخبر الصادق؛ فإذا وقع الأمر عُلم أنه كتب؛ على سبيل المثال: مجلسنا هذا} كتب في اللوح المحفوظ قبل خلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة، ومجلس كل واحد منا كتب وتحرُّك كل واحد منا كُتب، قال عبد الله بن عباس رضي الله عنه: "كل شيء بقدر، حتى وضع كفك على ذقنك هكذا بِقَدَر "، فاللوح المحفوظ استوعب كل هذه التفاصيل، وهذا كما قدّمت يدل على عظمة الخالق سبحانه وتعالى؛ قبل خلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة جميع التفاصيل كتبت مفصَّلةً في ذلك اللوح المحفوظ. فإذن؛ نؤمن" بجميع بما فيه قد رُقِم ".

ثم إن هذا اللوح ووصفه الله تبارك وتعالى بأنه محفوظ وأنه لا يبدَّل ولا يغيَّر؛ محفوظ: أي سالم من التغيير ومن التبديل والزيادة والنقصان والحذف ونحو ذلك... محفوظ، ولهذا مر معنا وصفه بذلك **{ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ }** **{ فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ }** مكنون: أي مستور ومصون ومحفوظ؛ لا يتطرّق إليه تبديل ولا تغيير ولا زيادة ولا نقصان. فأيضا من إيماننا بهذا اللوح أن نؤمن بأنه لوح محفوظ وأن كل ما كتب فيه لا يغير ولا يبدل ولا يزاد فيه ولا ينقص.

قال رحمه الله: " فلو اجتمع الخلق كلهم على شيء كتبه الله فيه " أي في اللوح المحفوظ " أنه كائن ليجعلوه غير كائن لم يقدروا عليه، ولو اجتمعوا كلهم على شيء لم يكتبه الله تعالى ليجعلوه كائنا لم يقدروا عليه " فالذي كتب فاللوح المحفوظ هو الذي يقع كما كتب في الوقت الذي حدد له وهذا معنى القدر، القدر هو الأمر المقدر في وقت -في زمان- على صفةٍ -على هيئة- فيقع طبقًا لما قُدّر، والله سبحانه وتعالى قدّر مقادير الخلائق وكتب كل ذلكم مفصَّلا في اللوح المحفوظ، والخلق من أولهم إلى آخرهم لو اجتمعوا على تبديل شيءٍ من ذلك؛ إما كتب أن يقع فيعمل على عدم وقوعه أو شيء لا يقع فيعمل على وقوعه لا يمكن ذلك لهم.. ولو اجتمعوا أجمعين.. ولو اجتمعوا أجمعين لم يقدروا عليه؛ جفَّ القلم بما هو كائن إلى يوم القيامة.. جف القلم بما هو كائن إلى يوم القيامة.. كما جاء في الحديث ((**جفَّت الأقلام**)) فالأقلام جفَّت؛ أي كتب بالأقلام وسطر بمدادها ما هو كائن إلى يوم القيامة وجفت الأقلام بذلك فلا يتغير شيء ولا يتبدل ولا يزاد فيه ولا ينقص منه.

قال: " وما أخطأَ العبدَ لم يكن ليصيبه، وما أصابَه لم يكن ليُخطئه " وهذا ثبت في الحديث عن النبي عليه الصلاة والسلام؛ قال ((**واعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك وأن ما أخطأك لم يكن ليصيبك**)) فالذي يصيب العبد لم يكن ليخطئه، الذي يصيب العبد من صحة، من عافية، من غِنى، من فقر، من حياة، من موت، من رزق.. إلى غير ذلك، كل ما أصاب العبد لا يمكن أن يخطئه في الوقت الذي أصابه فيه، وهذا الشيء كُتب؛ كتب في اللوح المحفوظ قبل خلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة، فما أصاب العبد لم

يكن ليُخطِئه، وما أخطأه لم يكن ليُصيبه لأن الله ما كتب ذلكم وأن العبد يُصاب به؛ لم يُكتب ذلك ولهذا لا يقع؛ فلا يقع إلا ما كُتب، ولهذا قال عليه الصلاة والسلام: ((**احرِص على ما ينفعُك واستعن بالله، ولا تعجزنّ، ولا تقل: لو أنّي فعلتُ كذا لكان كذا وكذا، ولكن قل: قدَّرَ الله وما شاء فعل**)) ((**ولكن قل: قَدَرُ اللهِ وما شاء فعل**)) إذا أصيب الإنسان بشيء لا يقُل: لو أني أخذت من الطريق الفلاني، أو لو أني سمعت وصيّة فلان، أو لو أنني لم أذهب إلى فلان... ونحو ذلك، قل: قدَّرَ الله وما شاء فعل، لأن هذا الذي وقع في هذا الوقت في هذه الساعة في هذه اللحظة أمرٌ كُتب في اللوح المحفوظ قبل خلق السماوات والأرض، فماذا تفيدك "لو" لو قلتها آلاف المرّات ؟ وماذا تُغني عنك ؟ وماذا تنفعك ؟ اللهم إلا أنّها تفتح على الإنسان باب الشيطان ((**فإن لو تفتح عمل الشيطان**)) فتُدخل العبد في متاهات الوساوس وتُرَّهات الأباطيل وأيضًا فاسد العقائد، بينما إذا قطع الإنسان عن نفسه الـ (لو) في هذا المقام وقال: **قدَّرَ الله وما شاء فعل** حقق الإيمان بالقدر وأن ما أصابه لم يكن ليُخطئه وما أخطأه لم يكن ليُصيبه، ويؤمن –كما مرّ معنا– أن الأمة أجمعين لو اجتمعوا على إلغاء شيءٍ كُتب على العبد لا يستطيعون، ولهذا قال عليه الصلاة والسلام لابن عباس في وصيّته له؛ قال: ((**واعلم أن الأمة لو اجتمعوا على أن ينفعوك بشيء لن ينفعوك إلا بشيءٍ كتبه الله لك**)) ((**ولو اجتمعوا على ان يضرُّوك بشيء لن يضرّوك إلا بشيءٍ كتبه الله عليك**))، فلا يقع إلا المكتوب.. لا يقع إلا المكتوب.. الذي كُتب في اللوح المحفوظ هو الذي يقع، ولهذا يجب على العبد أن يُحقّق الإيمان بالقدر ويُحقّق الإيمان بالكتابة وأن كل ما حصل وكل ما أصيب به العبد، كل ما ابتُلي به العبد أمرٌ كُتب؛ كتبه الله سبحانه وتعالى على العبد.

يذكرون عن أحد الكفار ممن يعيش بلا دين ولا إيمان؛ مرّ في رحلةٍ له قديمًا على أُناس في البادية عندهم مواشي وخيام وإبل وخيرات... فلحظةَ مروره بهم جاءت عواصف شديدة اقتلعت الخيام وشرّدت وشتّت المواشي وألحقت بهم أضرار.. مصاب كبير جدًّا.. فوجد هذا الرجل أن هؤلاء.. ما لاحظ عليهم ما كان يلاحظه في مثل هذه المصائب وفي مثل ما هي أقل منها، وإنما كانوا يردّدون كلمة أدهشته وكانت – رآها– تسلية لهم وأُنسًا وطُمأنينةً، فوجدهم يُردّدون " قدّر الله وما شاء فعل.. الحمد لله على ما كتب الله .. قدّر الله وما شاء فعل... يسمع على ألسِنة هؤلاء هذه الكلمة. فالإيمان بالقدر أمرُه عجب وأمرُه عظيم، ولا تنتظم الحياة مطلقًا إلا به، ولا يُمكن أن تتحقّق سعادة ولا طُمأنينة للعبد إلا بإيمانه بالقدر وهذا من مِنّة الله سبحانه وتعالى على عبده المؤمن وما مُيّز به أهل الإيمان ((**عَجَبًا لأمر المؤمن إنّ أمرَه كلّه خير، إن أصابته سرّاء شكر فكان خيرًا له، وإن أصابته ضرّاء صبر فكان خيرًا له**)) لأنه يؤمن بأن ذلك مكتوب { **مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ ۚ** } قال علقمة رحمه الله: " هو المؤمن تُصيبه المصيبةُ فيعلم أنها من عند الله فيرضى ويُسلِّم " من عند الله.. كتبه الله.. قدّره الله.. ماذا يفيد الإنسان أن يفتح على

نفسه بابَ سَخط ؟ أو باب جزع ؟ أو باب لو ؟ أو غير ذلك من الأبواب التي لا فائدة فيها ولا ثمرة لها إطلاقا إلا ضياع العقيدة واختلال الإيمان والدّخول في عمل الشيطان – والعياذ بالله–، بينما إيمان العبد بالقدر يعطي القلب قُوّة.. يعطي القلب يقين.. يعطي القلب ثقة بالله.. يعطي القلب قوة التجاء إلى الله سبحانه وتعالى وتفويض الأمور إلى الله سبحانه وتعالى.. يفتح للعبد أبواب عظيمة من الخيرات وأنواع السعادة واللّذّة في الدنيا والآخرة.

قال رحمه الله تعالى: " جفَّ القلم بما هو كائنٌ إلى يوم القيامة وما أخطأ العبدَ لم يكن ليصيبه، وما أصابه لم يكن ليخطئه.

وعلى العبد أن يعلم أن الله قد سبق علمه في كل كائن من خلقه " العلم أزليّ.. علم الله سبحانه وتعالى أزليٌّ ومُحيط وشامل ولم يُسبق بجهل، فالله سبحانه وتعالى علِم أزلاً كل ما هو كائنٌ، وأحاط جلّ وعلا بكلّ ذلك **{ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ }** خلقه لهذه المخلوقات وإيجاده لها دليلٌ على إحاطة علمه سبحانه وتعالى بها، لا يمكن أن يكون خالقًا لهذه المخلوقات ولا يعلم بها **{ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ }** ؟، ولهذا قال تبارك وتعالى في آيةٍ أخرى، قال: **{ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ }** لماذا ؟ **{ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا }**؛ خلقُه للخلق دليلٌ على كمال قدرته ودليلٌ على إحاطةِ علمه؛ لا يمكن أن يكون خالق ولا يعلم، ولهذا من اللطائف العظيمة في هذا الباب والحُجج المفحِمة؛ يُذكر قديمًا – وهذا ذكره التّيمي في كتابه الحُجّة – أن أحد الملاحِدة أراد أن يُشكِّكَ بعض المسلمين في إيمانهم بالله وأنه الخالق الرّازق المدبِّر، فقال لهم: أنا أستطيع أن أخلُق. وجاء بزُجاجة ووضع فيها أشياء مُتعفّنة؛ من لحمٍ وغيره، ثم أغلقها ووضعها في مكانٍ دافئ وبعد أيّام وإذا بها ممتلئة بالدّود والدّود يتناثر منها، فقال لهم: انظروا؛ هذه أنا الذي خلقتُها. فأحد الموجودين – وكان صغيرًا في السنّ – قال: لم يكن أحدٌ ليخلُق إلا ويعلم عددَ ما خلق، وذكورَهم من إناثهم، وآجالَهم وأرزاقهم، فأَبِنْ لنا ذلك كلَّه. – إذا كنت أنت الخالق لهذا؛ كم عدد هذه المخلوقات ؟ وكم الذُّكور من الإناث ؟ وكل واحد منهم متى سيموت ؟ وكل واحد منهم ماذا سيَطعم ؟ أبِن لنا ذلك كلّه.– فبُهِت الملحد.

فخلقُ الله تبارك وتعالى لهذه المخلوقات وإيجاده لها دليلٌ على إحاطة علمه، فالله عزّ وجلّ سبق علمه بكل ما هو كائن من خلقه، " فقدّر ذلك "؛ أي هذا الذي أحاط به علمه سبحانه وتعالى، قدّر ذلك " بمشيئته تقديرًا " قال تعالى **{ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا }** وقال تعالى: **{ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ }** وسيأتي ذكر المسنّف رحمه الله لهاتين الآيتين.

" فقدّر ذلك بمشيئته تقديراً مُحكَمًا مُبرَمًا " أي هذا التقدير تقديرٌ محكم ومُبرم، وأمرٌ نافذ وواقع طبقًا لما قدّر الحكيم الخبير سبحانه وتعالى.

" ليس فيه ناقض ولا معقِّب " هذا الذي قدّره الله ليس فيه ناقض: لا يمكن أن ينقض، وليس له معقب، وفي دعاء الهمّ قال: ((**اللهم إني عبدك وابن عبدك وابن أمتك ماضٍ فيَّ حُكْمُك عدلٌ فيَّ قضاؤُك**)) ((**ماضٍ فيَّ حُكْمُك**))؛ حكمُ الله ماضٍ وقضاؤه نافذ، لا مُعَقِّب لحكمه ولا رادَّ لقضائه سبحانه وتعالى، ليس فيه ناقضٌ ولا معقّبٌ ولا مُغيّر؛ ليس هناك إزالة لشيءٍ كتب الله وقوعه ولا أيضًا تغييرٌ له { **قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا** } ليس له مُزيل ولا مغيّر ولا محوّل؛ مثل أن يكون كُتب مثلا المرض على فلان فيحول إلى غيره. لا. ليس له محوِّل، الذي كُتِب عليه المصابُ ينالُه كما كُتب، فليس له محول ولا ناقص ولا زائد؛ لا ينقص فيه ولا يُزاد، وهذا كله توضيح لقول الله سبحانه وتعالى { **فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ** } { **فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ** } لا يتطرق له أي تغيير أو تحويل أو تغيير أو زيادة أو نقصان من خلقه في سماوته وأرضه. كل هذه الأشياء ألتي قدّرها وكتبها مما هو كائن لا يمكن أن يناله أي تغيير أو تبديل أو تحويل أو زيادة أو نقصان.

" وذلك " أي الذي ذكر وبسطه المؤلف رحمه الله تعالى " من عَقْد الإيمان " من عقد الإيمان: أي من الاعتقاد اللازم الواجب الذي لا ينعقد إيمانٌ إلا به ولا يصح إيمان إلا به، ومن شَكَّ في شيءٍ من ذلك أو كذَّب به انهدم إيمانه؛ قد قال الله سبحانه تعالى { **وَمَن يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ** }، فمِن عَقْد الإيمان أن نؤمن بالقدر، فإذا لم يؤمن إنسانٌ بقَدَر الله أو شكَّ في ذلك أو كذَّب انهدم إيمانه وبطل توحيده. ومر معنا قريبًا قول ابن عباس رضي الله عنهما: " القَدَر نظام التوحيد، فمن وحَّدَ الله وكذَّبَ بالقدر نقض تكذيبُه توحيدَه " النقض هو الهدم، فعقد الإيمان المبرم ينتقض بتكذيب الإنسان بأقدار الله سبحانه وتعالى.

" وذلك من عقد الإيمان وأصول المعرفة " وسبق أن مرَّ معنا أن التوحيد الذي خلقنا الله لأجله له جانبان؛ جانب العلم الذي هو المعرفة وجانب العمل، ومرَّ معنا قول الله جل وعلا { **اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا** } فهذه المعرفة وهذا العلم مقصود للخلق؛ خلقنا الله لنعلم كما أنه خلقنا لنعبده ونفرده بأنواع العبادة.

قال " وذلك من عقد الإيمان وأصول المعرفة والاعتراف بتوحيد الله وربوبيته " وهذا ينبِّه فيه على المعنى الذي مرّ معنا في كلام ابن عباس رضي الله عنهما أن الإيمان بالقدر من توحيد الله.. أن الإيمان بالقدر من توحيد الله.

والقدر داخل في الربوبية؛ ربوبية الله سبحانه وتعالى، ولهذا قال: " والاعتراف بتوحيد الله وربوبيته " " توحيد الله وربوبيته " فالذي لا يؤمن بالقدر لا يؤمن بأن الله الربُّ الخالق المدبِّر المتصرِّف الذي ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن. أين إيمانه بربوبية الله إذا كان يجحد القدر ؟ أين إيمانه بأن الله رب العالمين وخالق الخلق أجمعين والمتصرف في هذا الملك لا شريك له إذا كان لا يؤمن بالقدر، أو يشُكّ في القدر، أو يجعل شيئًا من أمور القدر لغير الله ؟ كالقدريّة الذين يقولون إن الإنسان هو الخالق لفعل نفسه، فجعلوا خالقاً مع الله تبارك وتعالى – تعالى الله عما يقولون –.

ثم ذكر الدليل على ذلك؛ قال: "كما قال تعالى في كتابه: **{ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا }** وقال تعالى: **{ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا }** " وقال: **{ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ }** وقال: **{ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَا مُوسَىٰ }** **جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ**: أي هذا المجيء بِقدَرٍ قدَّره الله وكتبه سبحانه وتعالى، وقال: **{ سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ۝ الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝ وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ }**، وقال: **{ فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ }**، فالأمور كلُّها بتقدير الله سبحانه وتعالى، والدلائل على ذلكم والشواهد في كتاب الله وسنة نبيّه صلوات الله وسلامه عليه كثيرة، وجاء في الصحيح عن نبينا صلى الله عليه وسلم أنه قال: **(كلُّ شيءٍ بِقَدَرٍ حتى العَجْزُ والْكَيْسُ)**.

لما بيّن رحمه الله هذه العقيدة العظيمة والإيمان المبارك ولما بيّن هذا الأصل العظيم من أصول الإيمان –الإيمان بأقدار الله سبحانه وتعالى– حذَّرَ من المسالِك المنحرفة والطرائق الباطلة التي حادت عن الإيمان بهذا الأصل، فقال رحمه الله محذراً: " فويلٌ لمن صار قلبُه في القدر قلبًا سقيمًا " " فويلٌ لمن صار قلبُه في القدر قلبًا سقيمًا " أي ما أعظم عقوبتَه وما أشدَّ عذابَه؛ الويل: هو العذاب الشديد، وجاء هذا التهديد في مواضع في القرآن **{ وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ }** **{ فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ }** **{ وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ }** هذا وعيد و تهديد شديد، ولا شكّ أن الذي قلبُه في القدر قلباً سقيما –والعياذ بالله– له الويل؛ من أين يأتيه الخير وهو يجحد القدر ؟ ومن أين ينال سعادة في الدنيا والآخرة وهو يكذِّب بالقدر ؟ من أين يتحقَّق له قوة قلب وثبات إيمان وصلاح أحوال وانتظام توحيد وهو يكذّب بالقدر ؟؟ بل إن كان يعمل الصالحات ويقوم بالطاعات كلُّها تُردُّ عليه ولا يُقبل منها شيءٌ؛ لو صام دهره وقام ليله وتصدَّق بماله كلِّه ذلكم لا يقبل منه. ولهذا لما جاء نفرٌ إلى عبد الله بن عمر وذكروا له – نفر من العراق – وذكروا له قالوا: إن قبلنا قومٌ يقولون الأمر أُنُف ولا قَدَرَ. قال: " إذا لقيتهم فأخبرهم أني براءٌ منهم وأنهم منّي براء. والذي يحلف به عبد الله بن عمر لو أنفق أحدُهُم مثلَ أُحُدٍ ذَهَبًا ما تُقُبِّلَ منه " أي وهو يكذّب بالقدر، ما لم يؤمن بالقدر، فالذي يكذّب بأقدار الله سبحانه تعالى لا تُقبل منه طاعات؛ لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً.

قال: " فويلٌ لمن صار قلبُه في القدر قلبًا سقيمًا " ومعنى سقيما أي مُمْرَضًا، وهذا أيضا فيه التنبيه على أن عدم الايمان بالقدر هذا مرض للقلوب وعطبٌ لها وهلاك " فويلٌ لمن صار قلبُه في القدر قلبًا سقيمًا " ومعنى سقيمًا أي مريضًا لا يؤمن بأقدار الله، أين الصحة والعافية من قلبٍ لا يؤمن بأقدار الله سبحانه وتعالى وأن الله ربُّ العالمين المتصرِّف المدبِّر الذي ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن ؟

قال: " لقد التمس بِوهمِهِ في فحص الغيب سرًّا كتيما " أي دخل بعقله الضعيف وفهمه القاصر دخل في سرِّ الله تبارك وتعالى، قد مرَّ معنا " القَدَرُ سِرُّ الله لم يطلع عليه ملكٌ مقرَّب ولا نبيٌّ مرسل " فكيف من دونهما ؟ فهذا الذي يقحم عقله القاصر الضعيف لكشف سرِّ القدر الكتيم الذي كتمه الله.. فهو سرٌّ كتيمٌ: أي مكتوم لا يطَّلِع عليه أحدٌ؛ لا ملكٌ مقرَّبٌ ولا نبيٌّ مرسل **{ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ }** **{ فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ }** لا يمكن أن يطَّلع عليه أحدٌ. ولا يزال بعض الدجاجِلة إلى يومنا هذا يزعم بعضهم أنه يقرأ اللوح المحفوظ وأنه يُكاشَف عن ما في اللوح المحفوظ ويخبر من حوله من السُّفهاء ومن يستخفُّ بعقولهم أنه ساعة كلامه معهم يقرأ المكتوب في اللوح المحفوظ، ثم يدجل عليهم: أنت كذا وأنت كذا... هؤلاء دَجَاجِلَةٌ لا يزال وجودهم في كل زمان، ووجودهم مقدِّمات للدجال الأكبر الذي يخرج في آخر الزمان؛ فهؤلاء إرهاصات ومقدِّماتٌ لذلك الدجال، وقد قال صلى الله عليه وسلم: ((**من سمع بالدجال فلينأَ عنه**))، وهذا يتناول ذلك الدجّال الأكبر الذي يخرج في آخر الزمان وهؤلاء الدجاجلة ما يزال لهم وجود عبر التاريخ، فهؤلاء الواجب أن ينأى عنهم الإنسان؛ يبتعد عنهم غاية البعد؛ لا يسمع لهم حديثًا ولا ينظر لهم صورةً حتى عبر القنوات أو عبر الهواتف والجوَّالات ونحو ذلك... كل ذلك يحذر منه الإنسان غايةَ الحذر.

قال: " لقد التمس بِوهمِهِ في فحص الغيب سرًّا كتيما " أي أمرًا كتمه الله، أمرًا أخفاه الله تعالى على خلقه، فمن التمس ذلك أو ادّعى ذلك لنفسه فهو دجَّال من الدجاجلة وأفَّاكٌ من الأفَّاكين.

قال: " لقد التمس بوهمِهِ " هذه أوهامٌ؛ يعني إذا وُجدت فهي ليست حقائق بل هي أوهامٌ وتخيُّلات وأكاذيب ومفتريات، " لقد التمس بِوَهْمِهِ فِي فَحْصِ الغَيْبِ سِرًّا كَتِيمًا، وعادَ بِمَا قَالَ فِيهِ أَفَّاكًا أَثِيمًا. " نتيجةُ تَتَبُّع تلك الأوهام والتخرُّصات الإفك والكذب، وهؤلاء الأفَّاكون الكذابون الدجَّالون لا يزال لهم وجودٌ إلى زماننا هذا، ويأخذون صورًا حديثة؛ بعضهم –بعض هؤلاء الأفّاكين– بزعمه يخبر الناس بما في اللوح المحفوظ وبالأمور المقدَّرة بفنجانٍ ينظر إليه ! يسمونه: قارئ الفنجان؛ فنجان القهوة يضعه أمامه أو فنجان الشاي، ويقول لمن هو أمامه من خفيفي العقول: أنت بعد شهر تتزوج.. وأنت بعد عشرين يومًا يأتيك مالٌ.. وأنت...، وآخر بزعمه يقرأ ما في اللوح المحفوظ من الكفِّ ! يقول هذا قارئ الكفّ، يفتح كفَّ من أمامَه من السُّفهاء والحمقى وينظر في كفِّه ويقرأُ له الأشياءَ التي هي كائنة، وآخر يخُطُّ خطوطًا في الأرض أو يطرُق طَرْقًا في أحجارٍ يضرب

بعضها ببعض ثم يدّعي كشف الأمور المغيَّبة... هؤلاء الدجالين كُثُر ولا يزال لهم وجود في كل زمان، يحرِّفون عقائد الناس ويصرفونهم عن الإيمان بأقدار الله سبحانه وتعالى.

هذه العقيدة العظيمة عقيدة الإيمان بالقدر التي هي أصلٌ من أصول الإيمان وركنٌ من أركان الدّين لا يستقيم إيمانُ عبدٍ ولا ينتفع بطاعةٍ إلا بهذا الإيمان، فلا بد من تحقيقه والإيمان به بمراتبه الأربعة التي جاءت في كتاب الله سبحانه وتعالى وفي سنّة نبيّه الكريم صلوات الله وسلامُه وبركاتُه عليه؛ وهي: العلم والكتابة والمشيئة والإيجاد، فنؤمن أن الله عزّ وجلّ أحاط بكل شيءٍ علمًا وأنه عَلِمَ ما كان وما سيكون وما لم يكن لو كان كيف يكون، ونؤمن بأنه سبحانه وتعالى كتب قبل خلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة كلَّ ما هو كائنٌ إلى يوم القيامة، ونؤمن أن مشيئةَ الله نافذةٌ وقدرتَه تبارك وتعالى شاملةٌ وأنه ما شاء الله كان وما لم يشأْ لم يَكُن، ونؤمن بأن الله خالقُ كل شيء تبارك وتعالى { **اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ** } {**وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ** } فنؤمن بذلك كلِّه. يقول الإمام الشافعي رحمه الله تعالى:

ما شئتَ كان وإن لم أشأ   وما شئتُ إن لم تشأ لم يكن
خلقت العباد على ما علمت   وفي العلم يجري الفتى والمسِن
على ذا مننت وهذا خذلت   وهذا أعنت وذا لم تُعن
فمنهم شقي ومنهم سعيد   ومنهم قبيح ومنهم حسن

أي كل هذا بقدر، كل هذا كُتب.

عندما يؤمن المسلم هذا الإيمان بأقدار الله وبأن الأمور كُتبت ومقاديرَ الخلائق قُدِّرت وأن ما كُتِب كائنٌ، الناحية العمليَّة المطلوبة من المسلم في حياته ما هي ؟ و كيف تكون ؟

الصحابة رضي الله عنهم سألوا النبيَّ عليه الصلاة والسلام؛ قالوا: " نعمل فيما جرت به المقادير وجفت به الأقلام أو في شيءٍ مستقْبَلٍ ؟ " أو في شيءٍ نستقبله؛ يعني لم يُقدَّر ولم يُكتَب ؟ قال: ((**بل فيما جَرَت به المقاديرُ وجَفَّت به الأقلامُ**)) قالوا: " ففيم العمل؟ " فيم العمل ؟ إذا كان الأمور كتبت وما هو مكتوبٌ حاصلٌ؛ فيم العمل ؟ هذا السؤال كما يُقَال سؤالٌ يَطْرَحُ نفسَه، في هذا المكان و الصحابة رضي الله عنهم في هذا المقام طرحوه على النبي عليه الصلاة و السلام؛ قالوا: " فيمَ العمل؟ " إذا كان الأمر كُتب وقُدِّر فيم العمل ؟ أجابهم عليه الصلاة والسلام بجواب مختصرٍ وافٍ في هذا الباب وشافٍ، بل لا يمكن أن يجد شفاء ووفاء في جواب هذا السؤال إلا في هذه الكلمة التي قالها عليه الصلاة والسلام؛ قال: ((**اعملوا فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ لما خُلِقَ لَه**)) ((**اعملوا فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ لما خُلِقَ لَه**)) فمن كان من أهل السعادة يسَّرَهُ الله لعمل أهل السعادة،

ومن كان من أهل الشّقاوة يسَّرَه الله لعمل أهل الشقاوة، ثم تلا { **فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ۝ وَأَمَّا مَن بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ۝ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ۝ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ** }

فتلخص لنا من هذا الجواب الوافي من نبيّنا عليه الصلاة والسلام في أصلين عظيمين وأساسين متينين لا نجاة إلا بهما؛ الأول مأخوذ من قوله ((**اعملوا**)) وهذا فيه الدعوة إلى بذل الأسباب، وأن بذلك للسبب لا يتنافى مع الإيمان بالقدر؛ لا يتنافى مع إيمانك بالقدر، لأن الذي ذكر لك هذا الأصل العظيم هو الذي قال لك: اعمل ((**اعملوا**)) فبَذْلُك للسبب لا يتنافى مع الإيمان بالقدر، وقول ((اعملوا)) هذا فيه دليلٌ على أن العبد عنده مشيئة، ولهذا قيل له: اعمل؛ قد قال الله سبحانه وتعالى { **لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ۝ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ** } فالعبد له مشيئة ولهذا قيل له اعمل.

- فإذن؛ الأمر الأول والأصل الأول: بذل الأسباب ومجاهدة النفس على فعل الخيرات والإقبال على الطّاعات والابتعاد عن النواهي والمحرَّمات؛ يجاهد نفسه على ذلك؛ كما قال عليه الصلاة والسلام ((**احرص على ما ينفَعُك**)) هذا الأصل الأول.
- الأصل الثاني مأخوذٌ من قوله ((**فكلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَه**)) ومن قوله ((**واستعن بالله**)) فالأمور كلها بتيسير الله وبتوفيق الله، والعبد لا يدري ما كُتب له؛ لا يدري، ولهذا يسأل الله التوفيق، يسأل الله التيسير، يسأل الله العون، يسأل الله الثبات، يتعوَّذُ بالله من سوء القضاء، يسأل الله تبارك وتعالى أن يقضيَ له قضاءً كلُّه خيرٌ وأن " تجعل كلما قضيتَه لي خيرًا "، يسأل الله عزَّ وجلَّ ذلك ويُلِحُّ على الله بالدعاء لأن الأمور كلها بتيسير الله وبتوفيق الله وبعون الله وتسديد الله وبتأييد الله وبحفظ الله، الأمرُ بيده سبحانه وتعالى من قبلُ ومن بعدُ، ولهذا كان نبيُّنا عليه الصلاة والسلام كثير الدعاء بهذا؛ مثل قوله: ((**اللهم يا مُقلِّب القلوب ثبِّت قلبي على دينك**))، وكان كثير الدعاء بهذه الدعوة، قالت أم سلمة رضي الله عنها: " أوَ إنَّ القلوبَ تَتَقلَّب ؟ " قال: ((**ما من قلبٍ إلا هو بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلِّبُه كيف يشاء، فإن شاء أقامه وإن شاء أزاغه.**))

فالأمر بيد الله سبحانه وتعالى وتقديره جلّ وعلا، فإيمان العبد بالقدر يُقوِّي صِلَتَه بالله، يقوِّي التجاءه بالله، يقوّي اعتماده على الله، وفي الوقت نفسه يبذل العبدُ الأسبابَ النافعة المقرِّبة إلى الله تبارك وتعالى التي ينال بها سعادته وفلاحه في دنياه وأُخراه.

ونسأل الله الكريم رب العرش العظيم أن يصلح لنا جميعا شأننا كله وأن لا يكلنا إلى أنفسنا طرفة عين وأن يهدينا إليه صراطًا مستقيمًا، وأن لا يكلنا إلى أنفسنا طرفَةَ عين.

اللهم إنا نسألك من الخير كلِّه عاجله وآجله ما علمنا منه وما لم نعلم، ونعوذ بك من الشرِّ كله عاجله وآجله ما علمنا منه وما لم نعلم، ونسألك من خير ما سألك منه عبدك ورسولك محمد صلى الله عليه وسلم ونعوذ بك من شرِّ ما استعاذك منه عبدك ورسولك محمد صلى الله عليه وسلم.

ونسألك الجنة وما قرَّب إليها من قول أو عمل، ونعوذ بك من النار وما قرب إليها من قول أو عمل، وأن تجعل كل قضاءٍ قضيته لنا خيرا.

اللهم اهدنا إليك صراطًا مستقيمًا ولا تكلنا إلى أنفسنا طرفةَ عين.

ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب.

والله تعالى أعلم وصلى الله وسلم على عبده ورسوله نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين

الدرس الثاني عشر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على عبدِ الله ورسوله نبيِّنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد؛ فيقول الإمام أبو جعفر الطحاوي رحمه الله تعالى في ذكر عقيدته: " والعرشُ والكرسيُّ حقٌّ، وهو مُسْتَغْنٍ عَن العَرْشِ وَمَا دُونَه، مُحِيطٌ بِكُلِّ شَيْءٍ وَفَوْقَه، وَقَدْ أَعْجَزَ عن الإحاطةِ خلقَهُ. "]

شرح الشيخ:

الحمد لله رب العالمين وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين.

أما بعد: يبيّن الإمام الطحاوي رحمه الله تعالى في هذا الموضع العقيدة في العرش والكرسيّ، وكل منهما ورد ذكره في كتاب الله تبارك وتعالى، أمّا العرش فإن ذكره في القرآن جاء في أكثر من عشرين موضعًا، وأما الكرسيُّ فلم يرد إلا في موضع واحدٍ في آية واحدة هي أفضل آية في كتاب الله تبارك وتعالى، وعُرفت تلك الآية بآية الكرسيّ لأن هذا المخلوق العظيم ذُكر فيها؛ قال الله تعالى: **{وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ}**.

فالعرش والكرسيُّ حقٌّ يجب على كل مسلم أن يؤمن بهاذين المخلوقين العظيمين الكبيرين من مخلوقات الله تبارك وتعالى العِظام الدالّة على عظمة الخالق سبحانه وتعالى، فهاذان المخلوقات العظيمان دالاًّن على عظمة خالقهما وكمال مبدعهما جل وعلا، ولهذا قال بعض أهل العلم في كتب التفسير إن ذِكر الكرسي في آية الكرسي جاء كالتوطئة والتمهيد لعظمة الله الذي ختمت به الآية؛ قال: **{ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ۖ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ }**، فذِكر الكرسي توطئةٌ وتقدمةٌ بين يدي ذكر عظمة الخالق جل وعلا، ولا شكّ ولا ريب أن هذا المخلوق الذي وُصف في آية الكرسيِّ بهذه الصفة؛ أنه وَسِع السموات والأرض وأنه بهذه العظمة وبهذا الكبر لا شكَّ أن في ثبوته دلالةً على عظمة خالقه وموجِدِه تبارك وتعالى.

فالعرش والكرسيُّ حقٌّ والواجب على كل مسلم أن يؤمن بعرش الله وأن يؤمن بكرسيِّه سبحانه وتعالى، وقد أضاف العرش –عزّ وجل– لنفسه كما في قوله **{ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ }** وأضاف الكرسي لنفسه كما في قوله **{ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ }** فأضاف هذين المخلوقين إليه سبحانه وتعالى، والإضافة هنا إضافة خلقٍ وإيجاد؛ أضاف العرش لنفسه لأنه هو الذي خلق العرش وأضاف الكرسي لنفسه لأنه هو الذي خلق الكرسي، وهذه الإضافة

تقتضي التشريف والتَّعلية لقدر هذين المخلوقين العظيمين، فأضافهما تبارك وتعالى لنفسه تشريفًا لهما وتعليةً لقدرهما، فهما مخلوقان عظيمان دالَّان على كمال خالقهما جلّ وعلا.

ومن الإيمان بالعرش الإيمان بجميع صفاته التي وردت في القرآن ووردت في سنة النبي عليه الصلاة والسلام، فمن جحد شيئا من صفات العرش الثابتة في كتاب الله أو الثابتة في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فإن هذا الجحْد يفضي بصاحبه للكفر -والعياذ بالله- لأن من الإيمان بالله الإيمان بكتابه وبكلامه وبالأمور المغيَّبة التي أخبر عنها رسوله عليه الصلاة والسلام، وقد قال الله تعالى في وصف أهل الإيمان -في أوائل سورة البقرة-: { **هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ** } أي بكل ما غاب عنهم مما أخبرتهم به رسل الله.. بكل ما غاب عنهم مما أخبرتهم به رسل الله، فكُلُّ ما أخبرت به الرسل من حقائق وأوصاف ونحو ذلكم يجب الإيمان به والإيمان به جزء من الايمان بالغيب الذي أثنى الله سبحانه وتعالى على أهله.

والعرش وَصَفَه الله تبارك وتعالى بالعظمة والكرم والمجد؛ هذه ثلاث صفات للعرش جاءت في القران الكريم يجب أن نؤمن بها؛

وَصَفه بالعظمة في قوله تبارك وتعالى { **فَإِن تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ** } ووصفه تبارك وتعالى بالكرم في قوله تبارك وتعالى: { **أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ۝ فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ ۖ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ** } ووصفه تبارك وتعالى بالمجد في قوله جل وعلا { **ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدِ** } في قراءة صفةً للعرش، فهذه ثلاث صفات لعرش الرحمن تبارك وتعالى: العظمة والكرم والمجد:

- أما العظمة التي هي صفة للعرش فهي تدلُّ على فخامة شأن هذا العرش وكِبَره وسعته وأنّه عرشٌ عظيمٌ؛ أي واسع و كبير، وهو أكبر المخلوقات.. أكبر مخلوقات الله تبارك وتعالى، وأيضا، أعلى الخلوقات؛ فهو سقفها وأعلاها؛ ولهذا جاء في الحديث في الصحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((**إذا سألتم اللهَ الجنة فاسألوه الفردوس، فإنه أعلى الجنة ووسطُ الجنة وفوقه عرش الرحمن**)) ((**وفوقه عرش الرحمن**))

وإذا كان العرش أعلى الجنة أو فوق الجنة؛ فوق الفردوس الذي هو أعلى الجنة فهو أعلى مخلوقات الله تبارك وتعالى وأرفعُها، ووصف النبي صلى الله عليه وسلم الفردوس بقوله أنه ((**أعلى الجنة ووسط الجنة**)) وأن العرش فوقه، ومن هذا أخذ أهل العلم أن العرش مُقبَّب لأنه لا يكون إلا بهذه الصفة، وجاء في حديثٍ في سنده كلامٌ: ((**إن عرش الله تبارك وتعالى هكذا، وأشار على هيأة القُبَّة** -التي هي نصف الاستدارة-))

وهذا المعنى قد يُستفاد كما نصَّ على ذلكم بعضُ أهل العلم من هذا الحديث؛ ((**أعلى الجنة ووسط الجنة وفوقه عرش الرحمن**))، فعرش الله تبارك وتعالى هو أعلى المخلوقات وأعظمها وأكبرها.

- وَوَصْفُ الله تبارك وتعالى له بالكرم هذا فيه دلالٌ على بهاء العرش وجماله وحسنه، فهو عرشٌ كريمٌ أي بهيُّ المنظر عظيمُ الحسنِ جميلُ الشكلِ.
- ووصْفُه بالمجد في قوله تبارك وتعالى: **{ ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدِ }** فيه دلالة على سعة العرش، لأن المجد في اللغة: السعة؛ يقولون: أَمْجَدَ الناقةَ علَفًا أي: أوسع لها، ويقولون: استمجد المرخ والعفار أي اتّسع وكَثُر.

فالمجد لغةً: السَّعة، فوصف العرش بأنه مجيدٌ أي واسع.

والعرش أوسع المخلوقات، وليس في المخلوقات مخلوقٌ أوسعُ من عرش الرحمن تبارك وتعالى. وقد جاء في حديث خرّجَه أحمد في مسنده عن أبي ذر رضي الله عنه أنه سمع النبي عليه الصلاة والسلام قال: ((**ما السماوات السّبعُ والأرَضُونَ السّبعُ في الكرسيّ إلا كحَلَقةٍ أُلْقِيت في فلاة**)) ((**إلا كحلقة**)) يعني: قطعة مستديرة من الحديد صغيرة أُلقيت في صحراء؛ عندما تُلقي قطعة لك.. قطعةً من الحديد في صحراء ثم تريد أن تقارن النسبة بين هذه الحلقة الصغيرة والصحراء المترامية الأطراف ! قال: ((**ما السماوات السبع والأرضون السّبعُ في الكُرسيّ إلا كَحلْقةٍ من حديدٍ أُلقِيت في صحراءٍ، وفضْلُ العرش على الكُرسيّ مثلُ فضل الكرسي على تلك الحديدة.**)) فانظر وتأمَّلْ وتدبَّر في هذا الكِبَر، وخذ الأمرَ من بِدايتِه مُتأَمِّلاً متفَكِّرًا؛ في محيطك الذي أنت فيه عندما تنظر إلى الجبال الضّخمة الكبيرة؛ مثلاً؛ لو نظرنا إلى جبل أُحُد، جبل عظيم وكبير وتأخذ الألباب والعقولَ عظمتُه وكِبرُه.. لكن لو فكَّرتَ ما نسبة جبل أُحُد بالنسبة إلى الأرض كلّها ؟ تجد أصبح نقطة ضئيلة جدًّا.. إذا وازَنتَهُ وتأمّلتَ في نسبته إلى الأرض كلّها، ثم إذا نظرت إلى نسبة هذا الجبل أو هذه الأرض التي أنت فيها إلى السماوات، إلى السماوات السّبع، وجاء في الحديث أن بين كلّ سماءٍ وسماءٍ خمسمائة عامٍ وبين السماء والأرض خمسمائة عام، فإذا وازَنت بين السماء والأرض تجِد أن النسبة تزداد ضآلةً، ثم إذا نظرت في الكرسي؛ تأملتَ في الكرسي الذي وسِعَ –كما وصفه الله تبارك وتعالى– السماوات والأرض.. وسع السماوات والأرض، ماذا تكون الأرض بالنسبة للكرسيّ ؟ ثم هذا الكرسي بالنسبة إلى العرش كحلْقة من حديد أُلقِيَت في صحراء؛ كقطعة من حديد أُلقيَت في صحراء. أنت عندما تتأمّل في هذه النّسب تخرج بنتيجة واحدة وهي: **الله أكبر**.. تخرج بنتيجة واحدة وهي: **الله أكبر**..؛ أي من كلّ شيء – سبحانه وتعالى –... تخرج بنتيجة وهي أنّك تتبصَّر وتتأمّل في عظمة الخالق جلّ وعلا وأنه الكبير المتَعال.

إذا كانت هذه مخلوقات لله أوجدها من عَدَم وخلقها بعد أن لم تكُنْ، وهي بهذا الكِبَر، وبهذه السَّعة، وبهذه العَظَمة، فكيف بالخالق العظيم ؟! كيف بالرّبّ الجليل سبحانه وتعالى ؟ كيف بمن خلقها وأوجدَها جلّ وعلا ؟ فلا شكَّ أن هذا التأمّل والتّدبُّر في هذه المخلوقات والآيات يهدي لعظمة الخالق، وهذا يُستَفاد من قول النبيّ عليه الصلاة والسلام في الحديث الذي حسَّنه بعض أهل العلم ان النبيّ عليه الصلاة والسلام قال: ((**تفَكَّروا في آلاءِ الله ولا تتفكَّروا في الله**))؛ ((**تفكَّروا في آلاءِ الله..**)) مخلوقات الله، لأنك إذا تَفكَّرتَ في هذه المخلوقات وتأمّلتَ فيها ورأيتَ عظمَتها وكِبَرَها وسَعَتَها وبهاءَها ونحوَ ذلك من المعاني التي أودعها الله فيها أرشدتكَ وهَدَتْكَ إلى عظمة من خَلَقَها؛ قال الله تعالى: { **إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ۝ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ** }.. { **رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ** } ما خلق الله هذه المخلوقات باطِلاً ولا أوجدها لعِبًا ولا أبدعَها عَبَثًا، تعالى وتقدَّسَ عن ذلك، { **أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ۝ فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ** } { **فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ** }، أي تنزَّهَ وتقَدَّس عن ذلك، فالله مُنَزَّهٌ عن ذلك. وهذه الكلمات { **أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ** } تُقال يومَ القيامة لأهلِ النار وهم في النّار تقريعًا لهم وتبكيتًا؛ يقال لهم وهم في النار { **أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ۝ فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ ۝ وَمَن يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِندَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ** }، وهذه المخلوقات العظيمة وذكرها وتذكُّرها والإخبار عنها بالقرآن إنما جاء ليصِل منها المخلوق إلى معرفة عظمة الخالق، فيُخلِص له الدّين ويُفرِدَه تبارك وتعالى بالعبادة والذّلّ، ولهذا لاحِظ الاقتران بين ذكر الكرسي والتوحيد وذكر العرش والتوحيد في آيات القرآن الكريم؛ ذكر الكرسي في آية الكرسي ذُكِر برهانًا على وجوب توحيد الله وإخلاص الدين له؛ أليست آية الكرسي صُدّرت بقوله تعالى: { **اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ** }؟ ثمّ ذُكرت البراهين على وجوب إفراده بالتوحيد وإخلاص الدّين له، وكان من جملة هذه البراهين قوله { **وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ** }، إذا كان وَسع كرسيُّه السماوات والأرض والكرسي مخلوق من مخلوقاته فكيف يُعبد غيره ؟ ! وكيف يُلتَجأ إلى سواه ؟ وكيف يُصرف الذّلّ والخضوع إلى غيره تبارك وتعالى ؟ وكذلكم العرش الذي هو أعظم من الكرسي وأكبر وأوسع.

قال الله تعالى: { **أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ۝ فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ ۝ وَمَن يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِندَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ** } وقال في الآية الأخرى: { **فَإِن تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ**

رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ } فذِكْرُ العرش في هذا الموضع وكذلك في الموضع الأوّل بُرهانٌ على وجوب توحيد الله وإخلاص الدّين له تبارك وتعالى.

وحديث أبي ذرّ الذي مرَّ ذكرُه فيه دلالة واضحة أنّ الكرسي والعرش مخلوقان لله، مخلوقان لله تبارك وتعالى، وأنّ العرش أكبر وأوسع من الكرسي، وأنّ نسبة الكرسي إليه كنسبة حلقةٍ من حديد أُلقيَت في صحراء، كما أن نسبة السماوات والأرض إلى الكرسي كحلقة من حديد ألقيت في صحراء.

فإذن؛ العرش هو مخلوق لله تبارك وتعالى، وهو أكبر المخلوقات وأوسعها وأعظمها كِبَرًا وسَعَةً ومَجْدًا، وهذه الصفات للعرش كلها نؤمن بها وأيضًا نؤمن بِصِفات العرش الأخرى التي جاءت في سُنّة النبي عليه الصلاة والسلام؛

- من ذلكم أن النبي عليه الصلاة والسلام ذَكَر أن للعرشِ قوائم والحديث في الصحيح؛ قال: ((.. **فإذا أنا بموسى آخذٌ بقائمةٍ من قوائمِ العرش**)) ((.. **فإذا أنا بموسى آخذٌ بقائمةٍ من قوائمِ العرش، فلا أدري أفاق قبلي أم جُوزِيَ بصعقةِ الطور**)) ، فذكر أن للعرش قوائم.
- وجاء أيضًا في القرآن والسُّنة أن للعرش حَمَلة من الملائكة؛ قال الله تبارك وتعالى: **{ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ }** وقال تبارك وتعالى: **{ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ }** وقال تعالى: **{ وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ }**، فالعرش له حَمَلة وَكَلَ الله سبحانه وتعالى إليهم حمل العرش.

فنؤمن بأن العرش له قوائم ونؤمن بأن العرش له حملة كما دلّ على ذلكم كتاب الله تبارك وتعالى.

- وقد جاء في حديثٍ صَحَّ عن نبيّنا عليه الصلاة والسلام أن العرش؛ عرش الرحمن اهتز لِمَوْت سعد رضي الله عنه وأرضاه.

وهذه كلها؛ الصفات وغيرها مما ورد في القرآن والسنة، كلّها تدلُّ على أنّ العرش مخلوقٌ عظيمٌ هو أكبر المخلوقات وأعلى المخلوقات، وهو موجودٌ مربوبٌ مخلوقٌ لله تبارك وتعالى، فيجب أن نؤمن به وبجميع صفاته التي وردت في الكتاب والسنة. وإذا علمنا ذلك أدركنا بُطلانَ كلامِ أهل الكلام الباطل الذين لا يؤمنون بوجود العرش ويقولون عن الآيات التي تذكر العرش وتخبر عنه يقولون: المراد بالعرش: المُلْك؛ عرش الله أي: ملك الله ! هكذا يفسرونه، ويقولون: ذِكْرُ العرش كِنايةٌ عن المُلْك ! وكيف يَصِحُّ مثلُ هذا الكلام في ضوء هذه الصفات الكثيرة التي ذُكرت للعرش ؟! إذا قالوا أن المراد بالعرش كنايةٌ عن الملك، هل يقال: (وإذا أنا بموسى

آخذٌ بقائمةٍ من قوائم الملك)! أو يقال: (ويَحْمِلُ مُلْك ربّك فوقهم يومئذ ثمانية) !! الملائكة المخلوقة التي تحمل العرش هي نفسها من ملك الله، فهل يقال: ويحمل ملك ربك يومئذ ثمانية ؟ !!، فهذا كلُّه يدلُّ على فساد مثل هذه التأويلات. وقوله: ((**اهتَزَّ عرشُ الرَّحمن**)) اهتز مُلْكُه ؟ !

فعندما تنظر في الأحاديث التي تصف العرش وتذكر صفات العرش وكذلك الآيات التي تذكر صفات العرش تَجِدُها تنادي بالبطلان على دعاوى هؤلاء المبطلين الذين يجحدون ثبوت العرش.

إذن؛ نؤمنُ ونوقنُ ولا نتردّدُ ولا نرتابُ ولا نشُكُّ بوجود هذا المخلوق العظيم الذي هو أكبر المخلوقات وأعلاها، ونؤمن أيضاً بهذا المخلوق الذي هو دون العرش والذي هو بين يدي العرش وهو الكرسي والذي ذُكِرَ في آية الكرسي في قوله تعالى: **{ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ }**، فنؤمن بالكرسي.

والعرش: سريرُ المُلْك. هذا معناه، العرش سرير الملك، وهو سرير ثَبَتَ في السُّنة أن له قوائم كما مرّ معنا في الحديث المتقدم، فنؤمن به وهذا هو معناه، ونحن خوطبنا في القرآن بمقتضى لغة العرب وبما تدلُّ عليه.

والكرسي: مَوْضِع القدمين؛ وبهذا فَسَّره ابن عباسٍ وغيرُه رضي الله عنه، الكرسيُّ: موضع القدمين وهو بين يدي العرش كالمِرْقَاةِ إليه؛ قال ابن عباس رضي الله عنهما: **{ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ }**، قال: " الكُرسيُّ: موضع القدمين."

فنؤمن بالعرش ونؤمن بالكرسي وهما مخلوقان؛ هذا مخلوقٌ وهذا مخلوق، والعرش أكبر، وليس العرش هو الكرسيّ، بل هذا مخلوق وهذا مخلوق، فنؤمن بهاذين المخلوقين ونؤمن بما جاء في كتاب الله وسنة نبيه عليه الصلاة والسلام من أوصافٍ لهذين المخلوقين العظيمين من مخلوقات الله تبارك وتعالى، وهما كما قدَّمتُ فيهما دلالةٌ على عَظَمة من خَلَقَهما وكمال من أَوجَدَهما تبارك وتعالى، وأيضاً فيهما دلالةٌ على وُجُوب توحيده وإخلاص الدين له واعتقاد أنه تبارك وتعالى الكبيرُ المتعال الذي لا شيءٌ أَكْبرُ مِنْهُ.

وقد قال النبي عليه الصلاة والسلام لعَدِيّ: ((**ما يُفرُّك** ؟)) يعني ما الذي يجعلك تفِرُّ من الدّين الاسلامي؟ ((**أيُفرّك أن يقال: لا إله إلا الله ؟ وهل من إله غير الله ؟ يا عدي ما يَفرُّك ؟ أيُفرُّك أن يقال: الله أكبر ؟ وهل شيء أكبر من الله ؟**))، فالله سبحانه وتعالى هو الكبير المتعال العظيم، وهذه المخلوقات إذا تفكَّرنا فيها وتأملنا هَدَتنا وأرشدتنا إلى عظمة من خلقها وكمال من أوجدها سبحانه وتعالى.

كذلكم مما جاء في صفات العرش ما ثبت في الحديث الصحيح أن النبي عليه الصلاة والسلام قال: ((**سبعةٌ يظلهم الله في ظله يوم لا ظل الا ظله**)) فجاء في عددٍ من الروايات التي فيها ذكر الظِّل، جاء في عدد من

الروايات ((**في ظِلِّ عرشه**)) يُظلُّهم في ظل عرشه، فنؤمن بذلك وأن أهل الإيمان والاستقامة والملازمة لطاعة الله يظلُّهم الله تبارك وتعالى في ظل عرشه يوم لا ظِلَّ إلا ظلُّه.

الشاهد أن الواجب على المسلم أن يؤمن بالعرش وأن يؤمن بالكرسي وأنهما حقٌّ وأن يؤمن بكل صفة وردت في كتاب الله وسنة نبيه صلوات الله وسلامه عليه للعرش أو للكرسي.

ثم قال رحمه الله: " وهو مستغنٍ عن العرش وما دونه. "

العرش خَلَقَه الله جلّ وعلا وأوجده بعد أن لم يكن، لم يكن للعرش وجودٌ فأوجده الله وخلقه، ثم استوى عليه، واستوى عليه بعد خلق السماوات والأرض **{ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ }**، جاء هذا المعنى في آيات، فالله عز وجل استوى على العرش بعد خلقه للسماوات والأرض، وجاء في القرآن والسنة أنّ عرشه قبل ذلك كان على الماء **{ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ }**، فهذا كله نؤمن به، ونؤمن بأن ربَّنا سبحانه وتعالى مستوٍ على العرش، وقد أخبر أنه مستوٍ على العرش في سبع آيات من القرآن؛ ستّةٌ بلفظ **{ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ }** وواحدةٌ في طه **{ الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ }**، فنؤمن بالاستواء ومعناه العلوّ والارتفاع؛ استوى على العرش: أي علا وارتفع عليه علواً وارتفاعاً يليق بجلاله وكماله وعظمته سبحانه وتعالى، فنؤمن بذلك؛ نؤمن بأن ربنا سبحانه وتعالى استوى على العرش: أي علا وارتفع عليه علواً وارتفاعاً يليق بجلاله وكماله، وفي الوقت نفسه يجب أن نؤمن إيمانًا لا شك فيه ولا ريب بما ذكره المصنف رحمه الله هنا وهو أن الله تبارك وتعالى مستغنٍ عن العرش وما دونه، وهذا فيه تنبيهٌ على أمرٍ أدّى بل أودى بكثيرٍ من المعطِّلة وجعلهم يجحدون استواء الله تبارك وتعالى على العرش، ماذا قالوا ؟ قالوا: نحن لا نعلم استواءً إلا عن حاجة، فالذي يستوي على الفلك لو غرقت ماذا يحدث له ؟ يغرق. والذي يستوي على الدابّة إذا سقطت ؟ يسقط. قال الله تعالى: **{ لِتَسْتَوُوا عَلَىٰ ظُهُورِهِ }** أي: الفلك والأنعام، لأنهم هما اللذان ذُكِرا قبل، قال: **{ لِتَسْتَوُوا عَلَىٰ ظُهُورِهِ }**؛ هذا الاستواء على ظهور الفلك أو على ظهور الانعام هو استواءٌ عن حاجةٍ بمعنى لو غرق الفلك لغرق من عليه، ولو سقطت الدابّة لسقط من عليها، لكن هذا استواء من ؟ استواء المخلوق الفقير المحتاج، فحرامٌ وإثمٌ وباطلٌ وعدوانٌ أن يُقاس استواء الربّ جلّ وعلا باستواء المخلوق، وقد قال أهل العلم: " لا يُقاس بخلقه "، فالله عز وجل أخبر بأنه مستوٍ على العرش فنؤمن باستوائه على العرش، وأخبر أنه غنيٌّ عن المخلوقات كلِّها، فنؤمن بأنه غنيٌّ عن المخلوقات كلها، واجتمع لنا الاعتقاد كله؛ نؤمن بأن الله استوى على العرش ونؤمن كما دلّت آيات أخرى بأنه غنيٌّ عن المخلوقات كلها فإن الله غنيٌّ عن العالمين **{ ۞ يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ }** **{ ۞ إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَن تَزُولَا ۚ وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّن بَعْدِهِ ۚ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا }**

الله جل وعلا هو المِمْسك للعرش بقدرته وللسماوات وللأرض، وهو القيوم: القائم بنفسه والمقِيم لخلقه كلهم سبحانه وتعالى.

فإذن؛ نؤمن بأنه مستوٍ على العرش استواءً يليق بجلاله وكماله، وفي الوقت نفسه نؤمن بأنه غنيٌّ عن العرش وعما دونه، فإذا قال قائل وقد قالوا ذلك في كتب المتكلمين؛ إذا قال قائل: يلزم من استوائه على العرش حقيقةً أن يكون محتاجًا إلى العرش. ماذا يقال له ؟ يقال له: أنت الآن تتحدث عن استواء المخلوق الفقير، فاتّقِ الله، وإياك أن تقول في الله تبارك وتعالى قولاً باطلاً فإن الخطأ في حقِّ الله تبارك وتعالى خطأٌ عظيم وجرمٌ كبير، إياك أن تقيس الله بخلقه، الله جل وعلا يقول **{ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ }** ويقول **{ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا }** ويقول: **{ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ}** ويقول **{ فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ }** اتّقِ الله تعالى ولا تُشبِّه استواءه على عرشه باستواء المخلوق، ثم تبني على هذا التشبيه وهذا القياس الفاسد إنكار الاستواء وجحده، فإذن هذا الذي نبَّه عليه المصنف غاية الأهمية وهو يقطع دابر شرِّ أهل الكلام الباطل الذي من خلاله أرادوا أو جحدوا استواء الله تبارك وتعالى على عرشه ولم يؤمنوا به.

إذن؛ نحن نؤمن بأن الله سبحانه وتعالى مستوٍ على العرش حقيقةً؛ استواءً يليق بجلاله وكماله وفي الوقت نفسه نؤمن بأنه غنيٌّ عن العرش وعمَّا دون العرش، وهذا نصل منه إلى التنبيه على قاعدةٍ مُهمة وهي أن الصفة إذا أضيفت إلى الله أفادت إضافتها إليه اختصاصه بها، ولازم الصفة عندما تضاف إلى الله أن تكون مختَصَّةً بالله لائقةً بجلاله وكماله وعظمته سبحانه وتعالى، فإذا أراد مُريدٌ أن يجعل من لوازم الصفة باعتبار إضافتها للمخلوق لازمًا للصفة باعتبار إضافتها للخالق نوقفه عند حده ونقول: لا تخلط بين اللوازم، لا تخلط بين اللوازم؛ الصفة عندما تضاف إلى الله؛ عندما نقول استوى الله على العرش هذا صفةٌ مضافةٌ إلى الله؛ عندما يقال استوى زيدٌ على الدّابة، هذا استواء مضاف إلى زيد هذا الاستواء الذي أضيف إلى زيد أنه استوى على الدّابة استواءٌ عن حاجة، من لوازمه أنه مُحتاجٌ إلى الدابّة التي هو مستوٍ عليها، فهذا اللازم الذي يلزم الصفة باعتبار إضافتها إلى المخلوق الله مُنزَّهٌ عنه ولا يجوز أن يضاف إلى الله تبارك وتعالى بأيِّ حال من الأحوال.

فإذن؛ نحن نؤمن بأن الله سبحانه وتعالى مستوٍ على العرش استواءً يليق بجلاله وكماله وعظمته سبحانه، وفي الوقت نفسه نؤمن بأنه غنيٌّ عن العرش وعمّا دون العرش، فالعرش فقيرٌ إلى الله، والملائكةُ التي تحمل العرش فقيرةٌ إلى الله، والكرسيُّ فقيرٌ إلى الله، والسموات فقيرةٌ إلى الله، والأرض فقيرةٌ إلى الله، وكل المخلوقات فقيرةٌ إلى الله **{ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ }** فإن الله غنيٌّ عن العالمين، فغِناه تبارك وتعالى غنىً ذاتيٌّ وهو غنيٌّ من كل وجه عن مخلوقاته، والمخلوقات فقيرة إلى الله سبحانه وتعالى من كل وجه؛ لا غنىً لها عنه ولا لحظة واحدة.

فهذه إذن عقيدة مهمة وأصل عظيم لا بد منه ولا بد من إثباته في هذا المقام؛ مقام إثبات استواء الله تبارك وتعالى على العرش.

قال : " مستغنٍ عن العرش وما دونه " وقوله " مُستغنٍ عن العرش وما دونَه " لأن العرش هو أعلى المخلوقات، فجميع المخلوقات دون العرش، جميع المخلوقات دون العرش؛ الكرسي والسموات والأرض هذه كلها مخلوقاتٌ دون العرش والعرش فوقها، فالعرش وما دونه كلها فقيرة إلى الله والله غني عن العرش وعما دون العرش.

قال " مُحيطٌ بكل شيء " محيط بكل شيء جلَّ وعلا؛

- محيط بكل شيءٍ عِلمًا كما قال سبحانه وتعالى **{ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا }**، وقال جل وعلا **{ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا }** فالله سبحانه وتعالى أحاط بكل شيء علما.
- وأحاط بكل شيء قدرةً، لا يُعجزه تبارك وتعالى شيءٌ في الأرض ولا في السماء، فهو جل وعلا على كل شيءٍ قدير **{ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ }**

أحاط بكل شيء قدرةً وأحاط بكل شيء علمًا، لا يُعجزه تبارك وتعالى شيءٌ في الأرض ولا في السماء، هذا معنى قوله رحمه الله تعالى: " محيطٌ بكلِّ شيء " محيطٌ بكل شيء، أي محيطٌ بكل المخلوقات إحاطة علمٍ -جل وعلا- وإحاطة قدرةٍ وعظمةٍ، إحاطة عظمة، وقد جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: " ما السموات والأرض.. " لأنه جاء في القرآن قال جل وعلا **{وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ }** قال ابن عباس رضي الله عنهما: " ما السموات والأرض في كفِّ الرحمن إلا كخردلةٍ في يد أحدكم " يعني قطعة من حديد صغيرة في يد أحدكم، هذا أيضا مما يبين عظمة الخالق سبحانه وتعالى.

قال " محيطٌ بكل شيء وفوقه " " وفَوقه " هذا فيه إثباتُ فوقيَّةِ الله؛ فوقية الله تبارك وتعالى، والفوقيّةُ جاء منصوصًا عليها في القرآن والسُّنة، والفوقية: العلوُّ والارتفاع؛ علوُّ الله وارتفاعه جلَّ وعلا؛ قال عز وجل: **{ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ }** وقال: **{وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ }**

وأما السُّنة فجاءت أحاديث كثيرة مصرّحةٌ بالفوقية مثل قول زينب في الصحيح رضي الله عنها " زَوَّجُكنّ أهاليكُنّ وزَوَّجَنِي الله من فوقِ سبعِ سمواتٍ " وقال النبي عليه الصلاة والسلام لسعد ((**حكمتَ فيهم بحكم**

الله من فوق سبع سموات)) وقال عليه الصلاة والسلام: ((**إن الله كتب كتابًا فهو عنده فوق العرش: إنّ رحمتي سبقت غضبي**))، والأحاديث في إثبات الفوقيّة كثيرة إثباتها بهذا اللفظ، أمّا الأحاديث والنُّصوص الدالّة على علوّ الله تبارك وتعالى وارتفاعه وفوقيَّته على مخلوقاته، فهذه كثيرة جدا، وجاءت أنواع من الأدلة دالّة على فوقيّة الله وعلوِّه سبحانه وتعالى.

والإمام ابن أبي العزّ رحمه الله أورد ثمانية عشر نوعًا من الأدلة الدالّة على فوقيّة الله وعلى علوِّه سبحانه وتعالى، وهي وجوهٌ رصينةٌ ومتينةٌ ونافعة ومفيدةٌ للغاية وهي منقولة نصًّا عن [إعلام الموقِّعين] لابن القيم رحمه الله تعالى، فنقِفُ وقفةً نستمع فيها لكلام ابن أبي العزّ الحنفي رحمه الله تعالى في سَوْق أنواع الأدلة من كتاب الله وسنة نبيه صلوات الله وسلامه عليه الدالة علي الفوقية والعلو . نعم

- قال رحمه الله تعالى: "

- أحدها: التصريح بالفوقية مقروناً بأداة من المعينة بالفوقية بالذات لقوله تعالى **{ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ}**
- الثاني: ذكرها مجردة عن الأداة كقوله **{وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ }** [الأنعام : ١٨].
- الثالث: التصريح بالعروج إليه نحو **{تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ }** [المعارج : ٤] وقوله صلى الله عليه وسلم : ((**فيعرج الذين باتوا فيكم فيسألهم**...))
- الرابع: التصريح بالصعود إليه؛ كقوله تعالى: **{إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ}**.
- الخامس: التصريح برفعه بعض المخلوقات إليه؛ كقوله تعالى: **{ بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ }**. وقوله: **{ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ }**.
- السادس: التصريح بالعلوّ المطلق الدال على جميع مراتب العلو ذاتاً، وقدراً، وشرفاً؛ كقوله تعالى: **{وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ}**.. **{وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ}**.. **{إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ}**
- السابع : التصريح بتنزيل الكتاب منه ، كقوله تعالى: **{ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ }**.. **{ تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ }**.. **{ تَنزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ }**.. **{ تَنزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ }**.. **{ قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ }** .. **{ حم * وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ * إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ * فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ * أَمْرًا مِنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ }**
- الثامن: التصريح باختصاص بعض المخلوقات بأنها عنده، وأن بعضها أقرب إليه من بعض، كقوله: **{إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ}**. **{وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ}**؛ ففرق بين من له عموماً وبين من عنده

من ملائكته وعبيده خصوصاً، وقول النبي صلى الله عليه وسلم في الكتاب الذي كتبه الربّ تعالى على نفسه: ((**إنه عنده فوق العرش**)).

- التاسع: التصريح بأنه تعالى في السماء، وهذا عند المفسرين من أهل السنة على أحد وجهين: إما أن تكون في بمعنى على ، وإما أن يراد بالسماء العلو ، لا يختلفون في ذلك ، ولا يجوز الحمل على غيره .
- العاشر: التصريح بالاستواء مقروناً بأداة على مختصاً بالعرش الذي هو أعلى المخلوقات مصاحباً في الأكثر لأداة (ثم) الدالة على الترتيب والمهْلة.
- الحادي عشر: التصريح برفع الأيدي إلى الله تعالى؛ كقوله صلى الله عليه وسلم : ((**إن الله يستحي من عبده إذا رفع إليه يديه أن يَرُدَّهُما صفراً**)). والقول بأن العلوّ قِبْلةُ الدعاء فقط باطلٌ بالضرورة والفِطرة، وهذا يجده من نفسه كل داعٍ كما يأتي إن شاء الله تعالى.
- الثاني عشر: التصريح بنزوله كل ليلة إلى سماء الدنيا، والنزول المعقول عند جميع الأمم إنما يكون من عُلُوٍّ إلى سُفْل.
- الثالث عشر: الإشارة إليه حِسّاً؛ إلى العلوّ كما أشار إليه من هو أعلم به وبما يجب له ويمتنع عليه من جميع البشر؛ لما كان بالمجمع الأعظم الذي لم يجتمع لأحد مثله في اليوم الأعظم في المكان الأعظم قال لهم: ((**أنتم مسؤولون عني، فماذا أنتم قائلون** ؟)) قالوا: نشهد أنك قد بلَّغْتَ وأَدَّيْتَ ونَصَحْتَ. فرفع أصبعه الكريمة إلى السماء رافعاً لها إلى من هو فوقها وفوق كل شيء قائلاً: ((**اللهم اشهد**))، فكأنّا نشاهد تلك الأصبع الكريمة وهي مرفوعة إلى الله، وذلك اللسان الكريم وهو يقول لمن رفع أصبعه إليه: ((**اللهم اشهد**))، ونشهد أنه بلَّغ البلاغَ المبين وأدَّى رسالةَ رَبِّه كما أُمِر، ونَصَحَ أُمَّتَه غايَةَ النَّصيحة، فلا يُحتاج مع بيانِه وتبليغه وكَشْفِه وإيضاحِه إلى تَنَطُّع المتنطِّعين وحَذْلَقَة المتحَذْلِقين ! والحمد لله رب العالمين.
- الرابع عشر: التصريح بلفظ: الـ (أَيْنَ)؛ أيْنَ، كقول أعلم الخلق به وأنصحهم لأمته وأفصحهم بياناً عن المعنى الصحيح بلفظٍ لا يوهِمُ باطلاً بوجه: ((**أين الله** ؟)) في غير موضع.
- الخامس عشر: شهادته صلى الله عليه وسلم لمن قال إن ربه في السماء بالإيمان.
- السادس عشر: إخبارُه تعالى عن فرعون أنه رَامَ الصُّعود إلى السماء لِيَطَّلِعَ إلى إِلَهِ موسى ليُكذِّبه فيما أخبره من أنه سبحانه فوق السماوات، فقال: **{ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الأَسْبَابَ**

* **أَسْبَابَ السَّمَوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَاذِبًا }** فمن نفى العُلُوَّ من الجهمِيّة فهو فِرْعَوْنِيٌّ، ومن أَثْبَتَهُ فهو مُوسَوِيٌّ مُحَمَّدِيٌّ.

- السابع عشر: إخباره صلى الله عليه وسلم أنه تَرَدَّدَ بين موسى عليه السلام وبين رَبِّه ليلةَ المعراج بسبب تخفيف الصلاة؛ فيصعد إلى ربّه ثم يعودُ إلى موسى عِدَّةَ مِرَار.
- الثامن عشر : النّصوصُ الدالَّة على رؤية أهل الجنة له تعالى من الكتاب والسُّنة، وإخبار النبي صلى الله عليه وسلم أنهم يَرَوْنَهُ كرؤية الشمس والقمر ليلةَ البَدْرِ ليس دُونَه سَحَابٌ، ولا يرونه إلا من فوقهم، كما قال صلى الله عليه وسلم: ((**بينا أهل الجنة في نعيمهم إذ سطع لهم نور، فرفعوا رؤوسهم فإذا الجبار جل جلاله قد أشرف عليهم من فوقهم وقال: يا أهل الجنة، سلامٌ عليكم**)) ثم قرأ قوله تعالى: **{ سَلامٌ قَوْلًا مِنْ رَبٍّ رَحِيمٍ }** ((**ثم يتوارى عنهم وتبقى رحمتُه وبَرَكَتُه عليهم في ديارهم**)) رواه الإمام أحمد في المسند وغيره من حديث جابر رضي الله عنه. "

شرح الشيخ:

هذه ثمانية عشر وجهاً ونوعاً من أنوع الأَدِلّة على عُلُوّ الله تبارك وتعالى ساقها الإمام ابن أبي العِزّ رحمه الله تعالى في شرحه لعقيدة الإمام الطحاوي، وهي كما أشرت منقولةٌ نصاً عن كتاب إعلام الموقِّعين للعلامة ابن القيم رحمه الله تعالى، وكل نوع من هذه الأنواع يدخل تحته العديد من الأدلّة في كتاب الله جلّ وعلا وسُنّة نبيّه صلى لله عليه وسلم؛ فمثلاً من الأدلة التي مَرَّتْ معنا التَّنصيصُ.. أو أسماؤُه الدالّة على عُلُوِّه؛ ك: العليّ والأعلى والمتَعَال.. وهذه الأسماء جاءت في مواضع وآيات عديدة في كتاب الله تبارك وتعالى، كذلكم الإخبار بأنه في السماء هذا جاء في آيات وفي أحاديث كثيرة... وهكذا قل في بقية الأنواع، كلُّ نوعٍ من هذه الأنواع يدخل تَحْتَهُ العديدُ من الدلائل والشّواهد في كتاب الله وسنة نبيّه صلوات الله وسلامه وبركاتُه عليه.

وهذه أنواع الأدلة النقلية على العلو، أما أفراد الأدلة النقليّة على العُلُوّ فَتُعَدُّ بالآلاف مثل ما قال ابن القيم رحمه الله تعالى في نونيته:

يَا قَوْمَنَا وَاللهِ إِنَّ لِقَوْلِنَا   أَلْفاً تَدُلُّ عَلَيْهِ بَلْ أَلْفَانِ

يعني: أفراد الأدِلّة الدالَّة على علوِّ الله تبارك وتعالى في كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم تُعَدُّ بهذا القدر لكثرتها في كتاب الله عزَّ وجلَّ وسُنَّة نَبيِّه صلوات الله وسلامه عليه.

قال المصنف رحمه الله: " وقد أَعْجَزَ عن الإحاطةِ خلقَهُ "؛ أي أعجز خلْقَهُ أن يحيطوا به، والخلق أعجز وعقولهم أقصرُ وأضعفُ، وهي كآلةٍ عاجزةٍ أن تُدرِك كُنْهَ صفاتِ الخالقِ تبارك وتعالى، ومر معنا قول الله سبحانه وتعالى: **{ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا }** وقوله: **{ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ }**.

فقول المصنف رحمه الله تعالى: " وقد أَعْجَزَ عن الإحاطةِ خلقَهُ " أي أعجزهم أن يحيطوا به جلَّ وعلا وبِصِفاتِهِ **{ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ }**، فالله عز وجل أَعْلَمَ خلقَهُ في كتابه وأَعلمَهُم نبيُّهم في سُنَّته فيما أوحى إليه جلَّ وعلا بأسماء الله عزَّ وجلَّ وصِفاته، فنؤمن بهذه الأسماء ونؤمن بصفات الله تبارك وتعالى، لكن لا نعلم كيفيتها، ويوم القيامة إذا أكرم الله سبحانه وتعالى المؤمنين برؤية الله، إذا أكرمهم برؤيته فإنهم يرونه لا عن إحاطة؛ قال جلّ وعلا: **{ لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ }** ولنا في هذا ما جاء في الحديث أن النبي عليه الصلاة والسلام قال: ((**إنكم سَتَرَوْنَ ربَّكُم يومَ القيامةِ كما تَرَوْنَ القمرَ**))؛ شَبَّهَ الرؤيةَ بالرؤيةَ، ورُؤيتُنا للقمر ليست عن إحاطة به، نحن نراهُ ولا نُحيط به، ونرى السماءَ ولا نُحيط بها رؤيةً، ولا يلزم من الرؤية الإحاطةُ والإدراكُ، وفي القرآن قال الله تعالى في قصة موسى مع قومه **{ فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَىٰ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ۝ قَالَ كَلَّا }** فلا يلزم من الرؤية أو التَّرائي الإدراكُ.

فإذن الله عز وجل إذا رآه المؤمنون يوم القيامة فهذه الرؤية ليست عن إحاطة ، وفي هذه الحياة الدنيا نعلم بصفات الله التي جاءت في الكتاب وجاءت في سنة النبي عليه الصلاة والسلام لكننا لا نعلم كيفيتها، والخلق مهما أوتوا من الذكاء والنباهة والفطنة فعقولهم أعجز من أن تدرك كنه صفات الله، فلا يبلغ كنه صفاته الواصفون، وكل جمال وجلال وكمال وعظمة يتوصل إليه الذهن ويظنه هو وصف الله فالله أعظم من ذلك، فالله تبارك وتعالى أعظم من ذلك. ويكفينا في هذا الباب قولنا مراراً وتكراراً: الله أكبر ، هذه الكلمة العظيمة التي يحبها الله سبحانه وتعالى وهي إحدى كلمات أربع هي أحب الكلام إلى الله سبحانه وتعالى ، فالله أكبر من كل شيء ، وأكبر من أن تبلغ كنه صفاته العقول ، فالعقول قاصرة وكآله وعاجزة عن ذلك وهي أعجز من أن تحيط بالله أو أن تبلغ كنه صفاته **{ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ }**

هذا ونسأل الله الكريم ربَّ العرش العظيم أن ينفعنا جميعاً بما علَّمَنا وأن يزيدنا علماً وأن يصلح لنا شأننا كله وألا يَكِلَنا إلى أنفسنا طرفةَ عين، وأن يهدينا إليه صراطاً مستقيماً.

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك. اللهم صلِّ وسلم على عبدك ورسولك نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

الدرس الثالث عشر

بسم الله الرحمن الرحيم

[الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على عبد الله ورسوله نَبِيّنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد: فيقول الإمام أبو جعفر الطَّحاوي رحمه الله تعالى في عقيدته: " وَنَقُولُ إِنَّ الله اتَّخَذَ إبراهيمَ خَلِيلاً وَكَلَّمَ مُوسَى تَكْلِيمًا إِيمَاناً وَتَصْدِيقًا وَتَسْلِيمًا " **]**

شرح الشيخ:

الحمد لله ربِّ العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن مُحَمَّدًا عبدُه ورسولُه صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين.

أما بعد؛ ذَكَرَ هنا الإمام الطحاويُّ رحمه الله تعالى جانبًا مما يتعلَّق بالإيمان بصفات الله تبارك وتعالى، وهو من جهة أخرى يبين مكانةَ هٰذين النبيَّيْن – إبراهيم ومحمد عليهما صلوات الله وسلامه وعلى جميع النبيِّين –.

فقوله رحمه الله " وَنَقُولُ " أي نقول معتقدين ومُقِرِّينَ ومؤمنين بأنَّ الله عزَّ وجلَّ " اتَّخَذَ إبراهيمَ خَلِيلاً وَكَلَّمَ مُوسَى تَكْلِيمًا " لأنّ الله عزّ وجلّ قال: **{ وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا }** وقال جلّ وعلا: **{ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا }**، فهذا الذي قاله سبحانه وتعالى في القرآن نؤمنُ به؛ فنؤمن بأنه جلّ وعلا اتَّخَذَ إبراهيمَ خليلاً ونؤمن بأنه تبارك وتعالى كَلَّمَ موسى تكليمًا، ولهذا يقال لموسى عليه السلام "كَلِيمُ الله " لأنه سَمِعَ كَلَامَ اللهِ من اللهِ بِلَا وَاسِطَةٍ، فهو موسى " الكَلِيمُ " عليه السلام، وإبراهيمُ " الخليلُ " عليه السّلام لأن الله اتَّخذهُ خليلاً.

• والخُلَّةُ هي أعلى المحَبّة وأرفعها وأتمُّها، والله عزّ وجلّ يُحبُّ المؤمنين ويُحبُّ المتَّقين ويُحبُّ التّوّابين ويُحبُّ المتطهّرين، لكن الخُلَّةُ خَصَّ بها بعضَ عبادِه فمقامُها أعلى ودرجتُها أسمى، فاتَّخذَ الله سبحانه وتعالى إبراهيمَ خليلاً وهذا يُبيّن مكانةَ هذا النبيّ عليه صلوات الله وسلامُه؛ النبي الذي قال الله عنه: **{ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ۝ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ۚ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ }**، فاتَّخذه الله سبحانه وتعالى خليلاً.

وثبت في الصحيح عن نبيّنا عليه الصلاة والسلام أنه قال: ((**إن الله اتَّخَذَنِي خليلاً كما اتَّخَذَ إبراهيمَ خَلِيلاً**))، فهذه المكْرُمَة العظيمةُ والمنزلةُ العلِيَّةُ التي ثبتت لإبراهيمَ الخليل عليه السّلام هي أيضًا ثابتةٌ لنبِيّنا صلوات الله وسلامه عليه، ولهذا يقال محمد " خليلُ الله " – صلوات الله وسلامه عليه –، وهي أعلى من " حبيبُ الله " لأن المحبَّةَ ثابتةٌ لعمومِ المؤمنين؛ يُحبُّ الله سبحانه وتعالى التّوّابين ويُحبُّ المتطهّرين ويُحبُّ عبادَه المؤمنين،

ثابتةُ المحبةُ، لكن الخُلَّةُ ليست لأحدٍ إلا لإبراهيمَ الخليل كما جاء في قوله تعالى **{ وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا }** ولنبينا عليه الصلاة والسلام كما ثبت في الصحيح: ((**إن الله اتَّخَذَنِي خليلاً كما اتَّخَذَ إبراهيمَ خَلِيلاً**)).

وقولُه رحمه الله تعالى: " وَكَلَّمَ مُوسَى تَكْلِيمًا " أي نؤمن بأن الله عزّ وجلّ كَلَّمَ نبيَّهُ ورسولَهُ موسى عليه السلام تكليمًا بِكَلَامٍ سَمِعَهُ موسى من الله تبارك وتعالى بلا وَاسِطَةٍ، فَكَلَّمَهُ الله **{ وَكَلَّمَهُ رَبُّه }** كما جاء في الآيات الأخرى، فهو كَلَّمَهُ الله وسَمِعَ كلامَ الله جلَّ وعلاَ من الله.

وهذه المكْرُمة التي ثبتت لموسى عليه السلام فكان بها كليمَ الله ثبتت لنبيّنا عليه الصلاة والسلام؛ فإنَّه لما عُرِجَ به إلى السماء سَمِعَ كلامَ الله من الله بلا واسطة، ولهذا فإن ما تَفَرَّق من فضائلَ ومكْرُماتٍ للأنبياءِ عليهم صلوات الله وسلامه.. صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين اجتمع لنبيّنا عليه الصلاة والسلام؛ اجتمع له ما تفرَّق في الأنبياء، وهذا فيه دلالةٌ على عظيمِ فضله ورفيعِ مكانتِه وعُلُوِّ منزلتِه وأنَّه صلوات الله وسلامه عليه أفضلُ النبيّين وسيدُ ولد آدمَ أجمعين وأعظمُ خلقِ الله تبارك وتعالى عُبُوديَّةً لله عزَّ وجلَّ وعلمًا به وخشيةً له سبحانه وتعالى.

قال : " نَقُولُ إِنَّ الله اتَّخَذَ من إبراهيمَ خَلِيلاً وَكَلَّمَ مُوسَى تَكْلِيمًا إِيمَاناً وَتَصْدِيقًا وَتَسْلِيمًا " أي نقول ذلك على وجهِ الإيمان به والتَّصديق والتسليم، لأن هذا حقٌّ جاء به كتابُ الله، فنؤمن به، نقولُه مؤمنين به مُصدِّقين مُسَلِّمين لوحيِ الله تبارك وتعالى وتنزيله، فنحن نقول كما قال الله عزّ وجلّ **{ وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا }** ونقول كما قال الله **{ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا }**.

وأما المبْتَلون والملَوَّثونَ بالكلامِ الباطل والاعتماد على العقول وعدم التعويل على كلام الله وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم فإنهم يجحدون هذا، يجحدون الخُلَّةَ صفةً لله والتكليمَ صفةً لله سبحانه وتعالى، يَجْحَدُون ذلك ولا يؤمنون به بناءً على عقولهم الفاسدة وأفهامهم القاصرة السيِّئة، فلا يؤمنون بذلك ويجحدونه، بل قالوها صراحة، قالوها صراحة: إن الله لم يتَّخِذْ إبراهيمَ خليلاً ولمْ يُكلِّمْ موسى تكليمًا، فجحدوا كلام الله وجحدوا كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم ونَفَوْا ما أثبتَه الله جلَّ وعلا **{ قُلْ أَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ }**. وهذه العقيدةُ الباطلة الفاسدة التي هي جَحْدٌ لصفات الله تبارك وتعالى وتعطيلٌ لها بَدَأَهَا غلاةُ المعطِّلة وتناقلها عنهم من تناقلها، فأصبحت عقيدةً متوارَثةً لدى طائفةٍ من أو طوائفَ من أهل الضَّلال.

والواجبُ على المسلم أن يكون في اعتقاده مع الكتاب والسُّنة؛ مع كلام الله جلَّ وعلا وكلامِ رسولِه صلوات الله وسلامه عليه، ولا يلتفت لمن يبنون عقائدهم على الآراء والعقول والتَّخَرُّصاتِ والظّنون والأوهام، بل يبني عقيدته على القرآن والسُّنة فيقولُ – على سبيل المثال –: نعتقدُ أن الله كَلَّمَ موسى تكليمًا لقوله تعالى: **{**

وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا } ونعتقدُ أنَّ الله اتَّخَذَ إبراهيمَ خليلاً لقوله تعالى **{ وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا }**. هذه جَادَّةُ أهلِ الحقِّ أهلِ السُّنَّة في الاعتقاد، أما المبطِلةُ أهلُ الضَّلال فإنهم يَبْنُون عقائدَهم وأقوالَهم على الآراءِ والعقولِ والظنونِ والأوهامِ ونحوِ ذلك... نعم

[قال رحمه الله تعالى: " وَنُؤْمِنُ بالملائكةِ والنَّبِيِّين والكتب المنزلة على المرسلين، ونشهدُ أنَّهم كانوا على الحقِّ المبِينِ " **]**

شرح الشيخ:

ذَكَرَ رحمه الله تعالى هنا ثلاثةَ أصولٍ من أصولِ الإيمان العظيمة وهي: الإيمانُ بالملائكة، والإيمانُ بالنبيّين، والإيمانُ بالكُتُب؛ فهذه ثلاثةُ أصول عظيمةٍ جَمَعَها بالذِّكر هنا في هذا الموضع، وهذه الأصولُ ذُكرت مجتمعةً في مواضعَ منها قولُ الله سبحانه وتعالى: **{۞ لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ }**، وفي قوله سبحانه وتعالى: **{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا }**، وفي قوله سبحانه وتعالى في خواتيم سورة البقرة **{ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ ۚ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ }** ولقد عَظَّم نبيُّنا عليه الصلاة والسلام من شأنِ هٰتين الآيتين اللّتين خُتمَتْ بهما سورةُ البقرة وقال: ((**مَنْ قَرَأَ بِهِمَا فِي لَيْلَةٍ كَفَتَاهُ**)) أي تكفيانِه من كل شرٍّ وسوء، وذلك لِعِظَمِ ما احْتَوَتْ عليه الآيَتَان:

- فالأُولى احتوتْ على أصولِ الإيمان وعقائدِ الدِّين التي عليها يُبنى.
- والثانية اشتملت على دعوات عظيمة مباركة يحتاج إليها المسلم، وقد ثبت في السُّنة أن الله عزّ وجلّ قال: ((" **قد فعلتُ** ")) أي: استجبتُ لدعاءِ مَنْ دَعَا بتلك الدَّعَوَات، فهي دعواتٌ مُسْتَجابة.

ولهذا حريٌّ بالمؤمن أن يُحافِظ على قراءةِ الآيتين الأخيرتين التي خُتِمَتْ بهما سورة البقرة، ويكونُ في القراءةِ مُتَدبِّرًا مُسْتحضِرًا، ويكونُ مما يَسْتحضِرُه كلَّ ليلةٍ أصولُ الإيمان؛ مما يستحضره وهو يقرأ الآيتين الأخيرتين من سورة البقرة أصولُ الإيمان؛ فكل ليلةٍ يقول: **{ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ ۚ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ }** وهذا – قولُهُ- **{ وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ }** فيه إيمانٌ باليوم الآخر.

فإذن؛ هذه الأصولُ جاءت مجتمعةً في الآيات، كما أنَّها جاءت أيضًا مجتمعةً في الحديثِ المشهور بحديث جبريل وفيه سؤالُه للنبيِّ عليه الصلاة والسلام عن الإيمان؛ قال: ((**أخبِرْني عن الإيمان**)) قال: ((**أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله**)) { **لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ ۚ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ** }، وهذه الأصول التي يُبنى عليها الإيمان ويُقامُ عليها الدِّين؛ لا يُقبَل من العامل عملٌ إلا بالإيمان بهذه الأصول، فهي أساسٌ لقبول الأعمال وللانتفاع بالطّاعات، أما من جَحَدَ شيئاً من هذه الأصولِ فلم يؤمنْ به لا يُقبَل منه عملٌ ولو صامَ نهارَه و قامَ ليلَه، لا يُقبَلُ منه عمل { **وَمَن يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ** } و قال تعالى: { **وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ** }، فعدم الإيمان بهذه الأصول وعدم الإيمان بشيءٍ منها يكونُ كفرًا بالله عزَّ وجلَّ و بما أمرَ الله تبارك وتعالى عبادَه بالإيمانِ به، ويكونُ مُبْطِلا للأعمالِ قَلَّتْ أو كَثُرَتْ، فهو أساسٌ لقبول الأعمال، ولهذا قال الله تعالى: { **وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا** } وقال تعالى: { **مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ** }، والآياتُ في هذا المعنى كثيرةٌ.

وهذه الأصولُ أصولٌ مترابِطةٌ لا ينفَكُّ بعضُها عن بعضٍ؛ الإيمانُ ببعضها يقتضي الإيمانَ بباقيها والكُفرُ بشيءٍ منها كفرٌ بها كلِّها، فلا بُدَّ من الإيمان بهذه الأصول.

قال رحمه الله: " ونُؤمنُ بالملائكةِ " و هذا أصلٌ من أصول الإيمان؛ الإيمانُ بالملائكة، والملائكةُ خَلْقُ الله، خَلْقٌ من خَلْقِ الله تبارك وتعالى لَمْ نَرَهُم، ولكن خَبَرُهُم جاء في الكتاب والسُّنَّة، لَمْ نَرَهُم بأعيُنِنَا ولكنّ خَبَرَهُم جاء في الكتاب والسُّنة؛ وقد قال الله تعالى في نعتِ المؤمنين { **الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ** } أي بِكُلِّ ما غاب عنهم مما أخبرتهم به رسلُ الله، فالملائكة خَلْقُ الله خَلَقَهُم الله تبارك وتعالى من نورٍ كما صَحَّ بِذَلِكُم الحديثُ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وَهُمْ سُمُّوا ملائكةٌ من الأَلُوكَةِ وهي الرسالة؛ فَهُم رُسُلُ الله { **جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ** } فَهُم رُسُلٌ قائمون بما يَأمُرُهُم اللهُ تبارك و تعالى به و بما يَكِلُ إليهم القيامَ به من أعمالٍ أو مهامّ على التَّمامِ والكمالِ { **لَّا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ** }، فهم جُنْدُ الله عزَّ وجلَّ مُمْتَثِلُون لأوامره قائمون بما يأمرهم به تبارك وتعالى على التمام والكمال.

والإيمانُ بالملائكة هو الإيمان بِأَسْمائِهم وأَعْدَادِهِم وأَوْصَافِهِم وَوَظَائِفِهِم إجمالًا فيما أُجْمِلَ وتَفْصِيلاً فيما فُصِّل.

فهذه الأربعةُ هي جِمَاعُ ما يُطلب من العبد فيما يتعلق بالإيمان بالملائكة؛ ويؤمن بها إجمالاً فيما أُجْمِلَ؛

- فمثلا أسماءُ الملائكة جاء بعضُها.. ذُكِرَ بعضُها مُفَصَّلاً: جبريل وميكائيل وإسرافيل ومالِك، فجاءت بعضُ أسماء الملائكة مذكورةً في الكتاب والسُّنَّة، فهذا نؤمن به مُفَصَّلاً كما جاء، وما لم يأتِ نؤمن به مُجْمَلاً.
- أعداد الملائكة: إجمالا نقول: لا يعلم عددهم إلا الذي خَلَقَهُم **{ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ۚ }** وتفصيلا: نؤمن بالأعداد التفصيلية التي جاءت مُتعلِّقةً بالملائكة كقوله: **{ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ }** وقوله: **{ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ }** وقوله في الحديث عليه الصلاة والسلام: ((**يؤتى بجهنم يومَ القيامة ولها سبعون ألفَ زِمَامٍ ومع كُلِّ زِمامٍ سبعون ألفَ مَلَكٍ يَجُرُّونَهَا**))، فمثل هذه الأعداد التفصيليَّة نؤمنُ بها.
- أوصافُ الملائكة نؤمن بأنَّهُم خَلْقٌ لله وأنَّهم خُلِقُوا من نور، وتفصيلا: نؤمن بالأوصاف التي جاءت في بعض الملائكة مثل قوله عليه الصلاة والسلام في الحديث الصحيح: ((**أُذِنَ لي أن أُحدِّثَكُم عن أحدِ الملائكة وهو من حَمَلَةِ العرش؛ ما بين شَحْمَةِ أُذُنِه وعَاتِقِه تَخْفُقُ فيه الطَّيْرُ سَبعَمِائَةِ سَنَةٍ**)) أي لو أن طَيرًا طار من عاتِقِهِ مُتَّجِهًا إلى شحمةِ أُذُنِه يحتاج إلى سبعمائة سنة طيران حتى يصل إلى شحمة الأذن، فنؤمنُ بهذا، نؤمن بهذا الذي أخبرنا به الصادق المصدوق عليه الصلاة والسلام.
- وفيما يتعلق بوظائف الملائكة: إجمالاً؛ نؤمن بأنهم جند لله لا يعصون الله وأنهم يقومون بما يأمرهم الله سبحانه وتعالى به على التمام و الكمال، وتفصيلا؛ نؤمن بالوظائف العديدة التي ذُكِرَت للملائكة في القرآن والسنة مثل قوله تبارك وتعالى: **{ ۞ قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ }** ومثل: **{ لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ ۗ }** ونحو ذلكم من الآيات وهي كثيرة جِدًّا في ذِكر وظائف وأعمال الملائكة.

فالشاهد أن الإيمان بالملائكة هو الإيمانُ بأسمائهم وأعدادهم وأوصافهم ووظائفهم إجمالاً فيما أُجمل وتفصيلاً فيما فُصِّل.

وقوله رحمه الله تعالى: " والنَّبِيِّين " هذا أصلٌ من أصول الإيمان، فنؤمن بأنبياء الله ورُسُلِه عليهم صلوات الله وسلامه، ونؤمن أنَّهم صَفْوَةُ عبادِ الله وخِيَارُ عِبادِ الله وأن الله سبحانه وتعالى اصطفاهم واجتباهم **{ اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ ۚ }** وأوحى إليهم وَحْيَهُ الحكيمَ وذِكْرَهُ العظيمَ وبَلَّغُوا –عليهم صلوات الله وسلامه – البلاغَ المبين وما تَرَكُوا خيرًا إلّا دَلُّوا أُمَمَهُمْ عليه ولا شَرًّا إلّا حَذَّرُوا أُمَمَهُمْ مِنْه، ونؤمن بما ذُكِرَ منهم

باسمه في كتاب الله تبارك وتعالى أو ذُكِرَ له تفاصيل من حياته وأعماله وأخباره، فنؤمن بهم إجمالاً فيما أُجمِلَ وتفصيلاً فيما فُصِّلَ، وَلَمْ يُقَصَّ علينا في القرآن خَبَرُهم أجمعين أو تفاصيل أخبارِهم أجمعين { **مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ** } فنحن نؤمن تفصيلاً بما جاء مُفَصَّلاً عن الأنبياء من أسماءٍ أو أعمالٍ أو أخبارٍ أو نحو ذلك، وما لم يُقَصَّ علينا نؤمنُ به إجمالاً، ونؤمن بأن الأنبياء خُتِمُوا بِمُحمَّدٍ عليه الصلاة والسلام؛ قال الله تعالى { **مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ** }

فنؤمن أنّه عليه الصلاة والسلام خُتمت به النُّبوّات وأنه بعد مبعثه عليه الصلاة والسلام لا يقبل الله من أحدٍ كائنًا من كان دينًا سوى الدِّين الذي بُعث به محمد عليه الصلاة والسلام ولهذا قال صلى الله عليه وسلم ((**والذي نفسي بيده لا يسمع بي يهودي ولا نصرانيٌّ ثم لا يؤمن بالذي جئت به إلا كان حقًّا على الله أن يدخله النار**))

قال: " والكُتُب المنزّلة " أي نؤمن بها كما قال الله سبحانه وتعالى { **وَقُلْ آمَنتُ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِن كِتَابٍ** } أي آمنت بكلِّ كتاب أنزله الله على كلّ رسول.. آمنت بكل كتاب أنزله الله على كلِّ رسول، آمنت بكل كتاب { **وَقُلْ آمَنتُ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِن كِتَابٍ** } أي بجميع الكتب التي أنزلها الله سبحانه وتعالى سواءً ما علمناه منها أو ما لم نعلمه، ولم تُذكر أسماء الكتب المنزَّلة لنا كلها ولم –أيضا– تذكر لنا التفاصيل التي فيها، وإنما جاء أسماء بعضها وذكرٌ لشيء من التفاصيل التي جاءت فيها، فالذي جاء مُفصَّلا نؤمن به مفصلاً كما جاء والذي لم يأتِ تفصيله نؤمن به إجمالاً؛ فمثلاً جاء ذكر التوراة الذي أنزل على موسى والإنجيل الذي أُنزل على عيسى والزبور الذي أنزل على داوود والصحف التي أنزلت على إبراهيم، هذه نؤمن بها على التَّفصيل الذي جاء متعلِّقا بها، وكذلك نؤمن بتفاصيل ما ورد في تلك الكتب مما جاء خبرُه مثل قول الله سبحانه وتعالى.. في قول الله سبحانه وتعالى: { **مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ ۚ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا ۖ سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ** } فهذا الذي جاء مفصلاً في هذه الآية نؤمن به، فنُؤمن أنّه جاء في التَّوراة.. نؤمن أنه جاء في التَّوراة ثناءٌ عاطرٌ على أصحاب النبيّ عليه الصلاة والسلام قبل أن يوجد الصحابة.. قبل أن يوجد أبو بكر وعمر وعثمان وعليّ وبقية الصحابة رضي الله عنهم وأرضاهم؛ أثنى عليهم في التَّوراة؛ قال: { **سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ** } أي هذا ثناءٌ أثنى الله عليهم به في التوراة وأثنى عليهم في الإنجيل أيضا بقوله { **وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ** } فهذا الذي جاء مُفصلاً نؤمن به مُفصلاً.

ونستفيد من هذا المكانة العظيمة للصحابة رضي الله عنهم فنزداد لهم حُبًّا ونزداد لقَدْرهم معرفةً؛ معرفة بقدرهم ومكانتهم العظيمة ومنزلتهم العليا، فهم خير أمم الأنبياء رضي الله عنهم وأرضاهم.. خير أمم النبيين **{ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ }**، وفي الحديث قال عليه الصلاة والسلام: ((**خير الناس قرني ثم الذين يلونهم**))، ولهذا لا يمكن أبدا إطلاقا أن يقع أحدٌ في الصحابة سَبًّا ولعنًا وطعنًا ووقيعةً إلا ويكونُ شخصًا مظلمَ القلب فاسدَ السَّريرة خبيثَ الطَّوِيَّة، لا يمكن أن يَسُبَّ هؤلاء الذين بهذه المكانة وبهذه المنزلة ولهم هذا الثناء العاطر في التوراة وفي الإنجيل أما القرآن فمواضع كثيرة جِدًّا فيها الثناء على الصحابة رضي الله عنهم وأرضاهم، وقد قال الله تعالى: **{ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ }**

ومن الإيمان بنبينا عليه الصلاة والسلام الإيمانُ بما أكرمه الله سبحانه وتعالى به من صَحْبٍ كرام وخِيار قاموا على نصرته ونُصرة الدين الذي بعثه الله تبارك وتعالى به أَتَمَّ قيامٍ، فأثنى الله عليهم بذلك **{ وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ }** قال تعالى: **{ لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ ۚ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا ۚ وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ ۚ }**.

قال : " والكُتُب المنزَّلة على المرسلين، ونشهدُ أنهم كانوا على الحقِّ المبين " نشهد أن الرُّسل عليهم صلوات الله وسلامه كانوا على الحقِّ المبين أي الحق الواضح البيِّن الذي لا خفاءَ فيه ولا الْتباس، فكانوا على الحقِّ، وإذا كانوا صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين على الحقِّ فماذا بعد الحق إلا الضلال ؟ فمن ترك الحق الذي جاء به أنبياء الله ورسله عليهم صلوات الله وسلامه فهو من أهل الضلال وأهل الباطل، فالحق لا يكون إلا فيما جاء به النبيّون عليهم صلوات الله وسلامه وما عدا ذلك فهو ضلال وباطل، ولا سبيل إلي نيل رِضَا الله سبحانه وتعالى والفوز بجنته إلا باتّباع النبيّين والسير على منهاجهم. نعم.

[**قال رحمه الله تعالى:"** وَنُسَمِّي أَهْلَ قِبْلَتِنَا مُسْلِمِينَ مُؤْمِنِينَ مَا دَامُوا بِمَا جَاءَ بِهِ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم مُعْتَرِفِينَ وَلَهُ بِكُلِّ مَا قَالَ وَأَخْبَرَ مُصَدِّقِينَ "]

شرح الشيخ:

قال رحمه الله تعالى: " وَنُسمِّي أَهْلَ قِبْلَتِنَا مُسْلِمِينَ مُؤْمِنِينَ " أهل قبلتنا: أي الذين يستقبلون القبلة ويَتَّجهون إليها في صلواتهم لا يستقبلون غيرها، فالذي يستقبل القبلة يصلي مستقبلاً الكعبة بيتَ الله الحرام نُسمِّيهِ مُسلمًا كما قال عليه الصلاة والسلام: ((**من أكل ذبيحتنا واستقبل قبلتنا فهو مسلم له ما لنا وعليه ما علينا**)) وحُكمُنَا عليه بالإسلام باعتبارِ الظَّاهِرِ؛ أي ما ظهر لنا منه من نُطقٍ بالشهادتين واستقبالٍ للقبلة،

فَلَنَا الظَّاهِرُ والله يَتَوَلَّى السَّرَائِر لأنه قد ينطق بالشهادتين ويستقبل القبلة من يُبْطِنُ النِّفاقَ من يبطن النفاق، وقد قال الله سبحانه وتعالى عن أهل النِّفاق **{ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ } { إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ }**

فالذي يستقبل القبلة، الذي يستقبل القبلة؛ يُصلي مُتّجهاً إلى بيت الله الحرام نُسمّيه مسلمًا، نُسمّيه مسلمًا باعتبار ما ظهر لنا منه ما لم يأتِ بناقض ما لم يأتِ بناقضٍ؛ إذا جاء بناقضٍ ومُبطلٍ للعمل لا يُسمَّى مُسلمًا؛ مثل لو عَبَدَ غيرَ الله سبحانه وتعالى وصَرَفَ العبادةَ لغيرِ الله تبارك وتعالى: من دعاءٍ أو ذبحٍ أو نذرٍ أو غير ذلك، لا يُسمَّى مسلما لأنه نَقَضَ بذلك إسلامَه وأبطلَ دينَه فالشِّرك محبطٌ للأعمال؛ قال الله تعالى: **{ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٦٥) بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ }** وقال الله سبحانه وتعالى **{ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ ۚ }** فمن استقبل قبلتنا نُسمّيه مُسلِمًا.

قال: " ونُسمِّي " أهل مِلَّتِنَا أو " أهل قِبْلَتِنا مُسلمين مُؤمنين " " مسلمين مؤمنين " قوله " مسلمين مؤمنين " هذا لعَلَّه باعتبار قول من لا يُفَرِّقُ بين الإسلام والإيمان ويجعلُهما شيئاً واحداً أو باعتبارِ الإطلاق العامّ، باعتبار الإطلاق العام مثل ما يقول مثلاً خطيبٌ في خُطبته: أَيُّهَا المؤمِنُونَ. فنُسمِّيهم مُسلمين مُؤمنين، أما في الشهادة للمُعيَّن الشهادة للمُعيَّن فمن يَظْهَر عليه الإسلام والطاعةُ والعبادةُ نُسمِّيه مُسْلِمًا، نُسمِّيه مُسْلماً، وأمّا " مؤمناً " فهذه جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم النهيُ عن ذلك كما في حديث سعدٍ في قصة؛ عندما كان عليه الصلاة والسلام أعطى أقوامًا وتَرَكَ واحداً منهم كان أحبَّهم أو أعجَبَهم إلى سعد، فقال: إنَّكَ لم تُعطِ فلانًا وإنِّي لأَرَاهُ مُؤمِنًا. فقال: ((أَوْ مُسْلِمًا))، وقد قال الله تعالى: **{ قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَٰكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ ۖ }** ولهذا؛ الإيمان عندما يُوصف به مُعيَّن يكون تزكيةً سواءً وصف نفسه به أو وصف غيرَه؛ قد قال الله تعالى: **{ فَلَا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَىٰ }** لكن إذا قال: مؤمنٌ إن شاء الله أو مُؤمنٌ أرجو... أو نحو ذلك مما ليس فيه الجزم بالإيمان، لأن إذا جزم بالإيمان معنى ذلك أنه جزم بما تَدُلُّ عليه هذه الكلمة من معنى، ولهذا لما قال رجلٌ للحسن البصري رحمه الله، قال له: أمؤمنٌ أنت ؟ قال: " إن كنت تسألني عن الإيمان بالله والملائكة والكتب فأنا مؤمنٌ، أما إن كنت تسألني عمن قال الله سبحانه وتعالى فيهم **{ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٢) الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ (٣) أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ }** فأرجو أن أكون منهم " " أرجو أن أكون منهم " فإذن كلمة الإيمان كلمة الإيمان

والمؤمن إطلاق كلمة المؤمن هذه فيها تزكية، ولهذا مما نقله السلف رحمهم الله عن بعض الأعراب نقلوه على وجه الإعجاب به وأنه كلامٌ قائمٌ على الفطرة وموافقة الشرع؛ أن أحد الأعراب قيل له: مؤمن أنت ؟ قال: " أزكي نفسي ؟ " قيل له: أمُؤمنٌ أنت ؟ قال: " أُزَكِّي نفسي ؟ " هذا نقله بعض الأئمة كاللالكائي وغيره في كُتُب الاعتقاد ففيها تزكيةٌ للنفس، لكن إذا أطلق من باب الإطلاق العام ويراد به أصلُ الإيمان كما أوضحت مثل قول الخطيب: أيها المؤمنون، هذه ليست تزكية لمن أمامه وإنما تذكيرٌ لهم بالإيمان ووصفِ الإيمان الذي انتمَوْا إليه وصارُوا من أهله، فيقول: أيها المؤمنون لا على أنَّ من أمامه كَمَّلُوا الإيمان وتَمَّمُوه وجاءُوا بمقاماته على التَّمام والكمال، هذا ليس مقصودا في مثل هذا الإطلاق.

قال: " ونُسَمِّي أهل قِبْلَتِنَا مُسْلِمِين مُؤْمِنِين " " مسلمين مؤمنين " وثَمَّتَ فرقٌ بين الإسلام والإيمان عندما يجتمعان في الذِّكْر؛ فالإيمان رتبةٌ أعلى ومنزلةٌ أرفعُ، وعليه فإن من يستقبل القبلة نُسَمِّيه مسلم مثل ما جاء في الحديث ((**من استقبل قبلتنا وأكل ذبيحتنا فهو المسلم**)) ما قال: فهو المؤمن، قال: ((**فهو المسلم، له ما لنا وعليه ما علينا**)).

والدِّينُ ثلاثة مراتب، الدين ثلاثة مراتب: الإسلام، ثم أعلى منها الإيمان، ثم أعلى منها الإحسان، وكُلُّ مُحسِنٍ مُسلم ومؤمن، وكُلُّ مؤمنٍ مُسلم، لكن ليس كلُّ مسلمٍ مؤمناً وليس كل مؤمنٍ مُحسِنًا، لأنها مراتب ودرجات. أحد السلف رحمهم الله وَضَّح هذا المعنى بأنه وضع ثلاث دوائر كل واحدة في وسط الأخرى، فقال: الدائرة الصُّغرى التي في الوسط قال هذا الإحسان، والتي تليها الإيمان، والتي تليها الإسلام، فإذا دخل الإنسان في الدِّين أَوَّل ما يدخل يكون في الإسلام { **قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَٰكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا** } دخلوا في الإسلام لكن لم يتحققوا بدرجة الإيمان التي هي درجة أعلى، فنهاهم الله؛ قال: { **قُولُوا أَسْلَمْنَا** } أي لا تقولوا آمنا قولوا أسلمنا. فالدرجة الأولى الإسلام، ثم تليها درجة الإيمان، ثم تليها – وهي أعلى منها – درجة الإحسان، فإذا كان الإنسان في درجة الإحسان وخرج من الإحسان يكون ماذا ؟ في الإيمان، وإذا خرج من درجة الإيمان كان في الإسلام، وليس بعد الإسلام إلا الكفر، وليس بعد الإسلام ولا وراءه إلا الكفر بالله تبارك وتعالى.

والمُسلم: هو الذي يأتي بأعمال الإسلام الظاهرة وعنده من الإيمان ما يُصحِّحُ إسلامَه.

والمُؤمن: هو الذي تَحقَّقَ الإيمانُ في قَلْبِه فَأَثْمَرَ أعمالاً صالحاتٍ وطاعاتٍ زاكياتٍ.

والمُحسن: هو الذي بلغ الرتبة الأعلى في الدِّين إتقانًا وإجادةً فصار كما جاء في الحديث يَعبدُ اللهَ كأنه يَرَى الله؛ قال: ((**الإحسانُ أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كأنك تَرَاهُ، فإن لم تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ**)).

قال : " وَنُسَمِّي أَهْلَ قِبْلَتِنَا مُسْلِمِينَ مُؤْمِنِينَ مَا دَامُوا بِمَا جَاءَ بِهِ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم مُعْتَرِفِينَ " ما داموا بما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم معترفين " وَلَهُ بِكُلِّ مَا قَالَ وَأَخْبَرَ مُصَدِّقِينَ " وله بكل ما قال وأخبر مصدقين، بمعنى أن من لا يعترف ولا يُقِرّ ولا يؤمن بما جاء به الرسول عليه الصلاة والسلام أو يجحد ذلك ولا يصدِّق أو يرتاب لا يكون مسلمًا بذلك، لا يكون مسلما، بل تكون هذه أو هذا الجُحود دليلاً على انتفاء إسلامه وبُطلان عمله وحُبوط عمله، وكذلكم إذا جاء بناقضٍ من نواقض الإسلام ومُبطلٍ من مُبطلات الدِّين. نعم.

[**قال رحمه الله تعالى:** " وَلَا نَخُوضُ فِي اللهِ ولا نُمَارِي في دينِ اللهِ وَلَا نُجَادِلُ فِي القُرْآنِ، ونَشْهدُ أَنَّهُ كَلَامُ رَبِّ العَالَمِينَ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ فَعَلَّمَهُ سَيِّدَ المرْسَلِين محمداً صلى الله عليه وعلى آله أجمعين، وهُوَ كَلَامُ اللهِ تَعَالَى لَا يُسَاوِيهِ شَيْءٌ مِن كَلَامِ المخْلُوقِينَ، وَلَا نَقُولُ بِخَلْقِهِ، وَلَا نُخَالِفُ جَمَاعَةَ المسْلِمِينَ "]

شرح الشيخ:

قال رحمه الله تعالى : " ولا نخوض في الله تعالى " لا نخوضُ في الله أي في أسمائه تبارك وتعالى وصفاته بلا علم ولا بيِّنةٍ ولا هُدًى من كلام الله وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم، و " لا نخوضُ في الله " أي لا نتكلَّمُ في حقِّه جلَّ وعلا نفيًا أو إثباتًا بلا علم، والذي يخوض في أسماء الله تبارك وتعالى نفيًا أو إثباتًا بلا علمٍ ولا بيِّنةٍ ولا هدىً من الله تبارك وتعالى يكونُ بهذا الخوضِ قَفَى ما ليس له به علم؛ قد قال الله تعالى: **{ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ۚ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا }** ويكون قد قال على الله بلا علم، وهذه من أعظم المحرَّمات **{ وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ}**.

فالواجب على المسلم فيما يتعلق بالله وأسمائه وصِفاته أن لا يتجاوز الكتاب والسنة، أن لا يتجاوز الكتاب والسُّنة، كما قال الإمام أحمد رحمه الله تعالى: " ونَصِفُ اللهَ بما وَصَفَ به نفسَهُ وبِمَا وَصَفَهُ بِهِ رسولُه صلى الله عليه وسلم لا نتجاوز القرآن والحَدِيثَ ".

قال: " لا نخوضُ في الله تعالى " أي كما هي طريقة أهل الكلام الباطل وأصحاب الطرائق الباطلة الذين يخوضون في الله نفيًا وإثباتًا بلا علم ولا هدىً من الله تبارك وتعالى.

قال " ولا نُمَارِي في الدِّين " ولا نماري في الدين؛ والمِمَارَاةُ هي المجادلة بلا فَهْمٍ، وكذلكم المجادلةُ بلا طلبِ حقٍّ أو قصدِ حقٍّ، وإنما يجادل إمّا بغير علم ولا هدىً، أو يجادل بقصد سيِّئ وغرضٍ فاسدٍ ومُرادٍ باطل. قال: " لا نماري في الدين " والمِمَارَاة والمِراءُ مُحَرَّم؛ جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم التحذير منه.

قال: " ولا نُمَارِي في الدِّين ولا نُجَادِلُ في القرآن " والمجادلةُ في القرآن سواءً كانت على وجهِ التكذيب بشيءٍ مما جاء في القرآن أو على وجهِ التشكيك لشيء مما جاء في القرآن الكريم أو نحو ذلكم من الطرائق الباطلة التي عليها المبطلة الذين يخوضون في كلام الله سبحانه وتعالى بغير علم، قال: " ولا نجادلُ في القرآن " ولا نجادل " في القرآن ". أما المجادَلة بالقرآن يعني الردُّ على أهل الباطل ودعوتُهم إلى الحقّ ومحاورَتُهم بالقرآن دعوةً لهم ودلالةً لهم إلى الخير هذا أمرٌ مطلوب، مطلوبٌ من المسلم أن يُجاهد بالقرآن، يجاهد بكلام الله سبحانه وتعالى ويكون متسلِّحا بالقرآن في مجادلته ورَدِّه على أهل الباطل، لكن المنهيُّ عنه المجادلةُ في القرآن إما على سبيل الاعتراض والانتقاد أو على سبيل التكذيب والردِّ أو نحو ذلك.

قال: " ونشهد أنه " أي القرآن "كلامُ ربِّ العالمين نزل به الرُّوح الأمين فعلَّمَه سيد المرسلين محمداً صلى الله وسلّم عليه وعلى آله أجمعين " فهذا مأخوذ من قوله تعالى **{ وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٩٢) نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ (١٩٣) عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ (١٩٤) بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ }**، فنحن يقولُ: " نشهدُ أنه كلامُ رب العالمين "، نشهد أنه كلام ربِّ العالمين، أي أن الله هو الذي تكلَّمَ بالقرآن، فالقرآن حروفُه ومعانيه كلامُ الله، ليست الحروفُ كلامَ الله دونَ المعاني ولا المعاني دُونَ الحروف، بل القرآنُ ألفاظُه ومعانيه كلامُ الله، سُوَرُهُ وآياتُهُ كلامُ الله **{ الم }** هذه كلامُ الله؛ الله تكلَّمَ جلَّ وعلا بها، فالقرآن حروفُه وسُوَرُه وآياتُه كلامُ الله جلَّ وعلاَ؛ هو الذي تكلَّمَ بها، وجبريلُ سَمِعَ القرآنَ من الله، سَمِعَ القرآنَ من الله **{ وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٩٢) نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ }** جبريل سمع القرآن من الله سبحانه وتعالى فنزل به على محمد صلى الله عليه وسلم **{وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٩٢) نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ (١٩٣) عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ }** فنزل به الروح الأمين جبريل.

وجبريلُ سَمَّاهُ الله سبحانه وتعالى روحًا كما في هذه الآية **{ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ }** لأنه ينزل بالوحي الذي به حياةُ القلوب، كما أن الله سبحانه وتعالى سمَّى الوحيَ نفسَهُ روحًا في مثل قوله: **{ يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ }** وقولِه **{ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ }** فسمَّى الوحيَ روحًا، سَمَّى الوحيَ روحًا وسمَّى من ينزل بالوحيِ وهو جبريل روحًا لأن الوحيَ به حياةُ القلوب ولا يمكن أن تحيى القلوب إلا بالوحي، فسماه الروح لأنه ينزل بالوحي الذي به حياة القلوب.

والأمين؛ الأمين: من الأمانة ومعناها معروف، " نزل به الروح الأمين فَعَلَمَّهُ " أي جبريل عليه السلام " سيِّدَ المرسَلين محمداً صلى الله عليه وسلم " فكان جبريل يقرأه على النبي عليه الصلاة والسلام والنبي صلى الله عليه وسلم يستمع، فأخذ نبيُّنا عليه الصلاة والسلام القرآنَ بالسَّماعِ من جبريل؛ سمعه من جبريل **{ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ }** **{ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ }** أي قرأه جبريل **{ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ }** أي قرأه جبريل عليكَ **{ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ }** أي

قراءتَه. وقال: { **قَرَأْنَاهُ** } لأن هذه القراءة التي كانت من جبريل على نبيِّنا عليه الصلاة والسلام بأَمْرِ الله، والله سبحانه وتعالى يُضيفُ لنفسِه ما تفعله ملائكته بأمره مثل قوله { **إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ** } والذين يستنسخون أعمال العباد الملائكةُ، فالله سبحانه وتعالى يضيف إلى نفسه ما تقوم به ملائكتُه بأمرِه سبحانه وتعالى.

قال " وهو " أي القرآن " كلام الله تبارك وتعالى لا يساويه شيءٌ من كلام المخلوقين " " لا يساويه شيء من كلام المخلوقين " وقد تحدّى الله سبحانه وتعالى المخلوقين أن يأتوا بسورة من مثله أو آية من مثله، تحدَّاهم الله سبحانه وتعالى في مواضعَ من القرآن، وكل من حاول أن يأتي بمثل القرآن لم يخرج عن إحدى نتيجتين:

- إما أن يكون جاء بكلام أضحك العقلاء، أضحك به العقلاء منه والمجانين.
- أو – النتيجة الأخرى – أن يُعلن عَجْزَهُ، أن يعلن عجزه وعدم قدرته على هذا الأمر.

وكلامُ الله لا يساويه شيءٌ من كلام المخلوقين لأن الفرق بين كلامِ الله وكلام المخلوقين كالفرق بين الله وخلقه، الفرق بين كلام الله وكلام المخلوقين كالفرق بين الله وبين خلقه سبحانه وتعالى، ولهذا لا يُسَوَّى بين كلامه وكلام المخلوقين، لا يُسَوَّى بين كلامه تبارك وتعالى وكلام المخلوقين.

قال: وهو كلامُه وكلام الله تعالى " لا يساويه شيء من كلام المخلوقين، ولا نقولُ بخلقه " " ولا نقولُ بِخَلْقِهِ " أي لا نقول إن القرآن مخلوق، لا يقول هذه المقالة إلا المبطلة من أهل الضلال والباطل، فلا نقولُ إنه مخلوق بل نقول إنه كلام الله، نقول إنه كلام الله، وكلام الله سبحانه وتعالى صفةٌ من صفاته، وكلامه سبحانه وتعالى صفة من صفاته، فنعتقد أن القرآن كلامُ الله أي أن الله عزَّ وجلَّ تكلَّمَ به جلَّ وعلا، " ولا نقول بِخَلْقِه " أي لا نقول بأنه مخلوق، وقد قال أئمة السلف رحمهم الله تعالى " القرآنُ كلامُ الله غيرُ مخلوق، ومن قال إنه مخلوقٌ فقد كَفَرَ " " ومن قال إنه مخلوق فقد كفر "، وقد نَقَلَ هذا اللفظَ عن السّلف من كتبوا في الاعتقاد، من أوسع من نقل في ذلك الإمام اللالكائي رحمه الله تعالى فإنه في كتابه في شرح الاعتقاد نقل عن خمسمائة نَفْسٍ من أئمة السلف رحمهم الله تعالى ممن صرحوا بذلك نَقَلَهُ عنهم بالأسانيد.

قال : " ولا نُخالفُ جماعةَ المسلمين " ولا نخالف جماعة المسلمين، والمرادُ بجماعة المسلمين أي المجتمعين على الحقّ والهُدى.

قال رحمه الله تعالى: " ولا نُخالف جماعة المسلمين " عدم مخالفة جماعة المسلمين بأن يكون ملازمًا لما لَزِمَتْهُ الجماعة الأولى للمسلمين؛ الصحابةُ رضي الله عنهم ومن اتَّبعهم بإحسان؛ كما قال الله سبحانه وتعالى { **وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ** } وقال تعالى { **وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ**

مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ ۖ وَسَاءَتْ مَصِيرًا }.

فالأصلُ هو لزوم الجماعة والاستمساكُ بالحقِ والهُدى والحذرُ من الفرقة وأسبابها وموجباتها، وموجباتُ الفُرقة مخالفةُ الدِّين والانحرافُ عن هَدْيِ النبيِّ الكريم صلوات الله وسلامه وبركاته عليه، وقد قال صلى الله عليه وسلم: ((**إنه من يَعِشْ منكم فسيرى اختلافًا كثيرًا، فعليكم بسُنَّتِي وسُنَّةِ الخلفاء الراشدين المهديِّين من بعدي، تمسَّكوا بها وعَضُّوا عليها بالنّواجذ، وإياكم ومُحْدَثاتِ الأمور فإن كل مُحْدَثَةٍ بدعةٌ وكلَّ بِدْعَةٍ ضَلاَلَةٌ**)).

نسأل الله الكريم ربَّ العرش العظيم بأسمائه الحسنى وصفاته العليا وبأنه الله الذي لا إله إلا هو الذي وسع كل شيءٍ رحمةً وعلمًا أن ينفعنا جميعا بما عَلَّمنا وأن يجعل ما تعلمناه حُجَّةً لنا لا علينا وأن يزيدنا علما وهدىً وتوفيقًا، وأن يُصلح لنا شأننا كله وأن لا يَكِلَنا إلى أنفسنا طرفةَ عين.

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله أنت أستغفرك وأتوب إليك.

اللهم صلِّ وسلِّم على عبدِك ورسولك نبيِّنا محمد وآله وصحبه أجمعين.

الدرس الرابع عشر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

[الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على عبد الله ورسوله نبيّنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

قال الإمام أبو جعفر الطحاوي رحمه الله تعالى في عقيدته: " ولا نُكفِّر أحدا من أهل القبلة بذنبٍ ما لم يستحِلَّه، ولا نقول لا يَضُرُّ مع الإيمان ذنبٌ لمن عمله، ونرجو للمحسنين من المؤمنين أن يَعْفُوَ عنهم ويُدخلَهم الجنة برحمته، ولا نأمنُ عليهم وَلَا نَشْهَدُ لَهُم بِالجَنَّةِ، ونَسْتَغْفِرُ لِمُسِيئِهِم وَنَخَافُ عَلَيْهِم وَلَا نُقنِّطُهم.

والأَمْنُ والإِيَاسُ يَنقُلَانِ عَن مِلَّةِ الإِسْلَامِ، وَسَبِيلُ الحَقِّ بَيْنَهُمَا لِأَهْلِ الْقِبْلَة، وَلَا يَخْرُجُ الْعَبْدُ مِنَ الإِيمَانِ إِلَّا بِجُحُودِ مَا أَدْخَلَهُ فِيهِ. "]

شرح الشيخ:

الحمد لله رب العالمين وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين

أما بعد يقول الإمام الطحاوي رحمه الله تعالى في عقيدته: " ولا نُكفِّر أحداً من أهل القبلة بذنبٍ ما لم يستحِلَّه ولا نقول لا يَضُرُّ مع الإيمان ذنبٌ لمن عَمِلَهُ " هٰتان الجملتان ذكرهما رحمه الله تعالى رداً على طائفتين من طوائف الضلال من المخالفين للمنهج الحق الذي عليه أهل السنة والجماعة؛ فالجملة الأولى يرُدُّ بها رحمه الله تعالى على طائفة الخوارج، والجملة الثانية يرد فيها على طائفة المرجئة ولا سيما غلاتهم ويبين ما وقع فيه كل منهما من خطأٍ في هذا الباب:

- أما في الرد على الخوارج فيقول: " ولا نُكفِّر أحداً من أهل القبلة بذنب ما لم يستحلَّه " أي خلافًا لما عليه الخوارج الذين يكفِّرون بمُطْلَق الذنب؛ مجرد وقوع الإنسان في ذنب من الذنوب أو كبيرة من الكبائر يكون بها عندهم كافراً منتقلاً من ملةِ الإسلام مستحِقًّا يومَ القيامة الخلودَ في النيران، فهذه عقيدتُهم، ولهذا يقول رحمه الله: " ولا نُكفر أحداً من أهل القبلة بذنب ما لم يستحله " أي خلافا لما يعتقده الخوارج في هذه المسألة من تكفيرٍ بالذنوب، من تكفيرٍ بالذنوب، وهي عقيدةٌ باطلةٌ جَرَّت عليهم وعلى من تأثَّر بهم ومن طالته بدعتهم شرًّا عظيمًا وبلاءً مستطيرًا، وهو قولٌ باطلٌ مخالفٌ لِهُدى الإسلام وطريقِ الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام.

والتكفير أمره خطير، وقد كان الخوارج أوَّلَ من بَذَرَ شَرَارَةَ التكفير وأوَّل من أوقد نارَه؛ يعني تكفير من لا يستحق ذلك ومن ليس أهلا لأن يُكفَّر، فكانوا يكفِّرون بالذنوب وليس بمُكَفِّرة، ولهذا لما دخلوا في هذه

البدعة أوائلهم كفَّروا حتى من هو مُبشَّر بالجنة بشهادة الرسول عليه الصلاة والسلام مما يدلُّ دلالةً ظاهرةً أن هذه البدعة العمياء الصَّمَّاء إذا ابتُلِيَ بها الشخص صار في أمر التكفير يلقيه جُزافًا ولا يبالي ولا كأنَّه قال شيئًا مع أنَّه نقل من أمامَه أو من أطلق عليه تلك العبارةَ.. حَكَمَ عليه بالانتقال من الإسلام؛ وهذا أمر ليس بالهيِّن، بل هو غايةٌ في الخطورة ومن قال لأخيه: يا كافر. ولم يكن كذلك رجعت عليه، فالتكفير أمر ليس بالهيِّن سواءً كفَّر فردا أو جماعةً أو جماعات؛ الأمرُ جِدُ خطير، ولهذا جرت عادةُ أهل السُّنة والجماعة رحمهم الله في كتب العقائد المختصَرَةِ منها والمطوَّلة، جَرَتْ عادتُهم تضمينها الرَّدَّ على هذه البدعة الظالمةِ الجائرةِ؛ بدعة الخوارج التي هي تكفيرٌ بمطلق الذُّنوب وبمُجَّرد وجود الذنب يُكفِّرون مباشرة وبلا تردُّد.

وقوله رحمه الله: " ولا نُكفِّرُ أحدا من أهل القبلة " أي من كان مسلمًا مُستقبلاً قبلتَنا يُصلِّي صلاتَنا يشهدُ شهادتنا، من كان من أهل القبلة، المراد بأهل القبلة أي من كان على الإسلام، من عُلِم إسلامُه بِصَلاتِه ونُطقِه بالشهادتين واستقباله للقبلة مع المسلمين يصلي معهم؛ من استقبل قبلتنا، قال: من كان " من أهل القبلة " أي من استقبل القبلة.

وسبحان الله هذا فيه فائدة عظيمة كثيرًا ما يأتي هذا التعبيرُ في كُتُب العقائد وفي كتب أهل العلم عمومًا؛ يقولون: من كان من أهل القبلة؛ من استقبل القبلة؛ من هو من أهل القبلة... إلى غير ذلك، لأن استقبال القبلة أصبح مَعْلَماً، استقبالُ القبلة أصبح مَعْلماً ظاهرا بيِّناً للمسلم، فالمسلم هو الذى يستقبل القبلة مع المسلمين ويصلي مع المسلمين، أما الذي لا يرى الصلاة شيئا ولا يُقيمها ولا يهتمُّ بها ليس من أهل القبلة، ولم يُعهَد بين المسلمين أنه من أهل القبلة فلا يدخل تحت الحكم، لا يدخل تحت الحكم، وإنما الذي يدخل تحت الحكم من كان من أهل القبلة فعلاً، وكونه من أهل القبلة يُعلم بصلاته. والصلاة المفروضة تتكرر في اليوم خمس مرات، في اليوم والليلة تتكرر خمس مرات، وهي بين المسلمين محكٌّ يميز، محك يميز به من هو من أهل القبلة ومن هو ليس من أهلها أو ليس مبالياً بها أو ليس مهتما لها.

قال " ولا نكفر أحدا من أهل القبلة بذنبٍ " هذه العبارة ليست دقيقة؛ قوله " بذنب " هذه العبارة ليست دقيقة؛ لأن الذنوب كما هو معلوم على قسمين:

ذنوبٌ عُلمَ بدلالة الشرع أنها مُكفِّرةٌ وناقلةٌ من مِلّة الإسلام؛ كالشرك بالله عزَّ وجل الذي هو أعظم الذنوب، وقد سئل عليه الصلاة والسلام: أي الذنب أعظم ؟ قال: ((**أن تدعُوَ من دون الله نِدّاً وهو خَلَقَكَ**)) فالشرك ذنب، فالشرك بالله تبارك وتعالى ذنب، فإذا أطلقت هذه العبارة بهذا اللفظ الذي ذكره رحمه الله " لا نكفر أحدا من أهل القبلة بذنب " يدخل تحت هذا العموم الشرك لأنه ذنبٌ، لكنه ذنبٌ يُكفَّر به حتى وإن

لم يستحلّ، حتى وإن لم يستحل، حتى وإن لم يقل إنه مستحل بذلك، مجردُ الشرك بالله سبحانه وتعالى والوقوع في الشرك بالله هذا بحدِّ ذاته ناقلٌ من الملّة وموجبٌ للتّكفير.

فالعبارة ليست دقيقة، والدقيق هنا في التعبير أن يقال: " لا نكفر أحدا من أهل القبلة **بِكُلِّ ذنبٍ** " رَدًّا على الخوارج الذين يكفرون بكل ذنب، أما من يكفِّرُ بالذنب الذي يكفُرُ صاحبُه هذا لا إشكال فيه، الذي يكفر بالذنب، الذي يكفُر صاحبُه هذا لا إشكال فيه.

لكن الكلام هنا في الردّ على بدعة الخوارج، والخوارج يكفِّرون بكل ذنب.. يكفِّرون بكل ذنب سواءً كان الذنبُ مكفِّراً أو لم يكن مكفِّراً، فجميع الذنوب وجميع الكبائر عندهم مكفرات وناقلات من ملَّة الإسلام، والسياق هنا للردِّ عليهم لكن العبارة لم تكن دقيقة، العبارة عند المصنِّف رحمه الله لم تكن دقيقةً لأنَّه يدخل فيها الذنوب المكفِّرة وعلى رأسِها الشرك بالله سبحانه وتعالى، الشرك بالله سبحانه وتعالى، فالدقيق في التعبير هنا أن يقال: " ولا نُكفِّر أحدًا من أهل القبلة **بِكُلِّ ذَنبٍ** ما لم يستحلَّه " أما إذا استحله؛ أي اعتقده حلالاً فإنه يكفُر حتى ولو لم يفعله؛ يعني لنفرض أن رجلاً مثلاً لا يشرب الخمر لكن يقول أنا أعتقد أنّ الخمر حلال واطلع على الآيات والأحاديث والنصوص التي تحرِّم الخمر وقال لا نعتقد حرمته ولم يشربها إطلاقا يكون بهذا القول أشدَّ جُرمًا من ذاك الذي يشرب الخمر ولا يعتقد عدم تحريمها بل يعتقد أنها محرَّمة، فهذا أشد جرماً منه لأن تحليل واعتقاد تحليل ما حرَّم الله سبحانه وتعالى هذا بحدِّ ذاته كفرٌ ناقلٌ من الملَّة حتى وإن لم يباشر العملَ نفسَه، ولهذا قال رحمه الله تعالى : " ما لم يسْتَحِلَّه " أي ما لم يعتقد أنه حلال، فإذا اعتقد أنه حلال فإنه يكفر ولو لم يباشر ذلك العمل ولو لم يقم به.

ابن أبي العز الحنفي رحمه الله تعالى كما تعلمون له شرحٌ على هذه العقيدة وأيضا له تعقُّباتٌ على بعض الألفاظ التي جاءت فيها ليست دقيقةً في تقرير المعتقد الحقِّ – معتقد أهل السنة والجماعة– لما جاء هذا الموضعُ – وهو قول المصنف: " ولا نكفِّرُ أحدًا من أهل القبلة بذنب " – قال ابن أبي العز رحمه الله: " امتنع كثير من الأئمة عن إطلاق القول بأنَّا لا نُكَفِّرُ أحدًا بذنب " " امتنع كثير من الأئمة عن إطلاق القول بأنا لا نكفر أحدا بذنب بل يقال لا نُكفِّرُهم بِكُلِّ ذنب " لا نكفرهم بكل ذنب، وفرقٌ شاسعٌ بين التعبيرين؛ فرقٌ بين أن يقال: " لا نُكفِّر أحدًا بذنب "، فإن هذه العبارة بهذا التعميم يدخل فيها حتى الذنوب المكفِّرة كما مر بيان ذلك، أما عبارة " لا نُكفِّر أحدًا بكُلِّ ذنب " فهذه عبارة دقيقة في هذا الموضع؛ أي لا نكفر بكل ذنب حتى وإن كان الأمر ليس مكفِّرًا، ليست هذه عقيدة أهل السُّنة ليست هذه عقيدة أهل الحقّ بل عقيدة الخوارج الذين يكفِّرون بكل ذنب أو بمجرد وجود الذنب والوقوع فيه.

ثم في العبارة الثانية أو الجملة الثانية وهي قوله: " ولا نقولُ لا يضُرُّ مع الإيمان ذنبٌ لِمَن عَمِلَهُ " هذه العبارة أوردها رحمه الله تعالى ردًّا على المرجئة ولا سيما غلاتُهم، وغُلاةُ المرجئة الذين يعتقدون أن الإيمان مُجرَّدُ المعرفة أو مجرد التصديق؛ جميع الذنوب عندهم.. جميعُ الذنوب عندهم لا تَضرُّ في الإيمان؛ كما أن الكافر لا تنفعُه الطَّاعات فكذلك عندهم: المقِرُّ بالتصديق أو بالمعرفة أو من قام به الإقرار أو قام به التصديق أو المعرفة فإنه لا يضرُّه أي ذنبٍ اقترفه وأي جُرمٍ فَعَلَه، فجميع الذنوب عندهم لا تضرُّ مع الإيمان.. لا تضرُّ مع الإيمان، وعندما يقولون " لا تضرُّ مع الإيمان " أي الإيمان الذي هم يُقرِّرونه ويَرَوْن أنه هو الإيمان، والإيمان عندهم: المعرفة، وعند بعضهم: التصديق. فمن كان عنده المعرفة أو عنده التصديق جميعُ الذنوب لا تضرُّه.

الله عز وجل يقول: { **وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا (٦٨) يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا** } وهم يقولون لا يضرُّ، والله جل وعلا يقول { **وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا** } وهم يقولون: لا يضرُّ، { **إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا** } وهم يقولون: لا يضُرُّ... وهكذا في جميع الذُّنوب التي ذكر الله عقوباتِها الشديدة في كتابه وذكر عقوباتِها الشديدة رسولُه عليه الصلاة والسلام في سُنَّته، كل ذلك عندهم لا يَضرّ، ولهذا تُعتبر عقيدةُ المرجئة عقيدةً خبيثةً جدًّا وسيّئةً للغاية وتُؤدي بأديان الناس وعباداتهم إلى الانهيار والدَّمَار والضَّيَاع؛ أرأيتم عندما تُشاع هذه العقيدة الباطلة السيّئة في أوساط جُهَّالٍ وعوام و في أوساط –أيضا– عصاة، ماذا ستكون النتيجة ؟ وماذا سيكون المآل عندما يقال لهم لا يَضُرُّ مع الإيمان ذنب ؟ عندما يسمع صاحب الشّهوة المحرَّمة والمتعلِّق بالمعاصي والآثام عندما يسمع من يقول له هذا القول؛ لا يضر مع الإيمان ذنب ؟ كيف تكون ؟ ولهذا يُذكَر أن أحد من يُقَرِّر هذه العقيدة مرَّ في طريقٍ برجل مخمور.. مرَّ في طريق برجلٍ مخمور، فشتمه المخمور، فقال له: هذا جزائي ؟ ! جعلتُ إيمانَكَ مثلَ إيمانِ الصِّدِّيق.. جعلتُ إيمانك مثل إيمان الصِّدِّيق – الصِدِّيق: أبو بكر رضي الله عنه – فانظروا أي جناية تجرُّها على الناس مثلُ هذه العقيدة السيّئة الخبيثة، ولهذا؛ ضررُ هذه العقيدة على النَّاس أسوأُ من ضررِ عقيدةِ الخوارج، لأن عقيدة الخوارج – مع فسادها وبطلانها وتوغُّلها في الضلال وعِظم شرّها – مبنيَّةٌ على تعظيم الذُّنوب والتهويل منها والتخويف من فِعْلِها والنهيِ عنها لكن بطريقةٍ باطلةٍ؛ بطريقة ظالمة باطلة جائرة ليست من شرع الله ولا من دين الله ويترتب عليها مضارٌّ ومفاسدُ عظام، لكن عقيدة المرجئة يترتَّب عليها ضياع الأديان.. ضياع الأديان وانحلال عُرَى الدِّين وتفلُّتُ الناس من الأوامر وإيغالُهم في الذنوب والمعاصي والآثام، فهي عقيدةٌ جدُّ خطيرة، ولهذا أئمة السلف رحمهم الله تعالى ضَمَّنوا عقائدهم التحذيرَ من هذه العقيدة كما ضمَّنوها التحذيرَ من عقيدة الخوارج.

خلاصة القول: أن المؤلِّف رحمه الله تعالى أراد بهاتين الجملتين – قوله: " لا نُكفِّرُ أحدًا من أهل القبلة بذنبٍ ما لم يستحلّه ولا نقولُ لا يضُرُّ مع الإيمان ذنبٌ لمن عَمِلَه " – أراد بهاتين الجملتين الردَّ على الخوارج و المرجئة.

وإذا قرّر بطلان هاتين العقيدتين المتضادتين، لأن عقيدة الخوارج على الضد من عقيدة المرجئة، فهما عقيدتان متضادَّتان وكل منهما في طرفِ نقيض، والحقُّ قوامٌ بين ذلك؛ الحقُّ هدًى بين ضلالتين وحسنةٌ بين سيِّئتين، الحق ليس فيه غُلُوُّ الخوارجِ ولا جفاءُ المرجئة، الحق قوامٌ بين ذلك؛ صاحبُ الذنب عند الخوارج يُكفَّر وعند المرجئة لا يَضُرُّه.. تناقض.. صاحبُ الذّنب –المعصية، الكبيرة– عند الخوارج يُكفَّر وعند المرجئة لا يضرُّه إطلاقًا.. تناقض.. عقيدتان متناقضتان تمامًا. والحقُّ وسطٌ بين ذلك؛ لا يقولون بكفر العاصي كما تقوله الخوارج ولا يقولون إن المعصية لا تضر كما تقوله المرجئة. إذن؛ ماذا يقولون ؟ ما الوسطية التي تكون بين هاتين العقيدتين اللتين هما على طرف نقيض ؟

الوسطية في عقيدة أهل السنة، يقولون: المؤمن العاصي نقول هو مؤمن بإيمانه فاسقٌ بكبيرته. هكذا يقولون " مؤمنٌ بإيمانِه فاسقٌ بكبيرتِه "، أو يقولون بعبارة أخرى: هو مؤمنٌ فاسقٌ، أو مؤمنٌ ناقصُ الإيمان؛ فقولهم: " مؤمن " ردٌّ على من كَفَّرَه، وقولهم: " ناقصُ الإيمان " ردٌّ على من قال لا يضره ذلك أو لا يضرُّ ذلك إيمانَه. فجاءوا بهذه الكلمة التي تُقرر الوسطية في هذا الباب بين غلوِّ الخوارج وجفاءِ المرجئة، فمرتكب الكبيرة عندهم " مؤمنٌ بإيمانه فاسقٌ بكبيرته "؛ "مؤمن بإيمانه " أي ليس كافرا كما تقوله الخوارج، و " فاسقٌ بكبيرته " أي لا يقال لا تضُرُّه المعصية كما تقول المرجئة، فالحق وسطٌ بين هاتين المقالتين الباطلتين.

ثم قال رحمه الله تعالى: " ونرجو للمحسنين من المؤمنين ولا نأمنُ عليهم " " نرجو للمحسنين من المؤمنين " الشخص الذي لم نَرَ منه إلا الإحسان ولم نرَ منه إلا ظاهرة الخير وأعمال الخير هذا نرجو له " نرجو " أن يكون من الناجين يوم القيامة من النّار ومن عقاب الله، نرجو أن يكون من أهل الجنة الفائزين بأجر الله وثوابه ورضوانه، نرجو له النجاة من الأهوال والشدائد في القبر وفي عرصات يوم القيامة، نرجو له، " نرجو "، لم يَقُل " نجْزِم "، نرجو للمُحسن ولا نزكّي علي الله أحدًا، لا نجزم له، لكن إذا رأينا ظاهره طيِّبا، أعمالَه طيِّبة، لم يُرَ عليه شيءٌ من أعمال السُّوء أو نحو ذلك نرجو له، نرجو لمحسِنِنَا.

ومعنى " نرجو لمحْسِنِنا " أي نرجو له الخيرَ، النجاةَ، الفوزَ بثواب الله تبارك وتعالى. وتأمل قولهم " نرجو لمحسننا " هكذا، ليس لكلِّ أحد نرجو له، يعني شخص مسيئ، شخص يضيّع الواجبات، يضيّع الفرائض، يغشى المحرَّمات... من كان كذلك ما يقال " نرجو له "، هذا نقول في حقِّه: نخشى عليه؛ نخشى عليه من عقوبة الله، نخشى عليه من خاتمةِ السوء، نخشى عليه من كذا... فالرَّجاءُ للمُحسن؛ رجاءُ النجاة ورجاءُ الفوز ورجاءُ الغنيمةِ بثواب الله تبارك وتعالى، هذا إنما هو للمحسن؛ فالرجل إذا علم بالإحسان والفضل والنبل والعبادة

والطاعة ولم يُعلم عنه شيءٌ من أعمال الحرام فإنه يُرجى له الخير ولا يزكَّى.. لا نُزكِّي على الله أحدًا، نقول: نرجو له الخير ولا نزكي على الله أحدًا، ولهذا الجزم لا يكون؛ الصحابة رضي الله عنه رأوا رجلا في ساحة القتال أبلى بلاءً حسنًا وأنكى نكايةً شديدةً في الكفّار، فقالوا: هو من أهل الجنة. فسمعهم عليه الصلاة والسلام فقال: ((**بل هو من أهل النار**)).. قال: ((**بل هو من أهل النار**)). فأَحَدُ الصحابةِ أخذ يتتبَّعُه ليَتَقَصَّى خبرَه، فضُرب بسهمٍ فاشتدَّ عليه الألمُ فوضع سيفه في نحر نفسه وقتل نفسَه، فجاء الرجل إلى النبي عليه الصلاة والسلام وقال: أشهد أنَّك رسولُ الله، وذَكَرَ له الخبر.

فإذن؛ من تظهر عليه ظاهرة الخير والإحسان والجِدّ والاجتهاد في طاعة الله سبحانه وتعالى لا نجزم له بالتزكية لكن نرجو له؛ نقول نَحْسَبُه، نظُنُّه، نرجو... أما الجزم فإن الله تعالى يقول: **{فَلَا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَىٰ}.. { فَلَا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَىٰ}.**

ولهذا قال رحمه الله تعالى: " ونرجو للمُحسنين من المؤمنين ولا نأمنُ عليهم " " لا نأمنُ عليهم " لأن الأعمال بالخواتيم **{ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ }** ((**يا مقلب القلوب ثبت قلبي علي دينك**))، والحيُّ لا تُؤمن عليه الفتنة كما قال السلف رحمهم الله، الحي لا تؤمن عليه الفتنة كما قال ذلكم السلف.

فإذن؛ لا نأمن عليه لكن نرجو له، ولا يكون منا تزكيةٌ له وجزم، ولا نأمن عليه من أمور، والأمر لله سبحانه وتعالى من قبلُ ومن بعد، ولهذا كان السلف رحمهم الله يخافون من أمرين خوفا عظيما ويشتدُّ خوفهم منهما: السوابق والخواتيم:

- السوابق: كما في قوله **{ إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَىٰ }** يعني ما سبق للعبد في علم الله أن يُختَمَ له به، وهذا أمرٌ في علم الله سبحانه وتعالى.
- والأمر الثاني: الخواتيم: وقد قال عليه الصلاة والسلام: ((**إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها**))، ولهذا لا نأمن عليه، لا يَأمَن الإنسان لا على نفسه ولا على الآخرين، بل يرجو رحمةَ الله ويسألُ الله حسنَ الختام، يسأل الله الثبات، يسأل الله عدم زيغ القلب، ويُلح على الله سبحانه وتعالى في ذلك. لا يأمن لا على نفسه ولا على غيره، بل يرجو الله سبحانه وتعالى لنفسه ولغيره، ولهذا لاحظ الدعاء جاء معمماً **{ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا }** هذه دعوةٌ لك ولإخوانك ((**يا مُقلِّبَ القلوب ثبت قلوبَنا على طاعتك**)) فهذا أمر يرجوه ويسأله المسلمُ ربَّه تبارك وتعالى لنفسه ولإخوانه المسلمين.

قال : " ولا نأمن عليهم ولا نشهدُ لهم بالجنة " " ولا نشهد لهم بالجنة " أي جزمًا وتعيينًا مهما بلغ الشخصُ صلاحًا واستقامة وطاعة؛ لا نُعيِّنُه بعينه جزمًا نقول هذا فلان ابن فلان هو من أهل الجنة ونحن على يقين أنه من أهل الجنة، ما نقول ذلك مهما كان صلاحُ الرجل ومهما كانت استقامته، ومرَّ معنا قول الله تعالى **{ فَلَا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَىٰ}**، وأي تزكيةٍ أعظم من أن يقال في حقِّ مُعيَّن هو مِن أهل الجنة ؟ هذه تزكيةٌ وشهادة، فإذن؛ لا يقال لمن كان محسنًا جزمًا إنه من أهل الجنة، لكن لو قلنا: نرجو أنه من أهل الجنة، نحسب أنه على خير، نرجو أن يكون من الشهداء...

من الأخطاء الآن الشائعة من يُقتل في ساحة القتال يقولون " شهيد "، وإذا أرادوا التعبير عنه قالوا " الشهيد فلان "، وهذا من الأخطاء، والإمام البخاري عقد في كتابه الصحيح: باب لا يُقال فلانٌ شهيد. إذن إذا قُتل رجل في ساحة القتال وأبلى بلاءً حسنًا ماذا نقول ؟ نقول: نحسَبُه من الشهداء، نرجو الله أن يكون من الشهداء، نسأل الله أن يكون اتخذه الله شهيدا... مثل هذا الكلام النافع المفيد الذي فيه رجاء أو فيه دعاء أو فيه أمل أو نحو ذلك، أما الجزم فقد مرَّ معنا قصة الصحابة رضي الله عنهم وذلك الرجل الذي أبلى ذلك البلاء وقالوا هو من أهل الجنة فقال عليه الصلاة والسلام: ((**بل هو من أهل النار**))، فمثل هذه التزكية؛ فلان شهيد، فلان من أهل الجنة، أو فلان المغفور له، أو المرحوم... أو نحو ذلك، كل هذه التزكية يجب أن تجتنب، كل هذه التزكيات يجب أن تجتنب وتستبدل بالدعاء والرجاء؛ فتقول: فلان رحمه الله، فلان غفر الله له، فلان نحسبه من الشهداء، فلان نرجو الله عز وجل أن يكون في المنازل العالية في الفردوس الأعلى... ونحو ذلك من العبارات التي هي إما دعاء أو رجاء.. إما دعاء أو رجاء، لا أن تكونُ عبارات جازمة: فلان الشهيد أو فلان المرحوم أو فلان المغفور له أو فلان من أهل الجنة أو نحو ذلك... كل ذلك جزمٌ لا ينبغي أن يُقال، وأئمة السلف رحمهم الله تعالى قد ضمَّنوا كُتبَ العقائد التحذيرَ من ذلك والنهيَ عنه.

قال" ولا نشهد لهم بالجنة " أما الذين شهد لهم عليه الصلاة والسلام تعيينًا أو تعميمًا بالجنة فنشهد لهم؛ كالعشرة المبشرين بالجنة، ثابت بن قيس بن شماس رضي الله عنه، عكاشة بن محصن، الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة رضي الله عنهما وأرضاهما وعن الصحابة أجمعين، كل من شهد له النبي عليه الصلاة والسلام بالجنة نشهد له، وأيضا تعميمًا؛ مثل الذين شهدوا بيعة الرضوان؛ ((**لا يلج النار رجلٌ بايع تحت الشجرة**))، فهذا التعميم أيضا نجزم به لجزم رسولنا عليه الصلاة والسلام، والتعيين الذي جزم به عليه الصلاة والسلام نجزم به لجزمه صلوات الله وسلامه عليه وهو لا ينطق عن الهوى إنه هو إلا وحي يوحى صلوات الله وسلامه عليه.

قال: " ولا نشهد لهم بالجنة " هذا في حقِّ المحسنين، طريقتُنا مع المحسنين تتلخص في قوله: " نرجو للمُحسنين ولا نأمن عليهم ولا نشهد لهم بالجنة " إذن هذا فيما يتعلق بالمحسنين.

المسيئين ما الصنيع معهم وما المنهج الحق فيهم ؟

قال: " ونستغفرُ لمسيئِهم " ونستغفرُ لمسيئِهم " انظروا إلى الكلام الجميل، انظر كلامَ الأئمة أهلِ العلم " ونستغفر لمسيئهم " المسيء من أهل القبلة من أصحاب الذنوب التي هي دون الكفر بالله سبحانه وتعالى هؤلاء نستغفر لهم، أما الذي كفر بذنبه؛ ارتكب مُكفِّرا فهذا لا ينفعه استغفار المستغفرين **{ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ۚ }** إذا كان الرجل عياذًا بالله على الكفر بالله فلا ينفعه استغفارُ من يستغفر له، بل منهيٌّ أن يُستغفر للكافر.. منهيٌّ أن يُستغفر للكافر ولا يجوز ذلك، لكن أصحاب الذنوب التي هي دون الكفر بالله عز وجل من كان واقعًا فيها يُستغفر له أي يُطلب من الله أن يغفر له. " ونستغفر لمسيئنا " مسيئنا الإضافة هنا توضح معنىً مُرادًا؛ " مسيئنا " أي مِن أهل القبلة، مِن أهلِ الإسلام، أما إذا كان من أهل الكفر لا يدخل الضمير في قوله " لمسيئنا "، " مسيئنا " أي نحن معاشرَ المسلمين.

والمسيء نستغفر له وهذه سنة الأنبياء عليهم صلوات الله وسلامه؛ قال الله تعالى لنبيه محمد عليه الصلاة والسلام: **{ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ }** وقال عن نوح عليه السلام كما في آخر سورة نوح: **{ رَّبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ }** وفي سورة إبراهيم ذكر دعاء إبراهيم عليه السلام: **{ رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ }** وقال الله تبارك وتعالى عن المؤمنين: **{ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ }**، فالمسلم دأبُه الاستغفار لنفسه ولإخوانه المسلمين، والرَّجلُ الذي قال: اللهم اغفر لي ولمحمد أو اللهم ارحمني ومحمدا ولا ترحم معنا أحدا، قال: ((**لقد حَجَّرْتَ واسعًا**))، فالمسلم في دعائه لا يُحَجِّرُ واسعاً ((ربِّ اغفر لي ولوالدي وللمسلمين والمسلمات))، وسبحان الله كم في هذه الدعوة من أجرٍ؛ عندما يقول القائل في دعائه: ((ربِّ اغفر لي ولوالديَّ وللمسلمين و المسلمات)) كم فيها من الأجر ؟ ومن تتناول ؟ هي الآن هذه الدعوة من تتناول ومن تشمل ؟ إذا قلت في دعوتك: ربِّ اغفر لي ولوالدي والمسلمين والمسلمات، من تشمل ؟ تشمل كل مسلم من زمن آدم إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها. كم عدد هؤلاء ؟ قد جاء في حديثٍ في الطبراني حسَّنَه بعض أهل العلم عن نبينا عليه الصلاة والسلام قال: ((**من استغفر للمسلمين والمسلمات كان له بكلِّ واحد منهم حسنة**)) كان له بكل واحد منهم حسنة؛ إذا قلت: اللهم اغفر لي ولوالدي وللمسلمين و المسلمات، كم مسلمٍ الآن دخل تحت هذه الدعوة ولك بكُلِّ واحدٍ منهم حسنة ؟ هل هم ألف ؟ أو ألفين

؟ أو مليون ؟ أو مليونين ؟ خلقٌ لا يحصيهم إلا الله سبحانه وتعالى، ملايينُ لا يحصيها إلا الله ربُّ العالمين، ولهذا كيف يُحَجِّرُ الإنسان واسعًا ويَحْرِمُ نفسه من هذا الأجر العظيم والثواب الجزيل ؟ ! هذا من ناحية.

من ناحية أخرى المذنب المعيَّن.. شخصٌ معيّن من المسلمين رأيتَ وَقَعَ في ذنوب أو علمتَ أنَّه وَقَعَ في ذنوبٍ، يا أخي استغفر له ادعُ الله أن يغفر له، ادعُ الله أن يتوب عليه، ادعُ الله أن يُقبِل بقلبه... دعوةُ الأخ لأخيه بظهر الغيب مستجابة وهذا أمرٌ يغفل عنه حتّى أحيانًا بعضُ الناس يغفل عنه في حقِّ أولاده وأقربائه ويتهاون في أمر الدعاء، بل بعضهم يتهاون في أمرِ الدعاء له ويُسارع في الدعاء عليه، ويسارع في الدعاء عليه ويُكثِر رُبَّمَا أيضًا من الدعاء عليه.

فالمسيء رجلٌ من أهل الإسلام استولت عليه الذنوب، تسلطت عليه الذنوب، أغوته الشياطين، فلا تَحْرِمْهُ من دَعواتٍ صالحة.

في تفسير الإمام ابن كثير رحمه الله لأوائل سورة غافر نَقَلَ قصَّةً جميلةً عن الخليفة الرَّاشِد عُمَرَ بن الخطاب رضي الله عنه وأرضاه؛ أنَّ رجلاً من أهل الشام كان يرتاد مجلسَ عمر، يرتاد مجلس عمر رضي الله عنه، ثم افتقده فسأل عنه، قالوا: إنه أصبح يتعاطى الشراب – يعني: قالوا إنه أصبح يشرب الخمر – فقال: فأمر عمر رضي الله عنه بالكاتب، قال له: " اكتب: من أمير المؤمنين عمر بن الخطاب إلى فلان ابن فلان. سلامٌ عليك. أما بعد: أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو { **غَافِرِ الذَّنبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ ۖ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ** } "، وكان السلف رحمهم الله في مواعظهم عباراتُهم موجزة ولكنها مُؤثِّرة وجَعَلَ الله فيها خيرًا وبركة؛ مثل ما قال أحدُ أهلِ العلم في وصف عبارات السلف قال: " كلامُ السَّلف قليلٌ كثيرُ البركة، وكلامُ الخَلَفِ كثيرٌ قليلُ البركة " " كلامُ الخَلف كثيرٌ قليلُ البركة " السلف يقول كلمة كلمتين ثلاثة لكن فيها من البركة والنفع والفائدة ما لا حدَّ له ولا عدَّ، فأرسل إليه هذا الكتاب وقال رضي الله عنه لمن حوله: " ادعوا الله أن يُقبِل بقلبِ أخيكم.. " " ادعوا الله أن يُقبل بقلب أخيكم وأن يتوب عليه "؛ حَثَّهم على الدعاء له، وهذا الدُّعاء للعصاة، للمذنبين، هذا نُقَصِّرُ فيه كثيرًا، نُقصِّر فيه مع أنّه مُهِم جداً ونافعٌ للغاية ودعوة الأخِ لأخيه بظهر الغيب مُستجابة، قال: " ادعوا الله أن يُقبِل بقلب أخيكم أن يتوب عليه "، فلما بَلَغَه الخطاب قرأه وبكى.. قرأ الخطاب وبكى؛ اجتمع له الآن دعاءٌ ودَعْوَة؛ دعاءٌ بظهر الغيب من إخوانه ودعوةٌ بموعظةٍ جميلةٍ رقيقة مؤثرة من الخليفة رضي الله عنه وأرضاه، فقرأ الخطاب وبكى وقال: " حذَّرَني من الذّنب ودعاني للتوبة " " حذرني من الذنب " { **شَدِيدِ الْعِقَابِ** } ودعاني للتوبة { **غَافِرِ الذَّنبِ** }، فحذَّرَ من الذَّنب ودعى للتوبة، فما أحوج العصاة إلى سماع الوعظ المؤثِّر وما أحوَجهم أيضا لدعوة بظهر الغيب من إخوانهم يُقبل الله سبحانه وتعالى بقلوبهم سواءً أن تدعو لهم بالعين إذا كان أحد إخوانك، أقرباءك، جيرانك،

زملائك... في صلاتك: يا رَبِّ فلانُ بن فلان تُبْ عليه، اغفر له، اهدِهِ إليك صراطاً مُستقيمًا... أو تعميمًا؛ تدعو للمسلمين تطلُبُ المغفرةَ لهم.

قال: " ونستغفرُ لمسيئِهم ونخافُ عليه " " ونخاف عليه " المسيءُ مثل ما قلنا؛ في المحسن ما نجزم في حقِّ المحسن أنه من أهل الجنة، والمسيء الذي وقع في ذنب ما نقول هذا جزمًا يقيناً من أهل النار، لكن نخاف عليه، هناك نرجو للمحسن أن يكون من أهل الجنة وهنا نخاف على المسيء أن يكون من أهل النار، لكن إذا رأينا شخصًا مسيئًا ما نقول جزمًا هذا من أهل النار، لا نجزم، لكن نخاف عليه؛ لأن هذه الأعمال تُفضي إلى النار، لكن نخاف عليه من النار ولا نجزم لماذا ؟ لأنه قد يتوب، قد يبتلى بمصائب تُكفِّر عنه ذنبه، هذا قد يفعل حسنات يُوَفَّقُ لها تكونُ مُكفِّرةً... إلى غير ذلك من الأمور، فلا نجزم لكننا نخاف، ولهذا المسيء الذي وقع في الإساءة.. وقع في الذنب ما نقول مثلا في حقِّه مباشرةً هو ملعون، هذا مثلا نشير إليه بعينه نقول هذا ملعون، يعني: – مثلا حتى تتضح الأمور – مثلا النبي عليه الصلاة والسلام لعن في الخمر كم ؟ عشرة. فلو قُدِّرَ أن رأينا شاربَ خمر والنبيُّ عليه الصلاة والسلام لعن في الخمر عشرة ورأينا شخصا مُعيَّنًا شاربَ خمر، ما نقول هذا – ونشير إليه بعينه – هذا ملعون، ولكن بالتعميم كما جاء في الحديث نقول: ((**لعن الله من شرب الخمر، لعن الله النامصة**..))، لكن لو رأينا أو رأت امرأةٌ نامصةً ما يجوز لها أن تقول هذه ملعونة أو تقول لها بعينها لعنك الله أو نحو ذلك... هذا لا يجوز. فرقٌ بين التعميم والتعيين.. فرقٌ بين التعميم والتعيين.

ومثل هذه الأمور لما يقع فيها الخلط أو يقع فيها الجهل تقع أمورٌ ليست هي من هديِ الله ولا من هديِ رسوله صلوات الله وسلامه عليه، ولهذا لاحظ عبارة المصنف قال: " ونخاف عليهم " ونخاف عليهم، فرقٌ بين أن نقول: نخاف عليه وبين أن نجزم له بالعقوبة.

" ولا نقنطهم " " ولا نقنطهم " يعني المسيئين ما نقنطهم من رحمة الله، التقنيط هذا الجُرم عظيم، جرمٌ عظيمٌ، يُقنط المسيءَ من رحمة الله سبحانه وتعالى، كيف يُقَنَّط المسيء من رحمة الله والله عز وجل لما ذكر الذين خَدُّوا الأخاديد وأوقدوا فيها النيران وألقَوْا فيها أهل الإيمان ماذا قال الله ؟ قال { **إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ** } انظر ! { **ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا** }، و قال في حق الكفار: { **أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ** ۚ } الذين نسبوا إلى الله الولد ! لا يقنط أحدٌ من رحمة الله بل يقال لكُلِّ أحدٍ بابُ التوبة مفتوح ومن تاب تابَ اللهُ عليه مهما بلغ جرم الإنسان، في هذا المقام نتذكر قصة الرجل الذي قتل تسعة وتسعين نفسًا، هذه جريمة كبيرة جدا؛ قتْلُ نفسٍ واحدة أَمْرُها عند الله سبحانه وتعالى عظيم فكَيْفَ بمن قَتَلَ تسعة وتسعين نفسًا ؟ ! فذاك رجلٌ قتل تسعة وتسعين نفسًا ثم لَقِيَ عابدًا لا عِلمَ

عنده ولا فِقْه، وقال له إنه قَتَل تسعةً وتسعين نفسا هل له من توبة ؟ قال: تسع وتسعون نفسًا !! ما لك توبة.. ليس لك توبة. فَكَمَّلَ به المائة؛ أصبح عدد من قَتَلَهُم مائة نفس؛ المائةُ العابدُ. ثم لَقِيَ عالما وسأله، قال: من يحولُ بينك وبينها ؟

لا يجوز أن يُقَنَّطَ العاصي مهما كانت معاصيه من رحمةِ الله مهما كانت الذنوب، بل يُحَثُّ على التوبة ويُرَغَّبُ فيها ويدعى لها ويُحَثّ ليُنقَذ من سَخَطِ الله، من عقابه، من النار، لكن لا يُقَنَّط، ولهذا قال رحمه الله: " ولا نُقَنِّطُهم "؛ " ولا نقنطهم " أي لا نقنط أهل الإساءة وأهل الذنوب من رحمة الله تبارك وتعالى مهما كانت ذنوبهم، ولِيُحذِر في هذا المقام من التقنيط؛ يعني بعض الناس في هذا الباب لهم أساليبُ في التقنيط؛ يعني – مثلا وهذا مَبْنِيٌّ على الجهل في هذا الباب – بعضُهُم مثلاً يأتيه عاصٍ ومعاصيه كثيرة.. وفعلتُ كذا وفعلتُ كذا وفعلتُ كذا... وهو مقبلٌ يريد أحدًا فقط يحثُّه قليلاً ليتوب، فتجده يقول: كل هذا فعلتَه ! أعوذ بالله ! كلُّ هذا ! كل هذه الذنوب قُمتَ بها ؟! ابعد ابعد... ولا يفتحُ له أو يستحِثّه أو يدعوه إلى التوبة، هذا كله من أساليب التقنيط؛ تقنيط المسيئين، المسيءُ لا يُقنَّط مهما كان في إساءته، كيف يقنط والله سبحانه وتعالى يقول: { **۞ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ** }{ **إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ** } بدون استثناء، أي في حقِّ من تاب، من تابَ من الذنب مهما كان ومهما بلغ فالرَّبُّ يتوب عليه { **إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ** } فلا يجوز أن يُقنَّطَ المسيءُ مهما كانت الإساءة.

ثم قال رحمه الله تعالى: " والأَمْنُ والإِيَاسُ يَنقُلَانِ عَن مِلَّةِ الإِسْلَامِ، وَسَبِيلُ الحَقِّ بَيْنَـهُمَا لِأَهْلِ الْقِبْلَة " والأَمْنُ والإِيَاسُ يَنقُلَانِ عَن مِلَّةِ الإِسْلَامِ " الآن الشريعة؛ شريعة الإسلام وشرائع جميع الأنبياء جاءت بأمرين عظيمين جدًّا والعبد بحاجة لهما في كل وقت وهُما: الرَّجَاءُ وَالخَوْفُ؛ رجاءُ رحمةِ الله والخوف من عقابه سبحانه وتعالى، ويجب على العبد أن يكون دائما راجِياً خائفاً، ولا يُغَلِّبْ أحدَهما على الآخر؛ لا يكون عنده رجاءٌ بدون خوف ولا –أيضا– يكون عنده خوف بدون رجاء بل يجمع بين الرجاء والخوف، ولهذا القرآنُ مليءٌ بالآيات التي فيها ترغيب وترهيب { **نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (٤٩) وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ** }

فما يكتفي الإنسان بـ { **۞ نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ** } ويُغفِل { **وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ** } ولهذا بعض العصاة فعلا يُغفِل { **وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ** } وتجده يتهاون في الصلاة، يرتكب مُحرَّمات... يا فلان اتَّقِ الله ! – ربُّك غفورٌ رحيم. – هكذا يقول – – ربُّك غفورٌ رحيم، لكن ينسى { **وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ** }.

فإذن؛ الشريعةُ جاءت بالرجاء وجاءت بالخوف، وهما للمسلم كما قال السَّلف كالجناحين للطائر؛ الرجاء والخوف للمسلم كالجناحين للطائر، وكما أن الطائر إذا قُصَّ أحد جناحَيْه لا يستتِمُّ له طيران فكذلك إذا كان الإنسان برجاءٍ بدون خوف أو بخوف بدون رجاء لا يستقيم له سَيْر، فهٰذان – أعني الرجاء والخوف – العبد المسلم بحاجة إليهما في كل وقت وهما محركات مع المحبة للقلوب؛ القلب يتحرك بالمحبة وبالرجاء وبالخوف، الرجاء قائد والخوف سائق، الرجاء يقود الإنسان والخوف يسوقه، والنفس فيها تلدُّن وفيها تلكُّؤ فتحتاج إلى سائق وتحتاج إلى قائد؛ تحتاج إلى رجاء وخوف؛ رجاء رحمة الله وخوف عذابه سبحانه وتعالى، فهذا الذي جاءت به شريعة الإسلام، ويجب أن يُحذر من ضد هذين، يجب أن يحذر من ضدهما وهما ما ذكرهما المصنف هنا: الأمن واليأس، الأمن ضد الخوف واليأس ضد الرجاء، فيجب أن يحذر من هذين الأمرين المضادين للرجاء والخوف، المسلم مطلوب منه أن يكون دائما برجاءٍ وخوفٍ، فإذا كان آمنا من مكر الله هذا لا خوف عنده وإذا كان يائسًا من رَوْح الله هذا لا رجاءَ عنده. والمسلم مطلوب منه أن يكون دائما يمشي بالرجاء والخوف.. يمشي بالرجاء والخوف.

قال : " والأمن والإياس ينقلان عن ملة الإسلام " ينقلان عن ملة الإسلام، وهذا إذا كان الأمن والإياسُ عقيدةً لدى الإنسان، إذا كان عقيدة عند الإنسان فهذا ينقله عن ملة الإسلام، ولكن إذا كان ليس عن عقيدة وإنما في لحظات معينة أو وقت معين بسبب خوف شديد من ذنوبه أو نحو ذلك وقع في شيء من ذلك – شيء من الأمن أو شيء من اليأس – يكون وقع في كبيرة من كبائر الذنوب.. يكون وقع في كبيرة من كبائر الذنوب. " والأمن والإياس ينقلان من ملة الإسلام " وقد قال الله تعالى: { **أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ** } { **أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ** }، وفي اليأس قال: { **إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ** }.

" والأَمْنُ والإِيَاسُ يَنقُلَانِ عَن مِلَّةِ الإِسْلَامِ " " وَسَبِيلُ الحَقِّ " الذي عليه أهل الحق وعليه أهل الهدى بينهما لأهل القبلة " بَيْنَهُمَا لِأَهْلِ الْقِبْلَة " بمعنى أن أهل القبلة ليس عندهم أمن وليس عندهم أيضا يأس، إذا نُفيَ الأمن ثبت ضده وهو الخوف، وإذا نُفيَ اليأس ثَبتَ ضدُّه وهو الرجاء وهذا معنى قوله " وَسَبِيلُ الحَقّ بَيْنَهُمَا لِأَهْلِ الْقِبْلَة " " وَسَبِيلُ الحَقّ بَيْنَهُمَا " أي الأمن عندهم من مكر الله منتفٍ واليأس من روح الله منتفٍ، فالذي عندهم هو الرجاء والخوف { **أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ** }{ **وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا** } فجمعوا بين الرجاء والخوف الرغبة والرهبة؛ في سورة الفاتحة ذكر الله عزّ وجل هذه الأركان للتعبُّد؛ المحبة والرجاء والخوف: – المحبة في قوله { **الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ** } والرجاء في قوله { **الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ** } ووالخوف في قوله { **مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ** }، وهذه الأمور الثلاثة مطلوبةٌ من المسلم في كل عبادة، وكل قُرْبةٍ يُتقرَّب بها إلى الله سبحانه وتعالى لا بدّ أن تكون مبنيَّةً على المحبة

والرجاء والخوف؛ فقوله { **إِيَّاكَ نَعْبُدُ** } أي بالحب الذي دلَّ عليه { **الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ** } وبالرَّجاء الذي دلَّ عليه { **الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ** } و بالخوف الذي دل عليه { **مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ** }، ولهذا حذر أئمة السلف رحمهم الله تعالى من عبادة الله بواحدٍ من هذه دون الباقي، ولهم في هذا عبارةٌ مشهورةٌ نقلها أهل العلم؛ قالوا: " من عبد الله بالحُبِّ وحده " يعني بدون رجاء ولا خوف " فهو زنديق، ومن عَبَدَ الله بالرجاء وحده فهو مُرْجِئ " يعني على عقيدة المرجئة – وقد مرَّ ذكرهم " ومن عبد الله بالخوف وحده فهو حَرُورِيٌّ " على عقيدة الخوارج " ومن عَبَد الله بالحبِّ والخوف والرجاء فهو مؤمنٌ مُوَحِّد " " من عبد الله بالحب والخوف والرجاء فهو مؤمن مُوَحِّد " بمعنى أن عبادة الله سبحانه وتعالى لا بدّ أن تكون قائمةً على هذه الأركان الثلاثة للتعبد؛ الحب والرجاء والخوف.

ثم قال رحمه الله: " وَلَا يَخْرُجُ الْعَبْدُ مِنَ الإِيمَانِ إِلَّا بِجُحُودِ مَا أَدْخَلَهُ فِيهِ. " ومعلومٌ أن الذي يدخل به العبد الإيمان ويدخل فيه بالإسلام هو الشهادتان؛ شهادة أن لا إله إلا الله وشهادة أن محمداً رسول الله صلوات الله وسلامه عليه، هذا الذي به دخولُ الإسلام ((**أُمِرْتُ أن أُقاتل الناس حتّى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأنّي رسول الله**)) فالدخول للإسلام بالشهادتين، فيقول رحمه الله: " وَلَا يَخْرُجُ الْعَبْدُ مِنَ الإِيمَانِ إِلَّا بِجُحُودِ مَا أَدْخَلَهُ فِيهِ. " " بِجُحُودِ مَا أَدْخَلَهُ فِيهِ " أي بجحود الشهادتين أو بجحود مدلول الشهادتين، وشهادة أن لا إله إلا الله مدلولها التوحيد.... قول المصنف رحمه الله تعالى: " وَلَا يَخْرُجُ الْعَبْدُ مِنَ الإِيمَانِ إِلَّا بِجُحُودِ مَا أَدْخَلَهُ فِيهِ. " عرفنا الذي يدخل في الإيمان الشهادتان؛ شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، فإذا قيل لا يخرج العبد من الإيمان إلا بجحود ما أدخله فيه فمعنى ذلك أن الخروج من الإيمان إنما يكون بالجحود؛ والجحود جحودُ ما أدخله في الإيمان، والذي أدخله في الإيمان الشهادتان، فيكون المعنى أن من جحد وحدانية الله أو جحد رسالة الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام يكفر بذلك، والعبارة فيها حصر؛ لأنه قال " إلا بجحود ما أدخله فيه " " لا يخرج العبد من الإيمان إلا بجحود ما أدخله فيه "، ففيها حصر لما يُخرِج أو يَخْرُج به العبد من الإيمان، بالجحود، ومن المعلوم المتقرِّر بالدلائل الكثيرات والشواهد العديدات في الكتاب والسنة أن الجحود نوعٌ من أنواع المكفِّرات المخرجات من الملة، لا أن الخروج من الملة مُنحصرٌ فيه، لا أن الخروج من الملة منحصر فيه بل هو نوع من نوع من أنواع المكفِّرات التي تخرج فاعلها من ملة الإسلام، ولهذا انتقد أهل العلم هذه العبارة لما فيها من حصرٍ للخروج من الملة أو الإخراج من الملة بالجحود فقط؛ فهناك كُفْرُ الشَّك، هناك كُفر التَّكذيب، هناك كُفر الإعراض، هناك كفر.. أنواع من الكفر.. كُفر النفاق، الكفر أنواع ليست محصورة في الجحود وحده، فالقول بأنه " لا يخرج العبد من الإيمان إلا بجحود ما أدخله فيه " ليست دقيقة في تقرير المعتقد الحق في هذا الباب، بل يخرج من الإيمان بالجحود الذى ذكره رحمه الله، ويخرج من الإيمان بالشكِّ؛ مثل كفر صاحب إحدى الجنتين؛ قِصَّتُهما في سورة الكهف { **وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً** } من شَكَّ في الساعة أو شَكَّ مثلا في

ألوهية الله أو شكَّ في رسالة الرسول عليه الصلاة والسلام وإن لم يجحد يكونُ كافرًا لأن الإيمان لا بدّ فيه من اليقين **{ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا }**، فإذا كان مُرتابًا شاكًّا ليس بمؤمن، فيكون الكفر بالجحد ويكون الكفر بالشك ويكون الكفر بالتكذيب، وفرق بين التكذيب والجَحْد، كل منهما مكفر **{ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ}**.. **{ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ }** فالتكذيب مُكفِّر والجَحْد مكفِّر، كذلك الإعراض عن دين الله تبارك وتعالى والتَّوَلِّي هذه كُلُّها مكفِّرات.. هذه كلها مكفرات، ولهذا؛ العبارة ليست دقيقة.

أيضًا: العمل؛ العمل.. ليس مُجرَّدُ الجحود، العمل نفسه يكون مكفِّرا؛ مثل – عياذا بالله – من استهزأَ بالدِّين **{ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ (٦٥) لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ }** أي حصل لكم الكفر بالاستهزاء بعد الإيمان الذي كنتم عليه، فكان كفرًا بالاستهزاء، والاستهزاء غير الجحود.. الاستهزاء غير الجحود.

فإذن؛ المكفِّراتُ ترجع إلى أنواع منها الجحود وليست محصورةً فيه؛ ترجع إلى أنواعٍ ومنها الجحود وليست محصورة فيه، ولهذا تعقَّب أهلُ العلم الإمامَ الطَّحاوي رحمه الله تعالى في هذه العبارة التي فيها حصرٌ للمُخرجِ من المِلَّة بالجحود.

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله أنت أستغفرك وأتوب إليك.

اللهم صلِّ وسلم على عبدِك ورسولك نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

برنامج
دراسة متون
العقيدة
(المستوى الثالث)
@mton_aqeda3

شرح العقيدة الطحاوية

للإمام أبي جعفر الطحاوي رحمه الله

لفضيلة الشيخ

عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر حفظه الله

الدرس (١٥) إلىٰ الدرس (١٨)

الشيخ لم يراجع التفريغ

الدرس الخامس عشر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

[الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على عبدالله و رسوله نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد: يقول الإمام أبو جعفر الطحاوي رحمه الله تعالى في ذكر عقيدته قال رحمه الله: " والإيمان هو الإقرار باللِّسان والتصديق بالجنان، وجميع ما صح عنه صلى الله عليه وسلم من الشرع والبيان كله حق، والإيمان واحد وأهله في أصله سواء والتفاضل بينهم بالخشية والتقى ومخالفة الهوى وملازمة الأولى .

والمؤمنون كُلُّهُم أولياءُ الرَّحْمَنِ، وَأَكْرَمُهُمْ عِندَ الله أَطْوَعُهُمْ وأتبعُهُم للقرآن.

والإيمان هو الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره وحُلْوِه ومُرِّه من الله تعالى ونحن مؤمنون بذلك كله لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ من رُسُلِه ونُصَدِّقُهم كُلّهم على ما جاءوا به "]

<u>شرح الشيخ:</u>

الحمد لله ربِّ العالمين وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبدُه ورسوله صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين.

أما بعد؛ هذا الموضع يتحدث فيه الإمام الطحاوي رحمه الله تعالى عن الإيمان؛ بيانِ حدِّه وأيضا ذِكرِ أمورٍ متعلِّقة به، الإيمان هو أَجَلُّ المطالب وأعلى المقاصد وأنبل الأهداف، والإيمان هو سبيل السعادة والفوز في الدُّنيا والآخرة فلا دخول للجنة إلا بالإيمان ولا نجاةَ من النار إلا بالإيمان ولا فلاحَ للعبد في دنياه وأُخراه إلا بالإيمان، بل إن كل الخيرات والثمار النافعات في الدنيا والآخرة نتيجةٌ للإيمان وثمرةٌ من ثِمارِه، والإيمان لا يزال يؤتي أُكُله وثمارَه الطيِّبات كل حين يفوز بها المؤمن ويجنيها في دنياه وأخراه.

والإيمانُ حقيقةٌ لا سبيل إلى العلم بها إلا من المعِين الصافي والمنبع العذب؛ كلام الله وكلام رسوله عليه الصلاة والسلام؛ إذ لا سبيل لمعرفة الإيمان وتحصيلِه من غير الكتاب والسنة؛ فلا يُعرَف الإيمان باللغة مُجردةً ولا أيضا بالعقول ولا بالآراء ولا بالأذواق ولا بغير ذلك مما اتُّخِذ مصدراً لمعرفة الإيمان، فالإيمان حقيقةٌ لا سبيل إلى العلم بها إلا من خلال الوحي؛ كلامِ الله وكلامِ رسوله عليه الصلاة والسلام، وقد قال الله تعالى في أواخر سورة الشورى: **{ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَٰكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ}** ، ولما قال عليه الصلاة والسلام لوفد عبد القيس – والحديث في الصحيحين -: ((**آمُرُكم بالإيمان بالله. أتدرون ما الإيمان بالله ؟**)) والقوم أهل لغة وأهل لسان وأهل فصاحة وأهل

عقول وأهل فهوم؛ قال: ((**أتدرون ما الإيمان بالله ؟**)) قالوا: " الله ورسوله أعلم ".. قالوا: " الله ورسولُه أعلم " مما يُشير إلى أنه مُتقَرِّرٌ لدى الجميع أن الإيمان حقيقةٌ لا سبيلَ إلى العلم بها إلا من خلال وحي الله وتنزيله؛ كلامِه سبحانه وتعالى وكلامِ رسوله عليه الصلاة والسلام الذي لا ينطق عن الهوى إن هو وحيٌ يوحى.

ثم أيضا؛ هذا الإيمان العظيم الذي هو الغاية التي خُلق الخلق لأجلها وأُوجِدوا لتحقيقها، الذي هو أجلُّ المقاصد وأنبلُ الأهداف ما ينبغي لأُمَّة الإيمان أن تكون مختلفةً فيه مُتنازِعةً في حقيقته، بل الواجب أن يأخذ الجميعُ إيمانَهم وصراطَهم المستقيم من كتاب ربِّهم وسُنَّة نبيهم صلوات الله وسلامه عليه غيرَ مُغيِّرين ولا مُبدِّلِين، وبهذا تكون النجاة والسلامة والفلاح في الدنيا والآخرة، ولكن لما نَجَمَتْ في الأُمَّة بدع كبار خالفت أُسُس الاعتقاد وثوابت الدِّين، وكان من ورائها دعاةُ باطل يُروِّجون لأضاليلهم وبدعهم أصبحت على إثر ذلك البدعُ تتوالد، وكانت البدع في جملة نشأتها إما بدع أنشأها أناس مخالفون للدين أصالةً لِحَلِّ عُراه وتشكيك أهله في ثوابت دينهم وأصول عقيدتهم، أو بدعٌ نشأت من بعض الناس زعمًا منهم أنهم ينصرون بذلك دين الله أو يَرُدُّون بدعًا أخرى؛ ولهذا قد تنشأُ البدعة بمقابلِ بدعةٍ أخرى للردِّ عليها، فلمَّا وُجدت بدعة الخوارج التي فيها التكفيرُ بارتكاب الكبيرة وإخراجُ مرتكب الكبيرة من ملَّة الإسلام نشأت في مقابل هذه البدعة بدعٌ كان وجودها أصالةً للرَّدِّ على بدعة الخوارج لكن كانت بدعةً رُدَّ بها على بدعة، والحقُّ أنّ البدعَ تُردُّ بالسُّنَن وبالدِّين الواضح؛ كلامِ الله وكلامِ رسوله عليه الصلاة والسلام.

وإذا تأمل المتأمل فيما وُجِدَ من أقوالٍ في حقيقة الإيمان يجدُ أنه وُجد مذاهب؛ مذاهبُ شتَّى في تقريرِ هذه الحقيقة وبيان ما هو الايمان وما حقيقتُه، ومن هذه الأقوال أقوالٌ عديدة وصفها أهل العلم بأنها إرْجاءٌ وأنَّ أهلَها مُرجِئة.

والإرجاء في اللغة: التأخير. فأصبح هذا الوصف عَلَمًا على كُلِّ من يخرج العمل من مُسمَّى الإيمان ولا يَعُدُّه داخلاً فيه، ومن يخرجون العمل من مُسمَّى الإيمان أهلُ مذاهبَ ليسوا في هذه البدعة على مذهبٍ واحد؛

- فمنهم من يخرج العمل من مُسمَّى الإيمان ويعتبر الإيمانَ مُجرَّدَ معرفةٍ وأنَّ من عَرَفَ الله عزَّ وجلَّ كفاه ذلك أن يكون مؤمناً كاملَ الإيمان.
- ومنهم من عَدَّ الإيمانَ التَّصديقَ وحدَه.
- ومنهم من ضَمَّ إلى التصديقِ الإقرارَ.
- ومنهم من جعلَ الإيمان الإقرارَ وحده بدون التصديق.

وكل هذه الأقاويل اتفقت على إخراج العمل من مُسمَّى الإيمان، ولهذا كلُّها تدخل تحت هذا اللقب " الإرجاء "، وأهلها " مُرْجِئَة " لكنهم مُتفاوِتون في ذلك.

والإيمان الذي دُعينا إليه في كتاب ربِّنا عزّ وجلّ أمرٌ وراءَ ذلك؛ أمرٌ يجمع الدين كلَّه عقيدةً وعبادةً وخُلُقًا، الإيمان يشمل ما يكون في القلوب وما يكون بالألسن وما تقوم به الجوارح، ليس الإيمان شيئا في القلب وحده ولا أيضا في القلب مضمُومًا إليه اللسان، بل الإيمانُ يجمعُ كُلَّ ما أمرنا الله سبحانه وتعالى به ودعانا إليه من عقيدةٍ وعبادةٍ وخُلُقٍ، فالحقُّ أن الإيمان:

- يتناول ما يكون في القلوب من عقائدَ ويتناول ما يكون في القلوب من أعمالٍ؛ وأعمالُ القلوب كثيرةٌ؛ الحياءُ والخَشْيَة والإنابة والتوكُّل والرَّجاء والخَوْف وغير ذلك..
- و يتناول أيضًا ما يكون باللسان من قولٍ وذكرْ لله عزَّ وجلَّ وتلاوةٍ لكلامه وأمرٍ بالمعروف ونهيٍ عن المنكر ودعوةٍ إلى الله وتعليمٍ للعلم وغير ذلك...
- ويتناول أيضا ما يكون بالجوارح.

فالإيمان يشمَلُ ذلك كُلَّه **{ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٢) الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ (٣) أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا}**، فالإيمان يتناول هذا كُلَّه.

والعمل داخلٌ في الإيمان.. العمل داخلٌ في الإيمان، ليس أمراً خارجًا عن الإيمان، ولهذا قال عليه الصلاة والسلام: ((**الإيمان بِضْعٌ وسبعون شُعبةً أعلاها قولُ لا إله إلا الله وأدناها إماطةُ الأذى عن الطريق، والحياءُ شعبةٌ من شعب الإيمان**))، وتأمَّل كيف أن النبي عليه الصلاة والسلام أدخل العملَ بِقِسْمَيْه: العمل الظاهر والعمل الباطن في الإيمان؛ العمل الظاهر مثل إماطة الأذى عن الطريق، والعمل الباطن: الحياءُ؛ عَدَّهُ عليه الصلاة والسلام شُعبةً من شُعَب الإيمان، فالأعمال؛ أعمال القلوب والأعمال الظاهرة كُلُّها داخلةٌ في الإيمان ويتناولها اسمه، هذا هو حقيقةُ الإيمانُ في ضوءِ ما دَلَّ عليه كلامُ الله وكلامُ رسوله عليه الصلاة والسلام.

لكن، كما أسلفتُ وقدَّمتُ، وُجِدت مقالاتٌ بعضُها نشأَ لرَدِّ بدعٍ أخرى كَبِدعة الخوارج التي فيها إخراجُ مرتكب الكبيرة من الإيمان، فنشأت بدع قابلت ذلك ببدعة أخرى أو قابلت تلك المخالفة بمخالفةٍ أخرى.

هذهِ مقدمةٌ بين يدي قول الطحاوي رحمه الله تعالى " والإيمان هو الإقرارُ باللسان والتصديقُ بالجَنَان " والإيمان هو الإقرار باللسان؛ أن يُقرَّ بلسانه.. أن يُقِرَّ بلسانه وأن يصدق بجَنانه، والمرادُ بالجَنَان: القلب، والقلب يسمَّى جَنان لأنه مَخْفيٌّ في صدر الإنسان؛ فهو مضغة في جوف الإنسان أو في صدره.

قال: " والتصديقُ بالجَنَان " أي التصديق بالقلب، فجعل الإيمانَ: إقرار باللسان وتصديق بالقلب، وهذا الذي ذكره ليس هو التعريف الذي يجمع الإيمان بمفهومه الذي دلَّ عليه كلامُ الله وكلامُ رسوله عليه الصلاة والسلام، بل فيه إخراج العمل من مسمَّى الإيمان.. إخراجٌ للعمل من مسمَّى الإيمان، ويُعَدُّ هذا التعريفُ إخلالاً بهذه الحقيقة وإخلالاً بِبَيَان هذه الحقيقة العظيمة التي هي أعظم الحقائق وأَجَلُّها وأشرفُها، ونَقْصًا في بيانِ حَدِّه وحقيقته، فالإيمان يقوم على أركانٍ ثلاثةٍ اقتصر منها على رُكنين؛ اقتصر على الاعتقاد الذي في القلب والقولِ الذي في اللِّسان، وأخرَجَ العمل.. وأخرج العمل.

والعملُ داخلٌ في الإيمان، والشواهد والدلائل على دخوله في الإيمان كثيرةٌ جداً في كلام الله وكلام رسوله عليه الصلاة والسلام وبَسَطَها أهلُ العلم بسطًا وافيًا في كُتُب الإيمان سواءً ما كان منها مُسْنَدًا مثل كتاب الإيمان في صحيح البخاري وكتاب الإيمان في صحيح مسلم وكتب الإيمان في السُّنن وكتب الإيمان التي أَفْرَدَها أئمَّةُ السَّلَف؛ بَوَّبوا فيها أبوابًا كثيرة بيَّنوا فيها دُخول العمل في الإيمان، ولهذا ترى فيها كتب كثيرة؛ باب الصلاة من الإيمان، باب الصيام من الإيمان، باب الحج من الإيمان، باب برُّ الوالدين من الإيمان... وهكذا أبوابٌ كثيرةٌ بُسِطَت في تلك الكتب بشواهدها ودلائلها، مرادُهم بذلك الرَّدُّ على من أخرج العمل من مُسَمَّى الإيمان وجَعلَ العملَ شيئا آخرَ ليس داخلا في الإيمان حتى وإن قال صاحب هذا القول: للعمل أهمية وله مكانة وعليه ثواب وعقاب، لا يكفي ذلك عندما يُخرِج من الإيمان، لأن إخراجه من الإيمان تقليلٌ من مكانته وإضعافٌ من شأنه، ولهذا توَلَّدَ عن هذه المقالة أضرارٌ في النَّواحي العمليَّة والنواحي السُّلوكية والنواحي التعبُّدية، فليس الأمر بالهيِّن، ولهذا؛ الصحيحُ أن هذا القول مخالَفَتُه لما عليه أهل السُّنة مخالفةٌ ليست لفظية وإنما هي مخالفةٌ حقيقيَّةٌ.. ليست لفظية.. ليست مُجرَّد اللفظ وإنما هي مخالَفةٌ حقيقيَّةٌ ولها أضرارُها الكثيرة، وتَرَتَّبَ عليها من الآثار في الناحية التعبُديَّة والناحية السُّلوكية والناحية العملية أضرارٌ كثيرة يعرفُها أهلُ العلم.

فهذا التعريفُ الذي ذَكَرَه رحمه الله تعالى " الإيمان هو الإقرارُ باللِّسان والتصديقُ بالجَنَان " هو كما ذكرتُ تعريفٌ قاصرٌ لا يَفِي بِبَيَان حقيقة الإيمان بل فيه انتقاصٌ لأمورٍ دَلَّ الكتابُ والسُّنَّة على دُخُولها في مسمَّى الإيمان، فهذا التعريفُ الذي ذكره اشتهر عند أهل العلم.. اشتهر عند أهل العلم من يقول به بِ " مُرجِئَةُ الفقهاء ".. اشتهر من يقول به بمرجئة الفقهاء لأن هذا القول عُرِف عن بعض المشهورين بالفقه وقالوا ذلك القولَ ليسَ عن فسادٍ — فسادِ قصدٍ كما هو عند أرباب البدع الكبار كالجهمية ومن كان على شاكلتهم – ، وإنما عن شُبَهٍ عَرَضَت لَهُم فأثَّرت عليهم في فَهْمِ الإيمان، ولهذا من القائلين بهذا القول الإمام أبو حنيفة رحمه الله تعالى، لكن يُقال – كما أشار إلى ذلك ابن أبي العزّ الحنفي رحمه الله – أنَّه رجع عن ذلك.. أنّه رجع عن ذلك، رَجَعَ عن ذلك على إِثْرِ مُناظرة دارَت بينه وبين أحدِ السَّلف – من أئمة السلف رحمهم الله –، فَتَوَقَّفَ أبو حنيفة عن الجواب، – قيل: لا تجيب ؟ قال: كيف أُجِيبُه وهو يُحَدِّثُنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم؟!

فالشاهد أنّ عَدَّ أو ذكر حدّ الإيمان لهذا الحد " الإيمان هو الإقرار باللسان والتصديق بالجنان " ليس هذا قولَ أهلِ السُّنة والجماعة، بل هو قولٌ اشتهر عن مرجئة الفقهاء وهو مخالف لما قرَّرَه أئمةُ السلف رحمهم الله قاطبة في بيان حقيقة الإيمان وأن الإيمان يشمل القول والاعتقاد والعمل.

وشبهة الخوارج مردودٌ عليها بِرُدودٍ كثيرة وافرة ذَكَرَها أئمَّةُ السَّلَف رحمهم الله تعالى، وإخراجُ العمل من مسمَّى الإيمان ليس كافيًا أو وافيًا في ردِّ شُبهة أولئك كما هو سبب لورود هذه الشبهة ودخولها على من قال بها، هو بحدِّ ذاته ليس ردًّا على هذه الشُّبهة، وإنما تُرَدُّ بالدَّلائل الواضحات والحُجج البيِّنات من كتاب الله وسُنَّة رسولِه صلوات الله وسلامه عليه.

فإذن؛ " **الإيمان هو الإقرارُ باللِّسان والتَّصديقُ بالجَنَان والعملُ بالجوارح** ".. " **الإيمان: الإقرار باللسان والتصديق بالجنان والعمل بالجوارح** " وهذا أمرٌ أجمع عليه أئمّةُ السَّلف رحمهم الله تعالى وحكى إجماعَهُم عليه غيرُ واحدٍ من أهل العلم، وأما الدَّلائلُ فقد بُسِطَت بَسْطًا وافِيًا في كُتُب أئمَّة السَّلف مما أشرت إلى بعضه آنفا.

[س: زيادته ونقصانه من تمام التعريف ؟

ج: نعم من تمام التعريف زيادةُ الإيمان ونُقصانه، ولم أَتَعرَّضْ لها لأنَّهُ سيأتي قولُه " والإيمان واحِدٌ وأهلُه في أصله سواءٌ، والتفاضُلُ بينهم بالخشية والتُّقى والهُدى وملازمة الأَوْلَى ". **]**

قال رحمه الله تعالى: " وجميع ما صح عنه صلى الله عليه وسلم من الشَّرْعِ والبيان كُلُّه حق " وهذه كلمة عظيمةٌ جِدًّا؛ قال: كلُّ ما صَحَّ عنه من الشَّرع والبيان كُلُّهُ حقٌّ، قال: "كُلُّ ما صَحَّ " أي كلُّ ما ثبت عن النبي عليه الصلاة والسلام بالأسانيد الصحيحة، ولا يُمَيِّزُ في ذلك بين مُتواترٍ وآحادٍ، فكُلُّ ما صَحَّ وثبت بنقلِ العُدُول الثِّقات عن النبيّ عليه الصلاة والسلام وثَبَتَ إسنادُه إليه صلى الله عليه وسلم فهو حقٌّ يجبُ أن يُتَلَقَّى بالقَبول.. يجب أن يُتلقَّى بالقَبول، وهذه طريقةُ أهل السُّنة والجماعة؛ كُلُّ ما صَحَّ عن النبيّ عليه الصلاة والسلام فهو حَقٌّ يُتلقَّى بالقَبُول؛ مِنَ اللهِ الرِّسالةُ وعلى الرَّسُولِ البلاغُ وعلينا التَّسليم، فكُلُّ ما صَحَّ عنه يجب أن نَتَلقَّاهُ بالقَبُول. ومُرادُ المصنف رحمه الله تعالى بهذا التَّقرير الرَّدُّ على المعتزلة وأضرابِهم ممن توقَّفوا في قُبول أحاديث الرسول عليه الصلاة والسلام، وكان لِتوقُّفهم في قبول أحاديث الرسول عليه الصلاة والسلام مسلكان:

- الأول: رَدُّ المتواتر من أحاديثه صلى الله عليه وسلم بأنه ظَنِّيُّ الدّلالة.. بأنه ظَنِّيُّ الدلالة.
- وَرَدُّوا الآحادَ الثابتَ من أحاديثه – وهذا المسلكُ الثاني – بأنه ظَنِّيُّ الثُّبُوت.

وقالوا: الاعتقاد لا يُقبل فيه إلا اليقينيَّات، واليقينيات عندهم ما تَوَصَّلتْ إليهِ عُقُولهم وَمَا بَلَغَتْهُ أفهامُهُم وما قَرَّرَتْه آراؤُهم، تلك هي التي تُعَدُّ يقينيات، أما الذي جاء عن الرسول عليه الصلاة والسلام إن كان متواتِرًا فهو عندهم ظَنِّيُّ الدّلالة وإن كان آحادًا فهو ظَنِّيّ الثُّبوت، ولهذا قالوا – وهم أول من قال بذلك –: إن أخبار الآحاد لا يُحْتَجُّ بها في الاعتقاد. وهذه مقالةٌ لم تُعرف عن أحدٍ قبلَ المعتزلة، قالوا: أخبار الآحاد لا يُحتجُّ بها في الاعتقاد. واتَّكأوا على هذا التّقرير برَدِّ كُلِّ حديثٍ ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى وإن كان متواترًا.. حتى وإن كان متواترًا، لأنّ القوم ليسوا من أهل الدِّراية بالصناعة الحديثية وليسوا من أهل هذا الشأن وليسوا من أهل التمييز بين متواتر وآحاد، لكنهم جعلوها تُكْأَةً لهم لِردِّ أحاديث الرسول عليه الصلاة والسلام، فردوا بهذه المقالة كل ما ثبت عنه صلى الله عليه وسلم مما يخالف عقائِدَهم؛ حديثُ النُّزول متواتر: رَدُّوه بهذا، حديثُ الرُّؤية متواتر: ردُّوه أيضا بهذا... أحاديثُ كثيرةٌ ثابتة عن الرسول عليه الصلاة والسلام بالتَّواتُر ونَصَّ أئمةُ الحديث وأهلُ الدراية بحديثِه عليه الصلاة والسلام أنها متواترةٌ ويرُدُّهَا هؤلاء بهذا التقرير. وأيضا – بالمقابل– الأحاديثُ التي تُوافِق أهواءَهم ولو كانت موضوعةً مكذوبةً على النبي عليه الصلاة والسلام يَحْتجُّون بها ويستدِلُّون بها مِمَّا يدلُّ على أن القومَ أهلُ أهواءٍ وأهلُ باطلٍ.

فالمصنِّف رحمه الله أراد بذلك الردَّ على هؤلاء وأمثالِهم وأن الواجب أن نَتَلقَّى جميعَ ما صَحَّ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من الشَّرع والبيان وأنه كُلُّهُ حَقٌّ لا رَيْبَ فيه.

ثم قال رحمه الله: " والإيمانُ واحدٌ " " والإيمانُ واحدٌ وأهلُه في أَصْلِه سواءٌ " وفي بعض النسخ " وأهلُه فيه سواءٌ " " والإيمان واحد وأهله في أصله سواء " وفي بعض النسخ " فيه سواء " في الإيمان " والتَّفاضُلُ بينَهُم بالخَشْيَة والتُّقى ومخالفة الهوى وملازمة الأَوْلى "

قوله " والإيمانُ واحد " أي الإيمان حقيقةٌ واحدةٌ، ومعنى واحدةٌ أي أنّه لا يتجزَّأ؛ ليس له أجزاء ولا أبعاض، فالإيمان واحد؛ الإيمان جملةٌ واحدة وحقيقةٌ واحدةٌ ليس له أبعاض، ومَرَّ مَعَنَا قبلَ قليل تعريفُه للإيمان بأنه التصديق بالقلب والإقرار باللسان، والإقرارُ الذي يكونُ باللِّسان هو إقرارٌ لما قام بالقلبِ من تصديقٍ، فينطِقُ اللِّسانُ مُقِرًّا بما قام في القلب من تصديق، فهذا الإيمانُ الذي هو تصديقٌ بالقلب وإقرارٌ باللسان حقيقةٌ واحدةٌ.. حقيقةٌ واحدةٌ، ولهذا انبنى على ذلك أنه لا يتفاضَل.. انبني على ذلك عندهم أنه لا يتفاضل ولا يزيدُ ولا ينقُص، وأيضا هذا القول ليس من قول أهل السنة في شيء.. ليس من قول أهل السّنة في شيء، بل هو قولٌ مخالفٌ لما عليه أهل السُّنة ولِمَا عليه أئمَّةُ السَّلف، مخالفٌ لدلائل الكتاب والسُّنة الكثيرة التي تَدُلُّ على خلاف ما قرَّرَهُ رحمه الله تعالى هنا؛ فقوله " الإيمانُ واحدٌ " كيف يقال الإيمان واحدٌ والنبي عليه الصلاة والسلام يقول كما في الصحيحين: ((**الإيمان بضعٌ وسبعون شعبة**)) ((**الإيمانُ بِضعٌ وسبعون شعبةً،**

أعلاها قولُ لا إله إلا الله وأدناها إماطةُ الأذى عن الطَّريق، والحياء شُعبةٌ من شُعَبِ الإيمان)) ؟ فكيف يقال " الإيمان واحد " والنبي عليه الصلاة والسلام قال: ((**الإيمان بضع وسبعون شعبة**)) ؟ ! فالإيمان ليس شيئًا واحدًا بل شعبٌ كثيرةٌ.. بل الإيمانُ شعبٌ كثيرةٌ متعدِّدة، له أعلى وله أدنى، منه ما في القلب، منه ما في اللسان، منه ما في الجوارح، وكُلُّها داخلةٌ في الإيمان.

قال: " والإيمانُ واحدٌ وأهلُه في أصلِه سواء " " وأهله في أصله سواء " كلامٌ منبنٍ بعضُه على بعض؛ لما كان الإيمان واحدًا وهو التصديقُ بَنَوْا على ذلك أن أهل الإيمان في أصل الإيمان سواء.. في أصل الإيمان سواء، والقولُ بأن أهل الإيمان في أصله سواء حتى وإن اعتُبر على قوله أنه التصديقُ والقول الذي باللسان هو إقرارٌ أو نطقٌ أو إعلانٌ لما قام في القلب من تصديق، التصديقُ نفسُه أهلُه ليسُوا فيه سواء ! التصديقُ نفسُه أهلُه ليسوا فيه سواء ! ومراده بالـ " أَصْل " هذا هو، ولهذا جاء في بعض النُّسخ: " وأهله فيه سواء " " أهله فيه سواء " أي هذا القدر الذي هو الإيمان، الذي هو حقيقةُ الإيمان أهلُه فيه سواء، وفي بعض النسخ " وأهله في أصله " وهذه الكلمة فيها إشكال، وما جاء في بعض النُّسخ يُوضح المراد وأن المراد بقوله " وأهله فيه سواء " أي هذه الحقيقة – حقيقة الإيمان – التي هي حقيقةٌ واحدةٌ قال " وأهله فيه سواء " أو " في أصله سواء " فالتصديق ليسوا أهله فيه سواء، ليسوا أهله فيه سواء، بل هم متفاوتون تفاوُتًا عظيمًا، وهل التصديق الذي قام في قلب صِدِّيق الأُمَّة رضي الله عنه وأرضاه هل هو يَعدِل التصديق الذي قام في قلب آحاد المسلمين ؟ بل قل أيضا من العصاة والفُسَّاق ممن لم يخرجهم عصيانهم ولا فسقهم ولا فجورهم عن الإيمان ؟ هل يُسوَّى تصديقُهم بتصديق صِدِّيق الأُمّة ؟ ولُقِّبَ رضي الله عنه وأرضاه بالصِّدِّيق لكمال صِدِّيقِيَّته مما يدلُّ على أن التَّصدِيقَ يتفاوت أهلُه فيه.. يتفاوت أهله فيه وأنَّهم ليسوا فيه سواء، وقد مرّ معنا بالأمس الحديثُ الذي في الصحيح؛ لما قال عليه الصلاة والسلام ((**إنَّ أهلَ الجنة ليتراءَوْن أهلَ الغُرف كما تراءون الكوكبَ الدُّرِّيَّ في السماء .. لتفاضُلِ ما بينهم**)) هكذا قال عليه الصلاة والسلام ((**لتفاضل ما بينهم**))، قالوا: تلك منازلُ الأنبياء لا يبلغُها غيرُهم ؟ قال: ((**بل رِجالٌ آمنوا بالله وصَدَّقوا المُرسَلين**)) ((**آمنوا بالله وصدقوا المرسلين**))، وأشرت فيما سبق أن كلَّ من يدخل الجنة آمن وصدَّق، لكن لما كان هؤلاء في الإيمان والتصديق بلغوا مبلغاً عظيما ارتفعوا هذا الارتفاعَ العالي في درجات الجنة وبلغوا هذه المنازل العالية الرفيعة.

فالتصديق أهلُه ليسوا فيه سواء بل مُتفاوِتون؛ التصديق يزيد وينقص ويقوى ويضعف، هل من صدق بهذا الدِّين ودخل مُصدِّقا مع قوَّةٍ في البراهين التي دخل بها في هذا الدِّين يُساوي إيمانه وتصديقُه تصديقَ آخرَ صدَّق ببرهان واحد مثلا ؟ ذاك ببراهين كثيرة وهذا ببرهان واحد ؟ ذاك اتَّضحت له حقيقةُ الإيمان جَلِيَّةً ظاهرةً فصَدَّقَ ودخل وآخر جاءه برهانٌ فاقتنع به ودخل في هذا الدين ؟ هل يسوّى تصديقُ هذا بتصديقِ هذا ؟ هل يُسوَّى تصديقُ شخصٍ قويَ التصديقُ في قلبه بحيث لو جاءته الشبهات لا تزعزعه بتصديقِ آخرَ أدنى

شُبهةٍ تُزعزع إيمانَه وتخلخل دينه ؟ من الناس من بلغ إيمانه وثباتُ إيمانه بُلوغ الجبال ومن الناس من هو أضعف ما يكون. أحد السلف قيل له: أيزيد الإيمان وينقص ؟ قال: نعم، يزيد حتى يكون أمثال الجبال وينقُص حتى لا يبقى منه شيء. حتى لا يبقي منه شيء. فكيف يقال أن أهله فيه سواء ؟كيف يقال أن أهله فيه سواء ؟ حتى ولو اعتُبر –وهذا هو مرادُه– التصديق وحده، فالتصديق وحده أهلُه ليسوا فيه سواء، بل متفاوتون.

والتصديق مراتب، مَرَّ أيضا الإشارةُ إلى شيءٍ منها؛ فهناك علمُ يقين وهناك عينُ يقين، انظر إلى تصديق الخليل عليه السلام في قوله سبحانه وتعالى **{ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي }** قال أئمة التفسير: " بلى ولكن ليزداد إيمانُه " فطلب عليه الصلاة والسلام زيادةً في الإيمان؛ بأن يكون علمُ اليقين الذي عنده يكونُ عينَ يقين، بأن يرى { **أَرِنِي** } وهو يقين في كل أحواله لكنه درجة أعلى التي هي عين اليقين، قال: **{ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ } { أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي }** أي: ليزداد إيماني، فإيمانُه السابق إيمانٌ لا شكَّ فيه.. إيمانٌ لا شكَّ فيه، لكن أراد أن يزيدَ هذا الإيمان وهذا التصديق بأن يكون عينَ يقين؛ بأن يرى بعينه كيف يحيي الله سبحانه وتعالى الموتى، وأراه الله جلَّ وعلا ذلك.

فالشاهد أن التصديق الذي في القلب أهلُه ليسوا فيه سواء ولا يمكن أن يُعْدَل إيمانُ صدِّيقِ الأُمَّة بإيمان آحاد الأمة. وفي صحيح البخاري من حديث ابن عمر قال: "كُنَّا زمنَ النبي عليه الصلاة والسلام لا نعدِلُ بأبي بكر أحدًا " " لا نعدِلُ بأبي بكر أحدًا "، وإذا قيل إن أهل الإيمان في التصديق سواء أصبح آحادُ الأمة وصِدِّيق الأمة إيمانُهم واحدٌ. وفي بعض الأخبار ولم يثبت مرفوعًا عن نبينا عليه الصلاة والسلام: ((**لو وُزِنَ إيمانُ أبي بكرٍ بإيمان الأمة لعَدَلَه**)).

فالشاهد أن أهل الإيمان في التصديق ليسوا فيه على درجة واحدة.

ثم أيضا إذا نظرنا إلى الإيمان في ضوء الأدلة وكونه شاملاً للأعمال وشاملاً لأعمال القلوب فالإيمانُ يزيدُ وينقص من جهاتٍ كثيرةٍ؛ يزيد وينقص من جهة التَّصديق و يزيد وينقص من جهة العمل... يزيد وينقص من جهاتٍ عديدة، ولهذا كانت مقالةُ أهل السُّنة في الإيمان أن الإيمان قولٌ واعتقادٌ وعملٌ يزيد وينقُص؛ يزيدُ بطاعة الله وينقُص بمعصيته، هذه مقالةُ أهل السُّنة وعليها إجماعُهم، و لما كان قولُ هؤلاء في إخراج للعمل من مسمَّى الإيمان وأيضا فيه اشتباهٌ في مسألة التصديق ترتَّب على ذلك مقالاتٌ خالفوا فيها القولَ الذي عليه أهل السنة والجماعة رحمهم الله تعالى.

قال : " والتفاضل بينهم بالخشية والتُّقى ومخالفةِ الهوى وملازمة الأَوْلى " وهذه جميعُها ليست داخلةً في مسمَّى الإيمان حسب فهمهم للإيمان؛ لأن الإيمان انحصر كما سبق تعريفُه عند المصنِّف بإقرار اللِّسان وتصديقِ الجنان فهذه الأشياء خارجةٌ عن مسمَّى الإيمان، والتفاضل الذي بين أهل الإيمان في هذه الأشياء التي خارجَ مُسمَّى الإيمان، فالإيمان لا يزيدُ ولا ينقص عندهم.. الإيمان لا يزيد ولا ينقص وإنما الزّيادة والنُّقصان في أمورٍ خارجةٍ عن مُسمَّى الإيمان؛ مثل الخشية والتقى ومخالفة الهوى وملازمة الأولى... هذه كلها أعمالٌ يحصل فيها زيادة ونقصان يقرُّ بها ويحصل فيها تفاضلٌ بين أهل الإيمان لكنها ليست داخلة في مُسمَّى الإيمان؛ قال: " والتَّفاضُل بينهم " التفاضل بينهم أي أهل الإيمان في هذه الأشياء التي هي عنده ليست داخلةً في مسمَّى الإيمان وهي الخشية والتُّقى ومخالفة الهوى وملازمة الأولى، والحق أن هذه الأشياء فيها تفاضُل؛ أهلها مُتفاضِلون فيها؛ ليسوا في الخشية سواء وليسوا في التقى سواء وليسوا في مخالفة الهوى سواء وليسوا في ملازمة الأولى سواء، وجميع هذه الأشياء داخلةٌ في مُسمَّى الإيمان.. وجميعُ هذه الأشياء داخلةٌ في مسمَّى الإيمان؛ الخشيةُ إيمانٌ والتُّقَى إيمانٌ ومُخالفةُ الهوى إيمانٌ وملازمةُ الأَوْلَى ممَّا أمر الله به وأمر به رسوله عليه الصلاة والسلام كل ذلكم داخلٌ في مُسمَّى الإيمان.

قال: " والمؤمنون كُلُّهُم أولياءُ الرَّحْمَنِ " " والمؤمنون كُلُّهُم أولياءُ الرَّحْمَنِ، وَأَكْرَمُهُمْ عِندَ الله أَطْوَعُهُمْ وأتبعُهُم للقرآن.

" المؤمنون كلهم أولياء الرَّحْمٰن " يعني كلُّ من كان مؤمناً تَقيًّا فهو وليٌّ من أولياء الله.. فهو وليٌّ من أولياء الله، فالله جلَّ وعلا قال في القرآن الكريم: **{ أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٦٢) الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ }** فمن كان مؤمناً تقيًّا كان لله وليًّا فهو من أولياء الله، فبالإيمان والتقوى تكونُ الوِلاية، والإيمان والتقوى اجتمعا في هذه الآية.. اجتمعا في هذه الآية، واجتماعُهما – الإيمان والتقوى – يجعل الإيمان في جانب الاعتقاد وفعل المأمور والتقوى في جانب ترك المنهيّ والبعد عن المحظور، وبهذا يُعلَم أن أولياء الله هم الذين يطيعون الله سبحانه وتعالى لزومًا للعقائد الصحيحة وفعلاً للطاعات التي أمر الله سبحانه وتعالى بها وتجنُّبًا للنواهي والمحرمات، هذه حقيقة التقوى. وفي الجملة الأولياءُ على درجتين.. الأولياء – أولياء الله سبحانه وتعالى – على درجتين جاء بيانُهما في الحديث المشهور عند أهل العلم بحديث الوِلِيّ وهو في الصحيحين: يقول الله عزّ وجلّ في هذا الحديث القدسي ((**من عادى لي وليًّا فقد آذنته بالحرب، وما تقرَّب إليَّ عبدي بشيءٍ أحبَّ إليَّ مما افترضته عليه، ولا يزال عبدي يتقرَّبُ إليَّ بالنَّوافل حتى أُحبَّه؛ فإذا أحببته كنتُ سمعه الذي يسمع به...**)) إلى آخر الحديث. فهذا الحديث يدلُّ على أن الأولياء على درجتين:

- الدرجة الأولى: في قوله: ((**ما تقرب إليَّ عبدي بشيءٍ أحبَّ إليَّ مما افترضته عليه**)) وهي درجةُ فِعلِ الواجبات وتركِ المحرَّمات، ويقال عن هذه الدرجة " درجةُ المقتصدين " وهي الذي فَعَلَ الأوامرَ الواجبات وتَركَ المحرَّمات.
- والدرجة الثانية أعلى من هذه الدرجة وهي " دَرَجَةُ المقرَّبين والسابقين بالخيرات " وإليها الإشارةُ بقوله: ((**ولا يزال عبدي يتقرَّبُ إليَّ بالنوافل حتى أُحبَّه**)).

فأولياء الله سبحانه وتعالى على درجتين.

فإذن، المؤمنون؛ المؤمنون المتقون كلهم أولياءُ لله.. كلُّهم أولياء لله سبحانه وتعالى، لكنهم في ذلك ليسوا على درجةٍ واحدة.

قال: " والمؤمنون كُلُّهُم أولياءُ الرَّحمن، وأَكْرَمُهُم عند الله أطْوَعُهُم وأَتْبَعُهُم للقرآن " " وأَكْرَمُهُم عند الله أطْوَعُهُم وأَتْبَعُهُم للقرآن " أي كلما زاد العبد طاعةً وإتِّباعًا للقرآن الكريم زادَ فضلاً وزادَ ثوابًا وأجرًا عند الله سبحانه وتعالى، وهذا يُبيِّنُ مُفارقةَ هؤلاء – يعني مرجئة الفقهاء – للمُرجِئَةِ الخالِصة الذين يقولون لا يَضرُّ مع الإيمان ذنبٌ كما لا ينفعُ مع الكفر طاعة.. فهو يقول " وأكْرَمُهُم عند الله أطْوَعُهُم وأَتْبَعُهُم للقرآن " بمعنى أنَّ العبدَ كُلَّمَا ازداد طاعةً وعبادةً لله نَفَعَتْهُ هذه الطَّاعاتُ ثوابًا وأجرًا عند الله تبارك وتعالى، ولو فعل المعاصي أيضا يُعاقَب؛ يقولون إن فعل المعاصي يُعاقَبُ عليها وكذلك الطاعات يُثابُ عليها وإن كانت ليست داخلةً في مُسمَّى الإيمان.. وإن كانت ليست داخلة في مُسمَّى الإيمان، وهذا – يعني حقيقةً مع قولهم بأنه يُثاب عليه ويُعاقب على تركه – فيه إضعافٌ لمقامِ العمل ومكانةِ العمل في دين الله؛ لأنّ إذا قيل لشخصٍ: أنت مؤمنٌ كاملُ الإيمان بدون العمل.. أنت مؤمنٌ كاملُ الإيمان بدون العمل وهذه الأشياء يحصلُ فيها تفاضلٌ ويحصل فيها زيادةٌ ونقصان ويحصل فيها ثوابٌ وعقابٌ لكنها ليست داخلةً في الإيمان. قد يقول قائل: قد عرفتُ من الأدِلَّةِ أن النَّجاةَ بالإيمان وأنه لا يَدْخُلُ الجنَّةَ إلا نفسٌ مؤمنة، وإذا كنتُ بدون العمل مؤمنًا كاملَ الإيمان ما الحاجةُ للعمل ؟. فهذا فيه إضعاف؛ إضعافٌ وتهوينٌ لمكانة العمل ومَنزِلته العظيمة العَلِيَّة.

قال رحمه الله تعالى: " والإيمان هو الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره وحُلْوِهِ ومُرِّه من الله تعالى " يَحْتَمِل العطفَ هُنا " وبِالقدرِ خَيْرِه وشَرِّه " ويَحْتَمِل أيضًا – ولَعلَّه الأقرَب – أنَّها جملةٌ مُسْتَأْنَفَة " والقَدَرُ خَيْرُهُ وَشَرُّهُ حُلْوُهُ وَمُرُّهُ مِنَ اللهِ تعالى " يَحْتمل هذا وهذا والله تعالى أعلم.

قال : " والإيمان هو الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره وحُلْوِه ومُرِّهِ من الله تعالى " ذكر هنا أمورَ الإيمان وعقائدَ الإيمان التي يُقِرُّ بها؛ قبل قليلٍ قال: " الإيمان هو الإقرارُ باللسان

والتَّصديقُ بالجنان " التصديقُ بالجنان بماذا ؟ ما الذي يصدِّقُ به المسلم بِجَنَانِه ؟ بيَّنه هنا، فأمور الإيمان التي مطلوبٌ من العبد أن يُصدِّقَ بها في جَنَانِه – أي قلبِه – هي الإيمانُ بأصول الإيمان، وذَكَرَ هنا أصولَ الإيمان السِّتَة التي ذَكَرَها النبيُّ عليه الصلاة والسلام في حديث جبريل، في حديث جبريل المشهور ((**قال: أخبِرني عن الإيمان. قال: أن تؤمن بالله وملائكته وكُتُبه ورُسُله واليوم الآخر وأن تؤمن بالقدرِ خيرِه وشرِّه**))، فهذه أصولُ الإيمان السِّتَّة التي عليها قِيامُه. والنبيُّ عليه الصلاة والسلام فَسَّرَ الإيمان بحديثِ جبريل بِهذِه الأصول لأنَّه ذَكَرَ قبلها الإسلامَ وعَرَّفَهُ بالأعمال.. عَرَّفَه عليه الصلاة والسلام بالأعمال؛ فَفَسَّرَ الإسلامَ بالأعمال وفَسَّرَ الإيمانَ بالعقائد، لكن عند الإطلاقِ فالإيمانُ يتناولُ الدِّين كُلَّه؛ العقائد والأعمال، ولهذا في حديث وفدِ عبد القيس لما أَمَرَهُم عليه الصلاة والسلام بالإيمان قال: ((**أتدرون ما الإيمان بالله ؟**)) أتدرون ما الإيمان بالله ؟ قالوا: اللهُ ورسولُه أعلم. قال: ((**الإيمان بالله: شهادةُ أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسولُ الله وإقامُ الصلاة وإيتاءُ الزكاة**...)) فانظر كيف النّبيُّ عليه الصلاة والسلام فَسَّرَ الإيمانَ صراحةً بالأعمال، فكيف يقالُ: الإيمان هو القولُ والاعتقادُ وتُخرَج الأعمالُ من مُسمَّى الإيمان والنبيُّ عليه الصلاة والسلام فَسَّرَ الإيمانَ صراحةً لِوفد عبد القيس بالأعمال، فالأعمالُ داخلة في مُسمَّى الإيمان.

قوله " والإيمانُ هو الإيمانُ بالله " هَذَا ذِكرٌ لِأصول الإيمان التي مطلوبٌ من كل مؤمنٍ أن يُقرَّ بها وأن يؤمن بها وأن تكون في قلبِه ثَابتةً مُقرًّا بها لا شَكَّ فيها عنده ولا ريب، وهي أصولٌ ستةٌ؛ " الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره حُلْوِه ومُرِّه من الله تعالى " " وكنا عرفنا أن المصنف رحمه الله تعالى من طريقته في الكتاب أنه يُعيد، يعيدُ ويُكرّرُ، وأيضًا لم يراعِ فيه ترتيبًا دقيقاً، وسَبَقَ أن مَرَّ معنا ذِكرُه لشيءٍ من هذه الأصول.. سَبَقَ أن ذَكَر ما يتعلَّقُ بالإيمان بالله ومضى الكلام على ذلك هناك، وأيضًا سَبَقَ أن ذكر رحمه الله تعالى ما يتعلَّقُ بالإيمان بالملائكة وكذلكم ما يتعلق بالإيمان بالكتب وأيضا ما يتعلق الإيمان بالرسل، مَرَّ ذكرُ ذلك عند المصنِّف رحمه الله تعالى " ونؤمنُ بالملائكة والنبيِّين والكُتُبِ المنزَّلة على المرسَلِين " مَرَّت معنا هذه الجملة سابقًا.

وفيما يتعلق بالإيمان باليوم الآخر كأنه ما سبق أن مَرَّ ذكرُه عند المصنف.. الله أعلم. هو أحدُ أصولِ الإيمان العِظَام. والإيمانُ باليوم الآخر هو الإيمانُ بكُلِّ ما يكون بعد الموت، ومن مات قامَتْ قِيامته، والقبرُ أَوَّلُ منازِل الآخرة، فكل ما يكونُ بعد الموت من فتنة القبر وعذابِه ونعيمِه ثُمَّ ما يكون بعد ذلك من نفخٍ في الصُّور وبعثِ النُّشور وحشرٍ بين يدي ربِّ العالمين وصراطٍ وميزانٍ ودواوينَ وصحفٍ وانقسامِ النَّاس إلى فريقَيْن؛ فريقٌ في الجَنَّة وفريقٌ في السَّعير... جميعُ هذه التّفاصيل الإيمانُ بها داخلٌ في الإيمان بهذا الأصل العظيم الذي هو الإيمانُ باليوم الآخر.

والإيمانُ بالقَدَرِ أصلٌ من أصولِ الإيمان، ومَرَّ عند المصنِّف رحمه الله تعالى الإشارةُ إلى شيءٍ من مضامين هذا الأصل العظيم، ومَرَّ أن الإيمانَ بالقَدَر لا يَتِمُّ إلا بالإيمان بمَرَاتِبِه الأربعة: العلم والكتابة والمشيئة والإيجاد.

ثم قال رحمه الله تعالى: " ونحن مُؤمِنُونَ بِذَلِكَ كُلِّهِ " ونحن مؤمنون بذلك كله؛ أي هذه الأصول التي دُعِينا إلى الإيمان بها نحنُ مُؤمنون بها والإيمانُ بها أساسٌ يقوم عليه هذا الدِّين ومن لم يؤمن بهذه الأصول أو كَفَر بشيءٍ منها لم يُقبَلْ منه عملٌ ولم يَنتَفِعْ بِطاعة كما قال الله سبحانه وتعالى: **{ وَمَن يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ}** وقال جلَّ وعلَا: **{وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ }** فَجَحْدُ أو عَدَمُ الإيمان بشيءٍ من هذه الأصول محبطٌ للأعمال مبطِلٌ للدِّين كُلِّه، فمطلوبٌ من المؤمن أن يؤمن بها كلّها، فهي أصولٌ مُتَرَابِطَةٌ مُتلازِمةٌ لا يَنفكُّ بعضُها عن بعض؛ الإيمانُ ببعضِها يقتضي الإيمانَ بباقيها، والكفرُ ببعضِها كُفْرٌ بباقيها.. والكفر ببعضِها كفرٌ بباقيها.

قال رحمه الله تعالى: " وَنَحْنُ مُؤْمِنُونَ بِذَلِكَ كُلِّه لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ من رُسُلِه "؛ في آخرِ سُورة البقرة قال الله عزَّ وجلَّ: **{آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ ۚ}** فالمعنى الذي قَرَّرَهُ هنا رحمه الله يُسْتَفَادُ من هذه الآية؛ سواءٌ في قوله " نحنُ مُؤمنون بذلك كُلِّه " فهذا نَهجُ المؤمنين **{ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ }** وأيضًا قَوْله " لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ من رُسُلِه " أي بأن يؤمن ببعض ويَكفُر ببعض، إذِ الكُفْر أو التَّكْذِيبُ بِرَسُولٍ واحدٍ تكذيبٌ بجميع المرْسَلِين، وقد قال الله سبحانه وتعالى عن قومِ نوح: **{ كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ }** وهم إنّما كذَّبوا نوحًا عليه السلام، فالتَّكذيبُ بِنَبِيٍّ واحدٍ تكذيبٌ بجميع النبيِّين.

قال : " ونُصَدِّقُهم كُلّهم " ونُصدِّقهم كلهم أي نُصدِّقُ جميع المرسَلين لأنَّهُم بُعِثُوا بالحَقِّ والهُدى؛ بُعثوا مُبَلِّغِين عن الله عزَّ وجلَّ، كلامُهُم وحيٌ من الله جلَّ وعلا، فكل ما جاءوا به عن الله حقٌّ يجب أن يُتَلَقَّى بالتَّصديقِ والإيمانِ، ولهذا قال " ونُصَدِّقُهم كُلّهم على ما جاءوا به " لأنهم رسلٌ ومُبلِّغون عن الله تبارك وتعالى، ولا سعادةَ لأيِّ أحدٍ من أُمَمِ المرسَلين إلَّا بتصديقِ الرُّسل والإيمانِ بما جاءوا به عليهم صلوات الله وسلامه أجمعين.

للشَّيْخ الإمام عبد العزيز بن باز رحمه الله تعالى تعليقٌ على كلام الإمام الطحاوي، فنستمع إليه:

[**قال الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله تعالى:** " قولُه: " والإيمانُ هو الإقرارُ باللِّسان والتَّصْديق بالجَنَان " هذا التَّعريفُ فيه نَظَرٌ وقُصُورٌ، والصَّوَابُ الذي عليه أهل السُّنة والجماعة أنَّ الإيمانَ قولٌ وعملٌ واعتقادٌ يزيدُ بالطَّاعةِ ويَنقُصُ بالمعْصِية، والأدِلَّةُ علي ذلك من الكتاب والسُّنَّة أكثرُ من أن تُحصَر، وقد ذكر الشارح ابن أبي العِزّ جُملةً منها فراجِعْهَا إن شِئت. وإخراجُ العملِ من الإيمان هو قولُ المرجِئة وليس الخلافُ بينهم وبين

أهل السُّنَّة فيه لَفْظِيًّا بل هو لَفْظِيٌّ وَمَعْنَوِيٌّ ويَتَرَتَّبُ عليه أحكامٌ كثيرةٌ يَعْلَمُهَا مَن تَدَبَّرَ كلامَ أَهْلِ السُّنَّة وَكلامَ المرجِئة واللهُ المستعان "]

نعم. التعليق الثاني:

[" وقَولُه: " والإيمانُ واحدٌ وأهلُه في أَصْلِهِ سَوَاء " هذا فيه نظر، بل هو باطلٌ؛ فلَيْسَ أهلُ الإيمانِ فيه سواء بل هُم مُتفاوِتون تفاوُتًا عظيمًا؛ فليس إيمانُ الرُّسُل كإيمانِ غيرِهِم، كما أنّه ليس إيمانُ الخُلَفاءِ الرَّاشِدِين وبقيَّةِ الصحابةِ رضي الله عنهم مثلَ إيمانِ غيرهم... وهكذا ليس إيمانُ المؤمنين كإيمانِ الفاسقين. وهذا التَّفاوُت بحسب ما في القلب من العلمِ بالله وأسمائه وصفاته وما شَرَعَهُ لعِبَادِه وهو قولُ أهل السُّنَّة والجماعة خِلافًا للمُرجِئَة ومن قالَ بقَوْلِهِم. والله المستعان "]

في الدرس الماضي مَرَّ مَعَنَا في قول الإمام الطَّحاوي: " ولا نُكَفِّرُ أحدًا من أهل القِبْلةِ بِذنبٍ ما لم يَسْتَحِلّه " فقط أُنَبِّهُ إلى أنَّه حصل في ضَبْطِ هذه الكلمة عَدَمُ دِقَّة؛ الصوابُ " يَسْتَحِلَّه " بتشديد اللام مفتوحة.. تشديد اللام مفتوحة " ما لم يَسْتَحِلَّه".

هذا وأسألُ اللهَ الكريم ربَّ العرش العظيم بأسمائه الحسنى وصفاته العليا أن ينفعنا جميعا بما علَّمنا وأن يزيدنا علمًا وأن يصلح لنا شأننا كلَّه وأن يغفرَ لنا ولوالدينا ولمشايخنا وللمسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات الأحياء منهم والأموات إنه تبارك وتعالى سميعٌ قريبٌ مجيب.

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

اللهم صلِّ وسلم على عبدك ورسولك نبيِّنا محمد وآله وصحبه.

الدرس السادس عشر

بسم الله الرحمن الرحيم

[الحمد لله ربِّ العالمين، والصّلاة والسلامُ على عبدِ الله ورسولِه نبيّنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد؛ فيقول الإمام أبو جعفر الطحاوي رحمه الله تعالى في ذِكرِ عقيدته قال: " وأهل الكبائر من أُمّة محمد صلى الله عليه وسلم في النار لا يُخَلَّدُون إذا ماتوا وهم مُوحِّدون وإن لم يكونوا تائبين بعد أن لقوا الله عارِفِين مُؤمنين، وهم في مَشِيئَتِهِ وَحُكْمِهِ؛ إن شاء غَفَرَ لَهُمْ وَعَفَا عَنهُمْ بِفَضْلِه كما ذَكَرَ عزَّ وجلَّ في كتابه: { وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ }، وإن شَاءَ عَذَّبَهُم في النار بِعَدْلِه ثُمَّ يُخْرِجُهُمْ مِنهَا بِرَحْمَتِه وشَفَاعَةِ الشَّافِعِينَ مِن أَهْلِ طَاعَتِه، ثُمَّ يَبْعَثُهُم إِلَى جَنَّتِه، وذَلِك بأنَّ اللهَ تعالَى مَوْلَى أَهْلِ مَعْرِفَتِه وَلَمْ يَجْعَلهُمْ فِي الدَّارَيْنِ كَأَهْلِ نكرته الذِين خَابُوا مِن هِدَايَتِه وَلَمْ يَنَالُوا مِن وِلَايَتِهِ.

اللَّهُمَّ يَا وَلِيَّ الإِسْلَامِ وَأَهْلِه ثَبِّتْنَا على الإِسْلَامِ حَتَّى نَلْقَاكَ بِه. "]

شرح الشيخ:

الحمدُ لله ربِّ العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبدُه ورسوله صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين.

أما بعد: في هذا الموضع يبيِّن الإمام الطحاوي رحمه الله تعالى العقيدةَ في أهل الكبائر، وفي ضِمنِ ذلك أيضًا يَرُدُّ على الخوارجِ والمعتزِلَةِ الذِّين يُخرِجون مرتكبَ الكبيرةِ من الإيمان ويَحْكُمُون عليه بأنَّه يومَ القِيامةِ مُخَلَّدٌ في النّيران.

والذُّنوبُ دَلَّت الدلائل من كتاب الله عزّ وجل وسُنّة نبيه عليه الصلاة والسلام أن منها كبائر ومنها صغائر؛ قد قال الله سبحانه وتعالى: { **إِن تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا** } وقال جلّ وعلا: { **الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ ۚ** } واللَّمَمُ: أي ما دون الكبائر من الذنوب وهي الصغائر، والشواهد والدلائل على ذلك في الكتاب والسُّنة كثيرة.

والكبيرة أمرُها خطيرٌ جِدًّا وصاحبُها بارتكابه للكبيرة مُعرِّضٌ نفسَه للعقوبة ومُعرِّضٌ نفسَه لِوَعيدِ الله سبحانه وتعالى وسَخَطِه، فالكبيرةُ أمرُهَا ليس بالهَيِّن، ولهذا جاء في النُّصوصِ التَّوعُدَ على فِعلِها بالعقوبة على تفاوتٍ بين الكبائر في عقوباتها؛ لأن الكبائرَ مُتَفَاوِتَةٌ في حَجمِها وعِظَم جُرمِها، ولهذا جاء في أحاديث ما يَدُلُّ على التَّفاوت بين الكبائر كقوله عليه الصلاة والسلام في حديث أبي بكرة: ((**أَلَا أُنَبِّئُكُم بأكبرِ الكَبَائِرِ** ؟))

قالوا: بلى يا رسول الله. قال: ((**الاشراكُ بالله وعقوقُ الوَالِدَين**)) وكان مُتَّكِئًا فجلس، قال: ((**أَلَا وَشَهَادَةُ الزُّور، ألا وَقَوْلُ الزُّور**))، والأحاديث في هذا المعنى كثيرةٌ، فالكبائر كُلُّها خطيرةٌ وهي مُتفاوِتَةٌ في جُرمها وعُقوبتها عند الله سبحانه وتعالى.

وأهل العلم اختلفوا في بيان حدِّ الكبيرة؛ فبعض أهل العلم اتّجه في بيان حدّها إلى ذكر العدد أخذًا من النُّصُوصِ التي وردت في الكبائر؛ فَبَعْضُهُم قال: الكبائرُ سبعٌ، وبعضهم قال: تِسعٌ، وبعضهم قال: سَبعون... ومنهم من اتَّجه إلى تعريفها في ضوءِ الضَّوابِط التي أو في ضوءِ النُّصوص التي يؤخذ منها ضوابط في معرفة الكبيرة، ولهذا أحسن ما عُرِّفَتْ به الكبيرة وهو قول جماعة عديدين من أهل العلم أنَّ: الكبيرة هي كُلُّ ما تُوُعِّدَ عليه بِحَدٍّ في الدُّنْيَا أو عُقُوبَةٍ في الآخِرَة بِالنَّار أو سَخَط الله عزَّ وجَلّ أو غَضَبِه أو لَعْنِه لِفَاعِلِ ذلك أو –أيضا– ما جاء عن النبِيّ عليه الصّلاة والسّلام من وَصْفٍ لِصاحبِ ذلك بأنَّه لَا يُؤمِن أو لَيْسَ منَّا؛ يَتبرَّأ منه عليه الصلاة والسلام، فكُلُّ ما كان من هذا القَبيل فهو من الكبائر، فأيُّ نَصٍّ في الكتاب والسُّنة جاء فيه ذِكر حَدٍّ مثل حدِّ الزِّنا { **وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا** } هذا فيه حدٌّ فهو كبيرةٌ، القتلُ فيه حدٌّ وهو كبيرة، الزنىٰ فيه حد فهو كبيرة... فَكُلُّ ما جاء فيه حَدٌّ في الدنيا فهو من كبائر الذنوب، وكل –أيضا– ما جاء فيه لعنٌ؛ لعنُ فاعِلِه، لا يكونُ اللَّعنُ إلَّا على كبيرة؛ مثل لعنه عليه الصلاة والسلام آكلَ الرِّبا وموكله وكاتبَه وشاهِدَيه، لَعَنَ في الخمر عشرة، لعن النَّامصة والمتنمّصة... إلى غير ذلكم من الأحاديث التي فيها اللَّعن، فاللَّعن لا يكون إلا في كبيرة. كذلكم ما يأتي في النصوص فيه ذِكر غضب الله عزَّ وجلَّ وسخطه سبحانه وتعالى على فاعل ذلك فهذا أيضًا لا يكونُ إلا في الكبائر، أو التهديدُ على فعل ذلك بالنار أو عدم دخول الجنة؛ مثلا قوله عليه الصلاة والسلام: ((**لا يدخل الجَنَّة قاطِعٌ**))، قوله: ((**لا يدخل الجنة نَمَّام**))... ونحوِ هذه الأحاديث، لا يُهَدَّدُ بعدم دخول الجنة ولا يُهدَّد أيضا بدخولِ النار إلا في كبيرة من الكبائر.. إلا في كبيرة من الكبائر. كذلكم الأحاديث التي فيها نفيُ الإيمان؛ مثل قوله عليه الصلاة والسلام: ((**لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن، ولا يشرب الخمرَ حين يشربها وهو مؤمن**)) نفيُ الإيمان يدلُّ على أن هذه الأعمال من الكبائر؛ من كبائرِ الذُّنُوب. كذلكم ما تبرَّأ النبيُّ عليه الصلاة والسّلام من صاحبه أو فاعِلِه؛ مثل قوله عليه الصلاة والسلام: ((**ليس مِنَّا من لَطَمَ الخُدُودَ وشَقَّ الجُيُوبَ ودَعَا بِدعوى الجاهلِيَّة**)) وكذلكم قوله عليه الصلاة والسلام: ((**مَن غَشَّنَا فَلَيسَ مِنَّا**))، فالذي يقول فيه عليه الصلاة والسلام " ليس منا " أو يقول فيه " لا يؤمن " أو نحو ذلك هذا كُلُّه من الدَّلائل على أنّه مُرتكبٌ لكبيرةٍ.

فإذن؛ هذا حدُّ الكبيرة.. هذا حَدُّ الكبيرة، فما هي الصغيرة ؟

قال أهل العلم: " الصَّغيرةُ ما دُونَ الحَدَّيْن " يعني حَدُّ الدنيا وحَدّ الآخرة؛ ما كان دون ذلك.. ما كان دون ذلك من الذنوب فإنه يُعدُّ صغيرة، والعبدُ إذا وفَّقَه الله عزّ وجلّ لاجتناب الكبائر كُفرت حسناتُه وأيضا كَفَّرَ تَجَنُّبُه للكبائر اللَّممَ والصغائرَ التي يقع فيها أو لا يَسلَم منها كما مرَّ معنا في الآية الكريمة **{ إِن تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ }**، وفي صحيح مسلم عن نبيّنا عليه الصلاة والسلام قال: **((الصَّلَوَاتُ الخمس والجُمُعة إلى الجُمُعَةِ ورَمَضَانُ إلى رَمَضَان مُكفّراتٌ لما بينَهُنّ ما اجتُنِبَت الكبائرُ))** **((ما اجتنبت الكبائر))**؛ الكبيرة لا بدّ فيها من توبة وإلا صاحبُها مُعرَّضٌ لعقوبة الله، لا بُدَّ في الكبيرةِ من توبة؛ التوبة النصوح، وإلا صاحبُها مُعرضٌ للوعيد وعقوبةِ الله سبحانه وتعالى، مُخاطرٌ. ولا بُدّ أن تكون التوبةُ منها توبةً نَصُوحًا **{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا }** والنَّصُوحُ – التّوبةُ النّصوح – هي التي يندم فيها العبدُ على الذّنب الذي فَعَلَه وارتكَبَه ويُقلِعَ عنه تمامًا ويَعزِمَ عزمًا أكيدًا ألا يَعودَ فيه، فإذا اجتمعت في التوبة هذهِ الشروط؛ الندم والعزم على عدم العودة والإقلاعُ عن الذنب تمامًا تكون بذلك توبتُه نَصُوحَة، وهي ماحيةٌ للذنب الذي ارتكبه لأن التوبة تجُبُّ ما قبلها، فإذا تابَ توبةً نصوحةً صَادِقًا فيها مع الله تبارك وتعالى تَجُبُّ ما قبلَها.

البحث بعد هذه المقدمة البحثُ في الرَّجل الذي هو مرتكبٌ لكبيرة ومات مُصِرًّا عليها؛ مات ولم يتب منها؛ لقِيَ الله سبحانه وتعالى بكبائره، أما الشخص الذي ارتكب كبائر وتاب منها صادقًا مع الله سبحانه وتعالى باتِّفاق أهل الإسلام إن الله يتوب عليه، باتّفاق أهل الإسلام إن الله سبحانه وتعالى يتوب عليه، وقد قال الله سبحانه وتعالى في سورة الزمر **{ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ }** قال قبل كلمة { **إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ** } قال: { **لَا تَقْنَطُوا** } أي: توبوا إلى الله.. توبوا إلى الله، فمن تَابَ تَابَ اللهُ عليه وغَفَر له سبحانه وتعالى ذنبَه مهما كان الذنبُ ومهما بَلَغ الجُرم، وانظر في أُمَّهات الذنوب وكبائر الآثام في قوله سبحانه وتعالى **{ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ }** هذه أُمَّهات الذُّنوب وعَظائِمُ الجرائم **{ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ۝ يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا ۝ إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا }** فالذي يتوبُ من الذَّنب يتوبُ الله سبحانه وتعالى عليه، لكن –كما قدّمتُ– البحثُ هنا في رجلٍ ارتكب الكبائر وبَقِيَ عليها وأَصَرَّ على فِعلها ودَاوَم على هذه الكبائر إلى أن مات وهو يُمارِسُ تلك الكبائر ولم يَتُبْ منها ومات على كبائره، ما حكمه ؟

قال رحمه الله: " وأهل الكبائر من أُمّة محمد صلى الله عليه وسلم في النار لا يخلُدُون إذا ماتوا وهم مُوحِّدون " " إذا ماتوا وهم مُوحِّدون " قول: " إذا ماتوا " قَيْدٌ فيه التنبيهُ على ما ذكرتُ سابقًا وهو أن البحثَ هنا في هذه المسألة في حقِّ من مات على ذلك؛ من مات على كبائره، مات على آثامه العظيمة، لقي الله سبحانه وتعالى، فما حكم من كان كذلك ؟ قال: " وأهل الكبائر من أُمّة محمد صلى الله عليه وسلم" قوله: " من أُمَّة محمد صلى الله عليه وسلم " نَبَّهَ ابن أبي العزّ رحمه الله شارحُ العقيدة الطحاوية أنها ليست موجودة –هذه اللفظة– في بعض النُّسخ والأولى عدمُ إثباتِها.. والأَوْلَى عدمُ إثباتِها لأن الحُكمَ ليس مُختصًّا بِأمَّةِ محمد عليه الصلاة والسلام بل يتناول جميع أهل الكبائر في جميع الأُمَم.. في جميع أمم الأنبياء، فإثباتُها يُوهِم أن الحُكم المذكورَ هنا مُخْتَصٌّ بأُمَّةِ محمد عليه الصلاة والسلام وهذا لا دليلَ عليه، بل الأدلَّةُ التي جاءت في هذا الباب تُفيد أن الأمرَ عامٌّ وشاملٌ وليس مُختَصًّا بأُمّة محمد عليه الصلاة والسلام؛ مثلا قوله: ((**يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه أدْنَى مِثقالِ ذرَّةٍ من إيمان**)) هل قَيَّدَ بأمة محمد عليه الصلاة والسلام ؟ وكذلك نظائره من الأحاديث والنّصوص التي جاءت في هذا الباب شاملة تتناول الجميع من أهل........ سواء من أُمَّة محمد عليه الصلاة والسلام أو من الأمم؛ من أمم النبيين قبلَه صلى الله عليه وسلم.

قال: " وأهلُ الكبائر من أُمَّة محمد صلى الله عليه وسلم في النار لا يخلدون " قوله " في النار " ليست خبرًا لقوله " وأهلُ الكبائر " لأنها لو كانت خبرا لقوله " أهل الكبائر " لكان في ذلك جزمٌ بأنَّهم يَدخُلُون النار، والأمرُ فِي أهلِ الكبائر كما سيُبيِّن رحمه الله تعالى أنَّهُم تحتَ المِشِيئة.. أنَّهُم تحتَ المِشِيئة، فقوله " في النَّارِ " مُتَعَلِّقٌ بقوله " لا يَخْلُدُونَ " الجار والمجرور في قوله " في النار " مُتعلِّقٌ بقوله " لا يخلُدُون " لكن مراعاةً لِلسَّجْع.. مراعاةً للسَّجع قَدَّمَ الجَارَّ والمجرُور، وإلا أصلُ الجُملة " وأهلُ الكبائر لا يخلُدون في النار إذا ماتوا وهم مُوَحِّدُون " هذا أَصلُ الجُملة، وأَهْلُ الكبائر لا يخلُدون في النّار إذا ماتوا وهُم مُوحِّدون، هذا أصلُ الجُملة، لكن مراعاةً للسَّجع قَدَّم الجارَّ والمجرور، فأصبحت الجملة: " وأهل الكبائر في النار " لا يخلُدون.

قوله: " وأهلُ الكبائرِ في النار لا يخلُدُون إذا ماتوا وهم موحدون " هذا قَيْدٌ؛ قيدٌ في هذا الباب أن يكون مَاتُوا على ذلك، أما من مات وقد تَابَ من كبيرَتِه يتوبُ الله عليه ولا يتناوَلُه هذا الحُكم، وأيضًا أن يكون من الموحّدين، أمَّا إن كان من غير الموحِّدين ويرتكب مع شركه الكبائر فهو مُخلَّدٌ في النار أبَدَ الآبَادِ لِشِرْكِه وكُفْرِه بالله سبحانه وتعالى.

إذن؛ الحُكم الذي يُقَرَّرُ هنا في هذا الموضع يتعلق بأهل الكبائر من أهلِ التوحيد الذين ماتوا على الكبائر.. ماتوا على الكبائر.

قال: " وأهل الكبائر من أُمّة محمد صلى الله عليه وسلم في النار لا يخلُدُون إذا ماتوا وهم مُوحِّدون وإن لم يكونوا تائبين بعد أن لقوا الله عارِفِين " " وإن لم يكونوا تائبين بعد أن لقوا الله عارِفِين " قولُه: " بعد أن لقوا الله عارِفِين " أراد كما يُشعِر بذلك سياقُ الكلام؛ العارفين بالله المعرِفةَ التي تستلزم الهدايةَ والتَّوحيد، وهذا يَدُلُّ عليه السِّياقُ لا أَنَّه أَرَادَ مُجَرَّدَ المعِرفة لهذا العبارة التي انتقدها أهل العلم.. انتقد أهل العلم هذه العبارة لما فيها من إيهامٍ وإجمالٍ، وممن انتقد هذهِ العبارةَ الإمامُ ابنُ أبي العزِّ الحنفي رحمه الله في شرحِه للعقيدةِ الطَّحاوية حيث قال: " ولو قال مؤمنين... " هذا يفيدنا أن –يعني – ما وُجد في بعض النُّسخ من إضافةِ " مؤمنين " لَيْسَت موجودةً في الأصل؛ موجودةٌ في بعض النسخ بإضافة " عارفين "، مؤمنين هذهِ ليست موجودةً في الأصل وإنما هي –والله تعالى أعلم– من زيادة بعضِ الطَّبَّاعين للكتاب، فيقول ابن أبي العزّ: " لو قال مؤمنين بَدَلَ قولِه عَارِفِينَ كَانَ أَوْلَى لأنّ من عَرَفَ الله ولم يُؤمِنْ به فهو كافر، وإنما اكتفى بالمعرفة... " يعني المؤلف الطحاوي " وإنما اكتفى بالمعرفة وَحْدَها الجَهْمُ " " وإنما اكتفى بالمعرفة وحدَها الجَهْمُ، وهو قولٌ مردودٌ باطلٌ " " وإنما اكتفى بالمعرفة وحدها الجهم وهو قول مردود باطل " ثم قال: " وكأنَّ الشيخ أرادَ المعرفةَ الكاملةَ المستلزِمَةَ للاهتِدَاء، فيُحمَلُ كلامُه على هذا المعنى " أما إن أُريد به مُجَرَّد المعرفة أو مُطلق المعرفة فهذا عقيدةُ الجَهميَّة، ولا يريدُ المصنِّف رحمه الله تعالى ذلك.

قال: " وهم في مشيئته وحُكمه " " وهُم في مشيئته وحُكمه " يعني مرتكبُ الكبيرة الذي يلقى الله سبحانه وتعالى على كبيرته حُكْمُه يومَ القيامة إذا لقيَ الله ولم يَتُبْ من الكبائر، حُكْمُه يومَ القيامة أنه تحت مشيئة الله؛ ما معنى تحت مشيئة الله؟ أي إن شاء اللهُ عَذَّبه وإن شاء غَفَرَ له، وإن عَذَّبَه لا يَخلُد في النار، ما الدليل؟

قال رحمه الله: " وهم في مَشِيئَتِهِ وَحُكْمِهِ؛ إن شاء غَفَرَ لَهُمْ وَعَفَا عَنهُمْ بِفَضْلِه كما ذَكَرَ عزَّ وجلَّ في كتابه: {وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ }، وإن شَاءَ عَذَّبَهُم في النار بِعَدْلِه ثُمَّ يُخْرِجُهُمْ مِنهَا بِرَحْمَتِه وشَفَاعَةِ الشَّافِعِينَ مِن أَهْلِ طَاعَتِه " إذن؛ هذا حُكمُ مُرتَكِب الكبيرة الذي يلقى اللهَ سبحانه وتعالى يومَ القيامة بكبيرته؛ إنه تحت مشيئة الله، من أين أخذ هذا الحكم ؟ من قول الله عزّ وجلّ في موضعين من سورة النساء: **{ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ }** فَصَلَ بين الشّرك وبقية الذنوب، الشّرك جَعَلَ لصاحبه هذا الوعيد؛ أنه إن مات على الشّرك لا يَغفرُ اللهُ له، ولا مَطْمعَ لَه في مغفرة الله، بل ليس له يوم القيامة إلا النار خالدًا مُخَلَّدًا فيها أَبَدَ الآبَادِ **{وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ } { وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ } { وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ ۝ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ ۚ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ ۖ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ }**، والآياتُ في هذا المعنى كثيرةٌ؛ فأهل الشرك والكفر بالله إذا ماتوا على شركهم وكفرهم بالله ليس لهم يومَ القيامة إلا النارُ خالدين فيها مُخلَّدِين أَبَدَ الآباد، لَا مَطْمَعَ

لَهُم في رحمة الله ولا في مَغفِرَته، ولا نجاةَ لهم من عقابه وعذابه وسخطه سبحانه وتعالى **{ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا }** بينما من كان ذنبُه دُون الكفر والشِّرك؛ قال الله عز وجل **{ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ }** **{ مَا دُونَ ذَٰلِكَ }** الإشارةُ إلى الشِّرك والكُفر بالله **{ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ }** أي من كان ذَنبه دون الشرك.. من كان ذنبُه دون الشرك فإنه تحت مشيئة الله. وما المرادُ بِمَن ذنبُه دون الشرك ؟ هل هو ذاك الشخص الذي تاب من ذنبه ولقيَ الله تائبًا ؟ أو المرادُ من لقيَ الله على ذنبه مُصِرًّا عليه ؟ الثاني أو الأول ؟ – الثاني. أمَّا الأوّل الذي تاب من ذنبه تاب الله عليه، الذي تاب من ذنبه تاب الله عليه كما في آية الزمر: **{ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ }** أي في حقِّ من تاب، ولهذا ينبغي أن يُنتبَه:

- آيةُ الزُّمر **{إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا }** أي بما فيها الشرك هذا في حقِّ من تاب.
- أمّا آية النساء **{ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ }** هذا في حقِّ من مات على ذلك.. هذا في حق من مات على ذلك؛ الذي مات على الشّرك أو مات على الكبيرة، إن كان قد مات على الشّرك فهو في النار مُخَلَّدًا فيها أبد الآباد، وإن كان ماتَ على الكبيرة لم يَتُبْ منها فهو تَحْتَ المشيئة **{ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ }**.

المصنف رحمه الله وَضَّحَ معنى قوله **{ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ }**؛ قال: " إن شاء غفر لهم وعفا عنهم بفضله " هذا معنى قوله: **{ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ }** " إن شاء غَفَرَ لَهُم وعَفَا عَنهُم بِفَضلِه، وإن شاء عَذَّبَهُم في النَّار بِعَدْلِه " " إن شاء عذبهم في النار بعدله " **{ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ }** أي منهم من يغفر له ومنهم من يُعذِّبُه، لكن من يعذِّبُه لا يَخلُد في النار، لماذا ؟ لأنه دلت الدّلائل ووردت الشواهد الكثيرةُ على أن مرتكبَ الكبيرة التي هي دون الشِّرك والكفرِ بالله لا يخلُدُ في النار، ولا يخلُدُ في النَّار إلا المشرِك، أما أهلُ الكبائر مِن عُصَاةِ الموحّدين الذين في قلوبهم إيمانٌ وتوحيدٌ لله سبحانه وتعالى فهؤلاء يخرجون من النار كما جاء في الحديث: ((**أَخرِجوا من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه أدنى مثقالُ ذَرَّةٍ من إيمانٍ**))، وقد جاء في الصحيح ذِكر صفةِ خروجِ أهل الكبائر من النار؛ جاء في الصحيح ذِكرُ صفةِ خروجِ أهل الكبائر من النار مثلما جاء في صحيح مسلم من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((**أمّا أهلُ النّار الذين هم أهلُها لا يموتون فيها ولا يحيَوْن، أمّا أهل النار الذين هم أهلها لا يموتون فيها ولا يحيَوْن**)) أي يخلدون فيها أبد الآباد.. الكفار المشركون أهل النار الذين هم أهلها يخلدون فيها أبد الآباد قال: ((**ولكن..**)) يقول عليه الصلاة والسلام: ((**ولكن ناسٌ أصابَتْهُم النارُ بذنوبِهم**)) يعني الذنوب التي دون الشرك والكفر بالله ((**ولكن ناسٌ أصابتهم النار بذنوبهم فأماتتهم إماتة**

حتى إذا كانوا فَحْمًا...)) يدخلون النار ويبقَوْن فيها مُدّة، وبقاؤُهم فيها أيضًا مُتفاوِتٌ لأن خُرُوجَهُم منها على دُفُعات حسبَ الكبائر التي ارتكبوها؛ لا يخرجون دُفعةً واحدةً وإنما يخرجون على فترات بحسب الكبائر التي ارتكبوها والذنوبِ التي اقترفوها؛ فيقول عليه الصلاة والسلام: ((**فأماتتهم إماتةً، حتى إذا كانوا فَحْمًا**...)) تُمِيتُهُم النارُ إماتةً حتى إذا كانوا فحما.. الفَحْمُ ما هو ؟ الجمْرُ الطَّافي.. الجمرُ عندما تُطفَأُ النار التي فيه ويصبحُ فحمًا أسودا، فهم يصبحون بهذه الصفة ((**حتى إذا كانوا فحمًا أُذِنَ بالشَّفاعة**)) ((**أُذِنَ بالشفاعة**)) أي أَذِنَ عزَّ وجلَّ لأنبيائِه وملائكتِه وأوليائِه بأن يشفعوا، ولا يمكن أحدا يشفع إلا بإذن الله { **مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ** }، وأيضا لا يُشفَع للكفار { **وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ** } ولا تنفَعُ الكافرَ شفاعةُ الشَّافِعِين { **فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِين** } فيشفعُ الأنبياء، ونبيُّنا عليه الصلاة والسلام له الحظُّ الأوفَرُ والنَّصِيبُ الأوفرُ من هذه الشفاعة وغيرها من الشفاعات، بل اختُصَّ ببعض الشفاعات لا يشاركه فيها غيرُه عليه الصلاة والسلام؛ فيقول عليه الصلاة والسلام: ((**أُذِنَ بالشَّفاعة، فجيء بِهِم ضَبَائِرَ ضَبَائِرَ**)) يُجَاءُ بهؤلاء الذين في النّار، الذِين من أهل الكبائر، من عُصاةِ الموَحّدين ضبائرَ ضبائرَ، ما معنى ضبائر ضبائر ؟ أي جماعاتٍ جماعاتٍ؛ دُفعاتٍ دُفعاتٍ. لماذا دُفعاتٍ دُفعاتٍ ؟ لماذا لم يَخرُجْ كُلُّهم دفعةً واحدةً ؟ الجواب معروف. لماذا لم يخرجوا كلهم دفعة واحدة من النار ؟ – لأن الكبائر التي ارتَكَبُوها مُتفاوتةٌ؛ ليسوا في الكبائر على قدْرٍ واحدٍ؛ فلا يخرجون دفعةً واحدةً؛ يخرجون على قَدْرِ الكبائر؛ الأقَلُّ كبائرَ يَخرُجُ أوَّلًا ثُمّ الأكثرُ منه ثُمّ الأكثرُ وهكذا... فيكونُ خروجُهم كما وَصَفَ عليه الصلاة والسلام ((**ضبائرَ ضبائرَ**)) أي دُفعاتٍ دُفعاتٍ ((**فبُثُّوا في أنهار الجنة**)) والحديثُ في صحيحِ مسلم كما قَدَّمتُ ((**فَبُثُّوا في أنهار الجنة**)) أي هؤلاء، قطع الفحم، هذه القطع المتفحِّمة يؤتى بها فتُبَثُّ في أنهار الجنة؛ تُلقَى في أنهار الجنة ((**ثم قيل: يا أهل الجنة أفيضوا عليهم. فينبُتون نباتَ الحِبَّةِ تكون في حميلِ السَّيْلِ**)) ينبتون في أطرافِ أنهارِ الجنة كما تنبُت الحِبَّة في حميل السيل؛ السيل إذا جاء في الوادي.. السيل إذا جاء في الوادي وطَفَح السيلُ بالوادي عادةً الوادِي يكونُ فيه بذورُ حُبوبٍ فإذا جاء السيلُ يحمِلُها.. إذا جاء السيل في الوادي يحمِلُها ويُلقيها على جَنَبَتَيْ الوادي فتنبُت وتحيى هذه الحبوب بِماءِ السَّيل على طَرَفِ السَّيْل من هنا وهنا، تنبت بمائِه وتحيى بمائه؛ قال عليه الصلاة والسلام: ((**فينبتون كما تنبت الحِبّة في حميلِ السَّيل**)) يُلْقَوْنَ في النّار فيَحْيَون بمائِه كما تحيى وتنبُت الحِبَّة في حميل السيل؛ الحِبَّةُ بِكَسر الحاء وهى البذور التي تكون في الصحراء، واحِدَتُها: حبة، فتحيى بمائه.. تحيى بماءِ السَّيْل، هؤلاء يَحْيَون بماء السَّيل كما تحيى هذه الحبة.. يَحيَون بنهر الفِردوس كما يحيى هذا الحبوب بماء السيل فيحيون بمائه؛ يقول عليه الصلاة والسلام: ((**فينبتون نباتَ الحبَّة تكونُ في حَمِيلِ السَّيْل**)) ((**في حميل السيل**)) وجاء في بعض الأحاديث ((**ألا تَرَوْنَ تخرُج صَفراءَ مُلْتَوِية**)) يعني هؤلاء يبدأ تَدخُلُهم

الحياة والنَّماء فيحيون بماء السيل مثل الحبة التي تنبت.. يحيون بماء نهر الجنة مثل الحبة التي تنبت في حميل السيل.

أحد الصحابة لما سمع النبي يُمَثِّل بهذا المثال قال: " سبحان الله كأن النبي صلى الله عليه وسلم عاش في البادية " قال كأن النبي عليه الصلاة والسلام عاش في البادية لأن هذه معلومةٌ لا يعلَمُها إلا أهلُ البوادي، أما أصحابُ الحاضِرَة لا يعرفونها، إذا جاء ورأى النباتات التي على جنبتي الوادي ما يدري من أين جاءت هذه البذور، لا يدري.. يرى الوادي أخضر على وادي السيل يرى على جنبتيه خضار.. من أين جاءت هذه البذور ؟ - لا يدري. لكن أصحابُ البوادي يعرفون إذا جاء السَّيلُ يطفح.. إذا جاء السَّيل يطفَحُ يحملُ بذورًا خفيفةً على مَتْنِه؛ وهو يمشي يُلقِيهَا على جنبتيه فتحيي بمائه، فشأن أهلِ الكبائر في حياتهم في نهر الفردوس مثل هذا الأمر، وكان من هديه عليه الصلاة والسلام ضرب الأمثال.. ضرب الأمثال، لأن الأمثال تجعلُ المعاني بمثابةِ الحقائقِ المشهودةِ التي يراها المرء ويُبصرها بِعَينِه، وهذا من كمال نُصحِهِ صلواتُ الله وسلامه عليه.

وهذا المعنى نظمه ابن أبي حاتم في حائيَّتِه الشهيرة في السُّنّة حيث قال:

وَقُلْ يُخرجُ اللهُ العظيمُ بِفَضْلِهِ مِنَ النَّارِ أَجْسَادًا مِنَ الفَحْمِ تُطْرَحُ

عَلَى النَّهْرِ فِي الفِرْدَوْسِ تَحْيَى بِمَائِهِ كَحَبِّ حَمِيلِ السَّيْلِ إِذْ جَاءَ يَطْفَحُ

"كَحَبِّ حَمِيلِ السَّيْلِ إِذْ جَاءَ يَطْفَحُ " أي يطفح على متن السيل؛ الحبوب التي يحملها السيل على متنه.

ثم قال المصنف: " ثُمَّ يُخْرِجُهُمْ مِنهَا بِرَحْمَتِه وشَفَاعَةِ الشَّافِعِينَ مِن أَهْلِ طَاعَتِه " قولُه: " من أهْلِ طَاعَتِه " فيه تنبيهٌ إلى أنّه لا يكون أهلاً للشَّفَاعة إلا من كان من أهلِ الطَّاعة، أمَّا إذا كان من أهل الإضاعة لا يكونُ شفيعًا يومَ القيامة؛ أرأيتم لو أنّ شخصاً في الحياة الدُّنيا مؤذيًا للنّاس لم يسلموا من أذاه من جهتين؛ من جهة السبِّ والشتم واللّعن والطعن وغير ذلك ومن جهة أيضا الانتقاص والازدراء بالنَّاس والولوغ فى أعراضهم... وغير ذلك، هل شخصٌ بهذه الصِّفة في الدُّنيا ما سلموا منه الناس لعنًا وسبًّا وطعنا ووقيعةً هل هذا مؤهَّل أن يكونَ شفيعًا لهم يوم القيامة ؟ في الدنيا ما سَلِمُوا منه؛ هل مؤهَّلٌ أن يكون شفيعًا لهم يومَ القيامة ؟ ولهذا قال عليه الصلاة والسلام في ما صَحَّ عنه في الحديث؛ قال: ((**إنَّ الطَّعَّانين واللَّعَّانين لا يكونون شهداءَ وشفعاءَ يوم القيامة**)) الطَّعَّانُ اللَّعَّان: الذي في الدُّنيا يطعَنُ ويَلْعَنُ، النَّاسُ ما سَلِموا في الدُّنيا منه، هل يأتي يومَ القيامة ويكون أهلاً يشفعُ لهم عند الله ؟ هو في الدنيا آذاهم بِطَعنِه ولَعنِه، فمثله ليس مُؤهَّلاً، ولهذا الشَّفَعَةُ يومَ القيامة هم أهل الطَّاعة الذين في الدنيا يرفقون بالناس، يرحَمُونَهم، يُحسِنون إليهم، يعملون على إصلاحِ

حالِهِم، يعملون على تقريبِهم لعبادة ربِّهم، يدعُون لهم في الدُّنيا أن يَهدِيَهُم الله، أن يُصلِحَهُم، أن يَغفِرَ لهم... الذي يكون بهذه الصِّفة أهلٌ أن يكون إن شاء الله يومَ القيامة شَفِيعًا وشهيدًا يومَ القيامة، ولهذا ذكر رحمه الله تعالى هذا القيدَ.

قال: " وشَفَاعَةِ الشَّافِعِينَ مِن أَهْلِ طَاعَتِه، ثُمَّ يَبْعَثُهُم إِلَى جَنَّتِه " " ثُمَّ يَبْعَثُهُم إِلَى جَنَّتِه " ومَرَّ مَعَنا في حديث أبي سعيدٍ المخَرَّجِ في مسلم أنهم يُبعثون للجنَّة ويُلقوْن في نهر الفردوس فيحيَوْنَ بِمائِه.

قال: " وذَلِك أنَّ اللهَ تعالَى مَوْلَى أَهْلِ مَعْرِفَتِه " " مَوْلَى أَهْلِ مَعْرِفَتِه " أي يتولَّاهُم.. يَتولَّاهُم سبحانه وتعالى، وقول " أَهْلِ مَعْرِفَتِه " القول فيها كما سبق لأن كلمة أهل المعرفة هذه الكلمة موهِمَةٌ، هذي الكلمة مُوهِمة، ويُحمَل كلامُ المصنِّف على أنّه أراد المعرفة المستلزِمة للهداية، للتوحيد، للإيمان، أما إذا كان المراد بالمعرفة مُجرَّدَ المعرفة فحتى إبليسُ يعرفُ الله معرِفةً مُجرَّدة { **قَالَ فَبِعِزَّتِكَ** }؛ يعرفُ الله لكنه ما يعبدُ الله ولا يَتَّقي الله ولا يُطيعُ الله، فالمعرفةُ وحدَها ليست دين ولا إيمان ولا تُنجِّي من عذابِ الله سبحانه وتعالى، فالعبارة مُوهِمة؛ قوله ذلك بأن الله تعالى مَولَى أهلِ معرفته لو قال: " أهل الإيمان به أو أهل توحيده " لأصبحت العبارةُ سليمةً ولا إشكالَ فيها. وقد نَبَّهَ شُرَّاحُ الكتاب ومنهم الإمام ابن أبي العزّ رحمه الله تعالى على ما في هذه اللَّفظة من إشكال وأيضا ما في سابِقَتِها من إشكال، هذه الخلاصة ذكرها رحمه الله تعالى في عقيدة أهل السُّنة والجماعة في أهل الكبائر وهي عقيدةٌ مستقاةٌ من النصوص ومأخوذةٌ من الأدِلَّة، ومضى الإشارة إلى شيءٍ من الأدِلَّة، لكنَّ الخوارج ومن لفَّ لفَّهم وسارَ مسارَهُم عندما أخذوا بجانبٍ من النُّصوص وجَهِلوا جانباً كبيراً آخر من النصوص تَوَلَّدَ عندَهم عقيدةٌ آثمةٌ عظيمةٌ خطيرةٌ جَرَّتْ عَلَيهم وعلى غيرهم الويلات والنّكبات في قديم الزَّمان وحديثِه؛ فتَجِدُ الخوارجَ ومن هو على مَسْلَكِهم يأخذ جانباً من النصوص ثم يُعْمِلُه ويُهمِلُ غيرَه؛ مثلا قول الله سبحانه وتعالى: { **وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ**} { **رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ** } لهذه الآياتِ نظائرُ يَستَمسِك بها الخوارجُ ويحكُمون من خلالها حُكمًا عامّاً مُطلَقاً في حقِّ كلِّ من دَخَل في النار أنه... أكملوا... – لا يخرج منها، مُخَلَّدًا فيها أبد الآباد، لا يُفرِّقون بين المشركين وبين من كانوا من أهل التوحيد، لا يفرقون بين هؤلاء وهؤلاء، والآيات التي هم يستدلون بها هي تتعلق بالكُفَّار.. تتعلَّقُ بالكفّار { **وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ** } الآية تتعلق بالكفار، يُنزِلونها على عُصاةِ الموحِّدِين وبناءً على هذا الفهم السيّء والاستدلال المجتزِئِ ببعض النُّصوص وإيرادِها على غير مواردِها، وقعوا في تلك العقيدة الخبيثة الباطلة التي هي تكفيرُ أهل الكبائر من عُصاة الموحِّدين والحكمِ عليهم بأنهم يوم القيامة يخلدون في النار، لكن من يُوفَّق منهم ويُكرِمُه الله سبحانه وتعالى منهم بالالتقاء بأهل العلم والبصيرة ويعرضون عليه الأدلة ويُفهِمونَه ما غاب عنه من النُّصوص يَسْلَمْ بإذن الله تبارك وتعالى من مثل هذه العقيدة الباطلة.

ومن جميل ما يذكر في هذا المقام ما رواه مسلم في كتابه الصحيح عن يزيد الفقير رحمه الله؛ يزيد الفقير كان مع عصابة معه كما وصف هو ذلك؛ شَغَفَهُم رأيُ الخوارج، ما معنى شغفهم ؟ أي أُعجبوا به واعتقدوه، فيقول: "كنتُ مع عصابةٍ معي شغفنا رأيُ الخوارج، فخرجنا للحجّ وكُنَّا عازمين بعد الحج أن نخرج على النَّاس... " – أي بالسيف؛ عازمين على الخروج على الناس بالسيف بعد الحج – شغفهم أي علق بقلوبهم واعتقدوا رأيَ الخوارج؛ قال: فجئنا المدينةَ فإذا جابرُ بن عبد الله –الصحابي الجليل رضي الله عنه وأرضاه– على سارية من سواري هذا المسجد –مسجد النبي عليه الصلاة والسلام– يُحدِّث الناس فأخذوا يستمعون؛ يزيد الفقير ومن معه يستمعون إلى جابرٍ رضي الله عنه، فَذَكَرَ الجَهَنَّمِيِّين.. ذكر جابرُ الجهنّميّين. من هم الجهنميون ؟ مَرَّ معنا خبرٌ –قبل قليل– الذين يخرُجُون من جهنم ضبائر ضبائر دفعات دفعات، فذكر الجهنميين، يقول يزيد الفقير فقلت له: " يا صاحب رسول الله، ألم يقل الله: **{ وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ }** ؟ ألم يقل الله **{ إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ }** ؟ " قال: " فقال لي: تقرأُ القرآن ؟ قلت: نعم. قال: قرأتَ المقامَ المحمود ؟ **{ عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا}**. قلت: نعم. قال: ذلك مقامٌ يبعثُ الله فيه نبيَّه عليه الصلاة والسلام. وذَكَرَ الشَّفاعة "، وذكر له خروجَ هؤلاء من النّار بما سمعه رضي الله عنه من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يقول: " فقلنا: أترون هذا الرَّجُل يكذبُ على رسول الله ؟ " يعني صحابيٌّ من صحابة النبي عليه الصلاة والسلام، في مَدرَسَتِه نَشَأ وعنه تلقَّى ومنه أَخَذَ الدِّين، يقول: " فقلنا: أَتَرَوْن هذا يكذبُ على رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ " قال: " فَتُبْنَا من هذا القول أجمعين إلا رَجُلٌ واحدٌ مِنَّا "، وإلا جميعُ هذه العصابة – والخبر في صحيح مسلم –، فمِثل هؤلاء إذا وفَّقهم الله سبحانه وتعالى وتَيَسَّر لهم عالم؛ ابن عباس رضي الله عنه لما خرجت الخوارج وكانوا في حاروراء أرسله عليّ بن أبي طالب إليهم وناظرهم وناقشهم بالأدلة، وأورد لهم ما يجهلون من النصوص، فرجع منهم يُقالُ ألفٌ أو ألفين؛ رجع منهم أعدادٌ كبيرةٌ جِدًّا. السبب في فِكر الخوارج وعقيدتِهم القبيحة أنهم ينتزعون بعضَ النصوص ويبنون عليها الأحكام ويُهملون جانباً كبيرًا من النُّصوص يعطلونه و يهملونه ولا يعملون به، فنشأ من ذلكم هذه العقيدة الخبيثة التي هي تكفيرُ مرتكب الكبيرة والقولُ بأنه يومَ القيامة مخلَّدٌ في النار، ففارقوا الحقَّ في حقّ مرتكب الكبيرة في حُكمِه في الدُّنيا وعقوبتِه في الآخرة:

- أما في الدنيا: عندهم يعتقدون أنه كافرٌ.
- وأما يوم القيامة فيعتقدون أنه مخلَّدٌ في النّار، لأن عندهم من يدخلُ النار لا يخرج، ما الدليل ؟ – **{ وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ}** عندهم من يدخل النار لا يخرج من النار، ما الدليل ؟ قالوا **{ وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ }**. الآيةُ في الكُفَّار.. الآيةُ في الكفار، أما عُصاة الموحِّدين جاءت أدلّةٌ صريحةٌ

أنَّهم يخرُجون، وذُكرَت صفةُ خروجهم؛ الصفةُ التي يخرجون عليها ذُكرت مُفصَّلَةً في أحاديث صحيحةٍ عن النبي عليه الصلاة والسلام؛ في الصحيحين وغيرهما وَصَف النبي صلى الله عليه وسلم بدقّةٍ كيف يخرج أهل الكبائر من النار، أما الآية الكريمة **{ وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ }** فهذه تختصُّ بالكفّار المشركين الذين حُكمهم يومَ القيامة الخلودُ في النار أبد الآباد.

قال المصنف رحمه الله تعالى: " ولم يجعلهم في الدارين كأهل نَكِرَتِه الذين خابوا من هدايته ولم ينالوا من ولايته " أي لم يجعل الله سبحانه وتعالى عُصاة الموحدين في الحُكم مثل الكفار المشركين، لم يجعلهم سواءً، لم يجعل صاحبَ التوحيد الذي عنده توحيد وعنده إيمان مثل الكافر المشرك، والله عز وجل فرَّقَ بينهما في الآية التي مَرَّت معنا قريبا **{ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ ۚ }** فَصَلَ بينَهم وفرَّق بينهم؛ المشرك: قال لا يغفر الله له، والذي دون الشرك جَعَلَه تحت المشيئة، ولهذا يذكر أن أحد كُبَرَاء هؤلاء المبطلين كان في مجلسٍ من المجالس فيه عوامّ وأراد أن يُشكِّكَهُم في هذه العقيدة.. أراد أن يشككهم في هذه العقيدةِ الواضحةِ البيّنة، فقال لهم: إذا وقفتُ يوم القيامة أمام الله سأقولُ له إن مرتَكِبَ الكبيرةِ مُخَلَّدٌ في النّار. فإذا قال لي: ولماذا تقول ذلك ؟ أقول له: أنتَ قلتَ في القرآن: **{ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا }**. وكان في المجلس شابٌّ صغيرٌ قيل إنّه أصغَرُ من في المجلس فقال له: وإذا قال لك: وقد قلتُ في القرآن: **{ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ ۚ }** وقد شئتُ أنا لأغفرَ له. فماذا تقول ؟ الذي في قوله **{وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا }** وعيدٌ علىٰ كبيرةٍ، لكن هذا الوعيدُ الذي علىٰ كبيرةٍ جاء نَصٌّ آخر يُقيّده.. يُقيّدُ هذا الوعيدَ بالمشيئة **{ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ ۚ }**، ولهذا سبحان الله قولُه: **{وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا }** هذهِ في أي سورة ؟ – في سورة النساء، جاءت مسبوقةً وملحوقةً بسورة النساء بقوله: **{ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ ۚ }** ثُم يأتي صاحب الفِكر الخارجيّ أو الفِكر المعتزِليّ ويتطب علىٰ هذا الموضع من القرآن ويتجاوز ما قبله ويتجاوز ما بعدَه وينتزع ويستدِلُّ مُعرضًا عمَّا قبلَه في القرآن وما بعده، وإلا قولُه **{ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا }** مسبوقةٌ بقوله **{ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ ۚ }** وأيضاً بعدها تأتي **{ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ ۚ}** والقتلُ دون الشِّرك.. القتلُ دون الشِّرك، فهو تحت المشيئة وجميعُ الذُّنوب تحت المشيئة.. جميع الذُّنوب التي دون الشِّرك تحت المشيئة، ولهذا اللهُ جلَّ وعلا مثلما قال المصنِّفُ رحمه الله تعالى هنا لم يجعلهم في الدارين؛ يعني في الدُّنيا والآخرة كأهل نُكرَتِه؛ يعني أهلُ الشّرك والكُفر به الذين خابوا من هدايته ولم ينالوا من ولايته لم ينالوا من ولاية الله أما من كان مؤمناً موحداً له نصيبٌ من وِلاية الله بحسب حَظِّه من هذا الإيمان.. لهُ نَصِيبٌ.. له نصيبٌ من تولِّي الله له، أمَّا الكافرُ فليس له نصيب { اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا } { اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ۖ }، والنبيُّ عليه الصلاة

والسلام لما قال الكفارُ يومَ أُحُد: لنا العُزّى ولا عُزَّى لكم. قال لهم عليه الصلاة والسلام: ((أجيبوهم. قولوا: الله مَولانا ولا مَولَى لكم))، فالكافر لا مولى له وليس له نصيبٌ من ولاية الله، أما الموحِّد.. الموحِّدُ له حظُّه ونصيبُه من ولاية الله بحَسب توحيده، بحسب توحيده، وهذا مقامٌ يتفاوت فيه أهل التوحيد تفاوُتًا عظيمًا؛ أعني نَيْلُهم من هذا النصيب من وِلاية الله سبحانه وتعالى لهم.

ثم خَتَمَ بهذا الدُّعاء: " اللهم يا ولي الإسلام وأهله ثبتنا علىٰ الإسلام " هكذا في نسخة، وفي نسخة: " مَسِّكْنَا بالإِسْلَام حتى نَلْقَاكَ به "

قبل الكلام على هذه الدعوة، هل -شيخ عبد الرحمن- فيه تعليقات للشيخ عبد العزيز علىٰ الموضع ؟

ختم رحمه الله تعالى هذه الجملة بقوله: " اللهم يا وَلِيَّ الإسلام " " اللهم يا ولي الإسلام " مُتوسِّلاً إلى الله سبحانه وتعالى بأنه الولِيُّ. والوَلِيُّ اسمٌ من أسمائه جلّ وعلا، وهو يدلُّ على تَوَلِّيه لأهلِ الإسلامِ بحِفظه وتسديده وعونِه وتوفيقِه سبحانه وتعالى.

قال : " اللهم يا وليَّ الإسلام وأهلِه " أي أنت تتولَّى أهلَ الإسلام بالحِفظ وكذلك تتولَّى الإسلام نفسَهُ بالحِفظ، فاللهُ وليُّ الإسلام أي الحَافِظُ لهذا الدِّين، سبحانه وتعالى، وَوَلِيُّ أهلِ الإسلام أي الحافظُ لهم والمسدِّدُ والموفِّقُ والمعين وحدَه لا شريكَ له " مَسِّكْنَا بالإسلام " وفي نسخة: " ثبتنا علىٰ الإسلام " مسِّكْنا بالإسلام أي وفِّقنا للاستمساك به والمحافظة عليه ولزومِه، ولا يمكن للعبد أن يثبت على الإسلام ويُحافظ عليه وأن يستمسك به إلا إذا وفَّقه الله ومسَّكَهُ بالإسلام وثبَّتَه على الإسلام، ولهذا كان أكثرُ دعاءِ نبيِّنا عليه الصلاة والسلام: ((يا مقلِّبَ القُلُوبِ ثبِّت قلبي على دينك)) ((يا مُصَرِّفَ القلوب صَرِّف قلوبَنا علىٰ طاعَتِك))، ومن أدعية القرآن: ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا ﴾، ختم رحمه الله تعالى هذه الجملة بهذه الدعوة " اللهم يا ولي الإسلام وأهله ثبتنا علىٰ الإسلام حتى نلقاك " وفى بعض النسخ: " اللهم يا وليَّ الإسلامِ وأهلِه مَسِّكْنَا بالإسلامِ حتى نَلْقَاك " قوله " مَسِّكنا بالإسلام ": أي اجعلنا مستمسكين به محافظين عليه ملازمين له إلى أن تتوفَّانا و نحنُ على ذلك، وقوله في النُّسخة الأخرى " ثبِّتنا على الإسلام ": اكتُب لنا الثبات علىٰ الدِّين كما في الدُّعاء الذي مرَّ ((اللهم يا مُقلِّب القُلوب ثَبِّتْ قلوبَنا علىٰ دينِك)) " حتى نلقاك " أي غير مغيِّرين ولا مُبدِّلين، وهذه الدَّعوة " اللهم يا ولي الإسلام وأهله مَسِّكْنا بالإسلام حتى نلقاك " جاءت في حديثٍ يُرفَعُ إلى النبيّ عليه الصلاة والسلام من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول في دُعائِه: ((اللهم يا وليَّ الإسلام وأهله مسِّكْنَا بالإسلام حتَّى نلقاك به)) وجاء في بعض المصادر في رواية هذا الحديث ((اللهم يا وليَّ الإسلام وأهله ثبِّتنا على الإسلام حتى نلقاك به)) والألباني رحمه الله تعالى أورَدَ هذا الحديثَ في سلسلتِه الصَّحيحة.. أورد هذا الحديث في سِلسِلَتِه الصَّحيحة؛ كان سابقًا

في تعليقه على متن الطحاوية ضَعَّفَ الحديثَ ثُمَّ تبيَّن له لوُقُوفِهِ علىٰ أسانيد للحديث أدخله في سلسلة الأحاديث الصحيحة.

ونسأل الله الكريم ربَّ العرش العظيم أن يوفِّقنا جميعًا لما يحبُّه ويرضاه من سدِيدِ الأقوالِ وصالحِ الأعمال، وأن يُصلِح لنا شأنَنَا كلَّه وأن يهديَنا إليه صراطًا مستقيمًا وأن يمُنَّ علينا بالعلم النافع والعمل الصالح وأن يجعل ما نتعلَّمُه حُجَّةً لنا لا علينا.

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

اللهم صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

الدرس السابع عشر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين والصلاة و السلام على عبد الله ورسوله نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. أما بعد:

فيقول الإمام أبو جعفر الطحاوي – رحمه الله تعالى – في ذكر عقيدته :

وَنَرَى الصَّلاَةَ خَلْفَ كُلِّ بَرٍّ وَفَاجِرٍ مِنْ أَهْلِ القِبْلَةِ ، وَعَلَى مَنْ مَاتَ مِنْهُمْ.

وَلاَ نُنَزِّلُ أَحَدًا مِنْهُمْ جَنَّةً وَلاَ نَارًا، وَلاَ نَشْهَدُ عَلَيْهِمْ بِكُفْرٍ وَلاَ بِشِرْكٍ وَلاَ بِنِفَاقٍ مَا لَمْ يَظْهَرْ مِنْهُمْ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ، وَنَذَرُ سَرَائِرَهُمْ إِلَى اللهِ تَعَالَى .

وَلاَ نَرَى السَّيْفَ عَلَى أَحَدٍ مِنْ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلاَّ مَنْ وَجَبَ عَلَيْهِ السَّيْفُ.

وَلاَ نَرَى الخُرُوجَ عَلَى أَئِمَّتِنَا وَوُلاَةِ أَمُورِنَا وَإِنْ جَارُوا، وَلاَ نَدْعُو عَلَيْهِمْ، وَلاَ نَنْزِعُ يَدًا مِنْ طَاعَة، وَنَرَى طَاعَتَهُمْ مِنْ طَاعَةِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ فَرِيضَةً مَا لَمْ يَأْمُرُوا بِمَعْصِيَةٍ، وَنَدْعُو لَهُمْ بِالصَّلَاحِ وَالمُعَافَاةِ.

وَنَتْبَعُ السُّنَّةَ وَالجَمَاعَةَ ، وَنَجْتَنِبُ الشُّذُوذَ وَالخِلاَفَ وَالفُرْقَةَ.

وَنُحِبُّ أَهْلَ العَدْلِ وَالأَمَانَةِ وَنُبْغِضُ أَهْلَ الجَوْرِ وَالخِيَانَةِ.

وَنَقُولُ: اللهُ أَعْلَمُ فِيمَا اشْتَبَهَ عَلَيْنَا عِلْمُهُ.

وَنَرَى المَسْحَ عَلَى الخُفَّيْنِ فِي السَّفَرِ وَالحَضَرِ كَمَا جَاءَ فِي الأَثَرِ.

وَالحَجُّ وَالجِهَادُ مَاضِيَانِ مَعَ أُولِي الأَمْرِ مِنَ المُسْلِمِينَ بَرِّهِمْ وَفَاجِرِهِمْ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ لاَ يُبْطِلُهُمَا شَيْءٌ وَلاَ يَنْقُضُهُمَا.

****

الحمد لله رب العالمين وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين، أما بعد:

في هذا الموضع يتحدث الإمام الطحاوي – رحمه الله – عن جملة أدرجها أئمة السلف – رحمهم الله تعالى – في أبواب الإعتقاد وفي أمور العقيدة وأصول الديانة ؛ لأنها باتت أصولا مهمة يترتب عليها انتظام مصالح المسلمين في أديانهم وفي عباداتهم وفي عقائدهم وفي مصالحهم العامة.

ولاسيما أن هذه الأمور وُجدِت فيها مخالفات من أرباب البدع وأهل الضلال جرّت على الناس صنوفًا من الشر، وأبوابا من الفساد، وخللًا أيضا في جانب الإعتقاد، مما جعل أئمة السلف – رحمهم الله تعالى – يتواردون على ذكرها في كتب الإعتقاد.

ولهذا لا ترى في مصنفات السلف قديمها وحديثها المختصرة والمطولة في باب الإعتقاد إلا ويُدرج فيها هذا الأمر الذي ذكره – رحمه الله تعالى – سواء فيما يتعلق بمن وقع في مخالفة أو بدعة من أهل القبلة ، أو كذلكم فيما يتعلق بالموقف من ولي الأمر وطريقة التعامل معه وماله من حقوق ونحو ذلكم من أمور يأتي الإشارة أو الحديث عنها.

قال – رحمه الله تعالى – : ((**ونرى** :– أي نحن معاشر أهل السنة و الجماعة –**الصلاة خلف كل بر وفاجر**))

لأن الصلاة سواء الصلوات الخمس المكتوبات في اليوم و الليلة، أو صلاة الجمعة أو صلاة العيدين، هذه شعائر عامة للمسلمين، ومطلوب من أهل الإسلام أن تقوم هذه الشعائر، ولا تتعطل، ولا تُبطل في وقت من الأوقات، فلا يُعتبر مُسوَغاً للناس كون الوالي تاجراً أو كونه إمام فاسقاً أو نحو ذلك .. أن تُعطل هذه الشعائر العامة، ويصبح لا وجود لها في ديار الإسلام، فهذا ليس من دين الله، فإذن من العقيدة التي لا بد من المحافظة عليها: أن الصلاة ماضية وتُقام صلاة الجمعة والجماعة وصلاة العيدين ونحوها، تُقام خلف كل بر وفاجر إن كان براً فالأمر واضح، وإن كان فاجراً فجوره عليه وصلاته لنا وله، أما فجوره عليه، ولا يضر من صلى خلفه أو ائتم به لا يضره شيء من فجوره، لكن لا تُعطل ولا تُبطل هذه الشعائر العامة، ثم يصبح الناس في مجتمعاتهم لا يُصلون الجُمع ولا الجماعات ولا يشهدون العيدين، و يقولون أن تحت إمام جور أو الإمام فاسق أو نحو ذلك، ثم يتخذها الناس ذريعة لتُعطل هذه الشعائر العظيمة من شعائر الإسلام .

قال : ((ونرى الصلاة خلف كل بر وفاجر من أهل القبلة))

وهذا قيد لا بد منه من أهل القبلة أي مسلماً أما إذا تبين كفره، فالكافر لا تصح صلاته لنفسه فضلاً أن تصح إمامته لغيره، لكن مادام أنه من أهل القبلة مسلماً لم يكن منه ما ينتقل به من ملة الإسلام وحظيرة الدين فإنه يُصلى خلفه، حتى لو كان فاجراً، حتى لو كان ظالماً، حتى لو كان معتدياً، حتى لو كان يأكل

أموال الناس بالباطل ، يُصلى خلفه، يُسمع له، ويُطاع في حدود طاعة الله – سبحانه وتعالى – ما لم يأمر بمعصية.

أما إذا أمر بمعصية لله – سبحانه وتعالى – فلا سمع ولا طاعة، كما جاء في الحديث عن نبينا– عليه الصلاة والسلام – أنه قال: إنما الطاعة بالمعروف

قال : **((ونصلي خلف كل بر وفاجر من أهل القبلة))**

إذا كان أئمة السلف –رحمهم الله تعالى – يقررون هذا التقرير : أن الصلاة تكون خلف البر والفاجر،

البر :هو التقي المعروف بالاستقامة والديانة والمحافظة على طاعة الله

والفاجر: هو الفاجر الذي يُرى فجوره ويُرى فسقه، مثل أن يكون مثلاً يتعاطى الخمر أو مثلاً يكون يظلم الناس أو أشياء من هذا القبيل، يرى الناس فجوره

الصلاة ماضية خلف كل بر وفاجر

لا يقول قائل :هذا الإمام فاجر فلا أصلي خلفه؛ لأنه لو مضى التعامل بهذه الطريقة عُطلت الشعائر وأبطلت ، ولم يصبح لها في كثير من الديار وأماكن المسلمين لا يصبح لها وجود.

أقول: إذا كان أئمة السلف – رحمهم الله تعالى – قرروا ذلك في كتب الإعتقاد أن :الصلاة تكون خلف كل بر وفاجر..

فكيف الأمر بمن بينهم اختلاف مذهبي فقهي وكلٌ له استدلاله قد يكون هذا استدلاله أقوى أو ذاك أضعف فهؤلاء أيضاً؟

من باب أولى أن يصلي بعضهم خلف بعض

إذا كان الأئمة في كتب الإعتقاد يقولون : نصلي خلف كل بر وفاجر فكيف بالمؤمن الصالح التقي المستقيم لكن يختلف معه الآخر في مذهب هذا حنفي وهذا مالكي وهذا شافعي وهذا حنبلي؟

فالصلاة إذا كانت خلف كل بر وفاجر، فكيف إذن الأمر بأهل الصلاح ممن هم على مذهب مخالف لمذهب الإنسان أو مذهب مغاير لمذهبه؟

بل أهل العلم رحمهم الله تعالى نصوا على أعظم من ذلك

لو كان من يخالفك في المذهب صلى بك إماما فيما ترى أنت أنّ الصلاة لا تصح به مثل: أن يصلي وقد أكل من لحم الجزور وهو يعتقد أنه ليس بناقض وأنت مذهبك ولك أدلتك أنّ أكل لحم الجزور ناقض ترى في نفسك أنك لو صليت وقد أكلت لحم الجزور أنّ صلاتك لا تصح باطلة لأنّه عندك ناقض.

إذا أَمَّك شخص و رأيته يأكل لحم الجزور وقام ولم يتوضأ وهو يرى صحة الصلاة وأنه ليس بناقض تصلي خلفه ، والجماعة خير والفرقة شر . فإذا كان أئمة العلم والفضل نصوا على ذلك فكيف بالأمور التي هي دون ذلك .

ولهذا ينبغي على المسلم أينما كان أن

- يحرص حرصا شديدا على اجتماع الكلمة وائتلاف القلوب
- وإقامة شعائر الإسلام والمحافظة عليها وعدم الإخلال بها
- وأيضا أن يُعنى بجانب النصيحة "الدين نصيحة " بالرفق؛ لأن هذا المسجد وهذا الإمام هو جزء منك ، وأنتم تمثلون أمة الإسلام، فإذا كان بمجرد ما ترى عليه مخالفة هجرت مسجده، وتركت جماعته، ولم تكن هذه المخالفة ردة عن الدين وانتقالا عن الملة، أصبحت الفرقة عامة فاشية في الناس وبينهم هذا لا يقره دين.

فهذا جانب من الأصول التي قررها أئمة السلف رحمهم الله تنبيها للأمة وإصلاحا لأحوال الناس؛ لأن مثل هذه الأصول العظيمة التي تنطلق من قواعد الإسلام الكلية وجوامعه العظيمة إذا لم يُعمل بها تخلخلت المجتمعات وتفككت الجماعة وفشى في الناس الشر ولاسيما عندما يتصدر في مثل هذا المقام أقواما يُعملون العقول ويهملون النقول، أناس لا باعة لهم و لا صلة لهم بنصوص الشرع، وتجدهم يتصدرون للزعامة وتحريك الناس وتحريك المجتمعات، ولا علم له أصلا بالشرع ،فهذه من المصائب العظام التي تجر للأمة وللناس ويلات وشرور عظيمة.

قال – رحمه الله تعالى – : ((وعلى من مات منهم))

أي نرى الصلاة على من مات منهم سواء برا أو فاجرا يُصلى – المراد يصلى عليه صلاة الجنازة سواء كان الميّت برا أو فاجرا – يصلى عليه صلاة الجنازة ..نعم ..إذا كان ترك الصلاة عليه الإمام أو العالم أو الذي له مكانة في الأمة من باب الزجر و تنبيه الناس على خطورة عمل هذا الرجل وفساد ما كان عليه، فإذا كان من هذا الباب فهذا له أصل النبي عليه الصلاة والسلام لما أوتي له بالرجل الذي قتل نفسا قال : **صلوا عليه** ولم

يصلي – عليه صلوات الله وسلامه عليه– قوله: صلوا عليه هذا يدل على مشروعية الصلاة على البر والفاجر على التقي وغيره .

لكنه ترك الإمام أو الوالي أو العالم أو الذي له مكانة الصلاة عليه من باب الردع والزجر ونحو ذلك، فهذا له أصل في هدي النبي عليه الصلاة والسلام

فيُصلى على من مات منهم

أي: من المسلمين أهل القبلة سواء كان بَرا أو فاجرا

إذا مات المسلم الذي يشرب الخمر أو المسلم الذي مثلا : قتل نفسه هذه كبيرة من الكبائر، أو مات مسلما كان يتعامل بمعاملات مثلا محرمة لا يبلغ بها الكفر والانتقال من ملة الإسلام يصلى عليه

إن ترك العالم أو الإمام أو الشخص الذي له مكانة الصلاة عليه زجرا له ورجعا فهذا كما أسلف له أصله في هدي النبي الكريم – عليه الصلاة والسلام – .

قال – رحمه الله تعالى – : ((ولا ننزل أحد منهم جنة ولا نارا))

هذا معنى قوله المتقدم رحمه الله تعالى؛ ((**ولا نشهد لأحد من أهل القبلة بجنة ولا نار**)) وهو رحمه الله كما سبق أن عرفنا في ثنايا هذه العقيدة يكرر بعض المعاني، ربما أن تكراره لها ليس من باب التكرار الممل ، وإنما من باب تثبيت في العلم وترسيخا ، ومزيد النصيحة في تعليم الأصول، وتقريرها وتثبيتها ولا حرج في ذلك، والنبي عليه الصلاة والسلام في بعض أحاديثه يكرر الكلمة ثلاث مرات تنبيها وتأكيدا واستدعاء للاهتمام بها والعناية

قوله : ((**ولا ننزل أحد منهم جنة ولا نارا**))

أي : من عرفناه بالصلاح والاستقامة والديانة والمحافظة على فرائض الإسلام وواجبات الدين، ولم نعرف منه غشيانا للمنكرات، وارتكابا للكبائر والمحرمات لا نشهد له بجنة، لا ننزله جنة، لا نقول فلان من أهل الجنة، هكذا تعيينا وجزما وقطعا، لكننا نقول نحسبه والله حسيبه ، نقول: نرجو الله – تبارك وتعالى – ندعو الله له، لكننا لا نجزم، ولا ننزل المعين من الأتقياء الصالحين، ممن عرفوا بالتقوى والصلاح، لا ننزله جنة إلا من شهد له النبي – عليه الصلاة والسلام — وعينه

فنحن نعينه نقول: أبو بكر بالجنة جزما يقينا، عمر في الجنة، عثمان في الجنة، على في الجنة، الحسن والحسين في الجنة، ثابت بن قيس بن شماس في الجنة، عكاشة بن محصن في الجنة،

نشهد لمن شهد له النبي – عليه الصلاة والسلام–

نقول : أهل بدر في الجنة، أهل أحد، أهل بيعة الرضوان، كل من جاء عن النبي – عليه الصلاة والسلام – شهادة له بالجنة أفرادا أو جماعات، نشهد له بذلك كما شهد رسولنا الكريم – صلوات الله وسلامه عليه –

قال : ((ولا نارا))

أي : من عُلم عنه أنه يعمل الأعمال الموجبة لدخول النار، والتي يترتب على فعلها دخول النار، ويأتي في نصوص كثيرة في الكتاب والسنة ترتيب دخول النار على فعل إثم من الآثام أو كبيرة من الكبائر { وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّم}

لو رأينا شخصا قتل مسلما قتل عمد لا يجوز أن نقول: فلان هذا في النار ، لا يجوز؛ لأن ثمة فرق بين التعميم والتعيين.

تعميما نقول : [قاتل نفس في النار ، أكل الربا في النار تعميما هكذا] في ضوء الأدلة أي : هذا وعيده، هذي عقوبته، لكن حلول العقوبة به مترتبة على وجود شروط وانتفاء موانع، وعندما يجزم في حق معين ارتكب كبيرة، ما أنه في النار قد يكون في حقه وجد مانع من هذه العقوبة أو انتفى شرط ولا يعلمه هذا الذي جزم في حقه بهذا الوعيد النبي – عليه الصلاة والسلام – لعن في الخمر عشرة – صلوات الله وسلامه عليه– ولما جيء بذلك الرجل في الخمر للمرة الرابعة وفي كل مرة يجلد بعض الصحابة قالوا: لعنه الله أو أخزاه الله ما أكثر ما يؤتى به إلى النبي عليه الصلاة والسلام قال : لا تلعنوه "

كيف قال عليه الصلاة والسلام لا تلعنوه وصح عنه أنه لعن في الخمر عشرة من بينهم شاربها؟ ، وهو خاص بحق هذا المعين لا تلعنوه ، أخذ أهل العلم من ذلك أن ثمة فرق بين التعميم والتعيين في اللعن والتفسيق والتبديع وغير ذلك

فرق بين التعميم والتعيين ،

- تعميما تقول لعنة الله على الظالمين ،

لكن إذا وقفت على ظالم معين وتيقنت ظلمه لا تلعنه بعينه ، لماذا ؟

–لأن إلحاق الوعيد بالمعين متوقف على وجود شروط وانتفاء موانع ، هذا الذي قتل نفسه أو قتل غيره عمدا عقوبته النار (مَنْ تَحَسَّى سُمًّا فَقَتَلَ نَفْسَهُ ، فَهُوَ يَتَحَسَّاهُ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا) كما جاء في الحديث: لو

رأينا شخصا معين تحسى سمّا ومات بسبب تحسّيه لهذا السم ما نقول هذا فلان بعينه هذا في النار مخلدا فيها يتحسى سمّا، لا ننزل الوعيد فيه؛ لأن إنزال الوعيد فيه مترتب على:

وجود شروط وانتفاء موانع

قد يتوب إلى الله – سبحانه وتعالى – توبة نصوحا، قد يكون عنده أعمال صالحة عظيمة كبيرة جدا يكفر الله سبحانه وتعالى بها،

صاحب البطاقة الذي جاء حديثا في المسند وغيره تسع وتسعون منها سجل، كل سجل منها مد البصر كلها ذنوب، قيل له: ألك حسنة؟ قال: لا،هذا الرجل قيل : فأخرج له بطاقة فيها لا إله إلا الله، قال: وما هذه البطاقة مع هذه السجلات، قيل : إنك لا تظلم.فتوضع البطاقة في كفة والسجلات في كفة فثقلت البطاقة وطاشت السجلات ولا يذكر مع اسم الله شيء

إذن باب الوعيد وباب العقوبات، وباب الحكم على معين، هذه مسائل لها تفاصيلها ولها أبعادها ولها دلائلها الكثيرة والمقام فيها مقام أهل العلم،إذا خاض العوام والجهال ومن لا ثقة لهم ولا بصيرة في دين الله – تبارك وتعالى – يترتب على خوضهم في هذا الأمر أخطاء فادحة جدا، و تعديات وتجاوزات وتجد في العوام مثلا جرأة على إنزال الوعيد في حق المعين أو اللعن أو الحكم بدخوله النار أو الجزم بأشياء معينة لو عرضت على عالم لهاب أن يتكلم فيها، تجد بعض العوام يخوض فيها خوضًا بلا مبالاة ولا اكتراث، فإذا من عقيدة أهل السنة والجماعة كما قال –رحمه الله– : **لا ننزل أحد منهم جنة ولا نارا، ولا نشهد عليهم بكفر ، ولا بشرك، ولا بنفاق، ما لم يظهر منهم شيء من ذلك.**

قال–رحمه الله تعالى– لا نشهد عليهم، أي: أهل القبلة بكفر ولا بشرك ولا بنفاق ما لم يظهر منهم بذلك،

إذا ظهر فالحكم يبنى على الظاهر، لنا الظاهر والله سبحانه وتعالى يتولى السرائر، فإذا وقع في الشرك الصراح و الكفر البواح يحكم عليه وإلا لم يحكم على أحد قط، ولهذا قال–رحمه الله تعالى– **لا نشهد عليهم بكفر، ولا بشرك، ولا بنفاق ما لم يظهر منهم شيء من ذلك،** قال: **ونذر سرائرهم إلى الله تعالى،** أي: لنا الظاهر أما السرائر يوكل أمرها إلى الله سبحانه وتعالى، ولهذا جاء في الحديث عن نبينا عليه الصلاة والسلام فيما معناه : ((قال: لم أبعث لأنقب أو أفتش في قلوب الناس)) أي أنه – عليه الصلاة والسلام – بيَّن أن الحكم في مثل هذه الأمور يكون على الظاهر وفي الحديث قال عليه الصلاة والسلام :" هلا شققت عن قلبه لما قال الرجل : لا إله إلا الله، وقتله أسامة قال : إنما قال متعوذا قل : هلا شققت عن قلبه فإذا قال : لا إله إلا الله

لنا الظاهر والله – سبحانه وتعالى – يتولى السرائر قال : **ولا نرى السيف على أحد من أمة محمد عليه الصلاة والسلام إلا من وجب عليه السيف**

قال : ولا نرى السيف:

أي إشهار السيف ورفعه ، وقوله السيف باعتبار أنه هو المستخدم غالباً في مثل هذا المقام، ويتناول كل من كان في حكمه من بندقية أو رشاش أو قنبلة أو غير ذلك ..

ولا نرى السيف أي : لا نرى رفع السلاح أيا كان على أحد من أمة محمد عليه الصلاة والسلام إلا من وجب عليه السيف

وقوله إلا من وجب عليه السيف: يوضح ذلكم مثل قول النبي – عليه الصلاة والسلام – في الحديث الصحيح :" لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله إلا بإحدى ثلاث: السيب الزاني والنفس بالنفس والتارك لدينه المفارق للجماعة"

ثم أيضا هذه إنقاذها وتطبيقها ليس مؤكولا إلي عامة الناس من رأوه وقع في شيء من ذلك أشهروا السيف فيه، وقتلوه، وإنما هذا أمر يرجع إلي ولي الأمر، وإلا لو كان هذا الأمر إلى عامة الناس صار أمر الناس فوضي وعم فيهم القتل وإراقة الدماء وآل أمرهم إلي الفوضى العارمة الشديدة

قال: **ولا نرى السيف على أحد من أمة محمد صلى الله عليه وسلم إلا من وجب عليه السيف**

أي في ضوء ما دل عليه الدليل من كلام الله سبحانه وتعالى وكلام رسوله – صلوات الله وسلامه عليه – .

قال – رحمه الله و تعالى – : **ولا نرى الخروج على أئمتنا وولاة أمورنا وإن جاروا**

ذكر هنا – رحمه الله و تعالى – من عقيدة أهل السنة والجماعة، وهذه العقيدة مقررة في كافة كتب أئمة السلف – رحمهم الله وتعالى– في باب الإعتقاد وأصول الديانة: ولا نرى الخروج على أئمتنا وولاة أمورنا وإن جاروا

يعني: وإن ظهر عليهم جور وظلم وتعدي، وأكل مثلا للأموال بالباطل، تعدي على الحقوق، ظلم للرعية جور في الأحكام ونحو ذلك ..

يقرر أئمة السلف – رحمهم الله و تعالى – هذه العقيدة : ولا نرى الخروج على أئمتنا وولاة أمورنا وإن جاروا

وإن جاروا : أي وإن ظهر عليهم الظلم والجور والبغي

لماذا هذا التقرير من أئمة السلف رحمهم الله و تعالى ؟

- لأسباب كثيرة:

- منها الدلائل الواضح الواردة عن النبي عليه الصلاة والسلام في هذا الباب والأحاديث الواردة عنه في ذلك كثيرة ، ويكفي المسلم أن يقرأ ما جمعه الإمام مسلم في كتابه الصحيح في"كتاب الإمارة"

لو يقرأ كتاب الإمارة من كتاب صحيح مسلم لوجد من الأحاديث والدلائل والشواهد ما يكفي و يشفي في هذا الباب

- ثانيا : أن من وجد منهم خروج على السلطان الجائر الظالم الباغي فبيّن لهم بخروجهم أنما ترتب على ذلك الخروج من: الفساد والشر وإراقة الدماء والتعدي على الأعراض وانتهاك الحرمات أكثر من المصلحة التي كان يقصدها ويسعى في تحصيلها – ذلك الخارج على ولي الأمر –

وأئمة السلف – رحمهم الله تعالى – حذروا من هذا أشد التحذير

الإمام أحمد رحمه الله أتى إليه نفر وناقشوه في هذه المسألة وعرضوا عليه الخروج على السلطان وقالوا: إنه فعل كذا وفعل كذا وفعل كذا وعددوا من مخازيه وجرائمه وتعدياته وظلمه عددوا أشياء فناظرهم – رحمه الله تعالى – ساعة وكان مما قال: اتقوا الله وانظروا في عاقبة أمركم، اصبروا حتى يستريح بر أو يُستراح من فاجر، لا تريقوا دماءكم ولا دماء المسلمين

وكان مما قال لهم– رحمه الله – : انظروا في عاقبة أمركم

وأيضا كان مما قال لهم – رحمه الله – : أرأيتم إن لم تنالوا ما تريدون، أليس قد صار أمركم إلى المكروه إن لم تنالوا ما تريدون

أليس قد صار أمركم إلى المكروه: يعني إذا تجمهرتم وتجمعتم على الإطاحة بالسلطان ولم تحصِّلوا الإطاحة به

أليس قد صار أمركم إلى المكروه من دماء أُريقت وأعراض أُنتهكت وأموال استلبت أو دُمرت أو إلى غير ذلك من المفاسد العظيمة التي تحصل

ثم أيضا لو أنه أطيح به من الذي يضمن بعد الإطاحة به أن الذي سيلي الأمر بعده خيرا منه؟! والناس يدخلون في مآزق وفي ورطات وفي أمور لا يتبين لهم عواقبها ، ولهذا قال: انظروا في عاقبة أمركم اصبروا حتى يستريح بر أو يُستراح من فاجر

وأئمة السلف – رحمهم الله تعالى – عندما قرروا هذه المعاني في كتب الإعتقاد أرادوا أن: ينأوا بأمة الإسلام عن المنزلقات التي ارتكبها أصحاب البدع الكبار مثل المعتزلة والخوارج..

- المعتزلة من أصولهم الخمسة: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لكن فهمهم للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فهم مغلوط ، تجد الواحد منهم لا يُعرف في حياته في باب إقامة الصلاة وإقامة فرائض الإسلام ولا في باب أيضا معالجة المنكرات من خمور من زنا من فواحش ..

لا يُعرف عنه هذا الأمر لكن إذا كانت المسألة حمل سيف وإراقة دماء تجده يدخل ويُقمح غيره أيضا معه في مثل هذا الباب مما يترتب عليه أضرار ومفاسد وأمور لا تُحمد عاقبتها

وقل مثل ذلك أيضا في :

- نهج الخوارج الذين نهجوا هذا النهج، وتحت هذا المبدأ قتلوا حتى خيار الصحابة – رضي الله عنهم – فتراق دماء محرمة محترمة، تدمِّر أموال محترمة، تنتَهك أعراض مصونة، والنبي عليه الصلاة والسلام في حجة الوداع قال:

ألا إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا في شهركم هذا

الأمر ليس بالهين فعندما يحمل الشخص السيف ويحرض الآخرين على حمل السيف معنى ذلك أنه:

- سعى في إراقة دماء في ديار المسلمين
- سعى في تعديات على الأعراض، سعى في انتهاك للأعراض
- في استلاب للأموال إلى غير ذلك من المفاسد التي تحصل...

لكن إذا قاس الإنسان الأمور بمقاييس الشرع وبموازين الكتاب والسنة وأيضا نظر في التاريخ

ابن تيمية رحمه الله في كتابه : " منهاج السنة " صبر وتتبع حوادث الخروج التي مرت عبر التاريخ، وأخذ ينظر في النتائج التي ترتبت على ذلك الخروج، لخّصه في كلمة واحدة رحمه الله حررها في كتابه : منهاج السنة ، قال : " ما أقاموا دينا ولا أبقوا دنيا " يعني بمثل هذه الطرائق ما يقام الدّين، وأيضًا لا تبقى الدُّنيَا تفسد بما يعم في النّاس من قتل من نهب من انتهاك للأعراض من مظالم إلى آخر ذلك..

أعود إلى النفر الذين أتوا إلى الأمام أحمد – رحمه الله تعالى – وناظروه ، ناظرهم ساعة – رحمه الله – وذكر لهم الأدلة، فلما خرجوا من عنده مازالوا مصرين على رأيهم، قالوا: لحنبل ابن إسحاق يكون الإمام أحمد رحمه

الله عمّه وكان حاضرًا المجلس قالوا له عند الباب : تخرج معنا ؟ الآن الإمام أحمد – رحمه الله تعالى – ناظرهم ساعة بالأدلة، ولكنهم خرجوا من عنده وهم راكبين رؤوسهم وأيضًا يُحرّضون بعض قرابته..

قالوا لحنبل ابن إسحاق تخرج معنا ؟ فسألت والدي إسحاق : قال : لا تخرج معهم فإن الإمام أحمد لم ينهاهم إلا عن شر

قال : فتعللت يعني اعتذرت. ولم أخرج، قال: فخرج. فقتل منهم من قتل وسجن من سجن، و فرّ من فر

هذه الثلاث هي التي في الغالب تحصل عبر التاريخ في مثل هذه المسارات والطرائق والأعمال والذي ينبغي على الإنسان أن يؤمّر السنة على نفسه

لو يقيس الأمور بميزانه هو وبرأيه يجد أنه يود أن يأخذ صخرةً ويلقيها على الظالم وينهيه بلحظة ، لكن لا تقيس الأمر بهواك برغبتك بما في داخلك، حكّم السنة، حكّم هدي النبي عليْه الصّلاَةُ والسّلاَم ، وأنصحك في هذا المقام إذا رأيت المتحدّث يتحدّث في هذا الباب حديثًا عاريًا من الأدلة لا تقبل حديثه.. وما أكثرهم!

إذا رأيت شخصًا يتكلّم كلامًا خطابيًّا عاريًا من الدليل –كلام الله وكلام رسوله– فلا تلتفت لكلامه حتى ولو أعجبك، حتى وإن أعجبك حسن خطابه وبريق كلامه، فلا تدري قد يدخلك في فتنة لا تحمد عاقبتها

وقد قال ابن مسعود رضي الله عنه : إنه ستكون أمور مشتبهات فعليكم بالتؤدة ، فإنك أن تكون تابعًا في الخير خيرًا من أن تكون رأسًا في الشر " فأمِّر السنة على نفسك ، فإن السنة كما قال أئمة السلف رحمهم الله : مثل سفينة نوح من ركبها نجى ومن تركها غرق.

يقول – رحمه الله تعالى – : ((ولا نرى الخروج على أئمتنا و ولاة أمورنا وإن جاروا))

ليس معنى قوله : لا نرى الخروج عليهم – ليس معنى ذلك نقر الجور ونقر الظلم،

لا أحد يُقرّه ولا أحد يرضى الجور ولا أحد يقبله لكن قولهم : ((**لا نرى الخروج**)) هذا نظر في مصالح المسلمين، وحفظ لانتظام أمور المسلمين جماعة المسلمين، إبعاد لأمة المسلمين عن إراقة الدماء، عن انتهاك الأعراض، عن استلاب الأموال، عن التعديات... هذا هو مراد أئمة السلف بذلك.

قالوا : ((ولا نرى الخروج على أئمتنا و ولاة أمورنا وإن جاروا ، ولا ندعو عليهم))

و لا ندعوا عليهم : هذا أيضًا مما ذكره أئمة السلف في الإعتقاد ، لماذا لا ندعوا عليهم ؟ – لأن النبي عليْه الصّلاَةُ والسّلاَم قال : " الدّين النصيحة " قالوا : لمن يا رسول الله ؟ قال : لله و ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم"

ما معنى النصيحة له إذا كان يدعو عليه؟

النصيحة تتضمن أمورًا منها أن تدعوَ له

وليس معنى أن تدعو له إذا قام بظلم وتعديات أن تقول : جزاه الله خيرًا ، ليس هذا معنى الدعاء له، و إنما تدعوَ له تقول : أصلحه الله، تقول : هداه الله، نسأل الله أن يهديه أن يصلحه، إن استجاب الله – سبحانه وتعالى – دعوتك فيه وأصلحه الله، صلاحه يرجع عليه وعلى العباد

ولهذا قال الفضيل : "لو كان لي دعوة مستجابة لجعلتها للسلطان"

" لو كان لي دعوة واحدة مستجابة " يعني ليس لغيرها لجعلتها للسلطان ،من يقدر على ذلك عبد الله بن مبارك لما سمع هذا قال : " من يقدر على هذا إلا مثلك "

حقا يعني: لا يقدر على مثل هذا إلا أصحاب القلوب الكبار ، والفهم العظيم لدين الله – تبارك وتعالى –

لكن آحادنا لو قيل : لك دعوة مستجابة ماذا تجعلها ؟بعضهم يقول : أنا أريد سيارة فاخرة، ما عنده تفكير أصلا بمصالح المسلمين، ومشاكلهم وصلاح أحوالهم، هذا ما يفكر فيه أصلا إن نهض قليلا قال : زوجة صالحة أو غير ذلك من أموره الخاصة به .. أما دعوة مستجابة واحدة ويجعلها للسلطان !

قال : من يقدر على ذلك إلا مثلك ! يعني: من أصحاب القلوب الكبار الفهم العظيم البصيرة بدين الله – تبارك وتعالى–

ولهذا في بعض كتب الإعتقاد أئمة السلف يقول : إذا رأيت الرجل يدعو للسلطان فعلم أنه صاحب سنة، وإذا رأيته يدعو على السلطان فعلم أنه صاحب بدعة!

مقتضى النصيحة لولاة الأمر:

أن تدعو له اللهم أصلحه اللهم اهده اللهم وفقه اللهم اجعله رحمة على رعيته اللهم اللهم ..،، تدعو له، لكن لا تدعو عليه ؛ لأن الدعاء عليه ليس من النصيحة له

وقد جاء في حديث – حسنه بعض أهل العلم – أن النبي عليه الصلاة والسلام قال : " لا تسبوا أمراءكم " هكذا قال.. اسمع هذا الحديث، وانظر واقع كثير من الناس في سب الأمراء في المجالس، في أحاديثهم الخاصة والعامة وغير ذلك..

وكما قدمت الواجب في مثل هذا المقام أن تحكم السنة، وأن تؤمر السنة أمر السنة على نفسك، تنطق بالحكمة ، كما قال أهل العلم : أما إذا كان الإنسان يمضي على هواه ، على رغبته، على معاناته.. شخص مثلا : يعيش في معاناة شديدة من قلة ذات اليد من الفقر، ويرى مثلا أن السلطان استأثر بالمال ولم يعطه شيئا، ثم أخذ يشتم السلطان، ويشتم الحاكم للأثرة التي كانت منه، هل هذا من دين الله سبحانه وتعالى؟! وهل هذا من النصيحة التي جاء شرعنا بالهداية إليها ؟؟والدلالة عليها والحث عليها والقيام بها ؟؟

أنا أصور لك القضية بصورة مصغره ينفعك الله بها:

تصور نفسك في بيتك مع أولادك أنت وزوجتك وخمسة من البنين وأربعة من البنات أو أقل أو أكثر ، ثم قصرت مع أولادك، ولم تقم بحقوقهم، وأسأت إليهم إلى غير ذلك .. ولم تعطي النفقة الواجبة إلى غير ذلك..

هل ترى مقتضي النصيحة في حقك وأنت في هذا المقام أن يسبك أولادك؟؟ أو أن يطعنوا فيك؟؟ أو إلى آخره..؟؟

الذي تحبه لنفسك في هذا المقام: أن يدعو لك أن الله يهديك أن يردك إلى الحق ردا جميلا، أن يصلحك أن يعافيك، من هذا الذي ابتلاك به، هذا الذي تحبه لنفسك، وهذا هو الذي حقيقة يترتب عليه النفع والفائدة

ودين الإسلام دين رحمة دين إصلاح وصلاح، ليس دين لعن وعدوان وظلم وبغي وتعديات...

جيء إلى النبي عليه الصلاة والسلام وقيل : يا رسول الله إن دوس بغت وطغت إلى آخره .. ادعو الله عليهم ، فمد يديه عليه الصلاة وسلام ، وما أن رأى الصحابة رضي الله عنهم رسول الله صلى الله عليه وسلم مادا يديه إلا قالوا : هلكت دوس

فقال عليه الصلاة وسلام: اللهم اهدِ دوس واهدِ بهم "

وهدى الله خلقا منهم بدعوة النبي صلوات الله وسلامه عليه

وقال: إنما بعثت رحمة

فمن عقيدة أهل السنة والجماعة ما قرره هذا الإمام وغيره من أئمة السلف أنه: لا يدعى على السلطان وإنما يدعى له بالصلاح والهداية .**قال** : ((**ولا ننزع يدًا من طاعتهم**))

لا نمتنع من الطاعة، ونعلن الإمتناع عن الطاعة، وعدم الرضوخ لأمره .

ولا ننزع يدًا من طاعتهم ونرى طاعتهم من طاعة الله ؛ لأن النبي عليه الصلاة والسلام قال : ((من أطاعني فقد أطاع الله ومن أطاع أميري فقد أطاعني)).

ولهذا قال : ونرى طاعتهم من طاعة الله – عز وجل – فريضة ما لم يأمروا بمعصية

والله – جل وعلا – قال في القرآن الكريم : يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ﴾)) فأمر جل وعلا: بطاعة ولي الأمر .

قال : ((**وندعو لهم بالصلاح والمعافاة**)) .

وهذه دعوة عظيمة جدًا، تدعو لولي الأمر بالصلاح أي: أن يصلحه الله ، أن يهديه ، أن يوفقه لما فيه صلاح البلاد والعباد ، أن يعافيه: تدعو له بالمعافاة إذا كان مبتلى بجور بظلم ببغي بعدوان إلى غير ذلك ، ادعو الله له بالمعافاة ، أن يعافيه الله من هذا البلاء الذي هو فيه ، والشر وهذه التعديات ، وأنت مأجور على هذه الدعوة ، مأجور على هذه السنة .

ولك في ذلك ثوابا عظيما لاسيما إذا كنت مثل الفضيل بن عياض ونظرائه من أئمة السلف يفكرون في مصلحة العامة ، عندما يكون قلب الإنسان كبيرًا يفكر بمصلحة الأمة العامة يدعو لولي الأمر بصدق وإلحاح على الله ، لعل الله – سبحانه وتعالى– يقبل دعوته فيه فيصلح .

إذا صلح صلاحه عائد إلى البلاد والعباد ، الناس كلهم ينتفعون بذلك .

إذا استجاب الله لي دعوتي فيه بالمعافاة أن يعافيه من جوره من ظلمه .

كم من المصالح تترتب على ذلك . فيثيبك الله – سبحانه وتعالى– على هذه الدعوات وهذا النصح وهذا الصدق وهذا الحرص على مصالح الأمة .

مثل ما أشرت كان هذا هدي السلف رحمهم الله ، و دأبهم .

قال : ((**ونتبع السنة والجماعة**)) .

نتبع السنة أي : سنة النبي الكريم عليه الصلاة والسلام ،

ونتبع الجماعة :جماعة المسلمين الصحابة ومن اتبعهم بإحسان . هذا المراد بالجماعة .

وقد قال الله تعالى : ((وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا (١١٥))

وقال جل وعلا : ((وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ))

وفي الحديث قال عليه الصلاة والسلام : ((عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجد)).

قال : ((**ونتجنب الشذوذ والخلاف والفرقة**)).

لأن الشذوذ والخلاف والفرقة كلها شر . فالواجب على المسلم أن:

يتجنبها وأن يحذر من الوقوع فيها، لا يشذ عن جماعة المسلمين بأفكار دخيلة وآراء باطلة وأهواء فاسدة ، فليكون مع جماعة المسلمين على السنة والمحافظة على هدي الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام واقتفاء آثاره ، ويحذر من الفرقة .

وقد قال عليه الصلاة والسلام : ((إنه من يعش منكم فسيرى اختلافا كثيرًا عليكم بسنتي)) وقال في الحديث الآخر : ((وستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة . قالوا : من هم يا رسول الله ؟ قال : مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي)) ، وفي رواية قال : الجماعة ؛ أي جماعة المسلمين وغيرها ومن اتبعهم بإحسان .

قال : ((**ونحب أهل العدل والأمانة ونبغض أهل الجور والخيانة**)).

لأن النبي عليه الصلاة والسلام قال : ((أوثق عرى الإيمان الحب في الله والبغض في الله)) . وقال عليه الصلاة والسلام : ((من أحب لله وأبغض لله وأعطى لله ومنع لله فقد استكمل الإيمان)) .

فنحب أهل العدل والأمانة . إذا كان الإمام عدلا أمينا صالحا ناصحا إلى غير ذلك "نحبه "

إذا كان خائنا جائرا ظالما معتديا نبغضه، لكن البغض نتقي الله سبحانه وتعالى فيه، وفي مصالح المسلمين وفي مقتضى النصيحة التي أمرنا بها

لا نخلط الأمور بل كل شيء يكون في مكانه المناسب الموافق لهدي الله وسنة رسوله صلوات الله وسلامه عليه.

قال : ((ونحب أهل العدل والأمانة ونبغض أهل الجور والخيانة ونقول : الله أعلم فيما اشتبه علينا علمه))

وهذه لو عُمل بها لصلح أمر الناس في كل مقام وفي مقامنا هذا ، الآن هذه القضايا المصيرية– القضايا التي تمس الأمة العامة – هل كل إنسان يقول فيها : الله أعلم ؟ لا والله الآن ما يسمى مثلا: بالتصويت: عوام وجهال لا علم لهم كل يبدي رأيه مع أن مصالح الأمة العامة المصيرية الكبيرة هذه لا يرجع فيها إلا إلى أهل العلم، الله جل وعلا قال : { وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ }

وفي زماننا هذا الإذاعة لما اتسعت وسائل الإتصالات الحديثة، أصبحت الإذاعة لا تسأل عن اتساعها وانتشارها. يعني قديما كانت إذاعة الأمور من شخص إلى شخص، ومتى تبلغ القاصي والبعيد، لكن الآن في لحظة واحدة عبر الأنترنت وغيرها من وسائل الاتصال تبلغ الآفاق في لحظة في ثانية واحدة، الكلمة الواحدة يقولها الشخص في لحظة تبلغ الآفاق في لحظة واحدة

الله يقول: { وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ } يجلس الشخص أمام الإنترنت ويقول بينه وبين نفسه: لا أحد من السلطات يطلع على ويعمل بي

ويقول كلمتين ويرسلها وتذهب وتجري مجراها في تحرير النفوس وتغيير القلوب وإثارة الشرور وإحداث الفتن، ولا يبالي، لكن لو أنه استشعر أن رب العالمين مطلع عليه، وأن هذا جزء من عمله، وأنه يحاسب عليه – على قوله – وأن الله يسأل عما يكتب وعما يقول، وأن هؤلاء الذين يحركهم بكلمة فيحاسب على ذلك

((من سن في الإسلام سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها))

بعضهم يدخل كلمة في الانترنت يعمل بها ملايين وهو لا يدري، وتكون من سخط الله كل هؤلاء يدخلون أوزارهم في ميزان سيئاتهم

" لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ (٢٥) } يضلونهم بغير علم،

ولهذا لاحظ في هذا الموضع ، وأحسن الإمام–رحمه الله–وأجاد قال:

"**ونقول الله أعلم فيما اشتبه علينا علمه** "

لأن كثير من الناس خاصة هذه القضايا الكبار – قضايا التعامل مع الولاة ، القضايا التي تتعلق بمصالح الأمة– غالب الناس يدخل فيها بدون علم، وبدون فهم ويدلي بدلوه ويبدي رأيه

فيقول –رحمه الله–:"**ونقول الله أعلم فيما اشتبه علينا علمه** "

يعني مسألة التي اشتبه على الإنسان العلم فيها يقول: الله أعلم

إذا كيف بالمسألة التي أصلًا لا علم له فيها إطلاقًا؟؟ لا يحفظ فيها آية ولا حديث ولا يعرف فيها سنة إطلاقا ما يعرف شيئا؟؟ ، ثم يبدي رأيه بملء فيه ولا يبالي

فقال : ((**نقول الله أعلم فيما اشتبه علينا علمه**))

ابن عمر – رحمه الله – له في هذا المقام كلمة جميلة جدا ذكرتها مرة من يذكرها من الإخوة الحاضرين؟

قال رحمه الله : ((العلم ثلاثة : كتاب ناطق ، وسنة ماضية ، ولا أدري)) هذا العلم

العلم : كتاب ناطق ، وسنة ماضية ، ولا أدري .

يعني إذا سُئلت في مسألة وكان عندك فيها كتاب ناطق آية واضحة في تلك الباب أو حديث صحيح ثابت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الباب وإلا قل لا أدري، لا تحمل ذمتك شيئا تلقى الله سبحانه وتعالى به، ابن عمر رضي الله عنه يقول : ((العلم : كتاب ناطق ، وسنة ماضية ، ولا أدري))

وأهل العلم يقولون : لا أدري نصف العلم، ومن أخطأ لا أدري أصيبت مقاتله : إذا كان الإنسان لا يحسن أن يقول: لا أدري ويستنكف أن يقول لا أدري، أو يقول : مثلا إن قلت لا أدري ماذا سيقولون عني؟! ثم يفتي بغير علم أو يبدي رأيه بغير علم، كم من المصائب و النكبات ستلحقه بهذه الجرأة على دين الله !! ومن أعظم المحرمات القول على الله بلا علم!!

:" وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ "وذكر الله سبحانه وتعالى أن هذا مما يريده الشيطان من بني آدم :" { إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (١٦٩) } "ويقول جل وعلا :" (وَلا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولا) "

ويقول جل وعلا: " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ "

أي : لا تقولوا حتى يقول، ولا تفعلوا حتى يأمر.

ثم قال – رحمه الله تعالى – : ((**ونرى المسح على الخفين في السفر والحضر كما جاء في الأثر**))

هذه مسألة موضعها كتب الأحكام "الكتب الفقهية"، ومحل بحثها هناك، لكن لما وجد من أرباب البدع الكثيرة ، وأرباب الباطل والضلال من خالف في ذلك ، أدرجها أئمة السلف – رحمهم الله تعالى – في كتب الإعتقاد إعلانا للمخالفة لأرباب هذه العقائد الباطلة.

قال رحمه الله : ((ونرى المسح على الخفين في السفر والحضر كما جاء في الأثر))

السنة الثابتة عن النبي، والمسح على الخفين ثبت في الأحاديث المتواترة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم جاءت في المسح على الخفين.

والحديث بذلك تواتر نقله عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وخالف في ذلكم الروافض، فكانوا يمسحون مالا يدل شرع على مسحه، ويمتنعون عن مسح ما دل الشرع على مسحه، فكانت مخالفتان:

يمسحون على ظاهر القدم ، وإذاكان عليه الصلاة والسلام قال :"ويل للأعقاب من النار " : يعني من غسل قدمه كاملة وبقي لمعة في ظهر القدم قال في حقه:"ويل للأعقاب من النار"

فكيف بمن يمسح يبل يده بالماء ويمسح على ظهر قدمه ؟

فيمسحون ما لا يدل شرع على مشروعية مسحه، في فهم خاطئ لكلام الله سبحانه وتعالى، بعيد كل البعد عن فهم كلام الله جل وعلا، ويمتنعون عن مسح ما دلت السنة المتواترة على مسحه وهو الخفين، فلما كانت هذه المخالفة الظاهرة، لذلك أدرج أئمة السلف رحمهم الله تبارك وتعالى– أدرج ذلك في كتب الإعتقاد– تنبيهًا للمسلمين إلى هذا الأمر العظيم الذي ينبغي أن يتنبه له وأن يحذر من مفارقة من فارقه وظلال من ظل فيه

قال : (((ونرى المسح على الخفين في السفر والحضر كما جاء في الأثر والحج والجهاد ماضيان مع أولي الأمر من المسلمين بَرهم وفاجرهم إلى قيام الساعة لا يُبطلهما شيء ولا يُنقضهما))

الحج والجهاد: ضم الحج للجهاد؛ لأن الحج مثل الجهاد، ويحتاج مثل الجهاد إلى تنظيم وسياسة وإصلاح لأمر المسلمين؛ ولهذا قال: **الحج والجهاد ماضيان مع أولي الأمر**

وهذا فيه تنبيه إلى: مراعاة الترتيبات التي يقررها ولي الأمر مما ينتظم به مصالح المسلمين في حجهم، فالحج والجهاد ماضيان مع أولي الأمر من المسلمين برهم وفاجرهم، حتى لو كان ولي الأمر مثلا فاجرا فالحج والجهاد ماضيان، ماضيان مع أولي الأمر من المسلمين برهم وفاجرهم إلى قيام الساعة، يعني هذه سنة ماضية باقية لا يغيرها شيء ولا ينقضها شيء إلى قيام الساعة

على كل هذه جملة من الأمور التي أوردها – رحمه الله تعالى – هنا و أدرجها عدد من أئمة أوغالب أئمة السلف في كتب الإعتقاد؛ لأنها أمور عظيمة، ومسائل كبيرة في أولًا : تحقيق انتظام مصالح المسلمين وسلامتهم من الشرور

وأيضا: أمنهم على أديانهم وعقائدهم ومصالحهم العامة

وأيضا: ما ترتب على المخالفة في مثل ذلك من أنواع من الشرور والفساد والتعديات والتجاوزات

نسأل الله الكريم رب العرش العظيم بأسمائه الحسنى وصفاته العليا وبأنه الله الذي لا إله إلا هو أن يصلح أحوال المسلمين في كل مكان، اللهم أصلح أحوال المسلمين في كل مكان ، اللهم أصلح أحوال المسلمين في كل مكان، اللهم ورد من ضل منهم إلى الحق ردا جميلا ، اللهم رد من ضل منهم إلى الحق ردا جميلا.

سبحانك اللهم و بحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك. و أتوب إليك اللهم صل وسلم و بارك على عبدك ونبيك و رسولك وبارك على محمد و آله و صحبه أجمعين.

الدرس الثامن عشر

بسم الله الرحمن الرحيم

[الحمد لله رب العالمين والصلاة والسَّلام على رسول الله نبيِّنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد: فيقول العلَّامة أبو جعفر الطَّحاوي رحمه الله تعالى في ذِكر عقيدته قال: " ونُؤمِنُ بالكِرَامِ الكَاتِبِين فإنّ الله قَدْ جَعَلَهُم علينا حَافِظِين، ونُؤْمِنُ بِمَلَك الْمَوْتِ الموَكَّلِ بِقَبضِ أَرْوَاحِ العَالَمِين وبِعَذَابِ القَبْر لِمَنْ كَانَ لَهُ أَهْلاً، وَبِسُؤَالِ مُنكرٍ وَنَكِيرٍ فِي القَبْرِ عَن رَبِّه وَدِينِه وَنَبِيِّه عَلى مَا جَاءَتْ بِهِ الأَخْبَارُ عَن رَسُولِ الله صلى الله عليه وسلم وعن الصَّحَابَةِ رِضْوَانُ الله عَلَيْهِم "]

شرح الشيخ:

الحمدُ لله ربِّ العالمين وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أنّ محمدا عبدُه ورسولُه صلى الله وسلم عليه وعلى آلِه وأصحابه أجمعين.

في هذا الموضع يتحدّث الإمام الطحاوي رحمه الله تعالى عن عقيدة أهل الإيمان أهل السنّة والجماعة في الملائكة الكرام، والإيمان بالملائكة سبق أن مرّ عند المؤلف رحمه الله تعالى حديث عنه وإشارةٌ إليه و أنّه أصلٌ من أصول الإيمان العظيم وركنٌ من أركان الدّين، و قد قال الله تعالى: **{ ۞ لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ }** وقال تعالى: **{ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ }** وقال الله جلّ وعلا: **{ وَمَن يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا }**

الإيمان بالملائكة ركنٌ من أركان الدّين، وفي القرآن الكريم ذِكرٌ للملائكة في مواضعَ كثيرة منه؛ ذكرًا لبعض أسمائهم وذكرًا لبعض أوصافهم و ذكرًا لكثيرٍ من وظائفهم وأعمالِهم ومهامِهم و ذكرًا لأعدادهم في أمورٍ معيّنة تُذكر أعدادٌ تفصيلية، فالقرآن فيه حديثٌ عن الملائكة بل في القرآن الكريم سورةٌ سُمّيت باسم الملائكة؛ ففي القرآن سورة اسمها "سورة الملائكة " وجاءت تسميتُها بذلك على لسان الصحابة مثل ابن عباس رضي الله عنهما وعن غيره من أصحاب النبي عليه الصلاة والسلام وهي سورة فاطر، قال الله جلّ وعلا: **{ الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ ۚ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ ۚ }** ففي أوّل هذه السورة سورة الملائكة حمِد الله جلّ وعلا نفسَه على أنّه فاطرُ السّماوات والأرض وعلى خلقِه لهذا الخلقِ الذي هو الملائكة بهذه الصِّفةِ العجيبة؛ رُسُلاً قائمين بما يرسلهم الله سبحانه وتعالى به من أعمال ومهام ووظائف، فهم ملائكة من الألوكة وهي الرسالة يقومون بما يأمرهم جلّ وعلا به لا يعصون الله ما أمرهم

ويفعلون ما يؤمرون، فهم عبادٌ مُكرَمون قائمون بطاعة الله جلّ وعلا لا يعصون الله؛ ليس في الملائكة معصيةٌ أو عدم طاعةٍ لله سبحانه وتعالى بل هم قائمون بتنفيذ أوامره على التمام والكمال، وفي القرآن كما أشرتُ حديثٌ مفصَّل في مواضع عديدة عن الملائكة، والواجب أن يُؤمن العبد بهذا الأصل العظيم الذي هو رَكنٌ من أركان الدين؛ فلا قيامَ الدين إلاّ عليه مثل غيرِه من أركان الإيمان، وأن يُؤمن بهؤلاء الملائكة مع أنّه عالمٌ غيبيّ لا نراه، نؤمن بهم بأسمائهم وأعدادهم ووظائفهم وأوصافهم إجمالاً فيما أُجمل وتفصيلاً فيما فُصّل مما ذُكر عن الملائكة سواءً فيما تعلّق بالأعداد والأسماء أو الوظائف أو الأوصاف إجمالاً نؤمن به إجمالاً كما وَرَدَ، وما جاء مُفصَّلاً من ذلك نؤمنُ به مُفصَّلاً كما وَرَد.

وكما أشرتُ؛ القرآنُ والسُّنة فيهما تفاصيلُ وَاسِعَةٌ جِدّاً فيما يتعلق بأوصاف الملائكة أو أعداد الملائكة أو وظائف الملائكة، فكُلُّ هذه التفاصيل يجب أن نؤمن بها.. يجب أن نؤمن بها، والإيمان بها أصلٌ من أصول الدّين وركنٌ من أركان الإيمان.

وللإيمان بالملائكة أثرٌ عظيم جداً على العبد في عبادته وفي سلوكه وفي مراقبته لِرَبِّه جلّ وعلا، أثرٌ عظيمٌ جداً ولا سيما عندما يستحضِر العبدُ هذا الإيمان في موضعه لأن الملائكة لهم أعمالٌ، لهم وظائف.. كُلَّما استذكر العبدُ وظيفةَ الملائكة في الموضع الذي هو فيه كان لذلك أثرٌ عظيم عليه؛ انظر –على سبيل المثال– ما يتعلّقُ بحالنا هذه؛ قولُ نبينا عليه الصلاة والسلام كما في الصحيح: ((**ما اجتمع قومٌ في بيتٍ من بُيوت الله يتلون كتابَ الله ويتدارَسُونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغَشِيَتهُم الرَّحمةُ وحَفَّتهُم الملائكةُ وذَكَرَهُم اللهُ فيمن عنده.**)) ولئن كان أهلُ الإيمان في مجالسِ العلم وحِلَقِ الذكر في بيوت الله لا يَرَوْن الملائكة وهم يَحُفُّونَ المؤمنين إلا أَنَّهم من ذلك على يقينٍ لأنّ هذا أمرٌ أَخْبَرَ به الصادقُ المصدوق عليه الصلاة والسلام الذي لا ينطق عن الهوى، فَمَجَالسُ العلم، مجالسُ الحلال والحرام، مجالس الأحكام تَحُفُّها الملائكة... في الحديثِ الآخر قال: ((**وإن الملائكة لتَضَعُ أجنحتَها لطالبِ العلم رضاً بما يصنع**)) حتى ولو وإن كان لا يَرَاهم، وإن كانت لا تُرى الملائكةُ وهي تَضَعُ أجنحتها لطالبِ العِلم إلا أنّ هذا أمرٌ حقٌّ وثابتٌ أخبر به الصادق المصدوق صلوات الله وسلامه عليه.

فيما يتعلق بشهرنا الكريم ولياليه المباركة قال عليه الصلاة والسلام: ((**وينادي منادٍ كل ليلةٍ...**)) – جاء في بعض الروايات التَّصريحُ بأن المنادي ملك من الملائكة – ((**ينادي منادٍ كُلَّ ليلة: يا باغيَ الخيرِ أقْبِلْ ويا باغيَ الشَّرِّ أَقْصِر**)) كلَّ ليلةٍ من ليالي رمضان ينادي ملكٌ ((يا باغِيَ الخير أقبل ويا باغِيَ الشرِّ أقْصِرْ))، هذا النداء أو صوتُ هذا المِلَك بهذا النداء والنداء لا يكونُ إلا بصوت وإن كان صوتُه لا يُسمع بهذا

النداء لا يَسْمَعُه المؤمنون لكنَّنا على يقينٍ تامّ أنه كلَّ ليلةٍ من ليالي رمضان، ينادي ملكٌ كما أمَرَه الله سبحانه وتعالى: يا باغِيَ الخير أَقْبِل ويا باغيَ الشرِّ أَقْصِر.

فالإيمان بالملائكة واستحضار أعمالهم ووظائفهم له أثرٌ عظيمٌ جداً؛ انظر إلى نفسك عندما تستحضر كل ليلةٍ هذا النداء المبارك " يا باغيَ الخير أقبل ويا باغي الشر أقصر "، وفي هذا أيضاً دلالةٌ على أن النُّفُوس على نَفْسَين:

- نفس تبغي الخير وتطلُبُه وتريدُه، وتجد هذا الإنسان صاحبَ هذه النَّفس في اللَّيل من ليالِي رمضان بعد الصِّيام نفسُهُ مُقبِلةٌ على الخير منشرحةٌ له تبحث عنه، فيقول المنادي: يا باغِيَ الخيرِ أقبِل؛ أي أنت في موسم الخيرات استكثر منها جداً واجتهد فيها، جَاهِدْ نفسَك على اغتِنامِ أوقاتِ هذا الشهرِ المباركة.. إيَّاكَ والتَّفريطَ.. أقْبِلْ.
- وقِسْمٌ من الناس نفوسُهم تبغي الشرَّ والعياذُ بالله، نفوسُهم تبغي الشرّ تبحثُ عنه، حتى من بعض الصَّائمين تجدُه إذا انتهى الصيامُ بعدَ الصِّيامِ نفسُه تبحثُ عن الشرّ، تُريدُ الشّرّ، تطلُب الشّرّ، فيقول المنادي: يا باغيَ الشرِّ أقْصِرْ، في روايةٍ: ((**أَمْسِكْ**)).

ثم إذا كان الإنسان لا يُمسِكُ عن الشرّ في مثلِ هذه الليالي الشّريفة والأوقات الفاضلة والزَّمان الكريم المبارك متى يُمسِك ؟ إذا لم يغلبْ نفسَه في موسم الخيرات وموسم التجارة الرابحة المضاعفة، أرأيتم لو كان الناس في سوقٍ كبير وتجارةٍ رابحة بالملايين ثم شخصٌ يترُك التجارةَ الرابحة ويجلِس في قاذورة من القاذورات في ذلك السُّوق منشغلًا بتلك القاذورة عن التجارة الرابحة ؟ فبعضُ الناس في ليالي رمضان يترُك اغتنامَ هذه الليالي المباركة في الفضائل والخيرات والأعمال المباركات ويجلس مع قاذورة من القاذورات. فيقول الملَك: يا باغي الشرّ أَقْصِرْ؛ أي أَمْسِك.. امنَعْ نفسَك.. احجِزْ نفسَك.. احبِسْها عن هذه المنكرات.. امنَعْها كُلَّ ما طَلَبَتْ.. امنَعْها.. ذَكِّرْها بأنَّكِ في هذا الشهر وذَكِّرْها بهذا النّداء المبارك " يا باغِيَ الخَيرِ أَقْبِلْ ويا باغِيَ الشَّرِّ أَقْصِرْ ".

الشاهد من القول؛ أن الإيمانَ بالملائكة ووظائف الملائكة له أثرُه البالغ على العبد في سلوكه، في عبادته، في إيمانه، في عُبُوديته لله تبارك وتعالى.

والمصنف رحمه الله تعالى يذكر طرفاً مما يتعلق بوظائف الملائكة؛ يقول رحمه الله: " ونُؤمِنُ بالكِرَامِ الكَاتِبِين.. " "ونُؤمِنُ بالكِرَامِ الكَاتِبِين فإنّ الله قَدْ جَعَلَهُم علينا حَافِظِين " مُشيراً الى قول الله تبارك وتعالى في سورة الانفطار: **{ يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ۝ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ ۝ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ ۝ كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ ۝ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ۝ كِرَامًا كَاتِبِينَ ۝ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ }** تَنَبَّهْ ! قوله جلّ وعلا في بداية هذا السياق: **{ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ }** ثُمّ ذَكَرَ أموراً تدفع عن الإنسان هذا

الأَمْرَ؛ من بينها أن يذكر هؤلاء الملائكة الذين وَكَلَ اللهُ سبحانه وتعالى لهم هذه المهِمَّةَ العظيمة؛ قال: { وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ } { عَلَيْكُمْ } أيُّها العبادُ (حافظين) أي: يحفظون أعمالكم حِفظاً دقيقاً لا يَفُوت منها عملٌ؛ يحفظون أعمالَكم عَمَلاً عَمَلاً سواء كان العملُ قولاً باللسان أو عملاً بالجوارح أو عملاً حتى من أعمال القُلُوب كما سيأتي بعد ذلك، كلُّ ذلك تحفَظُه الملائكةُ؛ يكتبون أعمالَ العباد ويدوِّنُونَها عملاً عملًا، صغيراً وكبيراً، كلُّ ذلك يُكتَبُ ثم يَجِدُ العاملُ أعمالَه مكتوبةً عليه يومَ يلقى الله سبحانه وتعالى صغيرَها وكبيرَها { وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ } (حافظين) أي للأعمالِ كتابةً لها؛ { مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ } هذا نوعٌ من الحِفظ الذي وكّل للملائكة القيام به، وهناك نوعٌ من الحِفْظِ آخرُ جاءَ في قوله تبارك وتعالى { لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ } أي يحفظونه بأمر الله؛ فهناك ملائكة وكّلوا للعبد لِحْفظِ العبد؛ حِفظِه في بدنه، في عافِيتِه، في صِحَّتِه، إلَّا إذا جاء القَدَرُ خَلَّوْا بينَه وبَيْنَ القَدَر، فهذا نوعٌ من الحِفظ. وحفظٌ آخرُ وهو الذي يتحدث عنه المصنف رحمه الله تعالى وهو حِفْظُ أعمالِ العباد { وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ }، ثم وَصَفَهُم بقوله: { كِرَامًا كَاتِبِينَ } أي كِرَاماً على الله، وهذا فيه وصفٌ للملائكة بهذه الصفة التي تدُلُّ على عُلُوِّ مكانتهم وعُلُوِّ منزلَتِهِم. فهولاء الملائكة الذين وُكِلَ إلَيْهِم كتابةُ الأعمال هُم كرامٌ على الله، ألَيْسَ من الجدير بالعامل – وهنا لاحظ تحقيقَ الإيمان بالملائكة – أليسَ من الجَدِير بالعامل أن يستذكر دائماً أن الله جَعَلَ عليه ملائكة كراماً عنده سبحانه وتعالى ؟ كراماً عنده؛ لهم المكانةُ والمنزلةُ، كرامٌ على الله سبحانه وتعالى وكراماً عند الله عزّ وجلّ، جعلهم على العبد، فإذا كان العبدُ على ذكرٍ لهؤلاء الملائكةِ الذين جَعَلَهُم الله سبحانه وتعالى على العبدِ حافظين يحفظون أعمالَه، فيتذكَّرُ في كل خطوة وفي كُلِّ كلمة وفي كُلِّ حديثٍ وفي كُلِّ حَرَكَة هؤلاءِ الملائكة الكرام على الله وأنَّهم يكتبون ما يقولُ العبدُ من خيرٍ أو شرٍّ، من حَسَنٍ أو سيِّءٍ... كُلُّ ذلك يكتبونه { كِرَامًا كَاتِبِينَ ۝ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ } أي جميعَ أعمالِ العبادِ يعلمُونَها بما في ذلكم من الأعمال القلبيّة مثل الحياء والخوف والرجاء والتوكُّل والإنابة والخَشْية والرَّهبة وغير ذلكم من الأعمال القلبية الحَسَنَة، وأيضًا الأعمال القلبِيَّة السَّيِّئة مثل الغِلّ والحِقد والحَسَد والضَّغائن والسَّخائِم وغيرِ ذلك... كُلُّ هذه الأعمال قال الله: { يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ } فجعل الله سبحانه وتعالى szq على العباد ملائكةً كراماً كاتبين يعلمون ما يفعلُه العبادُ، وأَمَرَهُم سبحانه وتعالى بكتابة أعمال العباد بما في ذلكم الأعمال القلبية، كل ذلكم يُكتَب؛ يكتُبه الملائكةُ ولا يترُكون شيئا من عملِ العامل إلا وكتبوه { مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ } أي: ملائكةٌ عن يمينه كما قال بعضُ المفسرين –أو عدد من المفسرين–؛ عن يمينه مَلكٌ يكتب حسناته وعن يسارِه ملكٌ يكتب سيّئاته.

قال: " ونُؤمِنُ بالكِرَامِ الكَاتِبين فإنّ الله قَدْ جَعَلَهُم علينا حَافِظِين " " فإنّ الله قَدْ جَعَلَهُم علينا حَافِظِين " أي حافظين لأعمالنا كلِّها يكتبونها ويسطُرونها على العبد؛ جاء في الصحيحين من حديث أبي هريرة عن نبيّنا

عليه الصلاة والسلام قال: ((**يقول الله تعالى: إذا أراد عبدي أن يعمل سيِّئةً فلا تكتبوها عليه حتى يعمَلَها، فإن عملها فاكتبوها بمثلها –أي سيئة واحدة– وإن تركها من أجلي فاكتبوها له حسنة**)) الملائكةُ يطلعهم الله سبحانه وتعالى –هؤلاء الملائكة الكاتبين– على ما يَهُمّ به العبد، فإذا هَمَّ بسيِّئة قال الله لا تكتبوها، إن عَمِلها فاكتبوها سيئةً واحدةً، و إن تَرَكَها لأجلي، يعني همَّ بسيِّئة وتركها لأجل ألله خوفًا من الله تقوىً لله سبحانه وتعالى قال جل وعلا: ((**فاكتبوها له حسنة**)) قال: ((**وإن أراد أن يعمل الحسنة ولم يعملها – يعني هَمَّ بالحسنة لكن لم يعملها – فاكتبوها له حسنة، فإن عملها فاكتبوها له بعشر أمثالها إلى سبع مائة ضِعْفٍ**))، استحضارُ العبد حقيقةً لهؤلاء الملائكة وأنّهم في أتمِّ التَّهيُّؤِ والاستعداد للكتابة بمجرد ما يَهُمّ العبد والملائكة مُتَهَيِّؤون للكتابة، هذا الاستحضار لا شكّ أن له أثرًا عظيمًا جدّا عندما يستحضِرُه العبد في إصلاح نفسه وتهذيب سُلُوكِه والبُعدِ عن أيّ عمل مُنكر يُكتب عليه في صحيفته ويُسجَّل عليه في صحيفته. قال: " ونؤمن بالكرام الكاتبين فإن الله تعالى قد جعلهم علينا حافظين ".

قال: " ونُؤْمِنُ بِمَلَك الْمَوْتِ الموَّكَّلِ بِقَبضِ أَرْوَاحِ العَالَمِين "كما قال الله سبحانه وتعالى: { ۞ **قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ** } فالله سبحانه وتعالى وَكَّل بالعباد مَلَكًا يتولَّى قبضَ الأرواح، وفي قول عددٍ من أهل العلم أنَّه ملكٌ واحدٌ.. ملكٌ واحدٌ الذي وكل الله سبحانه وتعالى إليه قبضَ الأرواح، وجاء في بعض الآثار ولا يَصِحُّ مرفوعًا إلى نبيِّنا عليه الصلاة والسلام أن اسمه عزرائيل، لكن هذا لم يثبت في أحاديث صحيحة عن رسولنا صلوات الله وسلامه عليه، ولكن جاء في القرآن قول الله تعالى: { **قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ** } هو ملكٌ واحدٌ وكل الله إليه قبض الأرواح، وفي الساعة الواحدة في أنحاء الدُّنيا تموت –يمكن– آلافُ الأرواح، يمكن في ساعةٍ واحدةٍ. الموَكَّلُ مَلَك { **قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ** } والله جلّ وعلا قديرٌ على كل شيء سبحانه و تعالى؛ مثلما أن إسرافيل ملكٌ واحدٌ يَنفُخ في الصور؛ قَرْن؛ ينفخ فيه ثم تعود الأرواح إلى جميع الموتى.. هو ملكٌ واحدٌ، فهذا مَلَكٌ وَكَلَ الله إليه قبضَ الأرواح.

و قيل أن قول " مَلَك الموت " أي جنس الملائكة ليس مَلَكًا واحدًا، لكن الله على كل شيءٍ قديرٌ.. الله جلّ وعلا على كلِّ شيءٍ قديرٌ؛ فهذا ملَكٌ واحدٌ وَكَلَ الله إليه قبضَ أرواحِ العالمين؛ كُلُّ من دَنَتْ مَنِيَّتُه يتولّى قبضَ روحِه. ومع هذا الملك أعوانٌ من الملائكة، ولهذا جاء في بعض الآيات قال الله تعالى: { **الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ** } { **الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ** }، فذكر الملائكة، وفي الآية الأخرى قال: { **قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ** } فالذي وَكَلَ إليه تَوَفِّي الأرواحِ ملكٌ واحدٌ معه أعوانٌ، وهؤلاء الأعوانُ على صِنْفَيْن:

- إن كان الذي تُقبَضُ روحُه من أهل الإيمان والتقوى والصلاح فَهُم ملائكةُ رحمة، وإن كان بخلاف ذلك فهم ملائكةُ عذابٍ.

في آيةٍ أخرى قال الله جل وعلا: { **اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ** } فأسند التَّوفِّي إليه وأسنده في الآية التي مَرَّت معنا إلى ملكٍ وأسنده في آيةٍ أخرى إلى ملائكة، ولا تَعَارُض بين ذلك؛ أسنده إليه لأنه بأمرِه.. أسنده إليه لأنّه بأمره، هؤلاء الملائكة لا يعملون شيئًا إلا بِأمْرِ الله، فَفِعلُهُم صادرٌ عن أمر الله تبارك وتعالى لهم، فالتَّوَفِّي يُنسَب إلى الله لأنَّه الآمرُ به ويُنسَبُ إلى مَلَك الموت لأن هو الذي وكل إليه، ويُضاف إلى الملائكة سواءً كانت ملائكةَ رحمةٍ أو ملائكةَ عذابٍ باعتبار أنَّهم أعوانٌ له، والحديث عن هؤلاء الملائكة أو هذا الملك أو هؤلاء الملائكة الأعوان معه جاء مُفصَّلاً في مواضع، لكن أكثر هذه المواضع تفصيلا حديثُ البراء بن عازب المخرَّج في مُسنَدِ الإمام أحمد وغيره.

ولعلنا نَقِفُ وقفةً نستمعُ فيها إلى هذا الحديث العظيم:

[" عن البراء بن عازب رضي الله عنهما أنه قال: قال النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم: ((**إن العبدَ المؤمن إذا كان في انقطاعٍ من الدُّنيا وإقبالٍ من الآخرة نَزَلَ إليه ملائِكةٌ من السماء، بِيضُ الوجوه، كَأَنَّ وُجُوهَهُم الشمسُ، مَعَهُم كَفَنٌ من أكفان الجَنَّة، وحَنُوط من حَنُوط الجنة، حتى يجلسوا منه مدَّ البصر، ثم يجيءُ مَلَكُ الموت حتى يجلسَ عند رَأْسِه فيقول: أيَّتُها النفسُ الطيّبة اخرجي إلى مغفرةٍ من الله ورضوان.**)) قال: ((**فَتَخرُجُ تسيلُ كما تسيلُ القطرةُ من فِيّ السِّقاء، فَيَأْخُذُهَا فَإِذَا أَخَذَهَا لَمْ يَدَعُوهَا فِي يَدِهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ، حَتَّى يَأْخُذُوهَا فَيَجْعَلُوهَا فِي ذَلِكَ الْكَفَنِ، وَفِي ذَلِكَ الْحَنُوطِ وَيَخْرُجُ مِنْهَا كَأَطْيَبِ نَفْحَةِ مِسْكٍ وُجِدَتْ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ**)) قَالَ: ((**فَيَصْعَدُونَ بِهَا فَلَا يَمُرُّونَ عَلَى مَلَإٍ مِنْ الْمَلَائِكَةِ، إِلَّا قَالُوا مَا هَذَا الرُّوحُ الطَّيِّبُ؟ فَيَقُولُونَ: فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ، بِأَحْسَنِ أَسْمَائِهِ الَّتِي كَانُوا يُسَمُّونَهُ بِهَا فِي الدُّنْيَا**)) إِلَى أن قال: ((**وَإِنَّ الْعَبْدَ الْكَافِرَ إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعٍ مِنْ الدُّنْيَا وَإِقْبَالٍ مِنْ الْآخِرَةِ نَزَلَ إِلَيْهِ مِنْ السَّمَاءِ مَلَائِكَةٌ سُودُ الْوُجُوهِ مَعَهُمْ الْمُسُوحُ فَيَجْلِسُونَ مِنْهُ مَدَّ الْبَصَرِ ثُمَّ يَجِيءُ مَلَكُ الْمَوْتِ حَتَّى يَجْلِسَ عِنْدَ رَأْسِهِ فَيَقُولُ أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْخَبِيثَةُ اخْرُجِي إِلَى سَخَطٍ مِنْ اللَّهِ وَغَضَبٍ قَالَ فَتُفَرَّقُ فِي جَسَدِهِ فَيَنْتَزِعُهَا كَمَا يُنْتَزَعُ السَّفُّودُ مِنْ الصُّوفِ الْمَبْلُولِ فَيَأْخُذُهَا فَإِذَا أَخَذَهَا لَمْ يَدَعُوهَا فِي يَدِهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ حَتَّى يَجْعَلُوهَا فِي تِلْكَ الْمُسُوحِ، وَيَخْرُجُ مِنْهَا كَأَنْتَنِ رِيحِ جِيفَةٍ وُجِدَتْ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ، فَيَصْعَدُونَ بِهَا فَلَا يَمُرُّونَ بِهَا عَلَى مَلَإٍ مِنْ الْمَلَائِكَةِ، إِلَّا قَالُوا مَا هَذَا الرُّوحُ الْخَبِيثُ، فَيَقُولُونَ: فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ بِأَقْبَحِ أَسْمَائِهِ الَّتِي كَانَ يُسَمَّى بِهَا فِي الدُّنْيَا حَتَّى يُنْتَهَى بِهِ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا**))

نعم. الحديث ذُكر هنا مُختصرًا.

ثم قال المصنف رحمه الله تعالى: " وبِعذابِ القَبْرِ لِمَنْ كَانَ لَهُ أَهْلا " أي ونؤمن بعذابِ القبر، وقد قال عليه الصلاة والسلام: ((**عذاب القبر حق**)) وصَحَّ عنه عليه الصلاة والسلام التَّعوُّذ من عذاب القبر وقال: ((**وتعوَّذوا من عذاب القبر**))، فعذاب القبر حقٌّ، وقد دلَّ على ذلكم القرآن في مواضع ودلّت عليه أيضا سُنّة النبي الكريم صلوات الله وسلامه وبركاته عليه. ومن المواضع في القرآن في الدّلالة على عذاب القبر قول الله جل وعلا عن آل فرعون: { **النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا** } أي في هذه الحياة الدنيا { **النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا** } هذا من عذاب القبر.. هذا من عذاب القبر، كذلك قولُه جلَّ وعلا: { **وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَىٰ دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ** } قال: { **مِّنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَىٰ** } فيه دلالةٌ على تناول ذلك العذاب لما يكون في القبر من عذاب، ففي القرآن مواضع فيها الدلالة على عذاب القبر. وجاءت أحاديث صريحة في ذلكم عن نبينا عليه الصلاة والسلام قال فيها: ((**عذابُ القبر حقّ**)) وجاء في الحديث الصحيح أن النبي عليه الصلاة والسلام مَرَّ بقبرين فقال: ((**إنهما لَيُعذَّبان، وما يُعَذَّبَان في كبير، أَمَّا أَحَدُهُمَا فكان يمشي بِالنميمة بين الناس وأما الآخر فإنه كان لا يستبرأ –أو لا يستنزه– من البول**)) فذكر أنَّهما يُعذبان.. أنهما يُعَذَّبان، فهذا كُلُّه مما يدلُّ على أن عذاب القبر حقٌّ.

فإذن؛ من العقيدة المطلوبِ من المسلم أن يعتقدها وأن يؤمن بها أن يؤمنَ بعذاب القبر وأنَّ الإنسانَ الذي هو أهلٌ لهذا العذاب يُعذَّبُ في قبره، وذكر أهل العلم أن عذابَ القبر على نوعين:

- بالنسبة للكافر: عذابٌ مستمِرٌّ إلى قيام الساعة؛ إلى أن تقوم الساعة وهو في عذابٍ في قبره، ثم إذا قامت القيامة عذابُ الآخرة أشدُّ وأبقى.. عذابُ الآخرة أشدُّ وأبقى.
- وأما بالنسبة لعُصاةِ الموحِّدين: فمن عُذِّب في قبره فإن عذابَه يكونُ بحجم ذنبه، ليس مثلَ عذاب الكافر العذابُ الدائمُ المستمِرُّ الذي لا ينقطع، وإنما يكون علىٰ قدر جرائمه أو على قدر ذنوبه التي استحقَّ بها أن ينال من عذاب القبر.

ودلَّ الحديثُ المتقدِّمُ أن عذابَ القبر يكون علىٰ الكبائر ((**أما إنهما لَيُعذَّبان وما يُعذَّبَان في كبير**)) ((**وما يُعَذَّبان في كبير**))، فدلَّ علىٰ أن كبائر الذنوب التي هي دون الكفرِ بالله سبحانه وتعالى والشرك به يكون عليها تعذيبٌ فى القبور كما يدلُّ لذلكم هذا الحديث.

قال: " وبعذاب القبر لمن كان له أهلاً " من كان أهلا لعذاب القبر وماتَ ولَمْ يُقبَر؛ مثلاً رجلٌ احترَق وأصبَحَ جِسمُه رمادًا وسَفَّتهُ الرِّياح، أو رجلٌ أكلتْه السِّباع وخَرَجَ من أدبارِها بَعْرًا أو رَوَثًا... كلُّ هؤلاء يُعذَّبون.. كُلُّ هؤلاء يُعذَّبون، وربُّنا جلّ وعلا على كل شيءٍ قديرٌ، ومن مات قامت قيامته، والقبرُ أوَّلُ منازلِ الآخرة فسواءٌ قُبِر الشَّخصُ أو أنَّه بالصِّفة التي أشرتُ إلى مثالٍ لها، كل هؤلاء يُعذَّبون في قُبُورِهم، لكن ذَكَرَ عَذابَ القبر

لأن أغلب الناس هذا واقعُهم { **ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ** } هذا أغلب الناس، لكن بعض الناس يكون علىٰ خلاف هذه الصفة الغالبة بأن يموت حرقًا وتذروه الرِّياح ما يبقى من رماد من جسمه أو تأكله السباع أو غير ذلك من الصفات، لكن كل هؤلاء يعذبون.. كل هؤلاء يعذبون، فنؤمن بعذاب القبر لمن كان له أهلاً.

" وَبِسُؤَالِ مُنكَرٍ وَنَكِيرٍ فِي القَبْرِ عَن رَبِّه وَدِينِه وَنَبِيِّه " أي نؤمن بذلك، نؤمن بسُؤال منكر ونكير.

ومُنكَر ونَكِير هذان مَلَكان، والإيمانُ بهما من الإيمان بالملائكة الذي هو أصلٌ من أصول الإيمان سبق الحديثُ عنه؛ مَلَكَان جاء تسميتُهما بهٰذين الاسمين في حديثٍ صَحَّ عن النبي عليه الصلاة والسلام وخَرَّجَهُ الإمام التِّرمذي وغيرُه؛ قال صلى الله عليه وسلم: ((**إذا أُدْخِل الميِّتُ في قبرِه أتاهُ مَلَكَان أَسْوَدَان أَزْرَقَانِ يُقَالُ لأحَدِهِما المُنكَر ويُقال للآخَرِ النَّكِيرُ**)) وذكر أهل العلم أنهما سُمِّيَا بهذا الاسم لأن هَيْئَتَهُما مُنكَرَة؛ لا يَعْهَدُها الإنسان ولم يسبق أن مَرَّتْ بِه، هيئةٌ مُنكَرَةٌ عند العبد لم يَرَها في سابِقِ زمانِه، فيأتيه مَلَكَان أسوَدان أزرَقان، جاء في بعض الروايات: ((**سُودُ الوُجوه زُرْقُ العُيون، ويُقال لأحدِهما المُنكَر ويُقال لأحدِهما النَّكِيرُ، فَيجلسانه فيقولان: من رَبُّك ؟ وما دِينُك ؟ ومن نبيُّك ؟**)) ثلاثُ أسْئِلةٍ تُوَجَّهُ إلى الميِّت إذا أُدرِجَ في قبره: من ربُّك ؟ وما دينك ؟ ومن نبيُّك ؟، ولهذا قال المصنف: " وسُؤالِ مُنكرٍ ونكيرٍ في قبرِه عن ربِّه ودينِه ونبيِّه "، أي يقولان له: من ربُّك ؟ وما دينُك ؟ ومن نبيُّك ؟، وهذه فتنةُ القبر؛ أي الامتحان الذي يكون للإنسان في قبره، والامتحان الذي يكون في القبر أسئلتُه مُحدَّدة.. الأسئلة لهذا الامتحان مُحدَّدةٌ ومُعلَنة مُسبَقًا؛ ثلاث أسئلة تُوجَّه للمَيِّت في قبره وهي معلنة:

- السؤال الأول: من ربك؟
- والسؤال الثاني: من نبيك؟
- والسؤال الثالث: ما دينك؟

وإذا علم العبد أنه سيُسأل وأن هذان الملكان سيأتيانه.. سيأتي عليه وقتٌ يأتي عليه هذان المِلَكَان يَسْألانه هذه الأسئلة الثلاثة: من ربُّك ؟ ما دينُك ؟ من نبيُّك ؟ أليس من الجدير بمن عَلِمَ أنه سيُمتحن، وفي الامتحان يُكرم المرء أو يُهان، من عَلِم أنه سيمتحن أليس من الجدير به أن يُعِدَّ لهذا الامتحان عُدَّتَه وأن يَتَهَيَّأَ له ؟ أو أن استعدادات الناس مُنصَبَّةٌ على امتحانات الدُّنيا التي تُنال فيها بعض المراتب أو بعض المصالح الدنيوية، وأما امتحان الآخرة يُغفل عنه، ولا يَهتَمُّ الإنسان به ؟ !! فهذه ثلاثةُ أسئلة: من ربُّك ؟ ما دينُك ؟ من نبيُّك ؟، ولهذا أَكَّدَ العلماء ونَصحوا كثيرًا كُلَّ مسلم أن يَعْتَنِيَ بهذه الأصولِ الثلاثة، وأن يهتَمَّ بها اهتمامًا كبيرًا في نفسه وفي أهلِه وولدِه.. يعتني بها عنايةً دقيقة، لأنه لا يدري متى يَفْجَأُهُ الموت ثُمَّ يُدرَجُ في قبرِه ويأتيه الملكان: من ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟

وفي هذا المقام العظيم كَتَبَ الإمام النَّاصح والداعية المصلِح والإمام المجدِّدُ شيخُ الإسلام محمد بن عبد الوهاب – رحمه الله تعالى وغفر له– رسالَتَهُ العظيمة [الأصول الثلاثة] خَصَّهَا بهذه الأمورِ الثلاثة، وهذه من الكرامة العظيمة التي أكرم الله جلّ وعلا بها هذا الإمام.. مما أكرم الله سبحانه وتعالى به هذا الإمام– رحمه الله تعالى– أن ألَّفَ هذا الكتابَ في الأصول الثلاثة، فأفرد في هذه الأصول رسالةً بهذا الاسم: الأُصُولُ الثَّلَاثَةُ؛ وهي رسالة عظيمةٌ يُنصح كُلُّ مُسْلِمٍ ومُسْلمة بالعناية بها مُدارسةً ومذاكرةً وفهمًا وعملاً وتطبيقًا، فينبغي على المسلم أن يظفر بهذه الرسالة: الأصول الثلاثة لشيخ الإسلام محمد ابن عبد الوهاب، يعتني بها، يَحُثُّ أولادَه على قراءتها ودراستِها والاستفادةِ منها، لأن هذه الأصول الثلاثة هي التي سيُسأل عنها الجميعُ في قبورهم: من ربك؟ ما دينك؟ من نبيك؟، فمن وُفق لقراءة هذه الرسالة وفهْمِهَا والعمل بها، بإذن الله تبارك وتعالى سيكون من الناجين ومن الناجحين في هذا الامتحان لأنه أَعَدَّ له عُدَّتَه.

والإمامُ رحمه الله تعالى أتى في هذه الرسالة على خُلاصة ما ينبغي أن يُعلم حول هذه الأصول الثلاثة، وكل ما يذكره مقرونًا بدليله من كلام الله وكلام رسوله صلوات الله وسلامه عليه، وكتبها رحمه الله على مستويات: كتبها على مستوى يناسب طلبة العلم المحصِّلين، وكتبها على مستوى يناسب المبتدئين والعوام..

فالشاهد أن هذه الأصول الثلاثة أصولٌ عظيمةٌ وجليلةُ القَدْرِ ينبغي لكل مسلم أن يعتني بها وأن يستذكر دائما أنه سيُسأل عنها أولَّ ما يُدرج في قبره، يأتيه ملكان ويُجلسانه ويسألانه: من ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟.

قال: " عَلى مَا جَاءَتْ بِهِ الأَخْبَارُ عَن رَسُولِ الله صلى الله عليه وسلم وعن الصَّحَابَةِ رِضْوَانُ الله عَلَيْهِم "

هذا ونسأل الله الكريم رب ّ العرش العظيم بأسمائه الحسنى وصفاته العليا وبأنه الله الذي لا إله إلا هو أن يصلح لنا شأننا كله وأن يهدينا إليه صراطًا مستقيما وأن يكتب لنا الفوز والنجاة والسعادة في الدُّنيا والآخرة.

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

اللهم صلِّ وسلم على عبدك ورسولك نبينا محمد وآله وصحبه.

برنامج
دراسة متون
العقيدة
(المستوى الثالث)
@mton_aqeda3

شرح العقيدة الطحاوية

للإمام أبي جعفر الطحاوي رحمه الله

لفضيلة الشيخ

عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر حفظه الله

الدرس (١٩) إلىٰ الدرس (٢٢)

الشيخ لم يراجع التفريغ

الدرس التاسع عشر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على عبد الله ورسوله نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فيقول الإمام أبو جعفر الطحاوي - رحمه الله تعالى - في ذكر عقيدته قال:

وَالْقَبْرُ رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ، أَوْ حُفْرَةٌ مِنْ حُفَرِ ، وَنُؤْمِنُ بِالْبَعْثِ وَجَزَاءِ الْأَعْمَالِ يَوْمَ الْقِيَامَة، وَالْعَرْضِ وَالْحِسَابِ، وَقِرَاءَة الْكِتَابِ، وَالثَّوَابِ وَالْعِقَابِ، وَالصِّرَاطِ وَالْمِيزَانِ، والجنة و النار، وَالْجَنَّةُ وَالنَّارُ مَخْلُوقَتَانِ، لَا تَفْنَيَانِ أَبَدًا وَلَا تَبِيدَانِ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَلَقَ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ قَبْلَ الْخَلْقِ، وَخَلَقَ لَهُمَا أَهْلًا، فَمَنْ شَاءَ مِنْهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ فَضْلًا مِنْهُ، وَمَنْ شَاءَ مِنْهُمْ إِلَى النَّارِ عَدْلًا مِنْهُ، وَكُلٌّ يَعْمَلُ لِمَا قَدْ فُرِغَ لَهُ، وَصَائِرٌ إِلَى مَا خُلِقَ لَهُ، وَالْخَيْرُ وَالشَّرُّ مُقَدَّرَانِ عَلَى الْعِبَادِ).

****

يقول الإمام الطحاوي - رحمه الله تعالى - : ((والقبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النيران))

هذا بيان لشيء مما يتعلق بالإيمان باليوم الآخر: الذي هو أصل من أصول الإيمان العظيمة، وأساس من أسسه المتينة،

والإيمان باليوم الآخر: هو الإيمان بكل ما يكون بعد الموت بدءاً من فتنة القبر فعذابه ونعيمه ثم البعث والنشور والقيام بين يدي رب العالمين تبارك وتعالى، وما يكون من تفاصيل في ذلك اليوم العظيم، فالإيمان باليوم الآخر هو الإيمان بذلك كله، والمصنف - رحمه الله تعالى - يذكر هنا شيئاً من التفاصيل المتعلقة بالإيمان باليوم الآخر.

وقوله القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النيران

وذلك لأن القبر يعد أول منازل الآخرة كما صح بذلكم الحديث عن نبينا - عليه الصلاة والسلام- فأول منازل الآخرة القبر، وبمجرد موت الإنسان ينتهي من دار العمل، ويبدأ في حقه الجزاء و الحساب، فالقبر أول منازل الآخرة، وحساب العبد أو ثوابه، وعقابه يبدأ أول ما يبدأ معه في قبره، ولئن كان القبر برزخاً بين الدنيا والآخرة، لكنه أقرب للآخرة و بدايات أمور الآخرة من حساب أو عقاب أو نحو ذلك تكون تبدأ مع الإنسان

في قبره، ولهذا قال: **القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النيران**، وهذا لفظ حديث جاء في سنن الترمذي وغيره عن نبينا عليه الصلاة والسلام وفي إسناده كلام.

قال : ((إنما القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النيران))

والمعنى دلت عليه شواهد كثيرة و دلائل عديدة في كتاب الله – سبحانه و تعالى – وسنة رسوله – صلوات الله وسلامه عليه – وقد مر الإشارة إلى شيء منها

والقبر: هو ذلك المكان الذي يدفن فيه الميت قال – تبارك وتعالى – : ((ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ ۝ ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ))

فالقبر هو المكان الذي يوضع فيه الميت ، والقبر دار يكون فيها الإنسان ،وهي دارٌ بين داريْن ، بين الدار الدنيا والدار الآخرة وتسمى البرزخ . والبرزخ هو الفاصل بين الشيئين .

فالإنسان في قبره يُعد في برزخ بين الدنيا والآخرة ، فالدور ثلاثة :

- دار الدنيا
- ودار البرزخ
- والدار الآخرة .

لكن بموت العبد وخروج روحه من جسده ،تنتهي مرحلة الأعمال وتبدأ مرحلة الجزاء ،ولهذا ما يكون في القبر معدودا في اليوم الآخر .

ولهذا قال العلماء – رحمهم الله – في تعريفهم للإيمان باليوم الآخر : الإيمان بكل ما يكون بعد الموت ، أي بدءًا من القبر .

وجاء في الحديث عن نبينا – عليه الصلاة والسلام – : القبر أول منازل الآخرة ؛ لأن العبد في قبره إما أن يكون منعماً أو يكون معذباً بحسب الأعمال التي كان عليها ولهذا ينبغي أن يعلم في هذا المقام أن المؤمن ليس بينه وبين الجنة إلا أن يموت إلا أنْ تفارق روحه جسده ،وليس بين الكافر المعرض وبين النار إلا أن يموت ولهذا قال عليه الصلاة والسلام : ((من مات وهو يدعو من دون الله نداً دخل النار)) .

فالمطيع ليس بينه وبين الجنة إلا أن يموت ، والمعرض ليس بينه وبين النار إلا أن يموت ؛ فالقبر روضة من رياض الجنة ، أو حفرة من حفر النيران ، ثم هذا أمر غيبي نؤمن به كما جاء والله – تبارك وتعالى – على كل شيء قدير ولا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء .

ولهذا قد يكون رجلان يدفنان في قبرين متجاورين متلاصقين، بل قل حتى في قبر واحد ،ويكون هذا قبره روضة من رياض الجنة وهذا قبره حفرة من حفر النيران، ولا يشعر هذا بنعيم ذاك ولا يشعر ذاك بعذاب هذا ،والله – تبارك وتعالى – على كل شيء قدير.

قال : ((**ونؤمن بالبعث**)).

أي بعث الناس وقيامهم ونشورهم وقيامهم بين يدي رب العالمين ، والبعث يكون بعد القبر ، ((ثُمَّ أَمَاتَهُ أَقْبَرَهُ ۝ ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ ۝))

والبعث هو القيام من القبور . والبعث يوم يقوم الناس لرب العالمين ، فالبعث قيام الناس من قبورهم لله – تبارك وتعالى رب العالمين – ثم يُحشَرون ، يُجمعون على صعيد واحد ليكون الجزاء والحساب والعقاب .

فنؤمن بالبعث والبعث حق وقد قال الله – تبارك وتعالى – ((زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّن يُبْعَثُوا ۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ ۚ وَذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ (٧))

فنؤمن بالبعث ، ونؤمن... – قال : – بجزاء الأعمال يوم القيامة أي : جزاء العاملين على عملهم حسنةً كانت أو سيئة . فالله – سبحانه وتعالى – يبعث الناس ((لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى (٣١)) .

واليوم الآخر: يسمى يوم الجزاء ، ويسمى يوم الحساب ويسمى أيضاً يوم الدين .

قد مر معنا قريبا قول الله تعالى : (وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ)

معنى يوم الدين أي : يوم الجزاء والحساب قال تعالى :" ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ " وقال – جل وعلا – في أوائل سورة الذاريات " وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ "

أي الجزاء والحساب لواقع، والنَّاس يحاسبون يوم القيامة

ومن أسماء ربنا الحسنى – جل وعلا – **الديّان**

يقول – جل وعلا – يوم القيامة : " أنا الملك ، أنا الديان " ومعنى الديان أي : المجازي المحاسب لا يترك – سبحانه وتعالى – الخلق سدى بدون بعث وبدون حساب وبدون جزاء " (أَيَحْسَبُ الإنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى)"

قيل في معناها أي : لا يبعث ولا يجازى ولا يحاسب هذا لا يكون،

فالله الديّان: أي المجازي المحاسب، يجازي المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته، فَإِذن من الإيمان باليوم الآخر ، الإيمان بالجزاء على الأعمال ولهذا الله يقول في حق أهل الإيمان : " جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ "

وفي حق أهل الكفر قال : " جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ "

يعني العقوبة التي يبوءون بها وتكون لهم يوم القيامة هي جزاءً بما كانوا يكسبون أي : من معاصي وآثام وكفر بالله – تبارك وتعالى – وأيضًا دخول أهل الإيمان الجنة جزاءً بما كانوا يعملون " ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ"

فنؤمن بالبعث وجزاء الأعمال ،

لاحظ كلمة جزاء الأعمال ، فيه أعمال وفيه جزاء الأعمال في الدنيا، والجزاء في الآخرة، فالدنيا دار العمل ، والآخرة دار الجزاء ،(اليوم عمل ولا حساب وغدًا حساب ولا عمل)،

يقول علي بن أبي طالب رضي الله عنه : " ارتحلت الدنيا مدبره وارتحلت الآخرة مقبلة ، ولكل منهما بنون فكونوا من أبناء الآخرة ولا تكونوا من أبناء الدنيا ، فإن اليوم عمل ولا حساب وغدًا حساب ولا عمل "

فاليوم الآخر هو يوم الجزاء والحساب يوم الدين يوم يجزي الله – تبارك وتعالى –المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته .

قال – رحمه الله تعالى – : ((والعرض))

أيضًا من أسماء اليوم الآخر يوم العرض ، والعرض الذي يكون في ذلك اليوم أنواع من ذلكم أن الناس يعرضون على رب العالمين ، يقول الله تبارك وتعالى :"

(يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ) " يعرض الناس على رب العالمين كل بعمله وكل لما قدم ، وأيضًا من العرض عرض أهل النار على النار "وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا " فمن العرض الذي يكون هناك عرض أهل النار على النار يعرضون عليها ، وقال تعالى :" وَعُرِضُوا عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ " العرض على الله – سبحانه وتعالى– ،كذلكم من العرض الذي يكون هناك عرض الأعمال على العاملين ، تعرض أعمال العاملين عليهم ، كل يعرض عليه عمله فذاك أيضًا من العرض الذي يكون في ذلك اليوم العظيم .

فهناك أنواع من العرض في ذلك اليوم العظيم ، أنواع من العرض تكون فاليوم الآخر –يوم العرض الأكبر: أي عرض على الله – سبحانه وتعالى – ، عرض أهل النار على النار ، عرض أعمال العاملين على العاملين

فنؤمن بالعرض

ومراده رحمه الله بالعرض أي : عرض الأعمال على المسلم الذي وقع في بعض التقصير،

وجاء في الحديث أن الله – سبحانه وتعالى – يضع عليه ستره يضع عليه كنفه فيقرره بأعماله يعرضها عليه ويقرره بأعماله فيقول له تبارك وتعالى : " **أنا سترها لك في الدنيا واغفرها لك اليوم** " فهذا عرض للأعمال

ونؤمن أيضاً بالحساب

أي: محاسبة العامل على عمله ومناقشته على عمله ومجازاته بعمله ، فاليوم الآخر هو يوم الحساب؛ لأن الله – تبارك وتعالى – في ذلك اليوم يحاسب كل عامل بعمله وكل يحاسب على أعماله التي قدمها في هذه الحياة { وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا (١٣) اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا (١٤) [الإسراء] فيوم القيامة يوم الحساب

قال : وقراءة الكتاب

والمراد بالكتاب أي: كتاب الأعمال يعطى كل عامل محسنا كان أو مسيء كتابا بأعماله وفي هذا يقول الله سبحانه : **{فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ (١٩) إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ (٢٠) فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ (٢١) فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ (٢٢) قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ (٢٣) كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ (٢٤) وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ (٢٥) وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ (٢٦) يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ (٢٧) مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهْ (٢٨) هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ (٢٩) خُذُوهُ فَغُلُّوهُ (٣٠) ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ (٣١) ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ (٣٢) إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ (٣٣) } [الحاقة]**

فالناس في ذلك اليوم على فريقين:

- فريق يؤتى كتابه باليمين
- وفريق يؤتى كتابه بالشمال

ومن أوتي كتابه باليمين فهذا أمارة السعادة والفلاح والفوز العظيم ولهذا ينطلق في أرض المحشر **{ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ }** ينطلق من شدة فرحه **{ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ }** والذين في المحشر انطلق إليهم قائلاً : **{ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ }** كل باله مشغول في نفسه ما يدري ماذا يكون أمره لكن من شدة فرحه ينطلق هذا الانطلاق ويقول: **{ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ } مع أن الذين أمامه كل مهتم لنفسه نفسي نفسي {يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ (٣٤) وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ (٣٥) وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ (٣٦) لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ (٣٧) } [عبس]** .

والآخر الذي يؤتى كتابه بشماله يعدد أنواعاً من الندامات والحسرات لكنها لا تفيده ولا تجدي ليتني ولا ينفع ليت في ذلك اليوم ولا تنفع الندامة فنؤمن بقراءة الكتاب وكل يقرأ كتابه،

الله جل وعلا يقول في سورة الإسراء : **{اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا}** حتى من كان أميا لم يقرأ قط في هذه الحياة الدنيا سيقرأ كتابه يوم القيامة بأعماله ويرى أعماله ويقرأها في كتابه ويجدها في كتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها، كل أعماله تحضر في كتاب يقرأه من صغير أو كبير حتى يقول: {مَالِ هَٰذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا ۚ وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا (٤٩)} [الكهف]

قال: ((والثواب والعقاب))

أي ونؤمن بالثواب والعقاب الثواب للمحسن والعقاب للمسيء **{فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (٧)وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ (٨)} [الزلزلة]**

فنؤمن بالثواب والعقاب ثواب المحسنين بإحسانهم **{لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى (٣١)} [النجم]**

فالدار الآخرة هي دار الثواب والعقاب ؛ والثواب على كل الأعمال الصالحة صغيرها وكبيرها، دقيقها وجليَّها، سرها وعلنها.. كل ذلكم يجد المحسن ثوابه عليه عند الله تبارك وتعالى. وكذلكم العقاب، ولهذا الثواب والعقاب يكون على جميع الأعمال ،

قال : ((والصراط))

أي الذي ينصب على متن جهنم وهو صراطٌ حسي حقيقي وصفه النبي عليه الصلاة والسلام بأنه أحد من السيف وأدق من الشعرة والنار تحت العبد والمعبر صراطٌ

أحد من السيف وأدق من الشعرة، والله لا يعبر العبد إلا بلطف الله ورحمة الله وتغمد الله تبارك وتعالى له برحمته، النار تحته وأحد من السيف وأدق من الشعرة

{وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا (٧١) ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا (٧٢) } [مريم]

فلا ينجو إلا من يلطف الله – سبحانه وتعالى – به ويكتب له – جل وعلا – النجاة وهم أهل الإيمان والتقوى لله – سبحانه وتعالى –

قال : {ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا} والآية فيها شاهد لربط الذي يقوله أهل العلم بين الصراطين : الصراط الذي في الدنيا والصراط الذي في الآخرة ؛ الصراط الذي في الدنيا الصراط المعنوي دين الله **{ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (١٥٣)} [الأنعام]**

فالصراط المستقيم في الدنيا: هو دين الله وشرعه الذي أمر – جل وعلا – عباده به بحسب سير العبد على هذا الصراط أو في هذا الصراط المستقيم في الحياة الدنيا يكون سيره على الصراط الذي يُنصب على متن جهنم يوم القيامة، ولهذا ذكر عليه الصلاة والسلام في الحديث الصحيح :تفاوت الناس في العبور وأن :

- منهم من يمر كالبرق
- ومنهم من يمر كركاب الإبل
- ومنهم من يمر جريّاً
- ومنهم من يمر مشيا
- ومنهم من يمر زحفاً

متفاوتون في السير على الصراط والسبب هو تفاوتهم في الأعمال في هذه الحياة الدنيا، فكلما كان العبد أعظم مسارعة إلي الخير ومسابقة إلى الطاعات وتنافس في العبادات وجد واجتهاد في الطاعات يكون سيره على الصراط أعظم

الآن على سبيل المثال :

الصلاة أعظم فرائض الإسلام هل الناس فيه على مستوى واحد حتى المصلين ؟

- يعني بعضهم تجده قلبه معلق فعلاً في المساجد، وإقبالاً على الصلاة ومسارعةً إليها، وحرصاً عليها ورغبةً فيها.
- وآخر دون ذلك

وقل مثل ذلك في جميع أعمال الدين وطاعات الإسلام

فلما كانوا متفاوتون في سيرهم على الصراط المستقيم في هذه الحياة الدنيا تفاوتوا في سيرهم على الصراط الذي ينصب على متن جهنم يوم القيامة،

فمنهم من يمر كالبرق ومنهم من يمر كركاب الإبل منهم من يمر مشياً جرياً زحفاً إلى غير ذلكم مما جاء في الحديث عن رسول الله – صلوات الله وسلامه وبركاته عليه–

وإذا تجاوز العبد هذا الصراط حصَّل الفوز العظيم كما قال الله سبحانه وتعالى : ﴿**فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ**﴾ [آل عمران : ١٨٥]

قال: ﴿**فَقَدْ فَازَ**﴾ ؛ الفوز المبين: الفوز العظيم : هو هذا أن يُزحزَح العبد من النار ويُدخَل الجنة، وكلنا على يقين من هذا العبور على الصراط لوضوح الأدلة والبراهين على ذلك من كلام الله ومن كلام رسوله – عليه الصلاة والسلام–

كلنا على يقين من العبور لكننا في شك من النجاة ، ولهذا ينبغي للعاقل أن يعِدَّ لذلك اليوم عدته وأن يتهيأ له

والعبور على الصراط الذي يُنصب على متن جهنم ليس بقوة الأجسام وإنما بقوة الأعمال بفضل الله سبحانه وتعالى ولهذا قال : ﴿**ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا**﴾ [مريم : ٧٢] فالنجاة بالعمل الصالح المقرِّب إلى الله سبحانه وتعالى، أما الأجسام مهما قويت لا تفيد الإنسان، وإنما الذي ينفعه بإذن الله تبارك وتعالى: عمله الصالح

قال : ((**والميزان**))

أي نؤمن بنصب الموازين يوم القيامة كما قال الله تعالى : ﴿**وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا** ﴾ **[الأنبياء : ٤٧]** ، وقال جل وعلا : ﴿**فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ* فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ* وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ* تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ**﴾ **[المؤمنون : ١٠١–١٠٤]**

وهو ميزان حقيقي له كفتان كفة توضع فيها الحسنات وكفة توضع فيها السيئات

﴿**فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾ ثقلت أي بالطاعات والأعمال الصالحة، وأعظم ما تثقل به الموازين:

- توحيد الله وإخلاص الدين له
- وذكره جل وعلا وحسن الثناء عليه
- وتحقيق الإيمان به والعبودية له جل وعلا
- والقيام بفرائض الإسلام وواجبات الدين
- وتجنب المحرمات

هذا الذي تثقل به موازين العبد يوم القيامة

فالشاهد أن يوم القيامة تُنصب الموازين ميزان حقيقي له كفتان حقيقيتان كفة توضع فيها الحسنات وكفة توضع فيها السيئات

ويوزن يوم القيام ثلاثة أشياء- كما دلت على ذلكم الأدلة -:

- توزن الأعمال
- وتوزن صحائف الأعمال
- ويوزن العامل- العامل نفسه- يوضع على الميزان

وكل ذلك دل عليه الدلائل في سنة النبي الكريم - صلوات الله وسلامه وبركاته عليه -

قال - رحمه الله تعالى - **والجنة والنار مخلوقتان**

الجنة والنار مخلوقتان أي: أوجدهما الله - سبحانه وتعالى- وخلقهما أعد - جل وعلا -

الجنة لمن أطاعه وهيأها نزلاً لمن عبده واتقاه

والنار مخلوقة

فالجنة والنار مخلوقتان وهما موجودتان الآن

الجنة أُعدت للمتقين والنار أُعدت للكافرين، فهما موجودتان، مخلوقتان، أعد الله -سبحانه وتعالى - الجنة نزلا لعباده المطيعين، والنار أيضاً مخلوقة ومعدة للكافرين، فمن عقيدة أهل السنة: الإيمان بأن الجنة والنار مخلوقتان وأنهما موجودتان الآن،

ومر معنا جميعاً معاشر الصائمين قول نبينا عليه الصلاة والسلام : ((إذا كان أول ليلة من رمضان صفدت مردة الشياطين وفتحت أبواب الجنة فلم يغلق منها باب وغلقت أبواب النار فلم يفتح منها باب))

هذا من الأدلة على أن الجنة والنار موجودتان الآن في رمضان تفتح أبواب الجنة وتغلق أبواب النيران وهل تفتح أبواب وتغلق أبواب لشيء لا وجود له ؟

فالجنة والنار موجودة، والنبي عليه الصلاة والسلام في صلاة الكسوف رأى الجنة والنار بعينه عليه الصلاة والسلام حقيقة، والصحابة رضي الله عنهم وراءه يصلون لم يروا شيئاً،

والله – جل وعلا – على كل شيء قدير بل إنه – عليه الصلاة والسلام – وهو يصلي مد يده، وتقدم كأنه يريد أن يأخذ شيء، والصحابة رأوه في صلاته يتقدم ماداً يده كأنه يريد أن يأخذ شيئاً، ثم بعدها بقليل كأنه خائف من شيء، ولأول مرة يرونه في صلاته يفعل هذا الشيء و لما سألوه

قال : ((**رأيت الجنة ورأيت النار**))

وتقدم قال ليأخذ عنقوداً من عناقيد الجنة يرى عناقيد الجنة أمامه حقيقة وتقدم ليأخذ عنقوداً قال : ((ولو أخذت عنقودا لأكلتم منه ما بقيت الدنيا)).

عنقود واحد قال تأكلون منه إلى آخر الدنيا

وهذا يبين لك: كمال نعيم الجنة وأنه ليس في الدنيا مما في الجنة إلا الأسماء كما قال بن عباس رضي الله عنهما.

ورأى النار ورأى عليه الصلاة والسلام أصناف المعذبين في النار، رأى من عذب بالشرك بالله – سبحانه وتعالى – ورأى عليه الصلاة والسلام من عذب بالقتل رأى امرأة من بني اسرائيل عذبت في هرة حبستها رآها صلى الله عليه وسلم فرأى أصنافاً صلوات الله وسلامه عليه من المعذبين في النار.

فهذا كله من الشواهد والدلائل على أن الجنة والنار مخلوقتان موجودتان الآن

ومن الحكمة في وجودهما: أن العامل إذا علم أن نزله موجود والعاصي، إذا علم أن عقوبته موجودة مخلوقة مهيأة يدفعه إلى مزيد الأعمال والطاعات وتجنب أيضاً أسباب دخول النار والوقوع فيما يسخط الله – تبارك وتعالى – .

قال : ((**والجنة والنار مخلوقتان لا تفنيان أبدا ولا تبيدان**))

لا تفنيان أبداً ولا تبيدان أي الجنة باقية أبد الآباد والنار باقية أبد الآباد ؛ الجنة لا تفنى والنار لا تفنى وأهل الجنة خالدون فيها أبد الآباد وكذلكم أهل النار مخلدون فيها أبد الآباد ﴿وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾[البقرة: ١٦٧]

وقال جل وعلا : ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا كَذَٰلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ ﴿٣٦﴾ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٣٧﴾﴾ [الأنبياء]

بهذا يكون – رحمه الله تعالى – انهى ما يتعلق بهذه المباحث المتعلقة بالإيمان باليوم الآخر، ثم انتقل مع شيء من الربط بما سبق، للحديث عن الإيمان بالقدر: الذي هو أصل من أصول الإيمان، وقد عرفنا أنه رحمه الله ينوع العبارة، وأيضاً يكرر المعاني بأساليب مختلفة في كتابه تثبيتا لهذه الحقائق وترسيخا لها، وسيأتي الآن في ما يقرره رحمه الله مباحث تتعلق بالإيمان بالقدر.

نؤجل الحديث عنها إلى اللقاء القادم بإذن الله سبحانه وتعالى،

نسأل الله الكريم أن ينفعنا جميعاً بما علمنا وأن يزيدنا علماً وأن يجعل ما نتعلمه حجة لنا لا علينا وأن يصلح لنا جميعاً ديننا الذي هو عصمة أمرنا وأن يصلح لنا دنيانا التي فيها معاشنا وأن يصلح لنا آخرتنا التي فيها معادنا وأن يجعل الحياة زيادة لنا في كل خير والموت راحة لنا من كل شر ، اللهم اغفر لنا ولوالدينا ولمشايخنا والمسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات الأحياء منهم والأموات

اللهم إنا نسألك الثبات في الأمر والعزيمة على الرشد ونسألك موجبات رحمتك وعزائم مغفرتك ونسألك شكر نعمتك وحسن عبادتك ونسألك قلباً سليماً ولساناً صادقاً ونسألك من خير ما تعلم ونعوذ بك من شر ما تعلم ونستغفرك مما تعلم أنك أنت علام الغيوب،

اللهم زينا بزينة الإيمان واجعلنا هداة مهتدين غير ضالين ولا مضلين اللهم آتِ نفوسنا تقواها وزكها أنت خير من زكاها أنت وليها ومولاها ،

اللهم إنا نسألك الهدى والتقى والعفة والغنى اللهم أقسم لنا من خشيتك ما يحول بيننا وبين معاصيك ومن طاعتك ما تبلغ به جنتك ومن اليقين ما تهون به علينا مصائب الدنيا ،

اللهم متعنا بأسماعنا وأبصارنا ما أحييتنا واجعله الوارث منا وأجعل ثأرنا على من ظلمنا وانصرنا على من عادانا ولا تجعل مصيبتنا في ديننا ولا تجعل الدنيا أكبر همنا ولا مبلغ علمنا ولا تسلط علينا من لا يرحمنا.

والله تعالى أعلم وصلى الله وسلم على عبده ورسوله نبينا محمد وآله وصحبه .

الدرس العشرون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على عبد الله ورسوله نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، أما بعد ...

فيقول الإمام أبو جعفر الطحاوي – رحمه الله تعالى – : في ذكر عقيدته قال :

وَإِنَّ اللهَ تَعَالَى خَلَقَ الجَنَّةَ وَالنَّارَ قَبْلَ الخَلْقِ وَخَلَقَ لَهُمَا أَهْلًا، فَمَنْ شَاءَ مِنْهُمْ إِلَى الجَنَّةَ فَضْلًا مِنْهُ، وَمَنْ شَاءَ مِنْهُمْ إِلَى النَّارِ عَدْلاً مِنْهُ، وَكُلٌّ يَعْمَلُ لِمَا قَدْ فُرِغَ لَهُ وَصَائِرٌ إِلَى مَا خُلِقَ لَهُ.

وَالخَيْرُ وَالشَّرُّ مُقَدَّرَانِ عَلَىَ العِبَادِ.

وَالإستطاعة التِي يَجِبُ بِهَا الفِعْلُ مِن نَحْوِ التَّوْفِيقِ الذِي لاَ يَجُوزُ أَنْ يُوصَفَ المَخْلُوقُ بِهِ فَهِيَ مَعَ الفِعْلِ، وَأَمَّا الإستطاعة مِنْ جِهَةِ الصحَّةِ وَالوُسْعِ وَالتَّمَكُّنِ وَسَلاَمَةِ الآلاَتِ فَهِيَ قَبْلَ الفِعْلِ، وَبِهَا يَتَعَلَّقُ الخِطَابُ، وَهِيَ كَمَا قَالَ تَعَالَىَ:{لاَ يُكَلِّفُ اللهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهُا".

وَأَفْعَالُ العِبَادِ خَلْقُ اللهِ وَكَسْبٌ مِنَ العِبَادِ. وَلَمْ يُكَلِّفْهُمُ اللهُ تَعَالَى إِلاَّ مَا يُطِيقُونَ، وَلاَ يُطَيَّقُونَ إِلاَّ مَا كَلَّفَهُمْ، وَهُوَ تَفْسِيرُ لاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللهِ. نَقُولُ: لاَ حِيلَةَ لأَحَدٍ، وَلاَ حَرَكَةَ لأَحَدٍ وَلاَ تَحَوُّلَ لأَحَدٍ عَنْ مَعْصِيَةِ اللهِ إِلاَّ بِمَعُونَةِ اللهِ، وَلاَ قُوَّةَ لأَحَدٍ عَلَى إِقَامَةِ طَاعَةِ اللهِ وَالثَّبَاتِ عَلَيْهَا إِلاَّ بِتوفِيقِ اللهِ

وَكُلُّ شَيْءٍ يَجْرِي بِمَشِيئَةِ اللهِ تَعَالَىَ وَعِلْمِهِ وَقَضَائِهِ وَقَدَرِهِ.

غَلَبَتْ مَشِيْئَتُهُ المَشِيئَاتِ كُلَّهَا، وَغَلَبَ قَضَاؤُهُ الحِيَلَ كُلَّها. يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ غَيْرُ ظَالِمٍ أَبَدًا، تَقَدَّسَ عَنْ كُلِّ سُوءٍ وَحَيْنٍ ، وَتَنَزَّهَ عَنْ كُلِّ عَيْبٍ وَشَيْنٍ { لاَ يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ".

وَفِي دُعَاءِ الأَحْيَاءِ وَصَدَقَاتِهِمْ مَنْفَعَةٌ للأَمْوَاتِ، وَاللهُ تَعَالَى يَسْتَجِيبُ الدَّعَوَاتِ وَيِقْضِي الحَاجَاتِ، وَيَمْلِكُ كُلَّ شَيْءٍ وَلاَ يَمْلِكُهُ شَيْءٌ ، وَلاَ غِنَى عَنِ اللهِ تَعَالَى طَرْفَةَ عَيْنٍ، وَمَنْ زَعَمَ أَنَّهُ اسْتَغْنَى عَنِ اللهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ فَقَدْ كَفَرَ وَصَارَ مِنْ أَهْلِ الحَيْنِ.

وَاللهُ يَغْضَبُ وَيَرْضَى لاَ كَأَحَدٍ مِنْ الوَرَى.

..

الحمد لله رب العالمين وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين ،أما بعد ...

فهذه مباحث تتعلق بالإيمان بالقدر الذي هو أصلٌ من أصول الإيمان، وأساس من أسس الدين، وسبق أن مر معنا عند المصنف الإمام الطحاوي – رحمه الله تعالى – مباحث تتعلق بالإيمان بالقدر بعضها نظير ما ذكره هنا – رحمه الله تعالى – ،

إلا أننا قد عرفنا أن من طريقته – رحمه الله تعالى – تكرار المعاني مع تنوع العبارات ولعل غرضه من ذلك – رحمه الله تعالى – ترسيخ هذه المعاني العقدية وتثبيتها؛ لأن من فوائد التكرار: تثبيت العلم وتقويته في النفس وترسيخه،

ولأجل هذا تتكرر عند المصنف – رحمه الله تعالى – المعاني بتنوع في العبارات وتفنن في الألفاظ، وفي هذا الموضع تحدّث عن بعض مباحث القدر مع شيء من الرد بما تحدّث عنه أخيراً: وهو ما يتعلق **باليوم الآخر والجنة والنار وأنهما مخلوقتان لا تفنيان** أتبع ذلكم بقوله : **"وإن الله تعالى خلق الجنة والنار قبل الخلق "**

قال:" مخلوقتان" ثم أتبع ذلك بقوله: **" خلقهما قبل الخلق "** يعني وجود الجنة والنار، وخلق الجنة والنار كان قبل الخلق، والمراد بالخلق: الناس الذين أعدت الجنة والنار لهما؛ فالجنة أعدت لأهل طاعة الله – تبارك وتعالى – ، والنار أعدت لأهل معصيته.

فيقول – رحمه الله تعالى – : ((**خلق الله الجنة والنار قبل الخلق**))؛ قبل أن يخلق الناس.

((**وخلق لهما أهلاً**))

أي : خلق للجنة أهلاً وهو أهل طاعة الله – سبحانه وتعالى – وخلق – تبارك وتعالى – للنار أهلاً وهم أهل معصيته﴿ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾[الشورى: ٧]

قوله : ((**خلق لهما أهلاً**))

فيه دلالة على التقدير السابق وأن الله – سبحانه وتعالى – قدّر مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة ،

قال – رحمه الله تعالى – : ((**فمن شاء منهم إلى الجنة فضلاً ومن شاء منهم إلى النار عدلاً منه**)).

يبيّن – رحمه الله تعالى – أن افتراق الناس إلى فريقين : ﴿ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾[الشورى: ٧]راجع إلى المشيئة ؛ مشيئة الله – سبحانه وتعالى – لأنه لا يمكن أن يقع شيء إلا بمشيئة الله، فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، فالأمر كله عائد إلى مشيئة الله سبحانه وتعالى،

قال : ((**فمن شاء منهم إلى الجنة فضلاً**))

أي من كُتب وقُدر أنه يكون من أهل الجنة ويعمل بعمل أهل الجنة وييسر لعمل أهل الجنة هذا فضل من الله عليه كما قال الله سبحانه : ﴿وَلَٰكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ، فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً ۚ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ [الحجرات: ٧، ٨]

وقال جل وعلا: ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا ﴾[النور: ٢١] وقال تعالى: ﴿ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا ۖ قُل لَّا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُم ۖ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ ﴾، أي: يتفضل ﴿ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [الحجرات: ١٧]

قال – جل وعلا – : ﴿وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾[الحديد: ٢٩] ولا يكفي هذا المعنى كثيراً ،

إذن من كتب الله – سبحانه وتعالى – أنه يكون من أهل الجنة وشاء – تبارك وتعالى – أن يكون من أهل الجنة فهذا فضل من الله هذا فضل وإنعام وتكرم من الله سبحانه وتعالى.

قال : ((**ومن شاء منهم إلى النار عدلاً منه**))

لأن الله – سبحانه وتعالى – لا يظلم أحداً ﴿ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾[فصلت : ٤٦] فمن كان من أهل النار وشاء الله – تبارك وتعالى – أن يكون من أهل النار ليس ذلك ظلم من الله – تبارك وتعالى – له فالله لا يظلم أحداً ، وإنما هذا عدل منه – سبحانه وتعالى – ؛ لأن هذا الذي دخل النار حقيق بدخولها وأهل لدخولها.

قال : ((**وكلٌ يعمل لما قد فُرغ له وصائر إلى ما خُلق له**))

فكل أحد من الناس يعمل فيما فرغ له: أي في القدَر السابق

ولهذا قال – عليه الصلاة والسلام – كما في صحيح مسلم : ((**كل شيء بقدر حتى العجز والكيس**)).

فعمل الإنسان من طاعة أو غيرها هو في أمر فرغ له، فرغ له أي: قدر وكتب وهو ماضٍ فيما فرغ له

والصحابة – رضي الله عنهم – لما سألوا النبي – عليه الصلاة والسلام – قالوا: نعمل فيما قُدّر وقُضي أو في أمرٍ مستأنف ؟ قال: **بل فيما قُدّر وقُضي**

فإذن عمل الإنسان وسيره وما يقوم به من أعمال كل ذلكم فيما فُرِغ له ، فيما فُرِغ له أي فيما قدره الله – سبحانه وتعالى – له أن يفعله كما في الحديث الذي مر معنا قريباً : ((**إن الله كتب مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة**))

وعمل الإنسان كل حركة عندما يقول – رحمه الله تعالى – ((**وكلٌّ يعمل**))؛ أي: كل حركة تقع من الإنسان هي تقع فيما فرغ له. وانظر فقه الصحابة – رضي الله عنهم – في هذا الباب ابن عباس رضي الله عنهما يقول : "كل شيء بقدر حتى وضعك كفك على ذقنك هكذا بقدر " فكل حركة تكون من العبد وكل سكون قُدِّر وقضي تبارك الله رب العالمين خالق الخلق أجمعين سبحانه وتعالى.

قال : ((**وكل يعمل لما قد فرغ له وصائر إلى ما خلق له**))

أي هو صائر إلى العمل الذي خلق له وكتب أن يعمله في القدر السابق الذي كان قبل خلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة قال رحمه الله والخير والشر مقدران على العباد ،

كما ثبت بذلكم الحديث عن رسول الله – عليه الصلاة والسلام – حديث جبريل المشهور وفيه قال : ((**وأن تؤمن بالقدر خيره وشره من الله تعالى**)) فالخير والشر مُقدّران على العباد

أي ما يقع من العبد من أعمال خيرٍ أو يقع من العبد من أعمال شرٍ أو ما يصيب العبد من خير أو يصيبه من شر وضُر كل ذلكم بقدر: ﴿مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ...﴾ [التغابن: ١١]

فالأمور كلها بقضاء الله – تبارك وتعالى – وقدره :

الخير والشر الصحة والمرض الهداية والضلال الكفر والإيمان الغنى والفقر النفع والضر... كل ذلكم بقدر، قال: **والخير والشر مقدران على العباد**

- والإستطاعة التي يجب بها الفعل من نحو التوفيق الذي لا يوصف المخلوق به تكون مع الفعل
- وأما الإستطاعة من جهة الصحة والوسع والتمكين وسلامة الآلات فهي قبل الفعل وبها يتعلّق الخطاب وهو كما قال الله – تبارك وتعالى – : ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا...﴾ [البقرة: ٢٨٦]

ينبِّه – رحمه الله تعالى – هنا وهو يتحدث عن الإيمان بالقدر أن الإستطاعة التي تنسب إلى العبد وتضاف إليه عندما يقال: هل العبد مستطيع أو غير مستطيع هذه الإستطاعة التي تضاف إلى العبد؟

- نوعان بينهما – رحمه الله تعالى – :

النوع الأول من الإستطاعة : هي الإستطاعة التي تكون مع الفعل والتي يجب فيها الفعل وهي من نحو التوفيق فإذا قام العبد بالصلاة وصلى وأدى هذه الصلاة

الإستطاعة التي كانت مع الفعل هي توفيق وعون من الله – سبحانه وتعالى –

هذا نوع من الإستطاعة وهو: من نحو التوفيق والتسديد والإعانة التي تكون من الله – سبحانه وتعالى – لعبده،

ولهذا يقال : لا يستطيع أحد أن يصلي إلا إذا أعانه الله على الصلاة ، لا يستطيع أحد أن يصوم إلا إذا أعانه الله على الصيام ، لا يستطيع أحد أن يهتدي إلا إذا أعانه الله على الهداية ، قل ذلك في جميع الطاعات.

ما المراد بالإستطاعة هنا؟، عندما يقال لا يستطيع أحد أن يصلي إلا إذا أعانه الله على الصلاة؟، لا يستطيع أحد أن يصوم إلا إذا أعانه الله على الصيام؟ : ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَى مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا﴾[النور: ٢١]

ج – المراد بالإستطاعة هنا : الإستطاعة التي مع الفعل ، التي يكون بها نحو التوفيق كما قال المصنف – رحمه الله تعالى – .

النوع الثاني من الإستطاعة : قبل الفعل ؛ عندما يقال : هل هو مستطيع أن يصلي هل هو من أهل الإستطاعة ، ما مرادنا بالإستطاعة هنا التي هي قبل الفعل؟

يقال : هل فلان يستطيع أن يصلي؟ – ومرادنا بالإستطاعة النوع الآخر الذي هو قبل الفعل –

- المراد بها :هل عنده قدرة بدنية ، هل صحته تساعده الصلاة ، هل هو سالم من الأمراض التي تمنع من ذلك. مثله في الحج ؛ قال : ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ ﴾ [آل عمران : ٩٧]؛ المراد بالإستطاعة هنا التي قبل الفعل ، هل عنده زاد يسافر به للحج ، هل جسمه يساعده على السفر ، هذه الإستطاعة التي قبل الفعل.

قال – رحمه الله تعالى – : ((وبها يتعلق الخطاب))

الآن لما قال – جل وعلا – : ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً ﴾ هل المراد بالإستطاعة هنا :﴿ مَنِ اسْتَطَاعَ ﴾ الإستطاعة التي مع الفعل أو قبل الفعل؟

إذن التي يتعلق بها الخطاب المتجه للمكلفين هي الإستطاعة التي قبل الفعل فالصلاة قال : ((صَلِّ قَائِمًا ، فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ)) المراد بالإستطاعة هنا التي قبل الفعل ، ((صَلِّ قَائِمًا ، فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَقَاعِدًا ، فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَعَلَى جَنْبٍ)) المراد بالإستطاعة هنا التي قبل الفعل وهي التي يتعلق بها الخطاب المتجه للمكلفين.

قول الله عن الكفار ، هذا سؤال لكم الآن يتضح من خلاله فهمنا للتفصيل ؛ قول الله تعالى في حق الكفار : [لا يستطيعون السمع] هنا نفي استطاعة ، (لا يستطيعون السمع) ما المراد به ؟ هل المراد بالإستطاعة هنا التي قبل الفعل أو التي مع الفعل ؟

ج – التي مع الفعل؛ لأنهم يسمعون ، لكنهم لا يستطيعون أن يستفيدوا بأسماعهم ما تحقق به هدايتهم وانتفاعهم مما يصل إلى أسماعهم ، فهم يسمعون ،الإستطاعة التي قبل الفعل موجودة عندهم ، لكن الذي نُفي هنا الإستطاعة التي مع الفعل وهي: التوفيق ، توفيق الله – سبحانه وتعالى – لهم بأن تنشرح الصدور وتقبل النفوس الحق وتُقبل عليه ؛ هذا الذي نفاه الله – سبحانه وتعالى – بقوله : (لا يستطيعون السمع).

ثم قال – رحمه الله تعالى – : ((وأفعال العباد خلق الله وكسبٌ من العباد)).

أفعال العباد خلق الله؛ لأن الله خالق كل شيء ، خالق الأشخاص وخالق أيضاً ما يقوم فيهم من حركات وسكنات وقيام وقعود ونحو ذلك فكل ذلكم مخلوق لله – سبحانه وتعالى – ؛ لأنه – جل وعلا – خالق كل شيء :﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾[الصافات : ٩٦]

﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾[الزمر : ٦٢] فقوله :﴿ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ يشمل الأشخاص ويشمل أيضاً الحركات والسكنات القائمة بالأشخاص فالله خالق الناس وخالق أفعالهم،

إذن أفعال العباد مخلوقة لله – سبحانه وتعالى – وهي كسب لهم يطلق الكسب ويراد به الفعل ؛ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ أي : بما فعلتم، بما اقترفتم. فيطلق الكسب ويراد به الفعل، ولعله هو مراد المصنف – رحمه الله تعالى – .

قال : ((**وأفعال العباد خلق لله وكسب من العباد**))

أي فعل للعباد، ولهذا تنسب إليهم باعتبار أنهم هم الفاعلين لها، عندما يصلي المصلي يقال: صلى يحج يقال: حج يصوم يقال: صام يبر بوالديه يقال: بر بوالديه أيضاً عندما يفعل المعاصي يقال عنه : أنه قتل أو كذب

أو إلى آخره تنسب إليه؛ لأنه هو الفاعل لها فهي فعل العبد تنسب إليه من خير وشر؛ لأنه هو الفاعل لها وهي خلق لله لأن الله – سبحانه وتعالى – خالق للعباد وخالق لأفعالهم وأفعال العباد خلق الله وكسب من العباد أي: فعل قام به العبد فهو يضاف إليه وينسب إليه،

قال : ((**ولم يكلفهم الله تعالى إلا ما يطيقون**))

كما قال الله – سبحانه وتعالى – : ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾[البقرة : ٢٨٦] لم يكلف العباد – سبحانه وتعالى – شيئاً لا يطيقونه فالتكاليف في أمر أو أمور يطيقها العباد كما قال – جل وعلا – ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ لم يكلفهم الله إلا ما يطيقون.

قال : ((**ولا يطيقون إلا ما كلفهم**))

هذه العبارة فيها نظر، ونبَّه أهل العلم على عدم صحة هذه العبارة واستقامتها.

قال: **ولا يطيقون إلا ما كلفهم**

الآن الصلوات الخمس التي كلف الله – سبحانه وتعالى – العباد بالقيام بها في اليوم والليلة خمس مرات، هذه الآن الفريضة التي كلف الله – سبحانه وتعالى – العباد بها، إذا قيل: لا يطيقون إلا ما كلفهم.. ما معنى ذلك؟– يعني لو أن مثلاً لو أنه لو زيد في الصلوات ركعة واحدة تكون ماذا؟ فوق الطاقة لو زيد في صيام رمضان يوم واحد يكون فوق الطاقة

وهذا غير صحيح

ولا يطيقون إلا ما كلفهم

يطيقون فوق ذلك لكن الله رحم بهم وما جعل عليهم في الدين من حرج، ولم يكن التكليف الذي كلفهم به في حد الطاقة تماماً بحيث أنه لو زيد لا يطيقون، بل رحمهم – سبحانه وتعالى – وكلفهم فيما دون الطاقة فلا يصح أن يقال : " ولا يطيقون إلا ما كلفهم به "؛ لأن معنى ذلك" ولا يطيقون إلا ما كلفهم به ": أن التكاليف جاءت على حد الطاقة تماماً بحيث لو كان أزود من ذلك ولو بشيء يسير لا يطيق الناس ذلك

فقال : ((**ولا يطيقون إلا ما كلفهم**))

هذا محل نظر، بل الصحيح أنه : " يطيقون فوق ما كلفهم " ، لكنه – سبحانه وتعالى – لطف بهم وخفف عليهم "يُرِيدُ اللّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ " " وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ" فهذا كله مما يدل على عدم استقامة هذه العبارة وعدم صحتها

قال: وهو تفسير قوله لا حول ولا قوة إلا بالله،

هذه كلمة عظيمة جداً جاء الحث عليها عن نبينا – عليه الصلاة والسلام – قال : " اكثروا من لا حول ولا قوة إلا بالله"، كلمة عظيمة يستحب للمسلم أن يكثر من قولها وهي

- من أعظم الذكر وأنفعه
- وهي كلمة استعانة ، كلمة فيها طلب العون من الله – سبحانه وتعالى –

وشرح المصنف – رحمه الله تعالى – شرحاً جميلاً قال نقول أي في معنى هذه الكلمة ، لا حول ولا قوة إلا بالله: أي لا حيلة لأحد ولا تحول لأحد ولا حركة لأحد عن معصية إلا بمعونة الله ، ولا قوة لأحد على إقامة الطاعة والثبات عليها إلا بتوفيق الله ، هذا معنى لا حول ولا قوة إلا بالله ،

لا حول : أي لا حيلة ، ولا حول : أي لا تحول من حال إلى حال من فقر إلى غنى من مرض إلى صحة من ضلال إلى هداية ، أي نوع من أنواع التحولات لا يمكن إلا إذا أمد الله – سبحانه وتعالى – العبد بالعون والتوفيق والتسديد ،

ولا قوة إلا بالله : لا قوة للعبد بحيث يقوم بأعماله من صلاة من صيام من طاعة إلى غير ذلك... إلا بالله ، فالعبد لا حول له ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، فهي كلمة استعانة، ولهذا شرع للمسلم أن يقول عند سماع المؤذن: حي على الصلاة حي على الفلاح أن يقول: " لا حول ولا قوة إلا بالله"

شُرِع له أن يردد معه" الله أكبر الله أكبر" يقول: "الله أكبر الله أكبر" وجميع ألفاظ الآذان يقولها مثل المؤذن ، وإذا وصل إلى" حي على الصلاة حي على الفلاح" يقول: "لا حول ولا قوة إلا بالله" لماذا؟

- لأن في قوله " حي على الصلاة حي على الفلاح" نداء أي : أقبل إلى الصلاة وأقبل إلى الفلاح الذي هو الثواب والأجر الذي تناله في صلاتك فهي دعوة فإذا سمعت هذا النداء..............................

فى مجلس للشيخ ابن باز رحمه الله، كنت صغيراً والناس حوله يسألون، ولما بدأ المؤذن انصرف الناس عنه كأنهم يعرفون أن الشيخ رحمه الله لا يجيب على الأسئلة إذا كان يؤذن، بل يستمع إلى الأذان، فأنا قلت فى نفسي: هذه فرصتي الآن ما عنده أحد، فرصتي ما فى أحد عند الشيخ، عندي بعض الأسئلة أسأل الشيخ، وذهبت إليه السلام عليكم يا شيخ عندي سؤال

قال: اسمع الأذان.. اسمع الأذان..

فأفدتها منه، هذه واحدة

حصلت والثانية أيضا فى ما يتعلق بالأذكار التي بعد الصلاة فى مجلس للشيخ ابن عثيمين –رحمه الله – فى مسجده مررت علىٰ عنيزة فى الطريق كان عندي سؤال أو سؤالين، فصليت مع الشيخ وقلت:– لأني مسافر قلت – : أبادر الشيخ بالأسئلة بعد السلام وأمشي أو أمضي فى سفري فجئت لأسأل الشيخ– وقت الأذكار– وهو يذكر الله، وأنا مقبل عليه أخذ يشير إلي بيده هكذا.. يعني: أن هذا وقت ذكر فهذه حصلت لي شخصيا

الأولي: مع الشيخ ابن باز

والثانية: مع الشيخ ابن عثيمين

وبالمناسبة بعض الإخوة قد يتضايق، يعني أنا لا يأتي بعضهم يسأل إما وقت الأذان أو وقت الأذكار، فلا أجيب وأنا أتعامل معهم بأدب أُدبت به من مشائخنا من الشيخ ابن باز رحمة الله عليه و من الشيخ ابن عثيمين رحمة الله عليه

وها أنا ولله الحمد أتحدث بكل غبطة بهذا الأدب الذي أكرمني الله – سبحانه وتعالى– تعلمته على يديهما، وأرغب من الإخوة أن نتنبه لمثل هذا الأمر، نحرص على سماع الأذان ووقت الأذكار نحرص، حتى لو كان عندي سؤال أنتظر حتى أكمل الأذكار، وأنتظر أيضا مع الشيخ الذي سأسأله حتى يُكمل الأذكار، ونحقق جميعا السنة ونفوز بالخير والبركة والحمدلله الوقت فيه سعة .

فهذه مناسبة جرى بسببها التنبيه على هاتين الفائدتين أسأل الله عز وجل أن يجعل فيهما الخير والبركة وأن يغفر لمشايخنا وأن يجزيهم عنا خير الجزاء .

قال رحمه الله : **وكل شيء يجري بمشيئة الله تعالى وعلمه وقضائه وقدره .**

أيضا هذا تأكيد للمعاني التي مرت معنا ، كل شيء يجري بمشيئة الله وعلمه وقضائه وقدره :أي أن جميع ما يقع من الأشياء فهي تجري بالمشيئة .

يعني: لاتقع إلا وفق المشيئة ، وأيضا تجري وفق العلم السابق .

مثل ما قال الإمام الشافعي – رحمه الله تعالى – في أبيات له في هذا الباب قال :

مَا شِئْتَ كَانَ، وإنْ لم أشَأْ

وَمَا شِئْتُ إن لَمْ تَشأْ لَمْ يكنْ

خَلقْتَ العِبَادَ على ما عَلِمْتَ

فَفِي العِلْمِ يَجري الفَتَى وَالْمُسِنْ

عَلَى ذَا مَنَنْتَ، وَهَذا خَذلْتَ،

وذاكَ أعنتَ، وذا لم تعن

فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ، وَمِنْهُمْ سَعِيد

وَمِنْهُمْ قَبِيحٌ، وَمِنْهُمْ حَسَنْ

أي أن جميع هذه الأمور كلها بتقدير الله – سبحانه وتعالى – وجارية وفق المشيئة ووفق العلم وهي بقضاء الله – تبارك وتعالى– وقدره .

قال : **غلبت مشيئته المشيئات كلها** .

فماشاء الله كان ، و إنْ لم يشأ العباد ، وماشاءه العباد لايكون إلا إذا شاءه الله سبحانه وتعالى؛ لأن مشيئة الله جل وعلا غلبت المشيئات كلها وغلب قضاؤه الحيل كلها، فمهما كانت حيلة العبد ومهما كان تدبيره ومهما كان ذكاءه لا يمكن أن يقع له شيء إلا شيءٌ شاءه الله – سبحانه وتعالى – وقدّره.

قال : ((**والله تعالى يفعل ما يشاء وهو غير ظالم أبدًا**))

ومن كان من أهل المعصية، ومستحقًا للعقوبة فهذا ليس ظلما له بل هو عدل من الله – سبحانه وتعالى – كما مر معنا التنبيه على ذلكم عند المصنف – رحمه الله تعالى – .

قال: ((**تقدّس** – أي تنزه – **عن كل سوءٍ وحَيْنْ، وتنزه عن كل عيبٍ وشَيْنْ**))

فالله – سبحانه وتعالى – منزه من أن يضاف له كل سُوء وكل حَيْن

والحَيْن بفتح الحاء المراد به : الأمر الغير لائق ، والمراد به : ما كان على خلاف الرشاد وخلاف السداد والمراد به أيضا : الهلاك

فـالحِيْن بفتح الحاء له إطلاقات منها ما أشرت إليه ،

وأما بكسر الحاء " الحِين " فهو الزمان.

قال – رحمه الله تعالى – : قال تعالى : ﴿ لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ ﴾ [الأنبياء: ٢٣]

هذا فيه إثبات كمال حكمته سبحانه ﴿ لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ﴾ ؛ لأنه حكيم

يقول القائل : لم فعل الله كذا؟ أليس الله يعلم أن الله حكيم في أفعاله!

ولهذا مثل هذه الأسئلة؛ لم فعل الله كذا ؟ ولم لم يفعل كذا ؟ هذا من نقص الإيمان بحكمة الله! وإلا لو كان على إيمان تام ويقين تام بكمال حكمة الله

لم يقل: لم فعل الله كذا ، ولم لم يفعل كذا!

فهذا السؤال "سؤالٌ باطل"

لا يقال : لم فعل الله. ولهذا جاء في الحكم لا تقل : لم أمر الله ولكن قل : بمَّ أمر الله؟

فرق بين السؤالين.

السؤال الأول : لم أمر الله ؛ هذا سؤال معترض, وسؤال منتقد لحكمة الله – سبحانه وتعالى – ،

لكن الذي يقول في سؤاله : بما أمر الله سؤال ماذا ؟

سؤال الراغب في الفعل ؛ بم أمر الله ؟ بماذا أمرني الله ؟ أي أنا مستعد لأن أفعل ما أمرني, وإنما بحثي وسؤالي في الأوامر ما الذي أمرني الله – سبحانه وتعالى – به

فإذن السؤال سؤال العبد اللائق بمقام العبودية: أن يقول في سؤاله : بمَّ أمر الله ؟أما الذي يقول في سؤاله : لم أمر الله؟ ؛ فهذا نسي العبودية وأخذ يعترض وينتقد لحكمة الله – سبحانه وتعالى – في أفعاله ،والله يقول: ﴿ لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ ﴾ [الأنبياء: ٢٣].

قال : ((**وفي دعاء الأحياء وصدقاتهم منفعة للأموات**))

ينبه – رحمه الله تعالى – بهذا وإن كان فيه مسألة من المسائل الفقهية أو مسائل الأحكام، ينبه أن دعاء الأحياء للأموات ينفع الأموات، وكذلكم الصدقة عندما يتصدق الإنسان بصدقة عن الميت تنفع الميت.

والدعاء للأموات والصدقة عنهم كذلك الحج مستثنى من عموم قوله : ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَى ﴾ [النجم: ٣٩] فيستثنى من ذلك ما دلت الأدلة أن الميت ينتفع به مثل الدعاء له وقد قال – عليه الصلاة والسلام – ((إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث)) وذكر منها : ((أو ولد صالح يدعو له)).

قال : ((**والله تعالى يستجيب الدعوات ويقضي الحاجات ويملِك كل شيء ولا يملكه شيء**))

قوله – رحمه الله تعالى – : ((**يستجيب الدعوات**))

كما قال الله عز وجل:﴿ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾[إبراهيم: ٣٩] أي مجيب الدعاء المراد بالسمع هنا أي: الإجابة

وقال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾[غافر: ٦٠]

وقال تعالى : ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾[البقرة: ١٨٦]

فهو – تبارك وتعالى – يستجيب الدعوات ويقضي الحاجات بل قضاء الحاجات بيده وتفريج الكربات بيده وحصول المنافع ونحو ذلك كله بيده

﴿ مَّا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِن بَعْدِهِ﴾ [فاطر: ٢]

قال : ((**ويملك كل شيء ولا يملكه شيء**))

أي أن الملك كله بيده : ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ **تُؤْتِي** الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ ۖ بِيَدِكَ الْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[آل عمران: ٢٦]

قال: ((**ولا غنى عن الله طرفة عين**))

وفي دعاء الكرب يقول – عليه الصلاة والسلام – : ((**اللهم رحمتك أرجو فلا تكلني إلى نفسي طرفة عين وأصلح لي شأني كله لا إله إلا أنت**)).

بعض الناس عندما يدعو بهذا الدعاء يضيف إليه : ((**لا تكلني إلى نفسي طرفة عين ولا أقل من ذلك**))؛ وهذه إضافة خطأ ، إضافة هذه الكلمة من الخطأ في الدعاء

لأن النبي – عليه الصلاة والسلام – ذكر ((**طرفة عين**)) تنبيهًا بالأقل

فالذي يضيف ((**ولا أقل من ذلك**)) كأنه يستدرك على الدعاء المأثور عن النبي – عليه الصلاة والسلام – ولهذا لا يضاف في الدعاء ، لا تقول في دعائك : ((**لا تكلني إلى نفسي طرفة عين ولا أقل من ذلك**)) فهذا إضافة تُعد زيادة على المأثور عن النبي – عليه الصلاة والسلامة –

وفي المأثور عنه وَفى, وليس فيه نقص, وليس بحاجة إلى أن يستدرك بمثل هذه الزيادات التي تدل على عدم فهم المستدرك أو من أتى بها للمعنى المراد بقوله – عليه الصلاة والسلام – : ((ولا تكلني إلى نفسي طرفة عين)).

قال : ((**ولا غنى عن الله طرفة عين**))

يعني ليس للعبد غنى عن الله في أقل لحظة وذكر طرفة العين تنبيهًا بالقليل يعني ولا لحظة يسيرة جدا العبد لا غنى له – سبحانه وتعالى – فهو فقير إلى الله في كل لحظة في كل حركة في كل يكون في جميع حركاته هو فقير إلى الله لا غنى عن ربه طرفة عين والله يقول :

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴾ [فاطر: ١٥]

قال: ((ومن استغنى عن الله طرفة عين فقد كفر))

((**من استغنى**)) من رأى أو أعتقد أو ظن أنه غني عن الله ولو لحظة واحدة ولو طرفة عين ولو وقتا يسيرا فقد كفر بالله – سبحانه وتعالى – ومن استغنى عن الله طرفة عين فقد كفر بالله وصار من أهل الحَيْن مرت معنا كلمة " الحَيْن"

وأشرت إلى بعض المعاني التي ذكرها أهل اللغة هنا فما الذي يناسب منها ما أشرت إليه قريبا ؟ – الهلاك, فالحَيْن من معانيه بفتح الحاء الهلاك.

فصار من أهل الحَيْن: أي صار من أهل الهلاك.

ثم قال رحمه الله : ((**والله يغضب ويرضى لا كأحدٍ من الورى**))

((**والله يغضب ويرضى**)) أي يوصف - جل وعلا – بالغضب, ويوصف بالرضا

أما وصفه في الغضب فجاء في القرآن : ﴿ غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ﴾[النساء: ٩٣]،

ووصفه في القرآن بالرضا :﴿ لَّقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾[الفتح: ١٨] والآيات في إثبات الرضا في القرآن كثيرة فالله يغضب ويرضى.

قال : ((**لا كأحد من الورى**))

أي أن الرضا والغضب المضاف إلى الله يليق بجلاله وكماله

أما رضا الورى أي الناس وغضبهم من حيث بواعثه ومن حيث صفته ومن حيث حقيقته إلى غير ذلك فهذا يخصهم ويليق بهم.

والقاعدة في الباب أن:

ما يضاف إلى الله – سبحانه وتعالى – من الصفات يخصه ويليق بجلاله وكماله وعظمته سبحانه

وما يضاف إلى العباد من الصفات تخصهم وتليق بنقصهم وضعفهم

ولهذا نبّه المصنف بقوله : ((لا كأحدٍ من الورى)) أي أن صفات الله – تبارك وتعالى – تخصّه : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[الشورى: ١١]، ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾[الإخلاص: ٠٤]، ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾[مريم: ٦٥] ، ﴿فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ﴾[النحل: ٧٤]، ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا﴾[البقرة: ٢٢]، الآيات في هذا المعنى كثيرة ومعلومة.

ونكتفي بهذا، سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك ، اللهم صل وسلم على نبيك محمد وآله وصحبه.

الدرس الحادي و العشرون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على عبد الله ورسوله نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين أما بعد:

فيقول الإمام أبو جعفر الطّحاوي – رحمه الله تعالى – في ذكر عقيدته قال :

وَنُحِبُّ أصْحَابَ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم، وَلاَ نُفْرِطُ فِي حُبِّ أَحَدٍ مِنْهُمْ، وَلاَ نَتَبَرَّأُ مِنْ أَحَدٍ مِنْهُمْ، وَنُبْغِضُ مَنْ يُبْغِضُهُمْ وَبِغَيْرِ الخَيْرِ يَذْكُرُهُمْ، وَلاَ نَذْكُرُهُمْ إلاَّ بِخَيْرٍ، وَحُبُّهُمْ دِينٌ وَإِيمَانٌ وَإِحْسَانٌ، وَبُغْضُهُمْ كُفْرٌ وَنِفَاقٌ وَطُغْيَانٌ.

وَنُثْبِتُ الخِلَافَةَ بَعْدَ رَسُولِ اللهِ –صلى الله عليه وسلم – أَوَّلاً لأَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، تَفْضِيلًا لَهُ وَتَقْدِيمًا عَلَى جَمِيعِ الأُمَّةِ. ثُمَّ لِعُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، ثُمَّ لِعُثْمَانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، ثُمَّ لِعَلِيّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وَهُمُ الخُلَفَاءُ الرَّاشِدُونَ وَالأَئِمَّةُ المُهْتَدُونَ.

وَإِنَّ العَشَرَةَ الّذِينَ سَمَّاهُمْ رَسُولُ اللهِ –صلى الله عليه وسلم – وَبَشَّرَهُمْ بِالجَنَّةِ، نَشْهَدُ لَهُمْ بِالجَنَّةِ، عَلَى مَا شَهِدَ لَهُمْ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم، وَقَوْلُهُ الحَقُّ، وَهُمْ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ، وَعُثْمَانُ، وَعَلِيٌّ، وَطَلْحَةُ، وَالزُّبَيْرُ، وَسَعْدٌ، وَسَعِيدٌ، وَعَبْدُ الرَّحْمَانِ بْنُ عَوْفٍ، وَأَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الجَرَّاحِ وَهُوَ أَمِينُ هَذِهِ الأُمَّةِ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ.

وَمَنْ أَحْسَنَ القَوْلَ فِي أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم وَأَزْوَاجِهِ الطَّاهِرَاتِ مِنْ كُلِّ دَنَسٍ وَذُرِّيَّاتِهِ المُقَدَّسِينَ مِنْ كُلِّ رِجْسٍ فَقَدْ بَرِئَ مِنَ النِّفَاقِ.

وَعُلَمَاءُ السَّلَفِ مِنْ السَّابِقِينَ وَمَنْ بَعْدَهُمْ مِنَ التَّابِعِينَ أَهْلُ الخَيْرِ وَالأَثَرِ، وَأَهْلُ الفِقْهِ وَالنَّظَرِ، لاَ يُذْكَرُونَ إِلاَّ بِالجَمِيلِ وَمَنْ ذَكَرَهُمْ بِسُوءٍ فَهُوَ عَلَى غَيْرِ السَّبِيلِ.

الحمد لله رب العالمين وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله وسلم عليه وعلى آله و أصحابه أجمعين، أما بعد:

ذكر الإمام الطحاوي – رحمه الله تعالى –في هذا الموضع من عقيدته – رحمه الله – خلاصة عظيمة في الواجب نحو أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم،

والصحابي : هو من لقي النبي صلى الله عليه وسلم مؤمن به ومات على الإسلام، وكل صحابي له حقه وحرمته ومكانته في قلوب المسلمين، واجب على كل مسلم أن يحب جميع أصحاب النبي عليه الصلاة والسلام، وحبهم كما قرر – رحمه الله – وغيره من أهل العلم إيمان بل هو أوثق عرى الإيمان

قد قال نبينا عليه الصلاة والسلام : ((أوثق عرى الإيمان : الحب في الله والبغض في الله)) وأحق الناس وأولاهم بذلك– أي الحب – أصحاب النبي صلوات الله وسلامه عليه– الذين أكرمهم الله عز وجل برؤيته وملاقاته والسماع أحاديثه وأتباعه ونصرته صلوات الله وسلامه عليه ورضي الله عنهم أجمعين– .

ولهذا من عقيدة أهل السنة والجماعة: حب الصحابة ؛ حب أصحاب النبي الكريم عليه الصلاة والسلام، ويعدّون هذا الحب قربة يتقربون بها إلى الله عز وجل، فإن من عظيم ما يتقرب إلى الله به : حب ما يحب، وبغض ما يبغض،

والله – عز وجل – أخبر في آيات كثيرة في القرآن عن فضل الصحابة ومكانتهم وخيريتهم وسابقتهم وعدالتهم، وذكر مآثرهم ومناقبهم وفضائلهم

وهكذا أيضا في سنة النبي الكريم عليه الصلاة والسلام جاءت الأحاديث الكثيرة عامة وخاصة في بيان فضل الصحابة ومكانتهم العظيمة ومنزلتهم العلية،

فحبهم إيمان واجب على كل مسلم أن يحب أصحاب النبي عليه الصلاة والسلام أجمعين

وأن لا يكون في قلبه أي غل أو حقد أو ضغينة على أحد من أصحاب النبي صلوات الله والسلام عليه ؛ لأن من شأن جميع المؤمنين الذين جاؤوا بعد الصحابة أن تكون قلوبهم سالمة وألسنتهم سالمة.

فإن الله عز وجل لما ذكر في سورة الحشر المهاجرين والأنصار وأثنى على كله أعقب بذلك بقوله{وَالَّذِينَ جَاءُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ (١٠)}،

فأثنى عليهم بخصلتين عظيمتين مخلتين متينتين ألا وهما :

- سلامة القلب،
- وسلامة اللسان.

- سلامة القلب في قوله : {وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا}
- وسلامة اللسان في قوله : {رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ}

فقلوبهم ليس فيها إلا الحب وألسنتهم ليس فيها إلا الدعاء اتجاه أصحاب النبي الكريم عليه الصلاة والسلام،

أما من قام في قلبه غلّا وحقدا وضغينة على الصحابة وكان في لسانه سبا وشتما وسلبا للصحابة فهو ليس من أهل هذه المدحة وليس من أهل هذا الثناء الذي ذكره الله – سبحانه وتعالى – عمن جاء بعد أصحاب النبي الكريم – صلوات الله وسلامه عليه–

والقرآن فيه آيات كثيرة تمدح الصحابة وتثني على الصحابة، بل إن الله – جل وعلا – قد أثنى على الصحابة وذكر فضلهم ومكانتهم في التوراة والإنجيل قبل أن يخلق الصحابة وقبل أن يوجدوا

واقرأ ذلك في قول الله سبحانه تعالى في أواخر سورة الفتح : {مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ (٢٩)}

فهذا ثناء عاطر على الصحب الكرام رضي الله عنهم وأرضاهم من قبل أن يخلقوا ومن قبل أن يجدوا في التوراة والإنجيل، فأثنى الله عليهم في التوراة وأثنى عليهم في الإنجيل وأثنى عليهم في القرآن الكريم في آيات كثيرة جدا تبين فضلهم ومكانتهم وخيريتهم ورضا الله سبحانه وتعالى عنهم :

{وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١٠٠)}

{لَّقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ (١٨)}،

{لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا ۚ وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ (١٠)}

آيات كثيرة جدا في الثناء على الصحابة وبيان مكانة الصحابة وفضيلة الصحابة رضي الله عنهم، فإذن حبهم إيمان واجب على كل مسلم أن يدين الله وأن يتقرب إليه سبحانه وتعالى بحب الصحابة رضي الله عنهم أجمعين.

قال :

((ونحب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضي الله عنهم ولا نفرط فى حب أحدا منهم))

والإفراط هو : الغلو ومجاوزة الحد، وضده التفريط : وهو التقصير

وأهل السنة فى الصحابة وسط بين الإفراط التفريط وسط بين الغلو والجفاء.

ولهذا قال – رحمه الله – : ((**ولا نفرط فى حب أحد منهم**)) ؛ لا نفرط أي : لا نغلو ولا نتجاوز الحد فى حب أحدا منهم

أي : لا يحملنا حب الصحابة أن نغلو فى أحد منهم لأجل حبنا له، وأن نرفعه فوق مكانته، أو ننزله فوق منزلته، أو أن نعطيه من الخصائص والحقوق ما ليس له.

لا نفرط أي : لا نغلو نحبهم بدون غلو بدون تجاوز للحد ؛ لأن بعض الناس قد يحمله حبه لمن يحب أن يغلو فيه وأن يضفي عليه من الخصائص والصفات ما ليست له بل بلغ الأمر ببعض الناس أن أعطوا بعض من يحبون من الخصائص ما ليس إلا لله غلوًّا وتجاوزًا للحد.

ولهذا قال – رحمه الله – و تعالى : ((**ولا نفرط فى حب أحد منهم**)) أي لا يحملنا حب أحد من الصحابة على الغلو فيه.

وفى أواخر زمن الصحابة وجد من بعض من ضل عن الهدى ولا سيما "السبئية": اتباع عبد الله بن سبأ – من غلا فى علي رضي الله عنه وأرضاه وقالوا بالعبارة الواضحة الصريحة : " هو ربنا " غلو فيه وهذا إفراط، وتجاوز للحد

فأهل السنة يحبون الصحابة جميعا رضي الله عنهم وأرضاهم، لكن ليس فى هذا الحب أي غلو بعيدين كل البعد عن الغلو فى أي من الصحابة – رضي الله عنهم وأرضاهم– .

قال : ((**ولا نفرط فى حب أحد منهم ولا نتبرأ من أحد منهم**)) أيضا هذا بمقابل الأول لا نفرط فى حب أحد منهم أي : لا نغلو، أيضا فى الوقت نفسه لا نتبرأ من أحد منهم ؛ لأن التبرؤ: جفاء، وهو ضد الغلو وضد الإفراط التبرؤ تفريط

ولهذا قال – رحمه الله – : ((**ولا نتبرأ من أحد منهم**)) . أيضا حبنا لهم لا يحملنا على أن نتبرأ من بعضهم كما يقول بعض الضلال والمبطلة : " لا ولاء إلا ببراء: يعني لا ولاء لآل بيت النبي عليه الصلاة والسلام إلا بالبراء من الصحابة على رأس من يتبرؤون منهم أبا بكر وعمر.. هذا مثل ما أشار المصنف – رحمه الله – نفاق وطغيان وضلال مبين.

فلا نتبرأ من أحدٍ من أصحاب النبي – عليه الصلاة والسلام — فهؤلاء– أعني الصحابة رضي الله عنهم– لهم المكانة العالية والمنزلة الرفيعة، والواجب حبهم جميعاً

والواجب حبهم جميعاً ؛

ولهذا قال – رحمه الله – : ((**ولا نتبرأ من أحد منهم**)) ونبغض من يبغضهم، إذا وُجد أحد يبغض الصحابة فإن مما نتقرب إلى الله – سبحانه وتعالى – أن نبغضه؛ لأن بغض الصحابة خلل فى الدين نفسه، من يبغض أصحاب النبي – عليه الصلاة والسلام – فى دينه خلل ؛ لأن الصحابة رضي الله عنهم هم الذين نقلوا الدين، والدين إنما بلغ الأمة من طريق الصحابة، فإذا قام فى قلب إنسان بغض للصحابة فدينه مختل، ولا يمكن أن يكون بغض للصحابة إلا عن خلل فى الدين والعقيدة، فمن كان يبغض الصحابة رضي الله عنهم الواجب أن يُبغَض.

ولهذا قال – رحمه الله – : ((**وتعالى ونبغض من يبغضهم**))

أي نتقرب إلى الله سبحانه وتعالى ببُغض من يبغض الصحابة، وبغير الخير يذكرهم، هذه ثمرة من ثمار البغض، ونتيجة من نتائجه، من كان فى قلبه غل أو حقد أو بغض أو ضغينة للصحابة، لن يذكرهم إلا بغير الخير واللسان ترجمان القلب، اللسان ترجمان القلب فإذا كان القلب فيه غل وحقد وبغض وضغينة للصحابة، فاللسان يترجم عن ذلك بالقول فيهم بغير الخير

ولهذا من يتكلم فى الصحابة ويقع فى الصحابة ثلبًا وشتمًا

هذا دليل على:

- مرض قلبه
- وامتلائه بالبغض لأصحاب النبي عليه الصلاة والسلام
- وهذا من عدم سلامة قلبه؛ لأن القلب لو كان سليما لسلم اللسان

ولهذا رأينا التلازم بين الأمرين فى الآيات الكريمة : { يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا } من قام فى قلبه غل للصحابة – رضي الله عنهم وأرضاهم – سيذكرهم بغير الخير فنبغض من يبغضهم وبغير الخير يذكرهم

قال : ((**ولا نذكرهم إلا بخير**)) لا نتحدث عن الصحابة إلا بخير، ذكرا لفضائلهم وعدا لمحاسنهم، وتذكرا لمقاماتهم العظيمة نصرة للدين ومؤازرة للنبي الكريم عليه الصلاة والسلام، ونقلا لهذا الدين، وحملا له، فكانوا ثقاة عدولا خيارا، نقلوا دين الله للأمة بلغوه كما جاءهم وكما حفظوه وكما بلغهم رضي الله عنهم وأرضاهم فلا يكون ذكرهم إلا بالخير، وقد قامت كتب ومؤلفات عظيمة فى هذه حول هذه الفقرة

((**ولا نذكرهم إلا بخير**)) قامت كتب عظيمة لأئمة السلف قديما وحديثاً فى فضائل الصحابة ومناقب الصحابة عملا بهذه العقيدة

((**ولا نذكرهم إلا بخير**)) تعقد مجالس وتؤلف مؤلفات وتقام دروس ومحاضرات فى ذكر مناقب الصحابة وذكرهم حياة للقلوب كما قال القائل :

كرر علي حديثهم يا حادي... فحديثهم يجلوا الفؤاد الصادي

عندما تقرأ تاريخ الصحابة المجيد وحياتهم المباركة وفضائلهم ومناقبهم ومآثرهم رضي الله عنهم وأرضاهم تزداد حبا لهم ولهذا الواجب فى الصحابة

((**ولا نذكرهم إلا بخير**)) عدا لمناقبهم عموماً وأيضا فضائلهم خصوصاً وأهل العلم رحمهم الله أفردوا فى هذا مصنفات تجد مصنفات فى فضائل الصحابة عموماً وتجد أيضا مصنفات فى فضائلهم خصوصا مثلاً فضائل العشرة فضائل أبي بكر فضائل عمر فضائل عثمان فضائل علي إلى غير ذلك رضي الله عن الصحابة أجمعين.

قال : ((ولا نذكرهم إلا بخير وحبهم دين وإيمان وإحسان حب الصحابة رضي الله عنهم دين وإيمان وإحسان))

أي مما يدان به ومن إيماننا ومما نتقرب به إلى ربنا سبحانه وتعالى أن نحب أصحاب النبي الكريم عليه الصلاة والسلام لأن الله يحبهم ورضي عنهم وقد أخبر بذلك فى كتابه ولأن النبي عليه الصلاة والسلام يحبهم وقد قال صلى الله عليه وسلم : ((أوثق عري الإيمان الحب فى الله والبغض فى الله)) وقال عليه الصلاة والسلام : ((من أحب لله و أبغض لله وأعطى لله ومنع لله فقد استكمل الإيمان)).

فإذن حب الصحابة رضي الله عنهم وأرضاهم إيمان وإحسان ودين يدان الله تبارك وتعالى به ويتقرب إليه جل وعلا به .

قال : ((وبغضهم كفر ونفاق وطغيان))

بغض الصحابة رضي الله عنهم كفر ونفاق وطغيان . قد مر معنا في آية الفتح قول الله سبحانه وتعالى : ((ليغيظ بهم الكفار)) أخذ من هذه الآية بعض أهل العلم ومنهم الإمام مالك رحمهم الله أن من كان في قلبه غيظ وبغض وضغينة للصحابة رضي الله عنهم فهذا من أمارات الكفر ودلائله . فالصحابة حبهم إيمان ودين إحسان وبغضهم كفر ونفاق وطغيان .

قال – رحمه الله – : ((ونثبت الخلافة بعد رسول الله صلى الله وسلم عليه أولا بأبي بكر الصديق رضي الله عنه تفضيلا له وتقديما على جميع الأمة)).

لما أنهى – رحمه الله تعالى – تلخيص الواجب تجاه الصحابة عموما، أخذ يورد بعض التفاصيل المتعلقة بالصحابة وبيان مكانة الصحابة والتفاضل أيضا بين الصحابة وأن الصحابة ليسوا في الفضل على درجة

واحدة بل متفاضلون كلهم أهل فضل وخير ونبل لكنهم ليسوا في الفضل على درجة واحدة بعضهم أفضل من بعض .

وأفضل أصحاب النبي – صلى الله وسلم عليه ورضي عنهم – وخيرهم على الإطلاق صديق الأمة رضي الله عنه وأرضاه، وهو الصحابي الوحيد الذي نُصّ على صحبته في القرآن : ((إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا)) فهو خير الصحابة على الإطلاق وأفضلهم – رضي الله عنه وأرضاه –، ويليه في الفضل عمر بن الخطاب – رضي الله عنه وأرضاه– . وهذا الفضل والخيرية لهذين الصحابيين ليس منحصرا في هذه الأمة بل نعتقد أن أبا بكر وعمر – رضي الله عنهما وأرضاهما – أفضل الناس بعد الأنبياء في جميع الأمم .

نعتقد أنهما – رضي الله عنهما وأرضاهما – أفضل الناس في جميع الأمم بعد الأنبياء فدرجتهما في الفضل على الناس أجمعين تلي درجة الأنبياء مباشرة. وقد قال الله – عز وجل – : ((كنتم خير أمة أخرجت للناس)) وهؤلاء خير أمة محمد عليه الصلاة والسلام .

قد جاء هذا المعنى مصرحا به في حديث ثابت عن رسول الله رواه جمع من الصحابة منهم علي بن أبي طالب رضي الله عنه وأرضاه أن النبي – عليه الصلاة والسلام – قال : ((أبو بكر وعمر سيدا كهول أهل الجنة من الأولين والآخرين عدا النبيين)) أي أن فضلهم في جميع الأمم يلي فضل النبيين – عليهم صلوات الله وسلامهم ورضي الله – عن الصحابة أجمعين.

والمصنف – رحمه الله – يقول : ((**نثبت الخلافة بعد رسول الله صلى الله وسلم عليه أولًا لأبي بكر الصديق تفضيلًا له وتقديمًا على جميع الأمة**)).

ليس قولنا في أن أبا بكر هو الخليفة بعد رسول الله إخبارا بالواقع الذي وُجد وإنما إقرارا بفضله وأحقيته رضي الله عنه وأرضاه بالخلافة .

فنحن نقر ونعتقد ونؤمن أن الخليفة بعد رسول الله – صلى الله وسلم عليه – هو أبو بكر – رضي الله عنه – وليس هذا فقط إخبارا بالأمر الذي وقع ووُجد، وإنما إقرارًا بفضله.

ولهذا قال – رحمه الله – : ((**تفضيلا له وتقديما له على جميع الأمة**)) أي أنه أحق الأمة أحق أمة محمد عليه الصلاة والسلام بالخلافة ؛ لأنه هو أفضلهم على الإطلاق، قد جاء عن علي – رضي الله عنه وأرضاه – أنه قال : ((لا أَجد أحدا يفضلني على أبي بكر وعمر إلا جلدته حد المفتري))، أي أن هذا افتراء

وجاء في الصحيح : ((أنه سئل رضي الله عنه من خير أمة محمد صلى الله عليه وسلم ؟ قال : أبو بكر، قيل : ثم من ؟ قال : عمر))، ومثل هذا المعنى ثابت عنه– رضي الله عنه وعن غيره – من الصحابة في إقرار بفضل أبي بكر و فضل عمر بتقدمهما في الخيرية والفضل والمكانة

فالخليفة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم هو أبو بكر الصديق نقول ذلك تفضيلًا له وتقديمًا على جميع الأمة وإقرار على أحقيته وفضله وأولويته – رضي الله عنه وأرضاه– .

((**ثم لعمر بن الخطاب – رضي الله عنه وأرضاه –**)) ومناقب عمر وفضائله كثيرة جدا وكان – عليه الصلاة والسلام – كثير ما يقول دخلت أنا وأبي بكر وعمر، ذهبت أنا وأبي بكر وعمر كثيرا ما يقترن اسم هذين الصحابيين بالنبي – عليه الصلاة والسلام – لعظيم ملازمتهما له وهما – رضي الله عنهما – الوزيران الملازمان له – صلوات الله وسلامه وبركاته عليه–

((**ثم لعثمان – رضي الله عنه–، ثم لعلي بن أبي طالب – رضي الله عنه – وهم الخلفاء الراشدون والأئمة المهديون**))

مشيرا بذلك إلى قول النبي – عليه الصلاة والسلام – فيما صح عنه : ((عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، تمسّكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ)) فوصف هؤلاء الخلفاء بالرشاد والهداية، وصفهم بهذين الوصفين : الرشاد والهداية وذكرهما المصنف – رحمه الله – هنا الرشاد والهداية ؛ والهداية إذا جمعت مع الرشاد فالمراد بالهداية : صلاح العلم والمراد بالرشاد : صلاح العمل، فاجتمع لهم رضي الله عنهم وأرضاهم صلاح العلم وصلاح العمل، الراشدون المهديّون.

ثم قال – رحمه الله – : ((**ونحب العشرة**))

والعشرة الذين سماهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وبشرهم بالجنة نشهد لهم بالجنة على ما شهد لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله حق ثم ذكرهم – رحمه الله – وهم أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة أي ابن عبيد الله والزبير –أي ابن العوام– وسعد – أي ابن أبي وقّاص– وسعيد– أي ابن زيد بن عّم عمر بن الخطاب – وعبد الرحمن بن عوف و أبو عبيدة بن الجراح وهو أمين هذه الأمة.

وهؤلاء يقال لهم العشرة مع وجود صحابة آخرين بشرهم النبي – عليه الصلاة والسلام– بالجنة وشهد لهم بالجنة؛ لأن هؤلاء العشرة صح عنه – عليه الصلاة والسلام – أنه بشرهم بالجنة في حديث واحد جاء عن أحد من هذه العشرة وهو سعيد بن زيد أن النبي – عليه الصلاة والسلام –

قال : عشرة في الجنة وذكرهم ولهذا خُص هؤلاء بهذا اللقب العشرة المبشرون بالجنة، بل بعض أهل العلم أفرد مصنفات خاصة في هؤلاء العشرة وبيان مناقبهم مثل المحب الطبري – رحمه الله – ألّف كتابا مفرد في مناقب هؤلاء العشرة – رضي الله عنهم وأرضاهم وعن الصحابة أجمعين –، فإذا هؤلاء عرفوا – رضي الله عنهم وأرضاهم – بالعشرة المبشرين بالجنة. مع أنه وُجد صحابة آخرون بشرهم النبي عليْه الصلاة والسلام بالجنة ؛ لأن هؤلاء خُصوا بهذا اللقب؛ لأنه في حديث واحد جمعهم عليْه الصّلاَةُ والسّلاَم بالبشارة في الجنة، وهؤلاء العشرة هم خير الصحابة، وخير هؤلاء العشرة الخلفاء الأربعة، و خير الخلفاء الأربعة أبو بكر – رضي الله عنه و أرضاه وعن الصحابة أجمعين.

ثم قال – رحمه الله – : ((**و مَن أحْسَنَ القول في أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأزواجه الطاهرات من كل دنس وذريته المقدسين من كل رجس**))

فقد برأ من النفاق – أي سلم من النّفاق– ؛ لأن النفاق إذا قام في القلب قام معه بغض أهل الفضل وأهل الخير وأهل المكانة العليّة، وأفضل الناس إيمانًا وفضلا، ومكانةً بعد النبيين الصحابة رضي الله عنه و أرضاهم، فإذا سلم الإنسان من بغض الصحابة – رضي الله عنهم وأرضاهم –، وسلم أيضًا لسانه من الوقيعة في الصحابة وفي الأزواج وفي الذرية فقد برأ من النفاق، وقد مرّ معنا في كلام المصنف أن حبّهم إيمان وبغضهم نفاق.

قال : ((**ومن أحسن القول في أصحاب رسول الله**)) وهذا هو الواجب أن نحسن القول في الصحابة أن لا نقول فيهم إلا القول الحسن وكذلكم في أزواج النبي صلى الله عليه وسلم أمهات المؤمنين رضي الله عنهن وأرضاهن.

قال الله تعالى : { وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ} أي لهن حرمة ومكانة وفضل وحقوق معتبرة وواجب القيام بها، من ذلكم إحسان القول في أزواج النبي عليه الصلاة والسلام ولا يقول في أزواج النبي صلى الله عليه وسلم بقولٍ غير الخير إلا من في قلبه نفاق أو في قلبه مرض وهذا من أعظم العقوق

الله – جل وعلا – قال : {وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ} فمن خاض في أمهات المؤمنين، أزواج النبي الكريم – عليه الصلاة والسلام – بغير حق فهذا من أعظم العقوق وأشدّه وأشنعه

وقوله – رحمه الله – : ((**وذرياته المقدسين من كل رجس**)) المراد بالذرية أبناء النبي عليه الصلاة والسلام وجميعهم ماتوا في حياته إلا فاطمة، وفاطمة لها ذرية الحسن والحسين، والحسن والحسين لهم ذرية، فيتناولهم قول المصنف – رحمه الله – : ((**وذرياته المقدسين من كل رجس**)) أما فاطمة والحسن والحسين وأبناء النبي –

عليه الصلاة والسلام – الذين ماتوا في حياته شأنهم كما ذكر – رحمه الله – مقدسين من كل رجس لكن لا يقال ذلك في أولاد الأولاد إلى قيام الساعة، والذرية إلى قيام الساعة، ومن ذرياتهما

قال الله – عز وجل – في إبراهيم وإسحاق : {مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ مُبِينٌ} أي الذرية لا يقال فيها ذلك إلى قيام الساعة فيحمل كلامه على الذرية الذين هم أبناؤهم الذين ماتوا في حياته وفاطمة والحسن والحسين ونحو هؤلاء أما إذا كان المراد إلى قيام الساعة ففيهم المحسن وفيهم الظالم لنفسه

ثم لما أنهى – رحمه الله تعالى – ما يتعلق بالعقيدة في الصحابة رضي الله عنهم وأرضاهم وبيان مكانتهم وفضلهم انتقل لبيان فضل ومكانة من اتبعهم بإحسان قد مر معنا قول الله تعالى : (وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ) [التوبة : ١٠٠]

فالتابعون للصحابة بإحسان سواء من رأوا الصحابة أو من رأوا الصحابة وهكذا كل من كان متبعا لهم بإحسان له حقه من المحبة والاحترام والتوقير لما أكرمه الله سبحانه وتعالى به من أتباع للصحابة وسير على سننهم القويم. فقال – رحمه الله – بيان ذلك : ((**وعلماء السلف من السابقين ومن بعدهم من التابعين أهل الخير والأثر وأهل الفقه والنظر لا يُذّكرون إلا بالجميل**))

هذا الواجب تجاههم كل من عُرف في الأولين والآخرين بإتباع السلف والسير على منهاجهم واقتفاء أثارهم ولزوم غرزهم والسير على منهاجهم الواجب أن يُحب وأن لا يُذكر إلا بالجميل وأن يُثنى عليه وأن يُعرف له قدره و مكانته

قد قال نبينا – عليه الصلاة والسلام – : ((ليس منا من لم يرحم صغيرنا ويوقر كبيرنا ويعرف لعالمنا حقه)) هؤلاء يجب أن نعرف لهم حقهم وأن نعرف لهم مكانتهم وفضلهم بدءً بالتابعين الذين رأوا الصحابة ومن تبعهم بإحسان إلى ما شاء الله كل من عُرف عنه لزوم نهج الصحابة والسير على طريقتهم – رضي الله عنهم وأرضاهم – الواجب أن يُحب وأن يُعرف له قدره وتُعرف له مكانته وأن لا يُذكر إلا بالخير ولهذا قال – رحمه الله – : ((**لا يُذّكرون إلا بالجميل**)) : أي بالثناء الحسن، وذكر فضائلهم ومناقبهم سابقيتهم خيريتهم علمهم عبادتهم إلى غير ذلكم من مناقبهم وفضائلهم

قال : ((**لا يُذّكرون إلا بالجميل**)) ومن ذكرهم بسوء فهو على غير السبيل أي على غير الجادة من كان يقع في أتباع الصحابة من السلف الأخيار أهل العلم والفضل والعبادة والإمامة والخيرية من كان يذكروهم بالسوء ويقع فيهم ثلبا وشتما ووقيعة فهذا ليس من أمارات الخير؛ لأن من ذكرهم بغير الخير فهو على غير السبيل– أي على غير الجادة السوية وعلى غير الصراط المستقيم–

قد قال الله تعالى : (وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا) [النساء : ١١٥] .

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك ، اللهم صل وسلم على نبيك محمد وآله وصحبه

الدرس الثاني و العشرون

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على عبد الله ورسوله نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين. أما بعد:

فيقول الإمام أبو جعفر الطّحاوي – رحمه الله تعالى – في ذكر عقيدته :

وَلاَ نُفَضِّلُ أَحَدًا مِنَ الأَوْلِيَاءِ عَلَى أَحَدٍ مِنَ الأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلاَمُ، وَنَقُولُ نَبِيٌّ وَاحِدٌ أَفْضَلُ مِنْ جَمِيعِ الأَوْلِيَاءِ.

وَنُؤْمِنُ بِمَا جَاءَ مِنَ كَرَامَاتِهِمْ، وَصَحَّ عَنِ الثِّقَاتِ مِنْ رِوَايَاتِهِمْ.

وَنُؤْمِنُ بِأَشْرَاطِ السَّاعَةِ مِنْ خُرُوجِ الدَّجَّالِ، وَنُزُولِ عِيْسَى بْنِ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ مِنَ السَّمَاءِ، وَنُؤْمِنُ بِطُلُوعِ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَخُرُوجِ دَابَّةِ الأَرْضِ مِنْ مَوْضِعِهَا.

وَلاَ نُصَدِّقُ كَاهِنًا وَلاَ عَرَّافًا وَلاَ مَنْ يَدَّعِي شَيْئًا يُخَالِفُ الكِتَابَ وَالسُّنَّةَ وَإِجْمَاعَ الأُمَّةِ.

وَنَرَى الجَمَاعَةَ حَقًّا وَصَوَابًا، وَالفُرْقَةَ زَيْغًا وَعَذَابًا.

وَدِينُ اللهِ فِي الأرضِ وَالسَّمَاءِ وَاحِدٌ، وَهُوَ دِينُ الإِسْلاَمِ، قال اللهُ تَعَالَى:{إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللهِ الإِسْلامُ}. وَقَالَ تَعَالَى:{وَرَضِيْتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا}، وَهُوَ بَيْنَ الغُلُوِّ وَالتَّقْصِيرِ، وَبَيْنَ التَّشْبِيهِ وَالتَّعْطِيلِ، وَبَيْنَ الجَبْرِ وَالقَدَرِ، وَبَيْنَ الأَمْنِ وَالإِيَاسِ.

فَهَذَا دِينُنَا وَاعْتِقَادُنَا ظَاهِرًا وَبَاطِنًا، وَنَحْنَ بُرَءَاءُ إِلَى اللهِ مِنْ كُلِّ مَنْ خَالَفَ الّذِي ذَكَرْنَاه وَبَيّنَّاهُ.

وَنسأَلُ اللهَ تَعَالَى أَنْ يُثَبِّتَنَا عَلَى الإِيمَانِ وَيَخْتِمَ لَنَا بِهِ، وَيَعْصِمَنَا مِنَ الأَهْوَاءِ المُخْتَلِفَةِ وَالآرَاءِ المُتَفَرِّقَةِ وَالمَذَاهِبِ الرَّدِيَّةِ مِثْلِ المُشَبِّهَةِ وَالمُعْتَزِلَةِ وَالجَهْمِيَّةِ وَالجَبْرِيَّةِ وَالقَدَرِيَّةِ وَغَيْرِهِمْ مِنَ الّذِينَ خَالَفُوا السُّنَّةَ وَالجَمَاعَةَ وَحَالَفُوا الضَّلالَةَ، وَنَحْنُ مِنْهُمْ بَرَاءٌ وَهُمْ عِنْدَنَا ضُلَّالٌ وَأَرْدِيَاءٌ، وَبِاللهِ العِصْمَةُ وَالتَّوْفِيقِ.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله وسلم عليه وعلى آله و أصحابه أجمعين ، أما بعد:

هذه خاتمة لهذه العقيدة التي جمعها الإمام الطحاوي – رحمه الله تعالى – وتشتمل على بيان أمور مهمة مِن الإعتقاد، وبعضها سبق أن بينه – رحمه الله تعالى – وقرره فيما مضى معنا من كلامه – رحمه الله تعالى – وغفر له وجزاه خير الجزاء.

بين – رحمه الله تعالى – أولا ما يتعلق بالموقف اتجاه الأولياء؛ أولياء الله – تبارك وتعالى — ومن هم أولياء الله – جل وعلا –؟ ومن هو الولي ؟ وما الذي ينبغي في هذا الباب اتجاه أولياء الله – جل وعلا –؟؟
وهذا أمر وقع فيه خلط لدى كثير من الناس بين غلو وجفاء وإفراط وتفريط والحق هدى بين ضلالتين وحسنة بين سيئتين، الحق قوام بين الغلو والجفاء والزيادة والتقصير.
وأولياء الله – تبارك وتعالى – هم : من أكرمهم الله – جل وعلا – بالقيام بدينه فعلًا للواجبات وتركًا للمحرمات كما جاء في القرءان الكريم قال الله – سبحانه وتعالى – :
{ أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٦٢) الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ (٦٣)}
فالذي يجمع بين الإيمان والتقوى هو الولي وأولياء الله – سبحانه وتعالى – هم أهل الإيمان والتقوى وهم أيضا على درجتين:

- قسم جاءوا بالواجبات وتركوا المحرمات وزادوا على ذلك منافسة في الرغائب والسنن والمستحبات "وهؤلاء المقربون ويقال لهم أيضا: السّابقون "

- وقسم آخر هم دون هؤلاء وهم" المقتصدون" وهم من جاءوا بالواجبات وتركوا المحرمات. فهؤلاء أولياء الله وهؤلاء أولياء الله..

قد جُمع بين الدرجتين في الحديث القدسي الذي قال الله – سبحانه وتعالى – فيه :«من عاد لي وليّا فقد آذنته بالحرب وما تقرّب إلي عبدي بشيء أحب إليَّ مما افترضته عليه » .هذه درجة في الولاية :"ما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إليّ مما افترضته عليه" وهي درجة فعل الواجبات وترك المحرمات والتقرب إلى الله بذلك – سبحانه وتعالى – .

ثم أعلى من هذه الدرجة من إليهم الإشارة في قوله :

« ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به يده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها، ولئن سألني لأعطينه ولئن استعاذ بي لأعيذنه ». فهؤلاء هم أولياء الله – سبحانه وتعالى–.

ولنلاحظ أيها الإخوة الكرام إلى أمر يجدُر أن ننتبه له..

وقد سمعنا الآية الكريمة { { أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٦٢) الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ (٦٣)}

هذا الإيمان وهذه التقوى التي هي صفة أولياء الله أساسها: القلب أليس قال النبي عليه الصلاة والسلام: "التقوى هاهنا " ؟ وأشار إلى صدره ثلاث مرات .

فالتقوى و الإيمان أساسه القلب ولهذا لا يُحكم على شخص معين بعينه جزما بأنه وليٌ من أولياء الله، نعم إذا رأينا ظاهر شخص الإستقامة والصلاح و العبادة والطاعة والبعد عن المنكرات نقول: نحسبه من أولياء الله لكن لا نزكيه ولا نجزم، إن جزمنا أنه وليّ من أولياء الله فلنجزم أيضا أنه في الجنّـة!؛ لأن كل أولياء الله في الجنّة! .

وقد مرّ معنا أنه لا يُشهد لمعين بجنة ولا نار إلا ما شهد له الرسول – صلوات الله وسلامه عليه –،فمن كان ظاهره الصلاح يقال نحسبه والله حسيبه ولا نزكي على الله أحدا.

أمّا أولئك الأقوام الذين غلوا في الأولياء وأعطوهم من الخصائص والصفات ما ليس إلا لله – تبارك وتعالى – وأخذوا يتوجهون إليهم في طلب الحاجات وسؤال الرغبات ويتضرعون إليهم ويدعونهم، فهذا كله ليس من دين الله – تبارك وتعالى – في شيء .

فالمؤلف الإمام الطحاوي – رحمه الله تعالى – يبيّن في هذا الموضع العقيدة في أولياء الله – تبارك وتعالى – ويُحذر من هذه الجوانب جوانب الغلو والمغالاة في الأولياء فيقول رحمه الله : **ولا نُفضل أحدًا من الأولياء على أحدٍ من الأنبياء عليهم السلام .**

قال : ((ونقول نبيّ واحد أفضل من جميع الأولياء))

لماذا يقول ذلك – رحمه الله – في هذا كتاب مؤلف في تقرير العقيدة .. ؟ لماذا يقول : ولا نفضّل الأولياء على أحد من الأنبياء ؟

لأنهُ وُجد أقوام من زمان قديم غلوا في الأولياء حتى إن بعضهم يقول : إن الولي أفضل من النبي ، وأفضل أيضا من الرسول حتى قال قائلهم :

مَقَامَ النُّبُوَّةِ فِي بَرْزَخٍ ** فُوَيْقَ الرَّسُولِ وَدُونَ الْوَلِي

أي أن الولي أعلى رتبة من النبي وأعلى رتبة من الرسول!!

وهل يقول ذلك من يعرف دين الله ويعرف شرع الله ويقرأ كلام الله وكلام رسوله عليه الصلاة والسلام؟؟!

الأولياء لم يكونوا أولياء حقا إلا بإتباع الأنبياء، من لم يتبع أنبياء الله ليس من أولياء الله، فكيف يجعل الأولياء أفضل من أنبياء الله – تبارك وتعالى – ؟!

هذه عقيدة باطلة ما أنزل الله – تبارك وتعالى – بها من سلطان ثم لما جرى هؤلاء في هذا الغلو والمزايدة فيه أخذوا يعظمون الأولياء ويُضْفون عليهم من الصفات والخصائص ما ليس إلا لله – تبارك وتعالى –

ولهذا أصبحوا في مناطق عديدة يذهبون إلى قبور الأولياء للإستغاثة بهم لدعائهم لعبادتهم لمناجاتهم للطلب منهم لسؤالهم... عبدوهم من دون الله – تبارك وتعالى – فأين هؤلاء من حقيقة الأمر؟!

فإذن الإمام الطحاوي رحمه الله لما قال هنا : ((**ولا نفضل أحدا من الأولياء على أحد من الأنبياء عليهم السلام**)) أراد بذلك أن يبين فساد تلك العقائد وبطلان تلك الضلالات القائمة على تعظيم الأولياء تعظيمًا غير صحيح وتعظيمًا غير مبنيٍ على شرع ولا دين.

قال : ((ونقول نبيٌ ونقول نبيٌ واحد أفضل من جميع الأولياء))

وهذا حق لأن الأنبياء هم أفضل البشر والأنبياء أنفسهم متفاضلون بعضهم أفضل من بعض (وَلَقَدۡ فَضَّلۡنَا بَعۡضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَى بَعۡض) [الإسراء :٥٥]

أفضل الأنبياء : الرسل

وأفضل الرسل: أولوا العزم من الرسل

وأفضل أولوا العزم من الرسل: محمد – صلوات الله وسلامه عليه –بخير ولد أدم أجمعين وسيد ولد أدم أجمعين – صلوات الله وسلامه عليه– .

فالرتب الأنبياء ثم يأتي بعدهم الصديقون والشهداء والصالحون (فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا) [النساء : ٦٩] من النبيين فذلك أعلى الرتب والصديقين الرتبة التي تلي رتبة الأنبياء والشهداء والصالحين وقُصار أمر الأولياء أن يكونوا صديقين أو يكونوا صالحين، فكيف يُجعلون أفضل من النبيين؟؟ إنها عقيدة باطلة عقيدة ظالمة عقيدة ما أنزل الله – تبارك وتعالى

- بها من سلطان ولما وجدت هذه العقيدة لدى أقوام أخذوا يغلون في الأولياء ويعطونهم من الخصائص والحقوق ما ليس إلا لله – تبارك وتعالى –

ثم قال – رحمه الله تعالى – : ((ونؤمن بما جاء من كراماتهم))

أي الأولياء والكرامات حق دل عليها القرآن، والقرآن فيه إثبات لعدد من كرامات الأولياء، اقرأ أمثلة عليها في سورة الكهف وفي غيرها من سور القرآن

فكرامات الأولياء حق وثابتة والله – عز وجل – يكرم أولياءه بكرامات في أمور خارقة للعادة:

- إما لحجة في الدين
- أو لحاجة في الدنيا يكرمهم الله – سبحانه وتعالى –

والكرامة تكون إما لحجة أو لحاجة يكرم الله – سبحانه وتعالى – الأولياء بكرامات.

وكرامة الولي آية للنبي؛ لأنه أُكرم بإتباعه لأنبياء الله – سبحانه وتعالى –

وليس المعيار في معرفة فضل الشخص واستقامته الأمر الخارق للعادة، وإنما المعيار هو: ملازمة الحق

ولهذا من كان يظهر على يديه خوارق العادات مثل : يمشي على الماء أو يطير على الهواء أو نحو ذلك إذا كان لا يحَّكم الكتاب والسنة ولا يلتزم بشرع الله – تبارك وتعالى – نجزم أنه ليس من أولياء الله وأن هذه الخوارق التي تظهر على يديه هي مخاريق شيطانية وليست كرامات أولياء

والسلف قديما قالوا إذا رأيتم الشخص يطير في الهواء أو يمشي في الماء فلا تقبلوه أو ترتضوه ما لم يأتِ بشاهدين: الكتاب والسنة

- إذا كان يقيم الكتاب والسنة ويعمل بهما فهو من أولياء الله
- أما إذا كان لا يعمل بكتاب الله ولا يعمل بسنة النبي عليه الصلاة والسلام ليس من أولياء الله

الآن في زماننا هذا أشخاص بعضهم يزعم أنه من أولياء الله ولا يصلي الصلاة المكتوبة، حتى اتباعه يرونه لا يصلي، وربما أنه يلبِّس عليهم ويقول: نحن الأولياء نصلي عند الكعبة ما تروننا وتقال الصلاة ويذهب طلابهم يصلون وهو جالس ما يصلي حتى الطواف ما يذهب إلى مكة ليطوف

ويقولون في خرافة معروفةٍ عندهم: أنه الولي حقا الكعبة تذهب إليه وتطوف به ليس هو الذي يذهب ويطوف وسيد الأولياء وإمام المتقين كم مرة طاف بالبيت صلوات الله وسلامه عليه ؟كم مرة طاف بالبيت؟ ثم يقول هؤلاء من الولي مقامه أعظم من أن يذهب ويطوف بالبيت بل الكعبة تذهب وتطوف به وفعلا يعتقدون هذه الخرافات ولا تزال موجودة في بعض الكتب المتداولة إلى يومنا هذا يعتقدون هذه الخرافة أن الكعبة تذهب

وتطوف بالأولياء، حتى أنه في أحد كتب الفقه المطبوعة المتداولة في "باب أحكام الصلاة" عقد المؤلف فصلا في الكتاب عقد فصلا مبنيًا على هذه الخرافة الضالة قال إذا ذهبت الكعبة تطوف بالأولياء إلى أين يصلي الناس؟ مسألة فقهية هات

قال: ذهب أهل العلم في هذه المسألة إلى قولين:

- القول الأول: قالوا إنهم يصلون إلى جهة الكعبة وعللوا ذلك بتعليلات منها أن الناس لا يدرون أين ذهبت الكعبة وهذا تعليق بمحال والناس في البلدان وفي القرى إذا ذهبت الكعبة إلى هنا أو هناك كيف يعرفون... قال هذا القول يصلون إلى الأصل إلى جهة الكعبة الأصل

- قال والقول الثاني: قال لا، يجب عليهم أن يتحروا كل صلاة يبحثون عن الكعبة وين راحت في الدنيا؟ ويسألون وين راحت الكعبة ؟ويصلون إلى جهتها في أي مكان ذهبت إليه في الدنيا!

هذا مبحوث كله مبني على الخرافات غلو في الأولياء ما أنزل الله به من سلطان ثم إذا بدأت الخرافة تتولد منها خرافات الخرافة تلد خرافة وأختها تلد أيضا وتتوالد خرافات مالها حد.

ولهذا الحافظ الحكمي رحمه الله قال: في جوهرته الفريدة بيتًا فريدًا قال :

إني براء من الأهواء وما ولدت ..ووالديها الحيارى ساء ما ولدوا

والجهال وخفيف العقول ومن هو يُستخف بعقله يصدق مثل هذه الخرافات بالكذب والحيل والتلبيس يصدقون مثل هذه الخرافات وكل ذلك الضلال مبني على المغالاة والغلو الذي ما أنزل الله به من سلطان

وأئمة السلف رحمهم الله في كتب العقائد ينبهون على ذلك ويعالجون مثل هذه القضايا مثلما صنع الإمام الطحاوي الحنفي – رحمه الله تعالى – في متنه : " العقيدة الطحاوية " .

قال : ((ونؤمن بما جاء من كراماتهم وصحّ عن الثقات من رواياتهم))

أيضا باب الكرامات" باب كرامات الأولياء " باب فيه غلو وفيه جفاء وفيه توّسط وخير أمور أوساطها لا غلوّها لا تفريطها ولا إفراطها ،

- فمن الناس من أنكروا كرامات الأولياء جملة وتفصيلا

- ومنهم من غلوا في كرمات الأولياء غلوًّا أشرت إلى نماذج منه

- والحق قوام بين ذلك نُثبت الكرامات – كرامات الأولياء– بدون غلو

إذا صحّت الكرامة جاءت في الكتاب، جاءت في السنة، بلغتنا بأسانيد صحيحة عن الثقات كما قال المصنّف – رحمه الله تعالى – نُصدّق بكرامات الأولياء ، والكرامة إذا حصلت من الوليّ تسرّه ولا تغرّه كما نبّه

على ذلك أهل العلم إذا حصلت الكرامة تسرّه لكنّها ما تغرّه ما يقول: أنا فلان الذي حصل لي كذا و أنا فلان الذي حصل كذا .. نعم تسرّه لكن ما يغتر ولا يُعجب بنفسه ولا يزال متواضعا خاضعا.
إذا كان عبد الله بن أبي مُليكة من علماء التابعين يقول : أدركت أكثر من ثلاثين صحابيا كلّهم يخاف النفاق على نفسه، ما كانوا يزكون أنفسهم مع أنهم يحصل لهم من البشائر و الشواهد ودلائل الخير و التوفيق والسداد أمور كثيرة

بل بعضهم بُشِّر بالجنّة مع ذلك قام في قلوبهم خوف عظيم بخلاف أمثال هؤلاء الذين يظهر على يد أحدهم خارقا للعادة أو خارقين ثمّ يستعلي به على النّاس ويتعاظم به على النّاس ويعظِّم نفسه بذلك على النّاس ويزكّي نفسه بذلك ، فباب الكرامة أهل السنّة فيه وسط بين الغلوّ والجفاء و الإفراط والتفريط ، ثمّ بعد ذلكم انتقل للحديث أشراط الساعة

فقال – رحمه الله تعالى – : **((ونؤمن بأشراط الساعة من خروج الدجال ونزول عيسى بن مريم عليه السلام ونؤمن بطلوع الشمس من مغربها و خروج دّابة الأرض من موضعها))**

هذا حديث مختصر عن أشراط الساعة بما يتناسب مع حجم هذا المؤلّف المختصر وأشراط الساعة: هي علامتها التي تأتي بين يدي الساعة " (فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا) " قال الله تعالى : " اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ (١) " انشقاق القمر علامة من علامات الساعة، فالساعة لا تقوم حتى تظهر علامات، وقسّم العلماء أخذًا من الأدلة الكثيرة في هذا الباب علامات الساعة إلى قسمين:
- علامات كبرى
- وعلامات صغرى

والعلامات الصغرى: لا تزال تظهر تِباعا بين وقت وآخر

والعلامات الكبرى: هي العلامات العظام التي تظهر عند قُرب قيام الساعة وإذا خرجت واحدة من تلك العلامات الكبار العِظام توالت بعدها متتابعة

أشراط الساعة كالعقد إذا انفرط من تتابعها بمجرّد خروج واحد منها وخروج العلامات الكبرى فيه إشارة إلى بدء تغيُّر هذا الكون وانتهاء هذه الحياة

المؤلّف – رحمه الله تعالى – أشار هنا إلى أربع علامات كبرى من علامات السّاعة ذكر منها:

- الدّجال: هو علامة من علامات السّاعة وفتنته أعظم الفتن و أكبرها وما من نبيّ بعثه الله إلاّ وأنذر قومه من فتنة الدّجال وفتنته فتنة عظيمة يظهر في آخر الزمان و يظهر على يديه أمور خارقة للعادة عجيبة منها:

- أنّه يمرّ بالقرية و البلدة و يدعو أهلها لإتباعه فيأبون فإذا أبوا أمر كنوزها أن تخرج فإذا أبوا أمر كنوزها أن تخرج ، فتخرج الكنوز وأهل القرية يروها بأعينهم تخرج وتتبعه وإذا تبعته القرية أمر السماء أن تُمطر فتمطر ، وأمر الأرض أن تنبت فتنبت .

كل ذلك يراه الناس ، لو كانت الأمور تقوّم بالخوارق ، لو كانت الأمور ومعرفة الأولياء بالخوارق تُعرف ، لكان الدجال أكبر الأولياء .

لو كان مجرد الأمر الخارق هو الذي يُقاس ويعرف به الأولياء لكان الدجال هو أكبر الأولياء !

مثل هذه الخوارق التي تظهر على يديه يجريها الله – سبحانه وتعالى – على يديه افتتانًا وامتحانًا للناس وابتلاءً ، ويقول ذلك الأعور الدجال ، أعاذنا الله جميعا من فتنته، نعوذ بالله من فتنة المسيح الدجال. يقول للناس : أنا ربكم ، ويؤتى بشاب جلد قوي ويأمر به ويشق نصفين ويرونه ، ينقسم إلى قسمين، ثم يأمره فيعود كما كان أمور عظيمة جدا يُقدره الله – سبحانه وتعالى – عليها ابتلاءً وامتحانا للناس . ولهذا كانت فتنته أعظم الفتن وأكبر الفتن ، فتنة عظيمة جدا.

ولهذا يا إخوان ينبغي على المسلم أن يحافظ ولاسيما دبر كل صلاة مكتوبة على التعوذ بالله من فتنة الدجال وعليه أن يعمل بحديث النبي صلى الله عليه وسلم الذي قال فيه :

((منْ سَمِعَ بِالدَّجَّالِ فَلْيَنْأَ عَنْهُ،)).

يحرص بالبعد عن الدجال وعن أيضا الدجاجلة الذين يمهدون ويوطئون للدجال الأكبر . لا يصدقهم ولا يذهب إليهم حتى ولو كان يظهر على أيديهم أمور (تُهيل) العقول وتشد الناس .

فحفاظ الإنسان على دينه خير له من أن يدفع أمثال هؤلاء الدجاجلة الأفاكين .

قال : ((**ونزول عيسى ابن مريم عليه السلام**)).

وعيسى عليه السلام كما نعلم رفعه الله إليه في السماء ، منذ رفعه الله إليه في السماء حي – عليه السلام – وينزل آخر الزمان .

ونزوله علامة من علامات الساعة ، وينزل في دمشق ، على المنارة البيضاء في دمشق ينزل ويقتل الدجال ، عليه السلام ، فنزول عيسى حق وهو علامة من علامات الساعة ، وأمارة من أماراتها .

كذلكم؛ نؤمن بطلوع الشمس من مغربها؛ وهذه أيضا من علامات الساعة الكبار وهي تتعلق بالعلامات العلوية التي تظهر في الأفق ، الشمس يراها الناس كل يوم إذا أصبحوا تطلع من المشرق .

يأتي على الناس يوم إذا أصبحوا وإذا بها تطلع من المغرب وطلوعها من المغرب علامة من علامات الساعة الكبار.

وينبغي أن يُعلم أن علامات الساعة الكبار إذا خرجت لا ينفع الإيمان؛ لأن الإيمان أيْمان مشاهدة والناس إذا رأوا الشمس طلعت من مغربها يؤمنون جميعا لكن لا ينفعهم إيمانهم؛ لأنه إيمان مشاهدة والإيمان النافع إنما هو إيمان الغيب ((يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا)) ثم ذكر الدابة؛ دابة الأرض التي تخرج أيضا في آخر الزمان وتكلم الناس وهي آية من آيات الساعة وعلامة من علاماتها فنؤمن بهذه العلامات الكبرى لقيام الساعة ونؤمن بالعلامات أيضا الصغرى وكل ما جاء في كتاب ربنا وسنة نبينا – صلوات الله وسلامه عليه– فهو حق.

ثم قال رحمه الله : ((**ولا نصدق كاهناً ولا عرَّافا ولا من يدعي شيئا يخالف الكتاب والسنة والإجماع**))

وهذا تنبيه عظيم جدا

قال : ((**لا نصدق كاهنا ولا عرافا**)) وقد صح فى الحديث عن نبينا عليه الصلاة والسلام أنه قال : ((من أتى كاهنا أو عرافا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم))

والكاهن والعرَّاف قيل إنهما واحد ،

وقيل إن العراف أعم يشمل الكاهن وغيره

والعرَّاف: هو الذي يدعي معرفة الأمور من الأمور التي تقع فى والمستقبل والأحوال التي تقع فى المستقبل والضالة والمفقود والمسروق ونحو ذلك

العراف هو الذي يدعي معرفة الأمور وادعاء معرفة الأمور له طرائق كثيرة يستعملها هؤلاء بعضهم بالنظر فى النجوم وبعضهم بالنظر فى الفنجان وبعضهم بقراءة الكف –كما يقال– وبعضهم بالطرق بالحصى وبعضهم بالخط فى الأرض

طرائق كثيرة يدعي أصحابها أنه أنهم من خلالها يعرف الأمور وكل هؤلاء ينطبق عليهم هذا اللقب " العراف" سواءً كان قارئٌ الفنجال أو قارئ كف أو يطرق بالحصى أو يخط فى الأرض أو ينظر فى النجوم، بأي طريقة كانت إن كان يدعي معرفة الأمور المغيبة والأمور المستقبلة ونحو ذلكم.. فهو من هؤلاء الذين قال النبي صلى الله عليه وسلم عنهم فى هذا الحديث ((من أتى كاهنًا أو عرافًا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم))

ولهذا يقول رحمه الله : ((ولا نصدق؛ لأن تصديق هؤلاء كفر بما أنزل على محمد صلوات الله وسلامه عليه ومما أنزل عليه : {قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ} [النمل : ٦٥]

علم الغيب عند الله – سبحانه وتعالى – فإذا ادعي هؤلاء علم المغيَّبات وما سيكون والأمور المستقبلة والأحوال المستقبلة فهؤلاء كذبة، ومن صدقهم فقد كفر بما أنزل على محمد من آيات بينات فيما يتعلق بأن علم الغيب خاص بالله – تبارك وتعالى –

قال : ((ولا من يدعي شيئا يخالف الكتاب والسنة وإجماع الأمة))

هذا تعميم بعد تخصيص، لما خص الكاهن والعراف بالذكر عمم بالحذر من كل من يخالفون كتاب الله وسنة نبيه – عليه الصلاة والسلام – أياً كان طريقتهم أياً كان مذهبهم أياً كانت نحلتهم، كل من يخالف كتاب الله وسنة نبيه وإجماع الأمة فالواجب أن يُحذر منه أشد الحذر.

قال : ((ونرى الجماعة حقًا وصوابًا والفرقة زيغًا وعذابًا))

هذا فيه حث على الجماعة وتحذير من الاختلاف والفرقة والذي يجمع هو السنة والذي يفرق هو البدعة ولهذا تواتر أهل العلم من قديم الزمان على أن الجماعة قرين السنة والفرقة قرينة البدعة

ولهذا يقول أهل السنة والجماعة، وأهل البدعة والفرقة؛ لأن السنة تجمع والبدعة تفرق و لا يمكن أن يكون اجتماع على بدعة البدع تفرق الناس؛ لأن البدع لا حدَّ لها والآراء لا حدَّ لها

ولهذا أهل البدع إذا اجتمعوا على بدعة وقتا يسيراً تفرقوا فيها تفرقا عظيماً ؛لأن البدع كما مرَّ معنا قريباً تتوالد وبتوالدها تتوالد أيضا الفرق والمذاهب المبنية على تلك العقائد بينما السنة هي التي تجمع وهي التي تؤلف ولا يمكن أن يتحقق اجتماع وألفة إلا بلزوم سنة النبي الكريم عليه الصلاة والسلام .

قوله : ((ونري الجماعة حقا وصوابا))

أي نري الحق والصواب فى الاجتماع والائتلاف على كتاب الله وسنة نبيه عليه الصلاة والسلام كما قال الله تعالى : ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران : ١٠٣]

وكما قال عليه الصلاة والسلام : ((إن الله يرضى لكم ثلاثا)) وذكر منها ((أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئا وأن تعتصموا بحبل الله ولا تفرقوا))

قال – رحمه الله تعالى – : ((ودين الله في الأرض والسماء واحد وهو دين الإسلام))

قال الله تعالى : ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [آل عمران : ٨٥] ، وقال تعالى : ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ﴾ [آل عمران : ١٩] ، وقال تعالى : ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾[المائدة : ٣] دين الله واحد وهو الإسلام وهو دينه – جل وعلا – في السماء وفي الأرض؛ في السماء أي في عبادة الملائكة لله – سبحانه وتعالى – والملائكة عباد مكرمون ﴿لَّا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ [التحريم :٦]

((**وفي الأرض**)) أي: من يوفقهم الله – سبحانه وتعالى – لعبادته وطاعته – جل وعلا – فدين الله في الأرض وفي السماء واحد وهو الإسلام " وهو الدين الذي رضيه الله لعباده ولا يرضى لهم دينا سواه" وأورد – رحمه الله تعالى – مستدلًا بذلك بآيات من القرآن :

- **الأولى:** قوله تعالى : ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [آل عمران : ٨٥]

والآية صريحة وواضحة أن من يختار لنفسه دينا غير دين الإسلام لا يقبله الله منه بل يكون يوم القيامة خاسرا،

- في الآية الأخرى قال: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ﴾ [آل عمران : ١٩] فالدين الذي يقبله الله ويرضاه هو دين الإسلام ولا يقبل دينا سواه

وكذلكم قوله تعالى : ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾ [المائدة : ٣]

ثم بيّن أن هذا الدين الذي هو دين الإسلام دين الوسط

قال : ((**وهو بين الغلو والتقصير وبين التشبيه والتعطيل وبين الجبر والقدر وبين الأمن والإياس**))

فهو دين وسط، وهذا الذي ذكره رحمه الله نماذج يبين فيها الوسطية والإعتدال التي يقوم عليها دين الله – تبارك وتعالى –

وقد قال الله تعالى:﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ [البقرة : ١٤٣]

فالإسلام دين الوسط ليس فيه غلو وليس فيه جفاء، لا إفراط ولا تفريط، بل هو قوام بين ذلك

ذكر – رحمه الله – نماذج من ذلك بدأ بقوله :"بين الغلو والتقصير " وهذا عام في جميع أمور الدين التوسط والإعتدال بين الغلو والجفاء

وما من مسألة من مسائل الدين ولا حكم من أحكام الشريعة إلا والناس فيه ثلاث أقسام:

- **أهل غلو وأهل جفاء وأهل توسط**

كل مسألة من مسائل الدين لابد أن تجد فيها من هو غال ومن هو جاف ومن هو متوسط

﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا ﴾ [الفرقان : ٦٧]

﴿وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ ﴾ [لقمان : ١٩]

توسط ... دين الله في جميع الأمور وسط لا غلو ولا جفاء ولا إفراط ولا تفريط، والواجب على المسلم أن يكون في دينه على القوام والتوسط والإعتدال الذي هو دين الله – تبارك وتعالى –

قال : ((**وبين التشبيه والتعطيل**))

وهذا يتعلق بصفات الباري – سبحانه وتعالى – صفاته الثابتة في كتابه وسنة نبيه عليه الصلاة والسلام نتوسط فيها بين التشبيه والتعطيل فعقيدة أهل السنة في الصفات إثبات تعطيل وهذه هي الوسطية، عقيدة أهل السنة في صفات الله – تبارك وتعالى – إثبات بلا تمثيل وتنزيه بلا تعطيل وهذه هي الوسطية التي عليها أهل السنة في أسماء الله وصفاته

التشبيه باطل، والمشبه كما قال الإمام أحمد : ((هو الذي يقول يد الله كيدي وسمعه كسمعي وبصره كبصري)) ، والله يقول : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [الشورى : ١١]

التمثيل كفر بالله – سبحانه وتعالى – من يمثل الله بخلقه أو يمثل شيء بصفات الله من صفات خلقه كفر بالله العظيم، تشبيه باطل، وأيضا تعطيل الصفات باطل؛ نفيها وجحدها باطل والحق قوام بين ذلك؛ إثبات بلا تمثيل وتنزيه بلا تعطيل. وهي مسألة مر شيء من تفصيلها عند المصنف – رحمه الله تعالى –

قال : ((وبين الجبر والقدر))

أي أهل السنة ودين الله وَسَط بين الجبر والقدر ، الجبر والقدر قولان في مسألة الإيمان بالقضاء والقدر؛ قولان باطلان.

الجبر : قول من يقول إن الإنسان مجبور على فعل نفسه وأنه لا مشيئة له وأنه كالورقة في مهب الريح ، هؤلاء يقال لهم القدرية المجبرة.

قولهم في القدر يقولون بالجبر أي أنه الإنسان ليس له مشيئة وهو مجبور على فعل نفسه

يقابل هؤلاء من أشار إليهم بقوله : ((**والقدر**)) أي: القدرية النفاة ، نفاة القدر الذين يقولون لا قدر، ينفون القدر وينفون مشيئة الله – سبحانه وتعالى – ويقولون : إن العبد هو الخالق لفعل نفسه ، هذه عقيدة مضادة لعقيدة الجبرية وكل من العقيدتين باطلة والحق قوام بين ذلك؛ فعقيدة الإسلام وسط بين الجبر والقدر وسط بين عقيدة القدرية المجبرة وبين عقيدة القدرية النفاة

فنؤمن بالقدر وأن الأمور بقضاء الله وقدره وأن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن وفي الوقت نفسه نثبت للعبد مشيئة وأن هذه المشيئة تحت مشيئة الله – سبحانه وتعالى – ، كما قال الله: " لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ (٢٨) وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ (٢٩) "

قال – رحمه الله تعالى – : ((**وبين الأمن والإياس**))

وهذا في باب الوعد والوعيد أهل السنة وسط بين الأمن والإياس؛

الأمن: أي من مكر الله ،

والإياس: أي القنوط من رحمة الله.

أهل السنة وسط في هذا بين" الوعدية": الذين عندهم أمن بلا خوف ،

" والوعيدية" الذين عندهم خوف بلا أمن؛

لأن من يغلب جانب الوعد يأمن ومن يغلب جانب الخوف يقنط

ودين الله – سبحانه وتعالى – وسط بين الأمن و الإياس ، لا يأمن الإنسان من مكر الله وفي الوقت نفسه لا يقنط من رحمة الله ، لا يأمن من مكر الله ولا يقنط من رحمة الله. ومتى يقع الإنسان في إحدى العقيدتين؟

إذا غلب إما جانب الوعد أو غلب جانب الوعيد، بينما إذا كان الإنسان يأت بالأمرين معا : " أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ ۚ" يجمع بين الأمرين.

والرجاء والخوف بالنسبة للعبد المؤمن كالجناحين للطائر لا يستتم الطيران إلا بالجناحين ، ولا يستتم السير إلى الله من عباد الله إلا بالرجاء والخوف فإذا غلب الإنسان الخوف قنط ، وإذا غلب الرجاء أمن وإذا جاء بهما بتوازن واعتدال كان أمره بين الرجاء والخوف فلم يأمن من مكر الله ولم يقنط من رحمته – جل وعلا– . فأهل السنة في هذا الباب وسط

ثم بعد هذا التلخيص في الكتاب كله فيما مضى شرحه وبيانه في الكتاب كله

قال : ((**فهذا ديننا واعتقادنا ظاهرًا وباطنًا**)) يعني هذا الذي ذكرناه في الكتاب هو ديننا وعقيدتنا ظاهرًا وباطنًا

ظاهرًا : نقوله في المجالس وندعو الناس إليه ونؤلف فيه المؤلفات ونكتب فيه الكتب ، ونعقد فيه الدروس.
وباطنًا : أي هو الذي بيننا وبين الله نعتقده ونؤمن به ونداين الله – سبحانه وتعالى – به.

قال : ((**هذا اعتقادنا وديننا ظاهرًا وباطنًا ونحن برءاء إلى الله تعالى من كل من خالف الذي ذكرناه وبيناه**))

أي من أمور دل عليها كتاب الله وسنة نبيه – صلوات الله وسلامه عليه – وقد نبه أهل العلم كما سبق الإشارة إلى ذلك في موضعه إلى بعض المواضع التي وردت في الكتاب وهي تفتقر إلى الدليل بل منها ما هو مخالف للدليل من كتاب الله – سبحانه وتعالى – في مواطن يسيره مر الإشارة إليها والتنبيه عليها في مواضعها.

قال : ((**ونسأل الله أن يثبتنا على الإيمان ويختم لنا به ويعصمنا من الأهواء المختلفة والآراء المتفرقة والمذاهب الرديئة**))

وهذه دعوة عظيمة؛ سؤال الله – تبارك وتعالى – الثبات على الإيمان، ودعاؤه – تبارك وتعالى – أن يختم للمؤمن بخاتمة الخير وخاتمة الإيمان وأن يعيذه من الأهواء والضلالات وهذا كله جاء فيه دعوات ثابتة عن نبينا – عليه الصلاة والسلام– مثلما جاء في حديث شداد بن أوس : " اللهم إني أسألك الثبات في الأمر والعزيمة على الرشد " ،

وكان أيضا كما جاء في الحديث الآخر أكثر دعائه عليه الصلاة والسلام : " يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك " بعض الناس إذا دعا بهذه الدعوة يزيد "والأبصار" وفي جميع روايات الحديث لا توجد هذه الزيادة " يا مقلب القلوب والأبصار ثبت قلبي على دينك " هذه ليست واردة وربما بعضهم أخذها من قوله تعالى : { وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ } والآية في سياق آخر لا تعلق له بموضوع التوسل إلى الله – جل وعلا – وإنما المناسب بل الذي ينبغي الاختصار على ما ورد وأن نقول : " يا مقلب القلوب– بدون أن نزيد كلمة : [والأبصار] – ثبت قلوبنا على دينك ". والأدعية في هذا الباب المأثورة عنه عليه الصلاة والسلام كثيرة

أيضا التعوذ من الأهواء مما جاء فيه عنه صلى الله عليه وسلم ما جاء في الترمذي وغيره : " اللهم إني أعوذ بك من منكرات الأخلاق والأهواء والأدواء " هذا تعوذ ثابت عن النبي – عليه الصلاة والسلام – وفي المعنى أيضا دعوات عديدة.

الشاهد أن هذه دعوة عظيمة أوردها رحمه الله في خاتمة الكتاب قال : ((**نسأل الله أن يثبتنا على الإيمان ويختم لنا به ويعصمنا من الأهواء المختلفة والآراء المتفرقة والمذاهب الرديئة**))

والمراد بالمذاهب الرديئة : المذاهب التي تخالف الحق وتخالف الكتاب والسنة وتخالف ما كان عليه سلف الأمة – رضي الله عنهم وأرضاهم – وكلها رديئة لكنها متفاوتة في الردى شدة وضعفًا ثم مثَّل على ذلكم ببعض الأمثلة

قال : ((**مثل مذاهب المشبهة والمعتزلة والجهمية والجبرية والقدرية وغيرهم من الذين خالفوا الجماعة وحالفوا الضلالة**))

هذه إشارة إلى بعض الفرق بل إلى رؤساء البدع ومؤسسي الضلالات الكبار التي نشأت في الأمة قديما ولا يزال لأهل هذه الفرق أتباع ومؤيدين على تفاوت في أعدادهم في اتباع تلك البدع والأهواء.

قال : ((**مثل مذاهب المشبهة والمعتزلة والجهمية والجبرية والقدرية وغيرهم**)) وجميع هذه الفرق مر الإشارة إليها وإلى شيء من عقائدها في كلام المصنف – رحمه الله تعالى – لكنه أوردها هنا في مقام التعوذ بالله – تبارك وتعالى – من مثل هذه البدع، فالمسلم يتعوذ بالله من كل البدع والأهواء؛ بدع الجامية وبدع المشبهة وبدع القدرية وبدع الغلاة أي كانوا يتعوذ المسلم بالله – تبارك وتعالى – من جميع هذه البدع ولا يلزم في التعوذ مثل هذا التفصيل وإنما يكفي في التعوذ التعميم مثل ما جاء في الحديث الذي أوردناه وهو في جامع الترمذي : ((اللهم إنا نعوذ بك من منكرات الأخلاق والأهواء والأدواء)) دون حاجة إلى أن تفصِّل بتسمية البدع أو بتسمية المذاهب لكن في مقامات التعليم والتوجيه والتحذير من هذه البدع

أحيانا يناسب أن تسمي مثل أن تذكر بعض ضلالات الجهمية ثم تقول نعوذ بالله من بدع هؤلاء وضلالاتهم فالمقام مثل هذا المقام يناسب أما أن يتخذ وردا ودعاءً يدعى به فهذا مما لا دليل عليه.

قال في وصفهم لهؤلاء : ((**من الذين خالفوا الجماعة وحالفوا الضلالة**))

أي هؤلاء اجتمعوا على مخالفة الجماعة أي الحق الذي اجتمع عليه أهل الحق والهدى الذين هم أهل السنة والجماعة ((**وحالفوا الضلالة**)) أي أيدوها ونصروها وصاروا من أهلها والدعاة إليها

قال : ((**ونحن منهم برءاء وهم عندنا ضلال وأردياء**))

يعني يتبرأ من أصحاب هذه الضلالات و من ضلالاتهم ويخبر عنهم أنهم أهل ضلال وأنهم أهل مسالك ردية وعقائد باطلة ما أنزل الله – تبارك وتعالى – بها من سلطان ثم ختم – رحمه الله تعالى – بقوله وبالله العصمة والتوفيق وبالله العصمة والتوفيق أي السلامة من هذه الأهواء والنجاة من هذه البدع هذا أمر بيد الله.

إذا رأيت شخص مبتلى ببدعة من البدع ورأيت أن الله نجاك منها وعرفت أنها باطلة فحمد الله على هذه النعمة التي أنعم الله بها عليك لولا منة الله عليك لما عرفت الحق ولولا نعمة الله عليك لما هديت للسنة. فإذا أكرمك الله – سبحانه وتعالى – بمعرفة السنة ومعرفة الحق ومعرفة الهدى ورأيت شخصا ابتلي ببدعة من البدع احمد الله الذي عافاك مما ابتلاه به وإذا نظرت إليه بعين القدر رحمته وحرصت على دعوته ومناصحته إن كنت من أهل العلم والدراية وتعليمه وتفقيهه في دين الله – تبارك وتعالى – وإذا نظرت إليه بعين الشرع تبرأت منه ومن بدعته ومن ضلالته ولاسيما أهل البدع الكبار الضّلّال

وأهل السنة في هذا الباب أهل توسط واعتدال في التعامل مع أهل البدع وأيضاً طريقة إقامة الحجة عليهم وإيصال الحق لهم ومناصحتهم ودلالتهم إلى الخير ورحمتهم يرحمونهم لعل الله ينجيهم من هذه البدع ويسلمهم

من هذه الضلالات ويدعونهم إلى الحق والهدى فالشاهد أن المسلم إذا أكرمه الله ونجاه وسلمه من هذه البدع والضلالات يعرف أن هذه من نعمة الله عليه وفضله – جل وعلا –

﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ ﴾ [النور : ٢١]

قال – جل وعلا – : ﴿وَلَٰكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ (٧) فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً ۚ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٨)﴾ [الحجرات : ٧-٨]

وقال جل وعلا: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا ۖ قُل لَّا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُم ۖ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾[الحجرات : ١٧]

وعلى كلٍ بهذا يكون الإمام الطحاوي – رحمه الله تعالى – أنهى ما أراد تقريره وبيانه في هذه العقيدة

نسأل الله الكريم رب العرش العظيم أن يجزيه خير الجزاء وأن يغفر له ولجميع علماء المسلمين وأن يجزيهم عنا خير الجزاء وأن يغفر لنا ولوالدينا وللمسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات الأحياء منهم والأموات إنه – تبارك وتعالى – سميع الدعاء وهو أهل الرجاء وهو حسبنا ونعم الوكيل، والله تعالى أعلم، وصلى الله وسلم وبارك وأنعم على عبده ورسوله نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.